

ISSN:
: 3005-6713
: 3005-6721



فصلية مُحَكَّمة
تُعنى بنقد الرؤى الغربية
في الإنسان والمجتمع

العدد (1) خريف 2023 م 1445 هـ

خديعة الجندر وحرب الشذوذ

◀ **أول الكلام** ▪ صناعة الشذوذ الجنسي كحرفة لتدمير الأمم

◀ **المحور** ▪ المرأة وحلم الحرية في الغرب
▪ الخطاب الأخلاقي في الفكر الغربي الراهن: جدل الأسس والمآلات
▪ الاقتصاد السياسي لتيار الشذوذ في الولايات المتحدة..
▪ الاعلام الغربي وعولمة الشذوذ
▪ التحيز العلمي في الغرب في دراسات «الجندر»
▪ تداعيات الشذوذ الجنسي في الغرب: دراسة احصائية

◀ **تأصيل** ▪ الزوجية في الرؤية القرآنية: دراسة تأصيلية

◀ **دراسات وبحوث** ▪ الآثار الفكرية للتبعية

◀ **قراءة في كتاب** ▪ كينزيم: جنس واحتيال



تصدر عن مركز براهنا
للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

خديعة الجندر وحرب الشذوذ

العدد (1): خريف 2023م – 1445هـ

ISSN:

 : 3005-6713
 : 3005-6721



للدراستات الإنسانية والاجتماعية

تصدر عن:



مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت – بغداد

مجلة علمية فصلية مُحكّمة تُعنى بنقد
الرؤى الغربية في الإنسان والمجتمع

www.barathacenter.com

www.oumam.barathacenter.com

Oumam.magazine@gmail.com

وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ
وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِأَحْسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(الأعراف: ١٦٨)

رسالة المجلة

مواجهة التحديات الفكرية التي يفرضها الغرب وغيره على مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وذلك من خلال:

◀ تنفيذ هذه القضايا بطريقة أكاديمية علمية ومنهجية، وإظهار معارثها وعيوبها، ونقد جذورها وسياقاتها.

◀ الكشف عن الخلفيات السياسية والاقتصادية والاستعمارية التي تقف خلف محاولة الهيمنة الثقافية على مجتمعاتنا.

◀ تقديم إحصاءات علمية من داخل المجتمعات الغربية، ترصد النتائج التدميرية لهذه الثقافات على المجتمعات.

◀ تقديم رؤى أصيلة وبديلة عن هذه القضايا من منطلق انساني عالمي، يتناسب ومقتضيات الفطرة البشرية، والرؤية الكونية الميتافيزيقية للاجتماع البشري.



مجلة «أمم للدراسات الإنسانية والاجتماعية»، مجلة علمية فصلية مُحكّمة، تصدر كل ثلاثة أشهر عن «مركز براثا للدراسات والبحوث». وتُعنى المجلة بنقد الرؤى الغربية في الإنسان والمجتمع في مختلف المجالات والتحديات المعاصرة؛ في الفلسفة، والتاريخ، والاجتماع، والانثروبولوجيا، وغيرها من جهة، وتأصيلها من منطلق عقلاني ينسجم ومقتضيات الفطرة البشرية ومع الرؤية الكونية الميتافيزيقية الأصيلة للإجماع البشري من جهة أخرى.

في العدد المقبل:

الغرب المتوحش أوروبا وحروبها

موقع المركز:

www.barathacenter.com

موقع المجلة:

oumam.barathacenter.com

بريد المجلة:

Oumam.magazine@gmail.com

ترحب المجلة بمساهمات الكتاب والباحثين بالكتابة في المجالات المتعلقة باهتمامات المجلة العلمية، ويمكن للراغبين بالكتابة مراسلة المجلة على العنوان التالي: مركز براثا للدراسات والبحوث - مجلة أمم: بيروت، بغداد.

رئيس التحرير: 009613821638

مدير التحرير: 0096176949904

المشرف العام:
الشيخ جلال الدين علي الصغير

رئيس التحرير:
د. محمد محمود مرتضى

مدير التحرير:
الشيخ د. محمد باقر كجك

المدير المسؤول:
أ. آية بيضون

المدير الفني:
أ. خالد معماري

التدقيق اللغوي:
أ. بسام العالان

المترجمون:
حسين جهجاه
ياسر بشير
هوارى بهلولي
لينا السقر

■ الهيئة العلمية:

- أ. د. أحمد أيبش (تركيا).
- أ. د. بن شرقي بن ميزان (الجزائر).
- أ. د. حافظ عبد الرحيم (تونس).
- أ. د. حسن بشير (إيران).
- أ. د. طالب عمران (سوريا).
- أ. د. عقيل صادق (العراق).
- أ. د. ياسر مصطفى عبد الوهاب (مصر).
- أ. د. يوسف طباجة (لبنان).

■ هيئة التحرير:

- أ. د. سعد علي زاير (العراق).
- أ. د. عادل الوشاني (تونس).
- د. علي الحاج حسن (لبنان).
- الشيخ الدكتور محمد نمر (لبنان).
- أ. م. د. نعمة بكر (مصر).
- أ. د. هنى الجزر (سوريا).



شروط الكتابة والنشر في مجلة "أع"

■ المواصفات العلمية والمنهجية:

- مراعاة أصول البحث العلمي في الاقتباس والتوثيق، والأمانة العلمية، والمنهج.
- سلامة اللغة، والإملاء، والطباعة.
- كتابة مقدمة تحتوي على العناصر الأساسية للبحث.
- أن يكتب الباحث اسمه تحت عنوان البحث خالياً من أي توصيف، ثم يكتب توصيفه العلمي تحت الاسم.
- تقسيم متن البحث وترقيم عناوينه بما يتناسب وطبيعة البحث.
- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
- كتابة قائمة بمراجع البحث، وفق المواصفات الفنية المشار إليها لاحقاً.

■ شروط تسليم البحث:

- ألا يكون البحث قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلماً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- أن لا يقل البحث عن ٥٠٠٠ كلمة ولا يزيد عن ٧٠٠٠ كلمة عدا الملحقات.

■ مرفقات البحث عند تسليمه:

- ملف يشتمل على عنوان البحث والسيرة الذاتية.
- ملف يحتوي على ملخص البحث باللغة العربية، لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة. مع كلمات مفتاحية اتعبر عن القضايا التي تناولها، بما لا يتجاوز ٦ كلمات.
- ملف فيه ترجمة الملخص إلى اللغة الإنكليزية.

■ شروط النشر:

- في حال قبول البحث للنشر تؤول كافة حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو الكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة، وللمجلة الحق في نشر البحث في المكان والزمان الذي تراهما مناسبين.
 - ينشر البحث الكترونياً وعلى موقع المجلة وفي المجلة نفسها حسب أولوية النشر.
 - يتم ابلاغ الباحث بقبول بحثه أو الاعتذار منه.
 - يلتزم الباحث عند الموافقة على بحثه بتقديمه بالصيغة النهائية المشار إليها في المواصفات الفنية المعتمدة.
 - يوقع الباحث عند التلزم عقداً مع المجلة يحتوي على شروط الكتابة والنشر والتعهدات المرتبطة بالبحث.
 - تُصرف للباحث الذي قُبِلَ بحثه مكافأة مالية وفق السياسة المالية للمجلة والتي تعتمد على تحديد مبلغ على الصفحة الواحدة (٢٥٠ كلمة)، يُبلغ بها الباحث عند التلزم.
 - يحق لهيئة التحرير التصرف بالبحث لناحية الحذف إذا ما وجدت أن ثمة إطلاات غير مفيدة. وتحدد المكافأة تبعاً للعدد النهائي لكلمات البحث.
- خامساً: التحكيم:
- تخضع جميع البحوث للتحكيم السري من قبل لجنة علمية مختصة.
 - سادساً: المواصفات الفنية للبحث:
 - تُستخدم في البحث مجموعة من المواصفات الفنية المتعلقة بالخطوط وحجمها، وبطريق التوثيق التي تعتمد عليها المجلة.

المحتويات

الشيخ جلال الدين
علي الصغير ■

أول الكلام: صناعةُ الشذوذِ الجنسيِّ كحرفةٍ لتدميرِ الأمم

10

المحور

محمد حسين مختاري ■

المرأةُ وحلمُ الحرية في الغرب

19

حسين سوزنچي ■

التحليلُ الفلسفيُّ-الحقوقيُّ للمثليةِ الجنسيَّةِ:
خطيئةُ "الواط" أم حقُّ "زواج المثليين"

37

سمير بلكفيف ■

الخطابُ الأخلاقيُّ في الفكرِ الغربيِّ الراهن:
جدلُ الأسسِ والمآلاتِ

60

عبد الله السليمان ■

الشذوذُ الجنسيُّ في المجتمعاتِ الغربيةِ القديمة

79

علي حسن مراد ■

الاقتصادُ السياسيُّ لتيارِ الشذوذِ في الولاياتِ المتحدة

99

أسماء عبد العزيز أحمد ■

الإعلامُ الغربيُّ وعمولةُ الشذوذِ الجنسيِّ

125

مريم رضا خليل ■

فرضُ الشذوذِ وتغولُ الفكرِ الغربيِّ في الهيمنةِ والانحدارِ

149

تأثيرات الحرية الجنسية على المجتمعات

الإسلامية: إيران نموذجاً

■ محمد فاتحي ومحمد
جواد توكللي خانكي

171

التحيزُ العلميُّ في الغرب في دراسات الجندر

مراجعة نقدية لدراسات الجندر بمقاربة نفس - اجتماعية

■ كوثر سويسي

195

قوانين الشذوذ الجنسي أداة لإخضاع الجاليات

المسلمة في الغرب

■ سهام محمد عزوز

231

تداعيات الشذوذ الجنسي في الغرب..

دراسة إحصائية

■ زينب علي فرحات

259

تأصيل

الزوجية في الرؤية القرانية:

دراسة تأصيلية- نقدية للايديولوجية الشذوذية

■ سامر توفيق عجمي

285

دراسات وأبحاث

الآثار الفكرية للتبعية

■ هادي قيسي

307

قراءة في كتاب

”كينزي، جنس واحتيال“

■ أ. لينا السقر

333

صناعة الشذوذ الجنسي كحرفة لتدمير الأمم

■ الشيخ جلال الدين علي الصغير

بعد أن كان يُجرّمها، كيف يجري سحب العالم المعاصر نحو التطبيع مع ظاهرة الشذوذ الجنسي والإباحية الجنسيّة، بالصورة التي نرى تحوّلها إلى محور تعتمده الدبلوماسية الأمريكية، وتقاتل من أجله؟

لا شك أنّ هذا التحوّل لم يأت من فراغ، وهو بطبيعة الحال لا يذهب إلى فراغ، مثله مثل أي ظاهرة اجتماعية عملت الحضارة الغربية على إنتاجها، أو إعادة تدوير إنتاجها، عمّا كان موجوداً بشكل محدود في عصور سالفة.

وإزاء هذا الواقع، نحن معنيون بدراسة هذه الظاهرة على مستويين: الأول: دراسة الظاهرة نفسها لناحية طبيعة الأسس التي قامت عليها، وطبيعة المخرجات التي تذهب إليها؛ والثاني: دراسة العوامل الأساسية التي بسببها تنشأ الظاهرة الاجتماعية في ميادين الحضارة الغربية. فلو أخذنا المشهد النسوي قبل الحرب العالمية الأولى، كمثال على ذلك، ولو افترضنا أنّ تلك الحرب لن تكتسح الكيان الأوروبي، وبالتالي لن يسود الجوع، ولن تقتل الملايين، لا سيما من الرجال، ولن تتعرض الحياة في مجال الأمن الاجتماعي إلى التشرّد والقلق على المصير، وهكذا بقية ما أفرزته هذه الحرب، فهل سيكون لدينا استفحال في ظاهرة ترك المرأة لبيتها وأسرتها والتحوّل إلى يد عاملة في المصانع الحربية، والخادمة للوضع اللوجستي للحرب؟ بعد أن فقدت المُعيل، أباً أو زوجاً أو أخاً، نتيجة لما أكلته الحرب من الرجال؟

ولو أنّنا تركنا لخيالنا أن يتمادى أكثر، وينظر حال المرأة التي دُعيت إلى تلبية أغراض الحرب في أوروبا، وهي تتلقى دعوة مُتشددة أكثر حينما بدأ الخزين الرجالي الأوروبي يتآكل في الحرب العالمية الثانية، ومن ثمّ ليزداد العبء اللوجستي على النساء بشكل خطير للغاية؛ بحيث ترك آثاراً هائلة على المجتمعات الأوروبية بشكل عام، ومع هذه الآثار، كانت مظاهر تفكك الأسرة وتجارة الدعارة والعنف ضد المرأة وقضية المساواة وأمثالها تستشري

بوتيرة مُتصاعدة جداً.

مع هذه النتائج التي لم يكن عالم الأفكار والفلسفات والإيديولوجيات هو المسؤول المباشر عنها، وإنما نشأت نتيجة لإفرازات الواقع الذي صنّعه أغراض سياسة الحروب ومصانعها، ولكننا سنلاحظ أنّ عوالم التنظير الفلسفي والفكري سرعان ما تلقفتها؛ لنجد سيمون دي بوفوار (1908-1986) تطرّح ما سيُعرف فيما بعد بالأفكار المتعلقة بما يُعرف بالنسوية (Feminism) ومنها راحت تتابع الظاهرة وهي تتلاقح مع أفكار أخرى؛ والتي جاءت هي الأخرى كنداعيات لظواهر متعددة، حتى بلغنا عالم السيدا (CEDAW) وما جرّ من بعده من عوالم الاندفاع الغربي المعاصر نحو الشذوذ الجنسي.

ولسنا هنا في صدد الحكم القيمي والمعياري على كلّ هذه المظاهر، وإنما نسعى إلى الوصول إلى فهم التداخل بين نشأة الظواهر الاجتماعية ومُسبباتها، والغايات الكامنة وراء الترويج لظاهرة بعينها وقمع ما سواها؛ والآثار التي خلّفتها على عوالم الإيديولوجيا والفلسفة، ومن ثمّ دور الأخيرة في كلّ ذلك، بغية رؤية اللاعب الأساس الذي يقف خلف الستار.

لقد سعى الكثيرون إلى تصوير الأمور وكأنّ كلّ ذلك إنّما ينشأ من دوافع فكرية وفلسفية؛ ولكنّ الواقع المعاصر أَرانا الدور الكبير الذي تقوم به البروباغاندا في صناعة القطيع المؤدّج، والذي يمكن له أن يتجه إلى إنتاج الظاهرة الاجتماعية حتى لو كانت هذه الظاهرة مُخالفة للنمط العقدي المهيمن على المجموعة المستهدفة ذاتها، ما يحدو بنا إلى عدم أخذ الأمر من خلال الصورة الأولى بظاهرها، بل لا بُدّ من الغوص أكثر لقراءة المشهد الحقيقي الذي يتخفّى وراء ما أرادت الضجة الإعلامية أن تُخفيه. وقد أرتنا التجربة أنّ هذا المشهد المستور يُخفي وراءه مشاهد متعددة هدفها إبقاء اللاعب الرئيس مستوراً ومخفياً، لأغراض تتعلق بتمرير الفكرة نفسها والتي يتمُّ تهويلها وتمريها عبر الإعلام، فأصول لعبة التلاعب بالعقول (Mind manipulation) وشروط نجاحها هي إبقاء المتلاعبين في الخفاء، وعدم كشف هويتهم.

ومن وجهة نظرنا فإنّ دراسة الظواهر الاجتماعية لا ينبغي أن تتوقف عند تشريح الظاهرة

من حيث النشأة ومحتواها الفكري والفلسفي، وإنما لا بد من القفز على ذلك لمعرفة المخرجات الاجتماعية التي ستنتهي إليها، وما دام الفكر الأوروبي قد اعتمد، إلى حد بعيد، في المحطات الجادة لتشييد حضارته، على ديالكتيكية هيغل (1770-1831) التي تتحدث عن أن الظواهر تتطور عن الظواهر السابقة لها، وعنها فتحت الأبواب التي تركت بصمة كبيرة على الظواهر التي تلتها، لتنتهي إلى أن الفكر نفسه سيكون وليد الواقع الاجتماعي وانعكاساً له، كما يلمس بوضوح في آراء ماركس وأنجلز.

ولكن يمكن القول: إن الأثر الأكبر في هذا المجال قد يُعزى إلى رجلين؛ أولهما: فردريك نيتشه (1844-1900) الذي أعلن عن إخراج الإله من عالم الأرض حينما أعلن موت الإله بزعمه (نيتشه، العلم الجدل، الشذرة: 125)، وبهذا جرّد الظواهر من المجال القيمي، وسلّمها إلى الإنسان مع مناداته بالإنسان الأعلى: "إن الله قد مات، والآن نريد أن يحيا الإنسان الأعلى" (هكذا تكلم زرادشت: 530)، فقد بات من الواضح أن الإنسان الأعلى (مهما كان مصداقه) هو الذي سيتحكم بهذه الظواهر ويكيّفها وفق ما يريد، ومعه سقطت القيم الثابتة وغدا كل شيء نسبياً.

وفي محاذاة ذلك، كانت دعوة هربرت سبنسر (1820-1903) إلى اعتماد نظرية دارون حول التطور في توصيف الواقع الاجتماعي، بما عُرف عنه بالداروينية الاجتماعية Social Darwinism، فرصة لتتوسع مساحة التفسير الاجتماعي لكل الأمور؛ سيان في ذلك علوم العقل النظري أو العملي، فالدين والوحي والنبوة، والتاريخ، والفكر والإدراك والنفس، والجنس والأخلاق والقيم والجمال وما شاكل ذلك، كلّ تحوّل إلى مجرد انعكاس للواقع الاجتماعي؛ وبصورة طبيعية خرج عالم الميتافيزيقيا وما فيه من عالم الماورائيات إلى عالم النتائج الاجتماعي، وأزبح الله جلّ وعلا من المعادلة؛ ليحلّ الإنسان بدلاً منه في تفسير كلّ هذه الظواهر وما يمثّلها.

ثمّ سارت الظاهرة الاجتماعية، وتصدّى لها الفرنسي دوركهايم (1858-1917) ليؤكد على نمط الأخلاق والقيم المعيارية؛ كالشرّ والسعادة والعدالة وأمثالها، بطريقة تخرجها عن واقع الثبات إلى أن تكون متحركة وفق متطلبات الواقع الاجتماعي، ثم لحق به النمساوي سيغموند فرويد (1856-1939) ليعمل على تدنيس القيم المعنوية؛ كالدين والأخلاق وعموم

الظواهر الاجتماعية، من خلال إرجاعها إلى العامل الجنسي وعقيدته عن الطوطم وعلاقته بالمحرم.

إنَّ هذا السرد التاريخي الموجز لبعض من الفكر الاجتماعي، يجعلنا أمام التساؤل الآتي: إذا كان الواقع الاجتماعي هو الذي سيتحكم بتشكُّل الظاهرة الاجتماعية، فمن هو الذي يُسيِّر هذا الواقع؟ وربما لنا أن نسأل عن تشكُّل هذا الواقع نفسه، هل هو نتيجة تفاعل المجتمع وأفراده؟ أو يمكن لهذا الواقع أن يتشكل نتيجة صناعة محترفة، فتفرض ما ليس بواقع على أنه كذلك، وتُفنع به الآخرين؛ فتتحوّل الحالات الخاصة والمحدودة عندئذ إلى ظاهرة؟ أمام هذه الاسئلة، لن نجدَ عبارة نيتشه عن الإنسان الأعلى بعيدة عن الجواب، ولكن هويّة هذا الإنسان ستكون متحركة؛ فتارة الديكتاتور، وأخرى العنصر، وثالثة الحزب، ورابعة القوم، وخامسة اللون وأمثال هذه التصنيفات، ولكن يبقى السؤال ذاته يتجدد حينما نُحددُ وصفاً من هذه الأوصاف؛ إذ لا بد من معرفة المتحكم الواقعي بأيِّ وصفٍ نختاره من هذه الأوصاف، ولا بد من أن نخرج من التوصيف العام إلى التخصيص، وعندئذ سيكون المتحكم هم الفئة الأقل؛ والتي يرتضيها هذا الصنف أو ذاك. ولكن من الذي سيأتي بهذه الفئة إلى هذا الموقع المخصص وينزعها من أن تكون من عوام الناس؟ فالديمقراطية، على سبيل المثال، تأتي بالفئة الخاصّة نتيجة الانتخاب، ولكن هل ثمة من يتحكم بالديمقراطيات؟ سيجيبنا الواقع بأنَّ المتحكم بالانتخابات هو المسيطر على الرأي العام، وفي يومنا هذا لا شكَّ أنَّ الإعلام وأساليب السيطرة على العقول هي التي تسيطر إلى حدٍّ بعيدٍ على رسم اتجاهات الرأي العام، والإعلام لا يتحرك لوحده، وإنّما تحركه السياسة، ولا سياسة دون المال.

إنَّ المراد ممّا تقدم أن نعرف أنَّ وجودَ ظاهرة في زمان غياب القيم الثابتة لا بد من تعليقه بإرادة المتحكمين، وهنا لا بد من ملاحظة تأثير أصحاب الرساميل الكبرى على وجودهم في سدّة الحكم؛ إذ من الواضح أنَّ الديمقراطيات الغربية في أعماقها ليست نتاجاً لعقد اجتماعي كما يذهب إليه أصحاب نظرية العقد الاجتماعي، وإنّما هي نتاج للاتفاقيات التي تعقد بين القوى السياسية وأصحاب التمويل لها، وهذه الاتفاقيات هي التي تأتي بمن يحتل محلَّ التحكم بعامة المجتمع، والأمرُ عينه نلاحظه في نشأة الديكتاتوريات مهما كان شأن هذه الديكتاتوريات، فهي إن لم تستهويها حركة المال سيستهويها هوس القوة والسلطة، أو

أي عامل من العوامل الخاضعة للمثل النسبية المتحركة غير الثابتة. وبالرجوع إلى ظاهرة الشذوذ الجنسي، سنجد الفرنسية سيمون دي بوفوار (1905-1986) وتأكيداتها على أنّ الواقع الخلقي البيولوجي لا يُحددُ الأنوثة والذكورة في الإنسان، بل إنّ المجتمع هو الذي يُحدد ذلك، وبالرغم من أنّها ليست الأولى في هذا المضمار، إذ سبقها النمساوي كارل رايغوند بوبر (1902-1994)، ولكن كلام دي بوفوار ليس إلاّ نتاجاً لمسار صناعة الظاهرة الاجتماعية بيد القوى المتحكمة في الواقع الاجتماعي، والتي رأيناها كيف ألبأت المرأة الأوربية إلى أن تهجر بيتها إلى المصانع والمعامل والمزارع، بسبب أغراض الحروب وتجاريتها.

لم تكن دي بوفوار وحيدة عصرها في الشذوذ الجنسي، ولكنها مع كلّ ذلك بشرت بظواهر لاحقة ربما تلحق بما كانت عليه فقالت: بأنّ شكلاً جديداً للشهوانية في طريقه إلى الظهور، وربما سيبتج أساطير جديدة (الجنس الآخر 1: 314). ولم تكن مغالية في هذا الوصف، فما دام أنّ الظواهر تتجهها رغبات الواقع الاجتماعي وضغوطه، وما دام أنّ القيم المعنوية والروحية قد حُكمت عليها بالموت في حضارة الإنسان الأوروبي وترك الأمر لإفرازات الواقع، فمن الطبيعي أن تبقى الشهوات تفرز أنماطاً جديدةً لما يُعبر عنه، أو تحيي ما كان قديماً. وفي كلّ الأحوال ما دام أنّ الجنس قد استبيح فعلياً دوماً أنّ نتلقى إفرازات إباحتها هذه. ولكن هذه الظاهرة لن تكون بعيدة عن التوجيه السياسي وأغراض اللعبة السياسية، فما دام الجنس يُمثّل ساحةً مشتركةً بين البشر، وهو من أقوى الرغبات تأثيراً وتحكماً بين البشر، فإنّ أية رغبة في التحكم بالأمم ستجد في الجنس ساحة خصبة لتنفيذ ذلك.

إنّ ما عرضه بوبر وسيمون دي بوفوار في شأن عزو الذكورة والأنوثة للمجتمع، سينسجم مع الرغبات الشاذة بشكل مباشر، وبالتالي ستنشأ لدينا أنماطٌ جنسيةٌ تحددها الرغبة والشهوة، ومعها سيكون من اللازم النظر إلى الجنس من خلال النمط الذي أنشأه المجتمع، وإلى هذا التفكير يُعزى تطور مفهوم التنوع الاجتماعي الجنسي، من الذكورة والأنوثة إلى كل نوع يرغب باختياره الإنسان الجنسي. وعلى ضوء ذلك تطور مفهوم الجندر (Gender) من توصيف الهوية الجنسية، إلى توسعتها لكل نوع يختاره الواقع الاجتماعي لهذا الإنسان أو ذلك. ومن هنا، تكاثر توصيف النوع الاجتماعي من الذكر والأنثى، إلى عشرات الأنواع

التي تحاول ثقافة الجندر أن تشملها بمظلتها، والأمُرُ لن يقفَ عند اللواط والسحاق وأنواع التخنث فحسب، بل يمتدُّ إلى السادية والمازوشية والجنس الحيواني والتشبه بالحيوان؛ كما هي ظاهرة الكلاب البشرية، والخنازير البشرية، والقطط البشرية، والخيول البشرية، وما شابهها. وما من ريب إنَّ الشهوة حينما تكون مطلقة بهذا الشكل فيمكن للنوع الاجتماعي أن يتبدلَ بين مُدَّةٍ وأخرى؛ فمن كان يشتهي أن يُمثِّلَ دور الإناث في الليل يمكن أن ينقلب في الغد نمطاً آخر، وهكذا.

على أنَّ خطورة الجندر تتمثَّلُ بما يستتبع عملية تثبيت النوع الاجتماعي؛ إذ إنَّ ذلك يستدعي؛ أولاً: عدم إدانة ظواهر الشذوذ وتجريمها، ثم استدعي التطبيع معها، ثم يتطلب المساواة بينها وبين الأنواع الاجتماعية الأخرى؛ فلو كان الحقُّ بالزواج والإرث والطلاق وما إلى ذلك هو للذكر والأنثى، فإنَّ زواج المثل أي الذكر مع الذكر، والأنثى مع الأنثى، بل والزواج بين الإنسان والحيوان ستلحق به كلُّ ما يترتب من حقوق جرّاء هذا الزواج! وقد أرتنا المحاكم الأمريكية والأوروبية أخيراً نماذج تبكي الشكلى على المدى الذي وصلت إليه حالة التردّي الفطري هذه!

إنَّ الحديثَ عن هذه المساواة تدخلك مباشرة إلى اتفاقية سيداو التي تخوض الولايات المتحدة وحلفاؤها حرباً واسعة النطاق من أجل تعميمها على الدول، وما يتمخض عنها ببساطة هو كلُّ ما أشرنا إليه من حقوق النوع الاجتماعي ضمن حدود ثقافة الجندر التي تنادي بها تيارات الحداثة وما بعد الحداثة.

ويجب على الباحث ألا يتوقفَ عند ذلك، وإنما عليه أن يتابع الأمر من جهة نتائج ذلك ومخرجاته والآثار التي ستتركها عملية قوننة (جعلها قانونية) الشذوذ والتطبيع معه على الواقع الاجتماعي، أو قلّما هي الأجندة الحقيقية التي تتخفى وراء الاندفاع المحموم إلى السياسية الأمريكية والأوروبية لتعميم ثقافة الشذوذ في المجتمعات الراضية له؟

ولا نحسبُ أنَّ أدنى درجات الوعي سيكون من العسير عليها اكتشاف أن كلَّ ذلك يجري بعيداً عن أية نزعة إنسانية لإنصاف من تعرّض للنبد والعزل والإدانة من هذه المجتمعات في نفوس هؤلاء؛ إذ يكفي أن تطلَّ على ما يجري في غزّة لوحدها لترى هول الجرائم التي يرتكبها هذا الذي نفسه يتباكى على حقوق الإنسان والمساواة بين البشر، لتعرفَ أنَّ مثل هذه

النزعة لا وجود لها أبداً في أجندة هؤلاء.

كما أنه ليس من الصعب اكتشاف الآثار الاقتصادية الهائلة التي ستجنيها صناعة الشذوذ إن في مجال الدعارة أو في مجال أدوات الجنس بكل أشكاله أو في الصناعات الدوائية والهرمونية أو في مستشفيات التحول الجنسي، وهكذا تمتد السلسلة لتستحدث في كل يوم منبعاً غزيراً للمال المختلس من جيوب من يخضعون لذلك.

وليس من الصعب معرفة ما يحدثه ذلك من زعزعة وتخريب في منظومة القيم والمفاهيم المعنوية والمعايير التي تمثل دعامة أساسية من دعائم التماسك الاجتماعي والضبط الاجتماعي في الأمم الراضة للشذوذ وثقافته.

وما بين الأبعاد السياسية لصناعة الظاهرة، وأبعادها الاقتصادية، نضع أيدينا على أمر في غاية الخطورة، وهو قيام تحالف السلطة مع المال، بدعم مئات الباحثين لإنتاج أبحاث مختلفة تحت عنوان: "الأبحاث العلمية"، في عملية تحييز علمي واضح بل فاضح، لإضفاء العلمية على الانحرافات الجنسية، ومن خلال ذلك نفهم أن تكبير حجم الانحراف وتبريره، لتحويله إلى ظاهرة، بل وعولمته، ليس في الحقيقة سوى خديعة.

والسلسلة تطول في ذلك، ومع كل يوم لنا أن نتوقع رؤية التأثيرات الجمّة في هذا المجال، ناهيك عمّا سيستجد في المستقبل من مظاهر تفرزها عملية استفحال هذه الظاهرة؛ ولكننا نحسب أن مكن السياسة هنا يجب أن يُولى أهمية قصوى، فهي التي تكمن وراء هذا الاندفاع والحماس في السياسات الأمريكية، ومن يتصور أن هذا الأمر بعيد عن عملية الحرب الناعمة التي تستهدف سلب قدرات الأمم وإنهاكها من دون إرسال الجيوش وصرف الأموال على الطريقة الاستعمارية السابقة، فهو واهم كبير.

لن نطنّب في الحديث أكثر، ولكن نكتفي بالقول بأن السياسة الاستكبارية المعاصرة تعاني اليوم من استمرار ارتباط الإنسان بالقيم المعنوية وبالمداد والقيم، فتجعله يعمل بمفاهيم التضحية ونكران الذات وما إلى ذلك من الأمور التي تجعله يقف ضد أي عملية استباحة لأتمته أو اعتداء عليها، ولا علاج لذلك إن بقي الإنسان اجتماعياً لا يعيش الاعتبار الذاتي، فكان الحل الأمثل عند الغرب، هو في توجيه الإنسان إلى أن يعيش حالة الفردانية وغربة الذات التي تُنمّي عنده التفكير بذاته قبل أن يفكر بأي شيء آخر، وتجريد هذه الذات بالتدرج من

أي اهتمام بالآخرين، وصولاً إلى تحويله إلى أناني النزعة بشكل كامل، وتجريده من المثل والقيم التي تشدُّه إلى الآخرين؛ كالأُسرة والأرحام والجيران، فضلاً عن الدين والأمة والوطن ومثيلها، عندئذ سيجدُ الغربُ نفسه أمامَ عائد كبير: لأنَّ الأمةَ التي يتجه أفرادها إلى تلك السلوكيات، سيسهل تسييرها وتوجيهها؛ لأنَّ مناعتها قد تداعت، وحصونها قد هُدمت، وشهامتها قد هُشمت، ومروءتها قد تلاشت، وأعراضها قد استُبيحت، فلا غيرة ولا حمية، ولا قيم. عندها، ستخضع الأمة لاعتبارات سبق إليها المستكبر وملك أزمته؛ فهو يملك المال ويملك القدرة ويملك أسلحة الموت، وكلها لا يمكن أن تجابهه النفسية الفردانية أو الأنانية، والتي ستجد الاستسلام تخلصاً من الضيق الذاتي عملية مبررة ومقبولة، وبعبارة أخرى: تنشأ لديه قابلية الذل والاستسلام.

ولو أمعنا النظر في ظاهرة الشذوذ في نزعتها لأن يعيش الإنسان بعيداً عن القيم، ولو نظرنا إلى بقية الظواهر التي تعملُ هذه الدول على نشرها في مجتمعاتنا؛ كالإلحاد والتزام الحالة اللادينية والجرأة على الأخلاق والقيم المعنوية، ناهيك عن نشر الدعارة والمخدرات وأمثالها، وما تنتجه هذه المظاهر من توجيه الإنسان إلى الحالة العدمية أو العبثية، نعلم تماماً لماذا جاءت كلُّ هذه المحاولات بطريقة ممنهجة ومتزامنة وفق جدول زمني مدعوم بالمال السخي، والإعلام الواسع، وبدعم من منظمات الضغط التي تنشئها هذه الدول تحت ستار منظمات المجتمع المدني (NGO).

إنَّ الشذوذَ وسائرَ المظاهر التي ترعاها هذه الدول باسم حقوق الإنسان وحرية الرأي ومعاداة التمييز بين البشر، هي في واقعها حرب لأُمم تريد أن تستأثر وتتغطرس على أمم تريد أن تنهض، بغية نهب مواردها وحرمانها من مكتسباتها.. ولهذا جاءت (مجلة أمم) لتُركِّز على كلِّ ما من شأنه أن يُحرِّر أمتنا من ربق السياسات المناوئة والمعادية لنهضتها ورقبها وتعزيز كرامتها واقتدارها.

على أنَّ الشذوذَ الجنسيَّ ليس إلا ظاهرة واحدة، ومفردة من مفردات مشاريع الهيمنة الغربية، وقد وقع الاختيار عليه، ليكونَ موضوعاً للعدد الأول من مجلتنا "أمم"، بسبب حساسيته الفائقة من جهة، وملاسته لقضية تمثِّل جوهر وعمق الإنسان، أعني فطرته، ولما شهدته الساحات العالمية مؤخراً، من جدالٍ حادٍ حوله.

إنَّ مجلَّةَ أمم، كما عبَّرت في هويتها وشعارها، تُعنى بشكلٍ أساسيٍّ بنقد الرُّوى الغربية المرتبطة بالإنسان والاجتماع في مختلف مجالاته، وفي الوقت نفسه السعي إلى تقديم رؤى تأصيلية من الموضوعات التي سنقاربها. إنَّنا إذ ندعو الله أن يوفقنا في رسالتنا هذه، فإنَّنا نتمنى ألاَّ يبخل علينا القارئ بملاحظاته ومقترحاته، فإنَّ المهمة شاقَّةٌ وصعبَةٌ، وتحتاج إلى تكاتف الجميع، في سبيل تحقيق النهضة المنشودة.

المرأة وحلم الحرية في الغرب (1)

■ محمد حسين مختاري

دكتوراه بالفلسفة الغربية، عضو الهيئة التعليمية في مؤسسة الإمام الخميني (قُدس سرّه) للبحوث، أستاذ جامعة طهران

■ ترجمة: حسين جهجاه

ملخص

يتأثر مفهوم الحرية في الغرب بالفكر النسوي المنحرف، الذي يعني التحرر من أية قيود وقبول أي نوع من القواعد والضوابط. ومن الواضح أنّ مثل هذا التصور لـ «الحرية» هو في الواقع نوع من أنواع العبودية؛ أي جعل النفس في طوق العبودية، ورقية الشهوات الحيوانية، والرغبات النفسية. ويُعدُّ مثل هذا التفسير لحرية المرأة أمراً شائعاً في الرؤية الغربية. وبعبارة أخرى، تُساوي حرية المرأة عندهم الحرية «الجنسية»، وهم يُؤكِّدون على اعتبار كل ما من شأنه أن يعيق حرية المرأة الجنسية أمراً مُداناً. كما فتحت القراءات المشكوكة لحرية المرأة الباب للاستغلال المادي والجنسي للمرأة، ممّا ساهم في تشويه صورتها. فقد استغل الغرب مفهوم الحرية وفرضه -بالمعنى الذي يريده- على المجتمعات. تتناول هذه المقالة بإيجاز أصولاً وكيفية نشأة هذا التعريف والأدلة على حرية المرأة في الغرب؛ وعواقب هذا الأمر؛ وقضية استخدام المرأة كأداة وسلعة بغية تحقيق بعض الأمور؛ والوضع الحالي للمرأة في المجتمعات الغربية؛ والبحث في عدم صحة شعار «الحرية وحقوق المرأة» في الغرب.

الكلمات المفتاحية:

المرأة، الحرية، النسوية، النسوية الراديكالية، الأسرة، الرعاية، التنشئة الاجتماعية، حق المرأة.

1 - «زن و رؤياى آزادى در غرب»، مجلة طهران، السنة الثانية، العدد الرابع، خريف وشتاء 1388 ش.

مقدمة:

لقد مرّت الحياةُ التاريخيةُ للمرأة -في نظرة عامة، وبحسب علماء الاجتماع والمؤرخين- بثلاث مراحل أساسية منذ بداية الخليقة حتى الآن، وترتبط أسوأ هذه المراحل بالفترة التي عاشت فيها بين الأمم البربرية وغير المتحضرة، وربما لا يزال من الممكن رؤية آثار ذلك في بعض أنحاء العالم. فقد كانت المرأة في هذه الفترة تُعدُّ بمثابة الأشياء والسلع، وكانت أقلّ من الحيوانات حتى، فلم تكن قيمتها في هذه المجتمعات أكثر من قيمة المتاع والممتلكات. كما كانت أيضاً سلعةً مُتنقلة ورأس مال التجار في سوق التجارة، ووسيلة رخيصة لأغراض الرجال وأهدافهم المنحطة. ولذلك قام بعض المتعصبين بدفن البنات أحياء حتى لا يلحق بهم العار؛ وكان بعض الناس في الكنائس يقطعون رأس المرأة الحامل وهي حية ويرشون دمها على المذبح ويقدمون رأسها لمعبودهم. وكان بعض الناس يزينون العذارى بالحلي ويعرقوهن في النهر رجاء أن يفيض الماء، وكانت النساء لدى بعض الجماعات من غنائم الحرب. ثم، ظهر بعد هذه المرحلة التي كانت فيها المرأة تُعدُّ حيواناً وكائناً حياً فقط، أملٌ جديد في تحسين وضعها.

لم يكن الرجال -في الماضي- ينظرون إلى جمال المرأة الظاهري ولا يلتفتون إلى صفاتها الفطرية والمعنوية، وكانوا غافلين عن أنّها يمكن أن تكون أعظم مربية للإنسان. ونحن يمكن لنا من خلال ملاحظة عادات القبائل البربرية، التي لا يزال من الممكن مشاهدتها في المناطق النائية من أفريقيا وأمريكا، أن نفهم أنّ الزواج كان يتمُّ بالقوة في ذلك الزمن، وكان هذا يُعدُّ وسيلة للمتعة أيضاً (كالصيد تماماً). كما أنّ النساء كُنَّ يستحسنن هذا التقليد، فكنّ يجذبن الصيادين خلفهنّ، ويفتحن المجال أمام الرجال بشهواتهم النفسية ليسيظروا عليهن، ويرمين بأنفسهن في أفخاخهم ومخالبتهم، أمّا الفتيات والنساء اللاتي لم يكن من نصيب الصيادين،

فلم يكن لهنّ أي قيمة.

ثم تعرّضت المرأة الإنسانية - في فترة أخرى - للقمع وصارت تحت رعاية الرجل وولايته، بحيث كانت لا تملك أي استقلال وكانت تعيش كإنسانٍ فاقد لأي نوع من أنواع السلطة والاختيار في المجتمع.

وتعدُّ هذه المراحل الثلاث التي استمرت حتّى ظهور الإسلام، من أسوأ فترات حياة المرأة، حيث كانت دائماً محبوسة ومهجورة. إلا أنّ هذا الأمر لم يدم على هذا الحال؛ إذ مع ظهور الإسلام نالت المرأة قيمتها الحقيقية وأدركت منزلتها، حيث مثل الإسلام المدرسة الأولى التي جعلت المرأة بمثابة المتّم والمكمل لحياة الإنسان في القضايا الاجتماعية والأخلاقية والقانونية. فحينما كان العالم يحترق بنار الجهل والقهر، وكان للمجتمعات البشرية انحرافات مختلفة، وكان كلُّ من الظلام والوحشة ناشئاً من انتشار العنف والقتل وسفك الدماء، وكانت الغفلة والجهالة بحقائق العالم قد ملأت بالفعل فضاء المجتمعات، وحين لم يكن أحد ليجرؤ حتى على التعبير عن «حقّها في الحياة»، وقد دعا نبي الإسلام العظيم صلّى الله عليه وآله إلى الحرية والفضيلة؛ وكسر قيود الأسر من أيدي البشر وأقدامهم، ومزق أفكار الجاهلية، وأعلن هذه الحقيقة للعالم وهي أنّ الرجل والمرأة متساويان من حيث امتلاكهما روحاً إنسانية كاملة، وكلاهما سينال عقابه ومكافأته على أعماله السيئة والحسنة. كما أعلن أنّ المرأة جزءٌ من جسد المجتمع الإنساني كالرجل تماماً. ولهذا، يخاطب القرآن الكريم الناس أجمعين:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)

ونحن إذا طالعنا الآيات القرآنية، لن نجد ولا أية آية واحدة تدعو الناس إلى التدبُّر والتفكير في نظام الخلق وتكون مُختصّة بالرجال، بل دائماً ما يتمّ تناول النساء والرجال على قدم سواء في جميع الآيات القرآنية. نعم، إنّ دراسة آيات القرآن تبيّن أن الرجال والنساء لا يختلفون عن بعضهم بعضاً وأن جميع البشر لهم الذات نفسها والجوهر نفسه بحسب الخلقة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)

الحرية على النمط الغربي:

لقد تمَّ -من وجهة نظر المدارس الغربية- تشكيل نوع من كسر القواعد الحداثوية عبر إزالة رمز الدين من حياة الإنسان، فتمَّ إدخال أعلى درجات الحرية، أي التحرر من القيود الدينية. وفي هذه الإطار، ومع رفع شعار الدفاع عن حقوق المرأة والتأكيد على الحرية وكسر محظورات الماضي، تمَّ الترويج لحرية الفرد المطلقة من خلال محور التفكير «الإنسانية» (1) و«النسوية الغربية» (2) وصارت المرأة ملعباً وأداة في أيدي رجال الأعمال ورجال الكارتلات الاقتصادية، لدرجة أنَّ المرأة الغربية تحولت إلى مستوى عارضات الأزياء والمروجات لإعلانات السلع الكمالية، وتمَّ اختزلها بهذه الأمور؛ ومن ثمَّ تدميرها.

طبعاً يوجد -في الغرب- الكثير من النساء اللاتي يقمن من خلال التأكيد على المعايير الإنسانية والدينية بمواجهة تدمير وقمع «الحداثوية الغربية» للمرأة، ويعتقدن بالعزة والاحترام الحقيقيين للمرأة، ويتمسكن بحقوقهن الواقعية. إلاَّ أنَّه هناك في الضفة المقابلة الكثير أيضاً من اللاتي علقن بهذا الطريق المسدود المتمثل بتلك الهوية الوهمية، حيث تعمل تلك النساء وراء واجهات المحال التجارية في باريس وشواطئ جزر البحر الأبيض المتوسط، في إثارة شهوة الرجال من خلال إبراز أعضائها الشهوانية وتقديم أنفسهن على أنَّهن ما يُسمَّى «نساء العالم المتحررات»؟!

نعم، لقد سمعت -فجأة- تلك المرأة الغربية التي كانت في القرون الماضية كالأمّة عند زوجها ولم تكن تنتظر أو تتوقع أن تشمَّ رائحة الحقيقة يوماً، صرخة الدفاع عن حرية المرأة والمساواة في الحقوق، فانفجرت في روحها شرارة الأمل في نيل منزلتها ومكانتها الحقيقية. فرددت غافلةً عمّا يجري خلف الستار من حيل وخُدع أرادت الاستفادة من العمالة الرخيصة للنساء في مصانعها المتسعة شعار المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة، وخرجت من حرم منزلها، فاستبدلت المعاناة السابقة بالآلام اللاحقة. وهكذا، سقطت المرأة الغربية في هذه الهاوية، وبدأت الأسرة والبئية الاجتماعية في

1 - Humanism. (المترجم)

2 - Feminism. (المترجم)

الغرب بالتدهور والانهيار. كما دخلت فكرة المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق السوق الاستهلاكية للأمم الأخرى كمسألة فلسفية غير قابلة للنقد، وسرعان ما وجدت مكانها عندهم وأجبرتهم على قبولها دون منحهم فرصة التفكير.

يُمثّل السؤال الآتي، وهو: هل الحرية في حدّ ذاتها تُعدُّ أمراً مرغوباً وهدفاً أسمى للإنسان؟ أم أنّ على الإنسان أن يُحقّق هدفاً آخر لكن في ظلّ الحرية؟ أحد الأسئلة الأساسية للحرية. وكذلك، تُعدّ الحرية في الثقافة الغربية مقبولة جداً وهدفاً نهائياً للبشر، ويرتكز هذا النوع من الرؤى على المدارس الناشئة حديثاً مثل «الليبرالية». كما أنّ هناك تأكيداً عظيماً لدى الليبرالية على مبدأ الحرية، لدرجة أنّ المفسرين الذين يدعمون هذه المدرسة يقدمون أحياناً «تعريفاً محدوداً» لليبرالية يقتصر فقط على هذا المبدأ.

يجب أن نعلم أيضاً أن فكرة الحرية لم تكن سابقاً ذات أهمية كبيرة في الفكر السياسي الأوروبي، سواء في العصور الكلاسيكية أو في العصور الوسطى، بل حتى في العصر الجديد، لا زال من اللازم أن تتنافس هذه الفكرة مع مبادئ أخرى قد تكون أكثر أهمية لدى البشر.

ويمكن لنا أن نذكر من بين هذه المبادئ: الازدهار والرفاهية والمساواة والعدالة الاجتماعية والديمقراطية والحفاظ على استمرارية النظام والاستقرار الاجتماعي، إلا أنّه في مدرسة الليبرالية بالخصوص لا يمكن لأيّ من هذه المبادئ أن تساوي الالتزام بالحرية. ولهذا، لا تُعدّ الحرية في الفكر الليبرالي وسيلة للوصول إلى هدف سياسي أسمى، بل هي تُشكّل في حدّ ذاتها الهدف السياسي الأسمى. (أربلاستر، الصفحات 82 - 83)

وكما يقول جون هنري نيومان فإنّ الليبرالية هي حرية الفكر الزائفة، أو هي التفكير في مسائل لا تؤدي إلى أي شيء بسبب بنية الذهن البشري. ومن بين هذه المسائل يمكن لنا أن نذكر أنواع المبادئ أو الأصول الأولية، التي تُعدّ الحقائق الإلهامية أقدسها وأهمها. حيث تقع الليبرالية في هذا الخطأ المتمثل في وضع التعاليم الإلهامية تحت سيطرة حكم الإنسان؛ تلك التعاليم التي تُعدّ خارجة عن الإنسان بصورة فطرية ومستقلة عنه أيضاً. (أربلاستر،

الصفحات 89 - 90)

التفكير النسوي كعامل استفادة فعّال للنساء:

ترتكز الرؤى النسوية الراديكالية (1) على مقارنة إنسانية تجاه الإنسان لا تؤمن بأي شيء يتجاوز العقل البشري؛ وذلك لأنها تؤكد على فكرة الاستغناء للإنسان، سيما النساء. وفي هذا الإطار، يعتقد النسويون الراديكاليون أن المرأة هي من تملك روحها وجسدها وهي من عليها أن تقرر كيفية استخدامها. لكن من الواضح أن لهذا الرأي نتائج سلبية كثيرة على أرض الواقع، وهي تتنافى مع العقل والدين.

لقد أدت النسوية إلى زيادة استخدام الرجال للنساء كأداة فقط بشكل فعّال. ويتم اليوم -في الغرب وبعض المجتمعات الشرقية- استخدام المرأة كسلعة في الإعلانات التجارية. ومن ثم، باتت على المرأة التي تتمتع في الحقيقة بهوية سامية ومنزلة رفيعة في المجتمع، أن تتحمل أكبر عدد من الإهانات والتعديات في استخدامها كسلعة بشكل مباشر أو غير مباشر عبر تلك الإعلانات الخادعة. وهكذا إذاً، عمدت الشركات والمؤسسات التجارية إلى أخذ جمال المرأة إلى المذبح حتى تتمكن من تحقيق منافعها المادية عبر جعل سلعتها التجارية والثقافية تبدو أجمل.

بل حتى المرأة المتعلمة باتت هي الأخرى سلعة في أيدي الآخرين في المجتمعات الغربية. حيث يعمل الغرب -من خلال إنشاء مراكز الدعارة وبث البرامج التلفزيونية المبتذلة ونشر كل أنواع الانحرافات الفكرية في المجتمع- على إفهام المرأة بأن حريتها تعني هذا فقط، في حين أننا لو دققنا النظر سنجد أن في الحقيقة هو الاستعمار لا غير، لكن مع الأسف لا تدرك المرأة الغربية ذلك. وبطبيعة الحال، ساهمت النساء أنفسهن كثيراً في الوضع الحالي. وفي هذا

1 - ليس للنسوية الراديكالية، كالعديد من أنواع النسوية الأخرى، تاريخاً طويلاً جداً. وقد عملت بعض المصادر على تفكيك تاريخ هذه الرؤية بحسب موقعها الجغرافي. على سبيل المثال، تعود جذور الحركة النسوية الراديكالية في أمريكا، إلى حركة الحقوق المدنية والموجة الثانية من النسوية ومكافحة التمييز العنصري، والتي تشكلت في أوائل الستينيات وانتشرت في المدن الأمريكية الكبرى بين عامي 1968 و1972. وبدأت الحركة النسوية في إنجلترا عموماً عام 1970 تقريباً، ولذلك بتأثير من الحركة النسوية الأمريكية. كما بدأ ظهور وانتشار الحركة النسوية الراديكالية في بلدان أوروبية أخرى بشكل أو بآخر في هذه السنوات أيضاً. وتعدّ كيت ميليت وشولاميت فايرستون وأندريا دوركين وماري دالي من أشهر وجوه الحركة النسوية الراديكالية.

السياق، يُعدُّ إسناد السلوكيات الشاذة إلى الزواج الشرعي والقانوني، وتدمير قدسية وصحة المؤسسة القيمة للأسرة، وتقديم نظريات شاذة مثل «التعايش» (1)، وفصل العلاقات الجنسية عن العلاقات الأسرية والخصوبة والإنجاب، والأسرة ذات الولد الوحيد، والتحرر الجنسي، واكتفاء المرأة بالمرأة والرجل بالرجل وغيرها من الأمور، آفةً أخرى من آفات الفكر الغربي التي خلقت مشكلات للمجتمع لا يمكن إصلاحها. (جيان، ماهنامة علمي، صفحة 67)

هذا، وقد عدت جماعات النسوية المتطرفة -على الجهة المقابلة- ضرورة سيطرة الذكر أو الأنثى على الآخر، وذهبت إلى أنه أمرٌ لا مفرَّ منه. وبالتالي، عدوا دون أي دليل أو مستندات عقلية وعلمية صحيحة -كما تصور الماركسيون والنسويون- أن المجتمعات القديمة «أمومية» بأجمعها، وهم يحاولون جاهدين إسقاط النظام القائم والذي يعتقدون أنه أبويٌّ، واستعادة النظام الأمومي، ويحاربون كثيراً في هذا الصدد. في حين أن الفرضية التي سبق ذكرها، تذهب إلى تخطئة سلوك بعض المجتمعات في تنظيم العلاقات الأسرية في الماضي والأساليب الجذرية لحل المشاكل الموجودة.

الاختلافات الطبيعية بين المرأة والرجل:

تختلف حقوق المرأة والرجل في بعض القضايا تبعاً لاختلافاتهما الغريزية والطبيعية، وتفاوتهما من حيث الاستعدادات والقدرات التي أودعها نظام الخلقة في كلٍّ منهما. بالطبع، نحن نقول أنه لا ينبغي أبداً الإغفال عن أن هناك حقوقاً تختص بكل إنسان نظراً لاستعداداته وقابلياته، غير أن الذين يطالبون بالمساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة يعتقدون أنهما كلاهما يدخلان الحياة الأسرية باستعدادات واحتياجات متشابهة؛ ولهذا يجب أن تكون حقوقهما واحدة أيضاً. في حين أنه من المؤكد لدى علماء النفس أن هناك اختلافات روحية بارزة بين الرجال والنساء، وهذا من الأمور القطعية لديهم. ونحن إذا تجاهلنا هذه الاختلافات واعتبرنا أن لها حقوقاً وواجبات مماثلة، يجب علينا أن نتقبل أنه بقدر ما يكون الرجل مسؤولاً عن توفير احتياجات الأسرة، يجب أن تكون المرأة مسؤولة أيضاً بذات القدر؛ وكما أن الرجل ملزم بتوفير الأمن والحماية للمرأة، فإن المرأة أيضاً ملزمة بتوفير الأمن للرجل؛ ومن حق الرجل أن يطلب من المرأة أن تعمل مثله

1 - أو الزواج المفتوح والمساكنة، أي سكنى الشريكين معاً دون أن يرتبطا بزواج. (المترجم)

وأن توفّر نفقاته الخاصة، وألا يشعر بأي التزام على عهده تجاه المرأة، وربما له أيضاً أن يستفيد من مساعدتها في تلبية احتياجاته الخاصة.

هذا بالتحديد هو البلاء الذي يعاني منه الغرب وليس له أي مخرج منه. حيث إنّ فكرة المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق أخرجت المرأة من محيطها المنزلي، وجعلتها سبباً في أن يفقد زوجها وأبنائها الأمن والسلام الذي كان يخلقه وجودها في المنزل. وبحسب النظريات الغربية فإنّ المرأة حصلت على استقلال مالي، وساهمت في تنشيط نصف قوى المجتمع التي كانت عاطلة عن العمل، إلا أنّها غفلت عن أنّها -من جاتب آخر- أفضت بهذا الأمر إلى تدمير نظام الأسرة، فضلاً عن تدمير الرجل والمرأة، وجعلت جيل المستقبل أمام مشكلة خطيرة. من هنا، يجب أن نتقبل أنّ الحياة تقوم على أمور معنوية وعاطفية بالإضافة إلى الجوانب المادية؛ لأنّ البشر في القرن العشرين، بالإضافة إلى تلبية احتياجاتهم المادية، يحتاجون أيضاً إلى تلبية احتياجاتهم العاطفية.

فمن الواضح أنّ الرجل الذي يُخصّص يومه كله وحتى جزء من الليل للأنشطة والعمل، يحتاج إلى مكان آمن يحصل فيه على الراحة ويفرغ ذهنه من المنغصات التي يواجهها يومياً. وللمرأة الدور الأهم في خلق بيئة هادئة ومريحة لبثّ الروح في جسد الرجل من جديد. أمّا إذا كانت هي مضطّرة كالرجل -وخلافاً لفطرتها وبنيتها- إلى العمل في أماكن خاصة كالمصانع والغرق في الفوضى والاضطرابات طوال اليوم، فلن تجد أية فرصة لخلق الهدوء وإيجاده لنفسها ولزوجها. نعم، لو تنبّه المطالبون بالمساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة قليلاً إلى خلقتهم معاً واختلافاتهم الطبيعية، لأدركوا أنّهما لم يخلقا كي تكون واجباتهما متساوية؛ ومن ثمّ لن يجادلوا في تشابه حقوقهما.

وفي هذا السياق، لا بدّ أن نُؤكد على أنّ الإسلام دائماً يتحدث عن حقوق المرأة ويُشدّد على الحفاظ على حريتها وكرامتها. لكن أية حرية هي تلك التي يدعو إليها؟ إنّها الحرية بمعناها الحقيقي، تلك الحرية التي قدمها الإسلام للمرأة والتي لم نشاهدها في أية مدرسة أو دين حتى الآن. علماً أنّ هذه الحقيقة يتقبلها أيضاً بعض الكتاب الغربيين غير المتعصبين.

تقول إيلينا أفيللا -أول امرأة مسلمة في ولاية إكسترا مادورا غربي إسبانيا- إنّها تشعر بعد اعتناقها لهذا الدين الإلهي بأنّها حقّقت حرية عظيمة. وفي حوار مع موقع web Islam التابع للمفوضية

الإسلامية في إسبانيا تقول: لقد كنت أعتنق الديانة المسيحية الكاثوليكية، وقد بحثت في ديانات مختلفة، لكن لم يتمكن أي منها من إقناعي، حتى قررت أن أتعلم اللغة العربية لأفهم القرآن. وتضيف أنها عندما بدأت بقراءة القرآن رأت فيه الكثير من الحقائق التي أذهلتها وجذبتها كثيراً. وتصف السيدة أفيللا، التي كانت تعمل كمرمضة في مستشفى سان بيدرو في «كاسيريس»، عاصمة ولاية «إكستريمادورا» في غرب إسبانيا، القرآن بأنه كتاب تعليمي للحياة كلها. وفي إشارة إلى حقوق المرأة في الإسلام في المجالات المختلفة، تقول: «لقد اعترف الإسلام بحقوق المرأة أكثر من أي دين آخر».

الدين والحرية:

تري بعض النسوة المتطرفات -مثل شارلوت بيركينز جيلمان- (1) أنّ الدين ذكوري بطبيعته وجنسي أيضاً؛ لذلك يتحدثون عن دين أنثوي كحلّ بديل. (Ruether، 1981، صفحة 10) كما تعدّ الحركة النسوية أنّ تغيير الأدوار الخاصة والمحددة للمرأة هو أحد طرق الدفاع عن حقوقها، (Gamble، 2001، الصفحات -302 303) بينما لا يُعدّ أداء المرأة لواجباتها ومسؤولياتها المحددة أمراً معارضاً لواجباتها الاجتماعية والثقافية الأخرى، بحسب النظرة الإسلامية. لقد أكد الإسلام على دور المرأة وتربية الأطفال وشجعها على الدراسة والمشاركة في الأنشطة السياسية والاجتماعية وحتى البقاء في ساحة الحرب أو الدفاع عند الضرورة، غير أنّ مؤسسي حقوق الإنسان هم من نظروا إلى «المرأة» نظرة ازدراء وحقارة، حيث قدّم الكاتب الفرنسي الشهير مونتسكيو وأحد مؤسسي الثورة الفرنسية الكبرى المرأة على أنّها من الكائنات ذات النفوس الصغيرة والأدمغة الضعيفة وأنها متكبرة وأنانية. وفي إعلان حقوق الإنسان، الذي تمت الموافقة عليه في فرنسا عام 1789م، لم يرد أيّ ذكر لقضية المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة. فبينما أكد الإسلام بناءً على كلام الوحي على قضية المساواة بين البشر منذ 1400 عام، تمت عام 1918م الموافقة على حقّ المرأة في التصويت في إنجلترا، وفي الولايات المتحدة لم يكن للمرأة حتى حقّ التصويت في ذلك الوقت أصلاً!

1 - شاعرة أمريكية وروائية وفيلسوفة وكاتبة وعالمة اجتماع ونسوية وناشطة في مجال حقوق المرأة، توفيت عام 1935 م. (المترجم)

وفي زمن الجاهلية العربية حينما كانت البنات تُدفن وهنّ أحياء، وكانت النساء تستخدم في بلاط روما وإيران لملء قصورهم والحصول على اللهو والمتعة، وكانوا يقدمون النساء كقرايين في معابد الآلهة ويزوجهنّ للكهنة (1) الكذابين، وكانت الزوجة في الهند ومصر تُدفن مع زوجها إذا مات أو تُحرق، بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُقبّل يدي فاطمة ويقول: «فاطمة بضعة منّي»، وقد أنزل الله تعالى سورة الكوثر في شأن السيدة فاطمة عليها السلام ومنزلتها، حيث ربط في الواقع استمرار الحركة الحيوية للإسلام ونسل الإمامة بأبنائها عليها السلام.

والحقيقة، أنّ الثورة الإسلامية في إيران أيضاً، والتي قامت على القواعد الإسلامية المستنيرة، قد أعادت للمرأة -بفضل مؤسسها الذي استمدّ فهمه من الكتاب والسنة- مكانتها الحقيقية، وأكدت دائماً على الانسجام والترابط بين الدين وحقوق المرأة، وبيّنوا زيف وبطلان أي نوع من التعارض المتوهم بينهما. كما تُعدّ نظرة الإمام الراحل للمرأة نظرة إنسانية مستمدة من نظريته الدينية، وهذه النظرة تمنع بالتأكيد التناول النفعي للمرأة. وفي المقابل، فإنّ دراسة عملية الدفاع عن حقوق المرأة في الغرب وما تمّ بهذا الاسم -خاصّة في المئة عام الأخيرة- تُبيّن أنّه على الرغم من التقدّم والمواقف التي تحقّقت في هذا الصدد، إلّا أنّ المشكلات والمعضلات المختلفة ما زالت تستعر في المجتمع الغربي أيضاً؛ نتيجة ظهور مواقف راديكالية ذات رؤى أحادية البعد والجانب تجاه المرأة. إنّ استعمال المرأة لجذب مزيد من الأرباح ورأس المال، واستخدامها في مجال الإعلانات، والعمالة الرخيصة، والاعتداء الجنسي، وتدنيها، وإضعاف مركز الأسرة وزيادة الفجوة بين الأجيال، هي بعض المشكلات التي يُعاني منها الفكر الديني الغربي بشأن المرأة. ولذلك، حدّر الإمام الخميني رضوان الله عليه مراراً من مسألة «الشيء» وتحوّل المرأة إلى لعبة في أيدي الآخرين، وعدّ أنّ هدف الإسلام هو منع ذلك الأمر (صحيفه نور، صفحة ج14، 194).

حرية المرأة الغربية تعني تجاهل دور ووظيفة الأسرة:

للأسرة بأشكالها المختلفة وظائف عديدة تقع على عاتقها. وقد عدّد كلارك تيببتس وويليام

1 - الكلمة المستخدمة في النصّ الأصلي هي الـ«الموبد»، وهو الكاهن الروحاني وصاحب أعلى رتبة في الديانة الزردشتية. (المترجم)

أوغبورن(1) (1934) ست مهام أساسية للأسرة، وهي: تنظيم السلوك الجنسي، والإنجاب، والدعم والرعاية، والتواصل الاجتماعي، والعاطفة والرفقة، وتوفير القاعدة الاجتماعية. (Schaefer، 1989، صفحة 334)

وبالرغم من أن للأسرة وظائف أخرى كالتعليم والتربية الدينية وتنمية المواهب والاستعدادات وتثبيت شخصية الإنسان وغيرها، إلا أن الملاحظ أن كل هذه الوظائف فقدت خصوصيتها في المجتمع الغربي.

وفي هذا الإطار، يُعدُّ تنظيم السلوك الجنسي من الوظائف المهمة للأسرة، وهو ما يؤكد عليه علماء الاجتماع وعلماء النفس، غير أن الأسرة في الغرب اليوم فقدت دورها الحصري والأساسي في تقديم السلوك الجنسي. وإذا كان هناك قسم محدود من المجتمع الغربي لا يزال محافظاً على دور الأسرة -فيما يتعلق بهذا العمل- فهو يرتبط عملياً بالأجيال السابقة؛ أمّا الجيل الحالي، فيسعى إلى العلاقات الجنسية وتوفير السلوك الغريزي خارج إطار الزواج الرسمي. ولذلك فإن ولادة الأطفال غير الشرعيين صارت في تزايد مستمر.

يتأثر هذا الأسلوب بالفكر النسوي السائد في المجتمعات الغربية، والذي يرى أن الزواج وتكوين الأسرة يحدان من حقوق المرأة الجنسية. وبعبارة أخرى، تُعدُّ «الحرية الجنسية» عندهم أحد حقوق المرأة التي لا يمكن إنكارها. ولذلك فإن كل ما يُعرض حريتها الجنسية للخطر ويسلبها هذا الحق يكون مُداناً في نظرهم، حيث يجب أن يكون الطريق أمام المرأة للاستمتاع الجنسي مفتوحاً دائماً. كما يرى جون ستيوارت ميل (2) أن الزواج نوعٌ من العبودية في الحضارة الجديدة ويعدُّه نوعاً من القيد غير الطبيعي: «يُعدُّ الزواج قيداً حقيقياً (3) ومُعترف به في قوانيننا» (The subjection of women، صفحة 552).

يمكن أن نقول بكل وضوح بأن هذا النوع من الرؤى والمواقف، قد هبطت بالمرأة من مرتبة الكرامة والعزة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية. حيث صار عمل الإنجاب ودور الأم هو أحد المواقف المتنازع عليها من وجهة نظر المجتمع الغربي. فهم يعتقدون بأن الإنجاب والأمومة يُشكلان

1 - عالم اجتماع أمريكي، شغل منصب رئاسة قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو. (المترجم)

2 - فيلسوف واقتصادي بريطاني، له مؤلفات كثيرة. (المترجم)

3 - أي كالأغلال. (المترجم)

عبئاً ثقيلًا على المرأة وعائقاً أمام تقدمها وتطورها. وتعدُّ هذه الجماعة أنَّ التقنيات الجديدة التي تُقلل الضغط الإنجابي على المرأة هي المفتاح لحرية المرأة.

تقول سيمون دي بوفوار، (4) مُعربةً عن ارتياحها لتوفر وسائل منع الحمل والإجهاض: «يعني توفر وسائل منع الحمل والإجهاض أنَّ النساء سيكونن قادرات على التحكم في أجسادهن. (من، صفحة 110) كما أنَّ نظرية الإجهاض عند النسوية الاشتراكية تقوم على مبدئين: امتلاك المرء السلطة على جسده وكونه صاحب القرار» (آبوت و كلير ، صفحة 295)

وبطبيعة الحال، فإنَّ هذا النوع من المواقف يقوم على الإيمان بالحرية المطلقة للإنسان. إنَّ الحرية - بهذا المعنى - مفهوم له ارتباط عميق بالفردية والإنسانية (هيومانيزم) كمفهوم غربي ومستمد من الثقافة الليبرالية للغرب. وعليه، فإنَّ كل البشر أحرار، ويمكنهم أن يفعلوا ما يشاؤون، وللمرأة أربع حريات: العلاقات غير المشروعة حتى مع الجنس نفسه (أي الشذوذ الجنسي)، وإشباع الذات، والتحكم بعملية الإنجاب دون الحاجة إلى التنسيق مع الزوج، والإجهاض. (دوبووار، صفحة 207)

هذا، ومن الوظائف المهمة الأخرى للأسرة «الدعم والرعاية». حيث يحتاج الإنسان إلى الرعاية والدعم منذ الولادة، ويستمرُّ احتياجه إلى سنِّ الشيخوخة، فهو بحاجة ماسة إلى المساعدة والدعم من الأسرة. ورغم أنَّه يُعهد بهذه الأمور اليوم في الغرب إلى المؤسسات والمراكز الخاصة، لكن يرى علماء النفس أنَّ إنشاء هذا النوع من المراكز لا يمكن أن يحلَّ بتاتاً محلَّ الأسرة ويكون له تأثير الرعاية المحبة ومشاعر المركز العائلي الدافئ؛ إذ لا تقتصر حاجة الإنسان إلى الرعاية على الاحتياجات الجسدية فقط، بل تشمل الروح والنفس أيضاً. ولهذا، لا يمكن إنكار دور الأسرة (والوالدين) في رعاية الأطفال ودعمهم. لدرجة أنَّ بعض الناشطات النسويات لم يستطعن تجاهل هذه الحقيقة واعتمدن منهجاً معتدلاً في التعامل مع هذه القضية تحت عنوان «الأبوة المشتركة». فهم بقبولهم هذا الأمر يقولون: «ليست الأمومة دوراً يشبه الأدوار الأخرى، فالأمومة نشاط معقد وغني وذو جانبيين ومضني وممتع، له أبعاد بيولوجية وطبيعية واجتماعية ورمزية وعاطفية» (بستان، صفحة 80).

وأيضاً من بين وظائف الأسرة الأخرى، يمكن لنا أن نعدَّ «التنشئة الاجتماعية»، حيث اعتبر

4 - كاتبة ومفكرة فرنسية، وفيلسوفة وجودية، ونسوية. (المترجم)

بارسونز (1) أنّ هناك وظيفتين هما الأكثر أهمية: «التنشئة الاجتماعية» ودور الأسرة في تكوين شخصية البالغين؛ فهو يرى أنّ عملية التطور الصناعي أحدثت انقساماً في الأسرة، ونتيجة لذلك تمّ تقسيم جميع الوظائف الاقتصادية والتعليمية للأسرة بين الأسرة والمؤسسات الأخرى. والوظيفة المهمة الوحيدة المتبقية هي توفير عوامل التنشئة الاجتماعية للأطفال، ويتقدم عليه بالطبع، توفير الظروف اللازمة للبالغين لاكتساب التوازن النفسي. وهذا الدور الهام، الذي اعتبره بارسونز إحدى الوظيفتين الأساسيتين للأسرة في المجتمعات الصناعية (سكالين، صفحة 88) - مستخدماً مبادئ التحليل النفسي - يُعدّ جانباً هاماً من الوظيفة العاطفية.

ولهذا، يعتقد بارسونز أنّ استقرار شخصية البالغين يشير إلى الدور الذي تلعبه الأسرة في مواجهة الضغوط النفسية للحياة اليومية؛ تلك الضغوط التي من شأنها أن تززع استقرار شخصية الشخص البالغ بالقوة. إذن، يأتي استقرار الشخصية من الدعم العاطفي المتبادل الذي يقدمه الزوجان لبعضهما بعضاً وأيضاً من دور الوالدين (اسلام و جامعه شناسى خانواده، صفحة 89).

وهم الحرية:

لو دققنا النظر، سنجد أنّ حرية المرأة في الغرب لا تحظى إلاّ بتفسيرها الظاهري، وليس لها أي تطبيق عملي على أرض الواقع. فليست هذه الحرية إلاّ وهماً وقع فيه الناس في عصرنا هذا. لقد قبلت النساء هذه الفكرة القائلة بأنّ عدم ارتداء الملابس المناسبة يساوي حريتهن، وغفلن عن أنّ هذا يساوي إذلالهن وفقدن لكرامتهن.

تلعب المرأة في المجتمعات الغربية الأدوار الرئيسة في الأفلام، وإذا لم يتمّ إبراز مفاتن المرأة في الفيلم، فلن يباع كثيراً. ويتضح من هذا، أنّ المرأة الغربية ليست غير حرة فقط، بل أسيرة أيضاً؛ لأنّها كالسلعة تماماً، يتمّ تبادلها في كل مكان، وإذا لم تكشف عن نفسها، فلن يكون لها مشتريين. على سبيل المثال، تشتمل جميع صفحات المجلات الغربية على صور الشابات، وحينما تنقضي نضارة تلك الشابات، لا تجد لهنّ أي ظهور في المجلات والأفلام؛ وذلك لأنّهن فقدن حتى القيمة السلعية الخاصة بهن.

نعم، تبدأ الفتيات في الغرب بالتفكير في التباهي في سنّ معينة. ويكون الأمر كما لو أنّه أقيمت

1 - تالكوت بارسونز، عالم اجتماع أمريكي، أستاذ في جامعة هارفارد، توفي عام 1979 م. (المترجم)

مسابقة خاصة، يفوز فيها من هو أكثر عرياً. و يعتقدن أيضاً أنه لا ينبغي لهن أن يكرسن أنفسهن لشخص واحد وأنَّ التعرف إلى أشخاص مختلفين يزيد من قيمتهن؛ ولهذا يضعن أنفسهن تحت تصرف أي شخص يأتي معهن، ويبررن ذلك من خلال فكرة البحث عن التنوع والتحضر. في حين أنهنَّ صرن في أيدي الرجال كالأدوات التي يتمُّ التخلُّص منها بعد انتهاء تاريخ صلاحيتها، وهنَّ بالطبع غافلات عن ذلك. وهنا بالتحديد عندما تنكسر روح المرأة الرقيقة، تصبح فارغة وعاطلة وتنفذ حياتهنَّ من أي حبّ أو مودة. ويصرن بانتظار يوم موتهنَّ، فيغرqn أكثر في هذا المستنقع الذي صنعنه بأنفسهن.

لقد فقّدت الأسرة في الغرب دورها، في سبيل الحصول على هذه الحرية، ولم تعد المرأة التي هي أمّ أيضاً تحظى بمنزلتها معهم، وصار الأطفال يعتقدون أنّ الأسرة ليست أكثر من قفص وأنَّ هناك مكاناً أفضل لهم خارج الأسرة، وهكذا عندما يغادرون الأسرة، يقعون في تلك الحرية المتوهمة، ويدمرون حياتهم. ثم يصلون إلى مرحلة الفراغ والعبث وتصبح الحياة مؤلمة بالنسبة إليهم، ويجدون أنّ الطريق الوحيد لإنقاذ أنفسهم هو اللجوء إلى القضايا غير الأخلاقية، الأمر الذي يقودهم أيضاً إلى طريق مسدود.

على هذا الأساس، تُعدُّ الأسرة الغربية مؤسسة متزلزلة ولا برنامج لها، وهي تعطي للأطفال الحريات التي تُفضي إلى آفات أخلاقية في المجتمع، وبما أنّ شخصية هؤلاء الأطفال تتشكل خارج المنزل والأسرة، فإننا لا نجد لديهم هوية واضحة ومحددة.

على هذا الأساس، يتضح لنا الدور المهم الذي تلعبه الأسرة في حياة الأطفال، وخاصة في حياة الفتيات اللاتي يحتجن إلى مزيد من الرعاية. حيث إنه إذا مثلت الأسرة مؤسسة دافئة بحيث لا يشعر الأطفال فيها بالحرمان العاطفي، فلن يكون لديهم ميل إلى مغادرة المنزل. وكما نعلم، فإنَّ الحبَّ والعاطفة، والمودة والمعرفة قد ماتت في المجتمعات الغربية، فقد بات الناس باردين وخالين من المشاعر القلبية والعاطفية تجاه بعضهم بعضاً، وهذا كله ينبع من إفلاس الأسر.

وممّا يؤسف له، أنّ الأسرة لا تحظى في اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على التمييز ضدّ المرأة، بأيّ قيمة. فهي تنظر إلى الأسرة وكما لو أنّ تكوينها يمثّل حصاراً وسجناً للنساء. لقد ثبت أنّ الأسرة لا تحظى بأي أهمية وتُعدُّ مؤسسة غير فعّالة من وجهة نظر المرأة في الغرب، بحيث يمكننا اليوم رؤية عواقبها السلبية بوضوح في المجتمعات الغربية.

وفي السياق نفسه، تُعدُّ «الفردية» مشكلة أخرى من المشكلات التي تواجهها المجتمعات الغربية. إذ يتجنب الناس في الغرب الحياة الجماعية ويفضلون الفردية على المجتمع. وهناك أيام قليلة من السنة يجتمع فيها أفراد الأسرة معاً فقط. غير أنّ الحياة الفردية -أي أن يعيش الإنسان أغلب أوقاته بمفرده- تُسبب مشاكل روحية ونفسية، خاصة للنساء اللاتي يتمتعن بروح رقيقة وحساسية ويحتجن دوماً إلى من ينقل لهن هذا الشعور ويستمتعن بحياتهن معه.

يفرُّ الناس في الغرب من الحياة الجماعية ويعيشون في فكرة موهومة، مفادها أنّ الحياة الجماعية تجلب مشاكل أكثر ولا تتوافق مع الحياة العصرية وهي بعيدة عن الحضارة، بيد أنّهم لا يدركون أنّ الإنسان اجتماعية بطبعه. وهذا بالتحديد، هو السبب وراء إصابة الأفراد في زماننا بالعديد من الأمراض النفسية، وهم يعتقدون خطأً أنّ الابتعاد عن المجتمع هو العلاج لهذه الأمراض.

يقول أحد الأطباء الإيرانيين المشهورين الذين يعيشون في الغرب:

«من المسلم أنّ تقنية تلبية الحاجات المادية تمثل جانباً واحداً من القضية، وهذا الجانب يتقدم بسرعة عجيبة في العالم الغربي، لكن ما لا يملكه الغربيون للأسف هو تقنية تلبية الحاجات النفسية التي من حسن حظنا أننا نملكها. ولهذا، إذا أراد الشخص أن يكون عاقلاً وأراد الحفاظ على حالاته المعنوية الأعم من الدين والثقافة، وتمكّن من استيراد أو اكتساب التقنية الموجودة لديهم دون ثقافتهم، فسيكون هو الفائز في هذا المجال بكل تأكيد». (خدادوست، 1370/2/29 ش.(1))

لا يريد الإنسان الغربي الحياة إلا لنفسه فقط؛ ولهذا فسّر الحرية على أنّها أنانية. وبعبارة أخرى، رأى الحرية في أن يفعل ما يريد ويزيل أي عائق يقف أمام رغباته وآمن بأنّ رغباته لا تضرّ الآخرين. وهذه هي الحرية المطلقة التي ارتضتها المرأة الغربية لنفسها.

وكما تقول آيزا برلين: «الحرية هي غياب العوائق في طريق تحقيق رغبات الإنسان، هذا هو المعنى الشائع وربما الأكثر شيوعاً الذي تستخدم فيه كلمة الحرية» (برلين، صفحة 46) وأيضاً يقول ستيوارت ميل الذي يؤكد على حرية الإنسان المطلقة في تعريف الحرية: «الحرية هي أن يتمكن كل إنسان من السعي إلى تحقيق مصالحه بالطريقة التي يريدها، بشرط ألاّ يضرّ بمصالح الآخرين» (ميل، صفحة 52) وكذلك يقول توماس هوبز: «وفقاً للمعنى الصحيح والمقبول لكلمة

1 - البروفسور خدادوست، طبيب عيون إيراني مشهور بين الأطباء الإيرانيين المقيمين في الخارج.

الحرية، فإنَّ الإنسانَ الحرَّ هو الشخص الذي يستطيع أن يفعلَ ما يريد دون أن يواجه أي عوائق في الأمور التي يمكنه القيام بها بناءً على قوته وعلمه» (هاوزن، صفحة 218) هذه هي الحرية المطلقة التي تسعى إليها المجتمعات الغربية.

لا تهتم المرأة الغربية فيما إذا كانت هذه الرغبة صحيحة أم لا؛ وهل يتوافق ذلك مع وجودها أم لا؟ وهل يستجيب لطبيعتها وفطرتها أم لا؟ ولأنهم حددوا الحياة بهذا العالم، فقد اقتصروا على روعة وبريق هذا العالم. تظن المرأة الغربية أنَّ جسدها إنَّما خُلِقَ للمتعة الدنيوية والجسدية فقط، لكنَّها إذا علمت أنَّ روحها مفعمة بالحبِّ والعاطفة، فسوف لن تعلق أبداً بهذه الرغبات الجسدية. إنَّها غافلة عن أنَّ الله قد أودع في وجود المرأة أعظم النعم، وهي نعمة الحبِّ.

ومن البديهي أنَّ حرية المرأة وحماية حقوقها لم تعد تَمَثِّلُ إلاَّ شعاراً من شعارات الأوساط السياسية في الغرب. فما عليك إلاَّ أن ترى كمَّ الانتهاكات التي تطال الحقوق الأساسية والطبيعية للبشر - سيما النساء - والتي تحصل يومياً في المجتمعات الغربية، وتُرى كم من النساء والأطفال الأبرياء يُقتلون ويكونون ضحايا للجرائم الغربية، وكم من حروب تشنها دول الاستكبار والقوى العظمى مع دول أخرى، ويكون أكثر ضحايا هذه الجرائم هم النساء والأطفال (1).

خاتمة:

تُعدُّ النسوية المتطرفة - في الأساس - وإعادة إنتاج الكراهية ضدَّ الرجال بعض السمات الرئيسة للثقافة الغربية، وهذا هو السبب وراء النظرة الغربية الجنسية للمرأة، فقد غفل الغرب عن الاختلافات الطبيعية بين الرجل والمرأة بشكل عام؛ ونتيجة لذلك، وفَّرت هذه الثقافة - نتيجة التغافل عن متطلبات الإنسان الطبيعية والمعقولة؛ كتكوين الأسرة والحفاظ على هذه المؤسسة المقدسة وحمايتها - مسرحاً للحياة الفردية وظهور القلق الروحي والانحرافات النفسية والأزمات الأخلاقية.

1 - لمزيد من الاطلاع، انظر: حميرا، مشيرزاده، مقدمه اى بر مطالعات زنان، طهران، وزارة العلوم والتكنولوجيا والبحوث، مكتب التكنولوجيا، مكتب التخطيط الاجتماعي والدراسات الثقافية؛ آندريه، ميشيل، بيكار با تبعيض جنسى، ترجمة محمد جعفر بوينده، طهران، نشر نگاه؛ مكي هام، فرهنك نظريه هاى فمينيستى، ترجمة نفسين أحمدي خراساني وآخرون، طهران، نشر توسعه.

لقد مهّدت القراءات والتفسيرات غير المعقولة لحرية المرأة وحقوقها الطريق أمام الاستغلال المادي والاستمتاع الجنسي للمرأة، وأدّت إلى انحدار مقامها ومنزلتها إلى مستوى الحياة الحيوانية المنحطة. نعم، إنّ «حرية المرأة» في الغرب هي ذريعة وتكتيك لتدمير كل وجود وشخصية المرأة، التي تحظى في الحقيقة بقيمة ومنزلة تفوق حدّ الوصف من بين موجودات هذا الوجود العظيم. وهكذا، فإنّ «الحرية» بالنسبة إلى المرأة في الغرب ليست أكثر من حلم ووهم، وهي بالفعل سراب مجاني للواقع.

ليس للنسوية الراديكالية، كالعديد من أنواع النسوية الأخرى، تاريخاً طويلاً جداً. وقد عملت بعض المصادر على تفكيك تاريخ هذه الرؤية بحسب موقعها الجغرافي. على سبيل المثال، تعود جذور الحركة النسوية الراديكالية في أمريكا، إلى حركة الحقوق المدنية والموجة الثانية من النسوية ومكافحة التمييز العنصري، والتي شكّلت في أوائل الستينيات وانتشرت في المدن الأمريكية الكبرى بين عامي 1968 و1972. وبدأت الحركة النسوية في إنجلترا عموماً عام 1970 تقريباً، ولذلك بتأثير من الحركة النسوية الأمريكية. كما بدأ ظهور وانتشار الحركة النسوية الراديكالية في بلدان أوروبية أخرى بشكل أو بآخر في هذه السنوات أيضاً. وتعدّ كيت ميليت وشولاميت فايرستون وأندريا دوركين وماري دالي من أشهر وجوه الحركة النسوية الراديكالية.

المصادر والمراجع

- ▶ Richard Schaefer. (1989). Sociology.
- ▶ Rosemary Radford Ruether. (1981). Feminism and the future of religious.
- ▶ Sarah Gamble. (2001). The Pout ledge Companion to Feminism and Post feminism.
- ▶ The subjection of women. (بلا تاریخ).
- ◀ اسلام و جامعه شناسی خانواده. (بلا تاریخ).
- ◀ آنتونی، آربلاستر. (بلا تاریخ). لیبرالیسم غرب، ترجمه عباس مخبر. طهران: نشر مرکز.
- ◀ آیزا برلین. (بلا تاریخ). چهار مقاله درباره آزادی.
- ◀ باملار آبوت، و ووالاس کلیر. (بلا تاریخ). درآمدی بر جامعه شناسی نگرش های فمینیستی.
- ◀ توماس هویز. (بلا تاریخ). لویا تان.
- ◀ جان ستوارت میل. (بلا تاریخ). درباره آزادی.
- ◀ جین فرید من. (بلا تاریخ). فمینیست.
- ◀ حسین بستان. (بلا تاریخ). اسلام و جامعه شناسی خانواده. قم: پژوهشکده حوزه و دانشگاه.
- ◀ خدادوست. (1370/2/29 ش.). صحیفه رسالت.
- ◀ سیمون دوبووار. (بلا تاریخ). جنس دوم، ترجمه قاسم صنعوی. طهران: نشر توس.
- ◀ صحیفه نور. (بلا تاریخ).
- ◀ مارتین سکالین. (بلا تاریخ). جامعه شناسی تاریخی خانواده، ترجمه حمید ایاسی.
- ◀ طهران: نشر مرکز.
- ◀ نیلوفر جینی جیان. (بلا تاریخ). ماهنامه علمی. تخصصی اطلاعات حکمت و معرفت، العدد 5.

التحليلُ الفلسفيُّ-الحقوقيُّ للمثليَّة الجنسيَّة: خطيئةُ اللواط، أم حقُّ زواج المثليين

■ د. حسين سوزنجي

أستاذ مساعد في جامعة باقر العلوم (ع)، إيران

■ ترجمة: ياسر بشير

ملخص

من بين القضايا البشرية قليلةً هي المسائل التي يمكن أن نظفرَ بها، وقد كانت تعدُّ في زمانٍ ما من أكبر الخطايا وفي زمانٍ آخر من أبرز عناوين حقوق الإنسان! ومن خلال الالتفات الدقيق إلى الفرق بين كلٍّ من السلوكيات الجنسية والميول المثلية والهوية المثلية، تتعرض هذه المقالة في البداية إلى التحوُّلات التي أدَّت إلى أن يصبح الزواج المثلي قانونياً في المجتمعات الغربية، وذلك لمعرفة كيف تحول أمرٌ تدريجياً كان يُعرَّف على أنه: «خطيئة» لكي يُعرَّف على أنه «حقٌّ» من خلال مجموعة بناءات اجتماعية؛ ثم ومن خلال التأمل الفلسفي بالسبب الذي يسمح باعتبار أمرٍ ما «حقٌّ» للإنسان، وعليه نصل إلى أن فتح ملفِّ بعنوان: «حقوق المثلية» ضمن ما يُطرح على الساحة العالمية بصفته «حقوق الإنسان»، بالإضافة إلى كونه عملاً غير مُبرَّر فإنه يتكئ على أسسٍ يُؤدِّي القبول انسداد المجال أمام الدفاع عن حقوق الأقليات (وهم يريدون الاعتراف بـ«زواج المثليين» بصفته حق للأقليات).

الكلمات المفتاحية:

اللوواط، المثلية، الحق، الجنس، الجندر.

1 - تحليل فلسفي-حقوقي هنجنس جراي: كناه «لوواط» يا حق «ازدواج هم جنس گرايان»، فصلنامه علمی پژوهشی دین و سیاست فرهنگی / شماره دوازدهم / بهار و تابستان 1398.

المقدمة:

لعلّ ما شاعَ بين قوم لوط تحت عنوان: «اللواط» هو المستند الأول والأهم حول شيوع «السلوكيات المثلية»؛ ورغم أنّ هؤلاء القوم قد أُبِيدوا بالعذاب الإلهي، ولكنّ مثل هذه السلوكيات لا تزال حاضرةً -إلى حدّ ما- في المجتمعات المختلفة. ويبدو أنّ الاختلاف الأهم في انتشار هذه السلوكيات بين قوم لوط والمجتمعات الأخرى هو أنّ هذا السلوك أصبح أمرًا طبيعيًا بالنسبة إليهم؛ أمّا في المجتمعات الأخرى فقد حافظ على قبّحه بسبب تأثير التعاليم الدينية؛ خاصّةً وإن التطورات التي وقعت في العقود الأخيرة وبمنظرةٍ أعمق في القرن أو القرنين الأخيرين، قد فتحت مواجهة جديدة مع هذه الظاهرة؛ بحيث إنّّه وبالإضافة إلى التطبيع هذه المرّة فقد ارتفعت موجة الدعم للقيام بهذه السلوكيات، ووصل الأمر إلى مرحلة يُعدُّ -معها- العمل على الاعتراف بهذه السلوكيات من علامات قبول واحترام حقوق الإنسان؛ ويجب على الحكومات أن تطلق سراح من يقومون بمثل هذه الأفعال والسلوكيات بل عليها أن تدعمهم.

من بين القضايا الإنسانية المختلفة، قليلةٌ هي القضايا التي يمكن أن يشملها مثل هذا التبدّل الجذري في الموقف منها. لقرون عديدة كان القيام بهذا الفعل في أغلب المجتمعات مصداقاً للفحشاء والفجور والابتعاد عن الإنسانية، وقد كان يوصف بأنّه «خطيئة»؛ فعلاوةً على كونه ذنب في الحياة الدنيوية الاجتماعية يشير إلى النظرة الأخروية المرتبطة بالنفس. واليوم في الكثير من مجتمعات الحداثة لم يتخلّوا عن الأخذ بالرؤى الأخروية المرتبطة بهذه الظاهرة فحسب بل اعترفوا بها في فضاء دنيا الحداثة، وأصبح الاعتراض على هذا الفعل من دلالات الظلم و اللأخلاق وعدم احترام الإنسان!

لن نتعرض في هذه المقالة للأبعاد المعنوية والأخروية لهذه المسألة، ولكن بعد أن أشرنا إلى

كيفية تطور هذا المعنى سنبحث في إمكانية النظر إلى هذه الظاهرة بوصفها حق من منظور «الحقوق الدنيوية» نفسها؛ أو أنه يجب مواجهة هذا الفعل بصفته جُرمًا على الصعيد الاجتماعي حتى مع الإذعان بوجود ميل داخلي عند بعض الأفراد؟

■ بيان المسألة:

بيتر سبيريج (1) كبير الباحثين في مجلس الأبحاث الأسرية في واشنطن العاصمة (2)، يعتقد أن ما جعل هذه المسألة مبهمة، والذي من شأنه أن يحرر الإنسان من التشوش في فهم الواقع في هذا المجال لو التفت إليه هو: التفكيك ضمن هذا البحث بين ثلاثة أبعاد هي: السلوك (3) والميل (4) والهوية (5). الفكرة أنه وعلى مدار التاريخ كانت دائرة اعتراض المخالفين - لا سيما الأديان الإلهية - تتوجّه إلى ممارسة السلوكيات الجنسية مع المماثل؛ أمّا اليوم فقد برزت ظاهرتان أخريان يناور من خلالهما أغلب المدافعين عن المثلية: الأولى هي وجود الميل الداخلي نحو العلاقة الجنسية مع المثل عند بعض الأشخاص بحيث قد لا يكون لديهم هذا الميل للجنس المخالف؛ والثانية، خلق هوية اجتماعية جديدة لهؤلاء الأفراد الذين يُعرفون هويتهم على أنها هوية لا تشبه بقية الهويات (رجل مثلي أو امرأة مثلية). بعبارة أخرى، يدّعي المدافعون عن المثلية أن النقطة المهمّة هي وجود ميلٍ طبيعيٍّ عند

1 - Peter Sprigg من الفاعلين ضد المثلية في أمريكا. من آثاره المهمّة كتابه بعنوان: «مأساة: كيف يقوم الناشطون المثليون والقضاة الليبراليون بتحطيم الديمقراطية لإعادة تعريف الزواج» (Sprigg & Dailey, 2004) وحرّر كتاباً بعنوان: «من مصدر مأمون: ما تظهره البحوث حول المثلية الجنسية» (Sprigg & Dailey, 2004)، حيث يحاول الكشف عن ستّ أساطير مهمة عن المثليين، وهي عبارة عن: أن البعض يولد مثلياً؛ أن 10% من الناس مثليين؛ وأن المثليين كانوا في موقف الضعيف؛ وأنهم عانوا التمييز والأذى عبر التاريخ؛ وأنه لا ضرر في المثلية على الصعيد الطبي والصحي، وأنّ الوالدين المثليين لا يشكلان تهديداً لأبنائهم؛ وأنه ليس هناك علاقة جدية بين المثلية والتحرش الجنسي بالأطفال.

2 - Family Research Council in Washington, D.C

3 - sexual conduct

4 - sexual attraction

5 - sexual self-identification

بعض الأفراد؛ ولأنّ هذا الميل موجود؛ فبالتالي يحقّ لهم أن يمتلكوا هوية خاصّة، وعلى الآخرين أن يعترفوا بهذه الهوية. وسعيّاً إلى الاعتراف بهذه الهوية كأقلّيّة، يحقّ لهم ممارسة السلوك المتناسب مع ميلهم الداخلي، ولأنّّه ليس لأحد الحق في الحكم بصحّة أو كذب الادّعاء بوجود هكذا ميل عند الآخرين، فلكلّ شخص الحرية في ممارسة الجنس مع مثيله. وعليه فهم يتعرّضون في بحوثهم لهذه المطالب الثلاثة بنحو متشابك: كما لو أننا كلما واجهنا سلوكاً جنسياً بين ممثليين، فهناك فنحن أمام هذا الميل الطبيعي وهذه الهوية، وإنّ معارضة هذا السلوك تعني إنكار الميل الطبيعي و[إنكار] واحدة من الهويات الإنسانية. بينما أظهرت الأبحاث التجريبية أيضاً عدم وجود ملازمة بين هذه الأمور الثلاثة؛ أي إنّ الكثير من الأشخاص يلجأون إلى ممارسة اللواط بدافع الشهوة أو التنوع فقط، وليس الحال أنّهم بطبعهم يميلون إلى المثيل دوناً عن الجنس الآخر. هذا والكثير من الأشخاص يقومون بمثل هذه السلوكيات أو أنّهم لديهم حتى مثل هذه الميول الداخلية ولكنهم لا يعرفون أنفسهم بالضرورة على أنّهم مثليون، ومثل هذه السلوكيات هي محور النقاش الأساسي بالنسبة إلى المخالفين والذين يُصرّون على تحريمها (SpriggP, 2011).

والحقيقة أنّّه يوجد عدد نادر من الأشخاص الذين يمتلكون ميولاً جنسية نحو المثيل - وليس الجنس الآخر - وبشكل طبيعي، وقد تمّ التعرض لهذا الأمر منذ القدم (1)، وغالباً ما كان يُعدّ هذا الموضوع خللاً ومرضاً. حتى لو ثبت أنّ أمر خلقي فهذا لا يتنافى مع كونه مرضاً. السمنة لديها جذور جينية وخلقية ولكن هذا لا يعني أن نحسبها حالة طبيعية وأنّه ليس هناك دور لعوامل كالأسرة والثقافة والقلق الظرفي واختيار الشخص نفسه في تثبيت [الوزن] أو إنقاصه (نيكولوسي & نيكولوسي، 1396، ص. 71-72). وما حصل في الفترة الأخيرة هو أن البعض استغلّ وجود مثل هؤلاء الأشخاص كذريعة لتقديم هذه السلوكيات على أنّها تخريرية وطبيعية بالنسبة إلى الجميع.

وتجدر الإشارة إلى أنّه توجد معارضة لهذه الموجة من قبل بعض الذين يحبون النظام

1 - يوجد في كتبنا الحديثية نصوص تشير إلى الأشخاص يراجعون الأئمة ويشكون هذا الوضع بعبارات كـ «شكا رجل الأئمة» و«إني ابتليت ببلاء...» أو عبارة كـ «ألقي الله عليه شهوة النساء» «إنّ في أدبارهم أرحاماً منكوسة» أو «حياء أدبارهم كحياء المرأة» (الكليني، 1407، ج5، صفحة 529).

الأسري في العالم، وهذا جاء نتيجة للمشاكل والأضرار التي تجلبها هذه السلوكيات على الإنسان وعلى نظام الأسرة. في الواقع ليست المسألة -عند المخالفين [للمثلية] كما يتهمهم المدافعون(1)- أنهم ينفون وجود الميل الداخلي نحو المثل أو أنهم يعتقدون أن الأكثرية لها الحق في فرض إرادتها على الأقلية فقط من جهة كونها أكثرية؛ بل القضية هي أن مثل هذا الميل يمكن أن يكون طبيعياً ما دام في حدود الميل العاطفي، ولكن عندما ينتقل إلى دائرة السلوك الجنسي فيصبح مرضاً ويتسبب بأضرار جسيمة للشخص نفسه وللآخرين أيضاً. وبطبيعة الحال لا بُدَّ من التفكير لأجل التخلص من المرض ومنع انتشاره، ولا ينبغي اعتباره حالة طبيعية بالنسبة إلى الجميع وبهذه الطريقة يبقى المرضى في حالتهم المرضية، ويتشجع آخرون على القيام بمثل هذا السلوك.

في مقالة أخرى تناول المؤلف هذه الظاهرة من حيث وجود ميل داخلي عند بعض الأشخاص، وهناك دافع عن الفكرة التي تقول بوجود النظر إلى هذا الميل الداخلي على أنه مرض وليس أمراً طبيعياً (سوزنجي ح. ، 1398ج). والآن يتمحور البحث حول البعد السلوكي لهذه القضية، والمسألة هي أنه مع الاعتراف بوجود هذا الميل عند بعض الأشخاص فهل يمكن -أو لا يمكن- أن يتحول إلى أحد عناوين حقوق الإنسان وأن يصدر قانون يسمح بهذا السلوك ويعدّه أمراً طبيعياً وفي نهاية المطاف تسهيله والتشجيع عليه بين جميع الناس -وهو ما يتم تطبيقه رويداً رويداً في الدول الغربية وبعض أتباعها-؟! باختصار، هل يمكن اعتبار أن القيام بالسلوكيات المثلية في المساحة العامة من حقوق الإنسان، أم ينبغي اعتباره فعلاً ضد الإنسانية وأن يصاحبه عقوبات شديدة بوصفه «لواط»؟

■ تاريخ بروز المسألة

حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم يكن هناك كلمة «مثلية»(2) في ثقافة لغات

1 - ومثل هذا الاتهام موجود بكثرة في كتب الغربيين. ويمكن أن نجد شبيه هذا الاتهام بكثرة عند الذين يترجمون أفكارهم؛ انظر: (نراقى آ. ، بهار 1397)

homosexuality - 2

العالم (1) وبدلاً منها شاعت كلمات كـ «اللواط» (2) وهي ناظرة بالتمام إلى وقوع السلوك الجنسي بين شخصين من الجنس نفسه وتشير إلى فعل لقوم لوط في السابق. بعد سلسلة من التحولات التاريخية دخلت الساحة كلمات جديدة حتى تحولت النظرة إلى هذه المسألة من «خطيئة» إلى أنها «مرض»، وفي مرحلة أخرى تمّ رفض كونها مرضاً أيضاً وصارت تُعرّف على أنها أمرٌ طبيعي (سوزنچی ح. ، 1398ج)؛ لدرجة أنه في العام 1973 ودون الاعتماد على أيّ بحثٍ علميٍّ و من خلال التصويت الناجم عن ضغط اللوبي المثليّ فقط تمّ حذف [هذا المرض] من «الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية» (DSM) (3) (نيكولوسى & نيكولوسى، 1396) (Hickey، 2013).

في الواقع، تكثفت الأنشطة الترويجية للمثليين في سبعينيات القرن العشرين تقريباً (Klarman، 2013) وفي العقود القليلة الأخيرة خلقت التيارات الليبرالية المزعومة موجة دفاع عن المثلية؛ إلى حدّ أنّ الدنمارك سمحت بزواج شخصين من الجنس نفسه في العام 1989 بوصفها الدولة الأولى، وفي هولندا تمّ تشريع زواج المثليين للمرة الأولى في العام 2001. وصلت الأنشطة الترويجية للمثليين في أمريكا إلى ذروتها في تسعينيات القرن العشرين إلى حدّ أنّه في العام 1996 قامت مجموعة من الخائفين على المجتمع والذين

1 - الآن يتم استخدام كلمة Lesbian و Gay على الترتيب للإشارة إلى المثليين المرأة والرجل، ولكن تاريخ هاتين الكلمتين أقل رجوعاً في الزمن من homosexuality. يقولون بأن استخدام كلمة Gay بهذا المعنى الجديد يرجع إلى العقد السابع من القرن العشرين. أمّا كلمة Lesbian فهي صفة لجزيرة Lesbos، حيث أنشد الشاعر Sappho (القرن 6 ق.م.) أشعاراً تحكي عن حبّه للنساء التي تعيش هناك. ظهر أول استعمال لهذه الكلمة في أواخر القرن الـ19 وكانت تشير إلى شخصه وبعد ذلك بدأت تستعمل بمعنى المرأة التي تمارس العلاقة الجنسية مع النساء وذلك في أواسط القرن العشرين، بالطبع كانت تخزن معنىً سلبياً واستخدماً مهيناً، وقد حافظت هذه الكلمة على قبحها في الثقافة العامة للعديد من المجتمعات الأوروبية التي لم تفقد الأسرة فيها قدسيّتها بشكل كامل.

2 - في الإنجليزية Sodomy، وكلمة Sodomie كانت مستعملة في اللغتين الألمانية والفرنسية وهي ترجع إلى Sodom؛ وسدوم اسم مدينة عاش فيها قوم لوط؛ وعليه فهي تعادل كلمة «اللواط» المستعملة في اللغتين الفارسية والعربية، والتي تشير إلى الفعل المنسوب إلى قوم لوط.

3 - Diagnostic and Statistical Manual

ويعدّ هذا الكتاب مرجعاً للأطباء النفسيين وعلماء النفس في أمريكا وبعض الدول الأخرى.

شعروا بالخطر من هذا الوضع بإقرار القانون المعروف بـ«دوما» (الدفاع عن الزواج) والذي تُعرّف الفقرة الثالثة منه الزواج على أنه ارتباط بين «رجل وامرأة»، وعملياً أصبح زواج المثليين غير قانوني (Winerip, 2012). في هذا العام 27% من الشعب الأمريكي كحدّ أقصى قبل ظاهراً أن يصبح اللواط والمثلية أمراً قانونياً؛ ولكن الدعاية والضخّ الإعلامي اشتدّ إلى درجة أُعلن معها أن هذه النسبة ارتفعت من 27 إلى 64% بعد مضي حوالي 20 سنة (McCarthy, 2019). بعد ذلك، أُدعيَ للمرأة الأولى أن نسبة الموافقين لتشريع زواج المثليين في أمريكا والمخالفين له أصبحت متقاربة عام 2011 (المصدر نفسه). وأخيراً في 26 كانون الثاني 2013 ألغت المحكمة العليا الأمريكية الفقرة الثالثة من قانون دوما لصالح المثليين. هذا ورغم كل الدعاية التي بُنت لأجل تطبيع هذه العلاقة فإن نسبة الذين يعدّون أنفسهم مثليين في أمريكا كانت 1.6% في ذلك العام وما يقارب من 97% من الشعب يعدّ (1) نفسه «سويّاً» (أي أنه طبيعي وخالي من أي ميول منحرفة نحو مثيله أو نحو كلا الجنسين و...) (Ward & et. 2014). الإحصاءات هي نفسها تقريباً في أوروبا وربما أقل؛ ففي بريطانيا مثلاً، وفي العام 2013 الذي جرى إقرار قانون زواج المثليين، تم الإعلان بأن نسبة المثليين هي 1.5% بين الرجال و0.7% بين النساء (Chalabi, 2013). ومن المثير للاهتمام أنه -ووفقاً لإحصاءات مؤسسة غالوب- في العام 2015 م أي بعد سنتين من تشريع هذا الأمر وبعد أن أصبح هذا العمل قانونياً في جميع الولايات الأمريكية وبعدها ارتفعت كل الموانع القانونية بل وبعد إقرار بعض التسهيلات للمثليين فإنّ 10.2% فقط من الذين يعدّون أنفسهم مثليين تزوّجوا زوجاً مثلياً [أي أنّ 10%] من الذين يعدّون أنفسهم مثليين تزوّجوا زوجاً مثلياً (Jones, 2017) وهذا أقل من 0.2% من المجتمع الأمريكي. وإذا أضفنا النقطة القائلة بأن انتشار المثلية بين النساء تأثر أكثر من أي شيء آخر بالموجة الثانية للسوية، وهي بحسب تصريحهم قد جاءت بمثابة اعتراض على تسلّط الرجال (نيكولوسي & نيكولوسي، 1396، ص. 209-212)، يتضح من خلال المجتمع الإحصائي (2) هذا أنّ الزواج المثلي لا يرتبط كثيراً بالميل الداخلي -وقلة من

1 - 0.6% يعدّ نفسه ثنائي الجنس و1.1% أجاب بـ«أمر آخر»، بمعنى «لا أريد الإجابة» أو «لم أفهم المقصود من السؤال».
2 - مصطلح يشير إلى العناصر التي تكون موضوع الدراسة العلمية؛ وهنا المقصود منه نسب المثليين الذين تزوج زوجاً مثلياً مع الأخذ بالأسباب بالحسبان. (المترجم)

یمتلكون الميل نحو المثیل - لا أقل عند النساء.

إذاً مع الأخذ بالحسبان الواقع الذي یقول: إن مجتمعاً تتسم فیها الروابط الجنسية بالإباحية التامة، وأفراده فی معرض التشجیع الدائم على العلاقات الجنسية الحرة بشتی الوسائل، وتمكّن الضخّ الإعلامي فيه من إقناع 65% من الناس أن الزواج بین مثلیین جزء من حقوق الإنسان، إلا أنه على الصعيد العملي فإنّ 0.1% فقط من أفراد ذلك المجتمع -الذين یعتقدون أن هذا حق إنساني ولا یرون مشكلة أخلاقية فيه- توجّهوا نحو مثل هذا الزواج. حقاً، ألا یكفي هذا للتشكیک بالدعاوى المرتبطة بأنّ وجود الميل عند البشر أمراً طبيعياً؟!

من أهمّ النقود على المثلية هي المضار المختلفة التي یتركها هذا السلوك على الحياة الشخصية والاجتماعية للفرد نفسه وللآخرین (1)؛ ولكنّ مؤيدي المثلية اعتبروا أن السبب فی هذه المضار هو القمع الاجتماعي للمثلیین، واستخدموا ذلك كذريعة للتأكيد على الدفاع عن حقوق المثلیین. فی المقابل فإنّ مخالفی التطبیع من خلال المقارنة الدقيقة

1 - یشیر بیتر سبریشغ من خلال ذكر العديد من الأبحاث التجريبية إلى أنّ نسبة الإصابة بالإيدز عند الأشخاص المثلیین لیست أكبر بكثير من الأشخاص الذين یمارسون الجنس مع الجنس الآخر فقط (كما تظهر نتائج تقرير «مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها» فی «المؤتمر الوطني للوقاية من فيروس العوز المناعي البشري (HIV)» فی أمريكا (فإن احتمال الإصابة بالإيدز بین المثلیین أعلى بـ 50 مرة من الأفراد الذين یمیلون إلى الجنس الآخر)) فإنّ انتشار الكثير من الأمراض القاتلة كـ(التهاب الكبد «أ» والتهاب الكبد «ب» والسیلان والزهري و...) بین المثلیین (والأمراض الخاصة بالنساء خاصة تلك المرتبطة بالتهابات المهبلية وخاصة السرطان بین مجتمع النساء المثليات) یختلف بشكل كبير عن الناس العادیین. وكما أنه یشیر فیما یخصّ الأضرار النفسية إلى أن النسب المرتبطة بالأمراض النفسية كـ(الاضطراب والتوتر والاكتئاب والانتحار و...) وكذلك نسب الإدمان وتعاطي المخدرات عند هؤلاء عالية بشكل كبير مقارنة بالأشخاص العادیین. وفی خطوة لاحقة ینتقل إلى إحصاء الاعتداءات الجنسية على الأطفال، ویشیر وفقاً للإحصاءات إلى أن الرجال المثلیین یمارسون الجنس مع الأولاد الذكور أكثر بشكل ملحوظ مما یفعل الرجال العادیین. من أجل ضرب هذه الإحصاءات یمستخدم المدافعون عن المثلية مصطلح «بیدوفیلیا» (وهو الميل الجنسي نحو الأطفال) فیحاولون التمییز بین نسب بیدوفیلیا والنسب الأخرى للمثلية مع البالغین! ولكن ما یضرب حیالهم أنّ الإحصاءات تشير إلى أنّ أغلب الأشخاص الذي یسعون وراء البیدوفیلیا (بحسب تعبییرهم) هم الأشخاص الذين یقیمون علاقات جنسية مع البالغین (Sprigg P., 2011، الصفحات 4-6).

للإحصاءات في ما يتعلق بانتشار الاضطرابات (من أمراض كالإيدز و... حتى الإدمان الشديد على المخدرات والكحول وارتفاع معدل الانتحار) في المجتمعات التي أقرت قوانين دعم المثليين لسنوات والتي تحولها إلى جنّة بالنسبة إليهم وبين المجتمعات التي ترفض المثلية، فإن عدم وجود اختلافات تُذكر بين هذه الإحصاءات تشير إلى أن هذه التبريرات لم تكن سوى كذبة (نيكولوسي & نيكولوسي، 1396، ص. 170-172) (Sprigg P.، 2011، صفحة 5). إنَّ التدقيق في الأمثلة الملموسة التي تحصل في العالم اليوم، يمكن أن يبيّن حجم الفاجعة بشكل أفضل. في رسالة بعثت بها أمّ إلى المستشارين النفسيين في صحيفة نيويورك تايمز منذ زمن ليس ببعيد (4 كانون الأول 2018) طلبت منهم استشارة فكرية جاء فيها أنّها تشعر بالقلق: ابنتي في عمر 11 سنة عدتّ نفسها «شمولية الجنس» (1) وهي اليوم بعمر الـ15 وقد جرّبت مراراً العلاقة الجنسية مع الجنس الآخر ومع الفتيات وهي تريد اليوم أن تقيم علاقة مع فتى «متحول جنسياً» (2) (الفتى الذي يعدُّ نفسه فتاة)! وفي معرض الجواب أكّد المستشارون ضرورة التخلّص من المعتقدات التقليدية وقالوا: تقبّلي هويتها التي تميل إليها ولا تقفي بوجه سعادتها! (Strayed & Almond, 2018). والسؤال المهمّ بالنسبة إلى الفتاة التي تُعرّف نفسها بهذه الطريقة في عمر الطفولة والمراهقة، وتقوم بهذه السلوكيات؛ هل وصلت بنفسها إلى هذه الهوية أم أنّ هذه الهوية فُرِضت عليها من خلال وسائل الإعلام والأشخاص المحيطين بها؟ ألا يمكن القول أنّها تعاني من اضطراب في مقام اختيار هويتها الجنسية على أقل تقدير، وأنّه مع إنكار الاضطراب لدى هذه الحالات فإننا بدلاً من مساعدتها في الوصول إلى جنسها بشكل صحيح فنحن نسوقها نحو المزيد من الفوضى على صعيد [معرفة] الجنس؟ هل تقتضي العدالة وعدم التمييز فعلاً إعطاء المجال لهذه الهويات المصطنعة؟

لذا في الواقع فإن المنهج الذي يسير عليه الإعلام الغربي من أجل تلميع صورة هذه المسألة تحت غطاءٍ ظاهره علمي في التعامل مع هذه القضية هو التغيير الدائم للمصطلحات (من «اللواط» إلى «المثلية» و«الزواج المثلي»؛ التمييز بين «الجندر» و«الجنس»، وإنكار

pansexual - 1

transsexual - 2

الاختلاف بين الأثوثة والذكورة و...) (1) وهذا منهجٌ خطيرٌ من شأنه تقويض إنسانية الإنسان. والغريب أنهم يعترضون على الزواج في سن مبكر تحت مُسمى «زواج الأطفال» حتى لو كان الشخص قد وصل إلى مرحلة البلوغ الجنسي (2)، وفي مكان آخر من خلال الاستفادة من عبارات كـ «العلاقات الجنسية بين أشخاص بأعمار مختلفة» تقدّموا خطوة في سبيل التخلّص من قبح «التحرش الجنسي بالأطفال» واستغلال المثليين للأطفال، وفي ظلّ تغيير التعابير هذا يدّعون أنّ «التحرش الجنسي بالأطفال الذي يقوم به المثليون والقائم على موافقة الطرفين قد لا يكون ضاراً من الناحية النفسية» (3). وفي هذه الأوضاع والظروف تعلق صرخة علماء النفس أصحاب الفكر العميق «[اليوم] علم نفس العمل مليء بالقيم التي يتمّ فرضها على البحث وعلى النتائج. تعتمد كيفية تفسيرنا للبيانات التي نمتلكها [بدلاً من أن ترتبط بالبيانات التجريبية] على نظرتنا الوجودية والأمور التي يأمل الباحث أن يصل إليها من خلال البيانات... وليس لعلم النفس أية أداة لتقييم السلامة النفسية أبعد من الأحكام القيميّة» (نيكولوسى & نيكولوسى، 1396، ص. 183)

● ماهية حقوق الإنسان

مرّ معنا أن المدافعين عن تطبيع السلوكيات الجنسية مع المثيل حاولوا جاهدين الدفاع عن وجود ميلٍ طبيعيٍّ أو هويّة مشتركة حتى يتمكنوا -من خلال الاستفادة من عبارة «الأقلية» عند

1 - لمزيد من التوضيح انظر: (سوزنجى ح.، 1398 ج).

2 - لشرح كيفية استخدام هذا التفسير بشكل سيء ومنع الزواج في سن مبكر وترويج الدعاية في ذلك السن، انظر: (سوزنجى ح.، 1398 الف)

3 - هذا المضمون الذي ادّعه بروس ريند في مقال نشرته الجمعية الأمريكية للطب النفسي، وبناءً عليه فإن الجمعية المذكورة في عام 1994 في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية DSM-IV اعتبرت أن الميل الجنسي نحو الطفل مرضاً نفسياً فقط عندما يكون الطفل مشوشاً مضطرباً من الفعل أو عندما يترك أثراً على قيامه بوظائفه أو على علاقاته الاجتماعية! ونتج عن الكشف عن هذا الفعل -في DSM-IV للدكتورة لورا شلزينغر- فضيحة ضخمة لحقت بهذه المنظمة، وفي النهاية وبعد مراجعة النصّ عادت إلى تعريفها السابق: كل من يقوم بفعلٍ يمارس الجنس الطفل فيُشخص على أنّه مريض نفسياً. (نيكولوسى & نيكولوسى، 1396، ص. 181-183)

الإشارة لـ«المثليين»- من إيجاد حقّ خاصّ وإباحة هذا التصرف لهم. على الرغم من أنّهم استطاعوا التقدّم كثيراً- في النصف الثاني من القرن العشرين- في عملهم من خلال ادعاءات ظاهرها علميٍّ ومن خلال الضخّ الإعلامي، إلّا أن الكثير من الأبحاث في العقد أو العقدين الأخيرين شككت في الأسس التي تدعم ادعاءاتهم (سوزنچی ح. ، 1398ج) وعليه لا يبقى مجالٌ للقول بأنّ السلوك المثليّ حقٌّ من حقوق الإنسان.

سنبحثُ الآن المسألة من زاوية أخرى. هل إنّ مجرد وجود الميل عند بعض الأشخاص يعطي الحق بممارسة سلوك متناسب مع هذا الميل ويعطي الحق بالاعتراف بهكذا سلوك في الفضاء العام أم لا؟

رغم أنه يمكن بسهولة تبين أنّ مجرد القيام بـ«سلوك» من قبَل مجموعة يميلون إلى فعله لا يعطي الحق و يجعل هذا السلوك أمراً طبيعياً وبأن يُصبح «حقاً للأقلية»(1)، إلّا أنّ موجة الليبرالية في الغرب أسست لتصورٍ مفاده أنّ المعيار لإباحة سلوك أو منعه هو في مزاحمته لحرّيات الآخرين. أي إنّ الشخص يستطيع القيام بما يشاء بشرط ألاّ يُعرّض حرية الآخرين للخطر. بعبارة أخرى، تعدُّ الليبرالية أنّ أهمّ حقّ من حقوق الإنسان هو «الحقّ في الحرّية». وبسبب الاختلاف حول الحق ولأنه لا يمكن معرفة ما هو حقّ ممّا هو ليس كذلك، فهي تعتقد بأن الحرية لا يحدّها سوى حرية الآخرين. للإنسان الحق في الحرية؛ وبالتالي ليس لأحد الحق في منع الآخرين من القيام بالأفعال التي يريدونها حتى لو حسبها خاطئة.

وعليه فنقاشهم معنا: «قد لا توافقون على العلاقات المثلية ولكن هذه وجهة نظركم. إذا أراد شخصان القيام بمثل هذا العمل ورضيا بذلك، فلا دخل لكم بهم. يحقّ لهم أن يعيشوا بالطريقة التي يريدون وليس لك ان تمنعهم من ذلك».

وقد يعطوا نكهة أكثر إنسانية لاستدلالهم فيقولون إنّ الناس أحرار وإرادتهم حرّة، وإن قيمة فعل الإنسان في أن يختار هو عمله وليس أن يُجبرَ عليه. وبالتالي، طالما أنّ التزام الشخص

1 - على سبيل المثال، هناك في كل مجتمع مجموعة من السارقين والقتلة المأجورين الذين يتقاضون المال لقاء القتل. ولكن وجود مثل هذه السلوكيات عند بعض الأشخاص - رغم أنّ الأشخاص الذين يقومون بهذه الأفعال موجودين في كل أنحاء العالم- لا يكون سبباً لأن يتحدّث أحد عن «أقلية» من اللصوص والقتلة؛ وليس هناك من يناقش في حقوق هذه الأقلية من جهة كونهم قتلة أو لصوص.

بسلوك ومعتقدات مختلفة عمماً عند الآخرين لا ينتهك حقوقهم الأصيلة، فله الحق في تنظيم حياته وفقاً لما هو خاطئ من وجهة نظر الآخرين. وبالتالي فإنَّ خيارات الإنسان محترمة حتى لو خالفت الأكثرية؛ وعليه يجب على الأكثرية أن تحترم خيارات الأقلية المثلية وألاً تجبرهم [على شيء] رغماً عن إرادتهم (1).

أو أنهم يقولون:

البشر كلهم متساون ويتمتعون بالحقوق والكرامة الإنسانية نفسها، وإنَّ أيَّ تمييز -غير مبرر- فيما بينهم هو ظلم. ومن جهة أخرى فإنَّ الأخلاق مستقلة عن الدين ومُقدَّمةٌ عليه، وليس هنالك سبب أخلاقي عقلي مبرر لإدانة الهوية والميول المثلية، وبالتالي فإنَّ التمييز ضدَّ المثليين ينافي العدل والأخلاق (2).

تجدر الإشارة إلى أنَّ كلَّ الأقوال المذكورة أعلاه تتكئ على إدراك مفهومي «الإنسان» و«الحق»، وبسهولة يمكن إثبات أنَّ هذا الفهم إمَّا أن يسلب الإنسانية من الإنسان (وفي هذه الحالة لا معنى للكلام عن «الحق» بالنسبة إلى الإنسان) أو أن يعرّف «الحق» بطريقة لا يبقى أي معنى لاحترامه. ولأن التقارير الثلاثة -المذكورة أعلاه- في الدفاع عن المثلية تستند على

1- آرش نراقي وهو من المدافعين عن المثلية عبر عن الاستدلال بالآتي:

جوهر الليبرالية هو في الاعتراف بحق «الأ يكون على حق». يعني يجب أن يعلم أفراد المجتمع الواقع الذي يقول بأن الآخرين لا يمتلكون دائماً القيم والمعتقدات نفسها التي لدينا، وما دام التزامهم بالسلوكيات والمعتقدات لا يؤثر سلباً في حقوق الآخرين الأساسية، فلهم الحق في تنظيم حياتهم بطريقة يحسبها الآخرون باطلة. إن الاعتراف بهذا الحق أمرٌ أخلاقيٌّ. فنحن نحترم حق الآخرين في العيش وفق قيمهم ومعتقداتهم من باب الأخلاق وليس خلافاً لها. إن الاعتراف بهذا الحق الأخلاقي لا يمكن له أبداً أن يكون مخالفاً للأخلاق وعلامة على التراجع والنقص في المجتمع. (نراقي آ. ، بهار 1397، ص. 97)

2- هذه التقارير في الدفاع عن المثلية سطرها آرش نراقي؛ للاطلاع على تقريره ونقده التفصيلي، انظر: (سوزنچي ح. ، 1397). يبدو أن قوم لوط كان لهم هذا الموقف أيضاً؛ لأنهم من جهة كانوا يُصرون على العلاقات المثلية ومن جهة أخرى على عدم امتلاك الحق في بعض الموارد يقولون: «قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ» (هود: 79).

الترتيب- إلى طريقة فهم حقوق الإنسان، وعلى وجود الإرادة لدى الإنسان، وعلى الفهم الخاص للعدل والمساواة الإنسانيين، فإننا سنبحث بطلان هذا الحق من هذه الزوايا الثلاث.

■ حقوق الإنسان مسألة ذوقية أم مضطربة؟

يوجد إشكالان على الكلام الذي يعد أن معيار «الحق في الحرية» هو عدم إمكانية تحديد ما هو الحق (يختلف البشر في وجهات نظرهم ولا يتوافقون على أي حق؛ وبالتالي ليس لأحد فرض وجهة نظره على الآخرين): أولاً يحتوي على تناقض (بارادوكس)؛ فمن جهة يقول: إنَّ الخلاف مستحکم لا يزول، وليس لأحد الحق في فرض وجهة نظره على الآخرين، ومن جهة أخرى يتوقع أن نزيح خلافنا معه جانباً، ويُصرُّ على فرض وجهة نظره علينا(1).

ثانياً: إنه يقوم على فرضية خاطئة وهي أن «الحق» (وهو أمر فوق الذوق وعلى الجميع الالتزام به) يدخل في زمرة «الأمر الذوقية» (التي لا معنى لوصفها بالحق والباطل)، ونحن نعلم أنه لا حكم أخلاقي في الأمور الذوقية؛ وهذا يعني أنها -بما هي هي- ليست حسنة ولا سيئة. ولهذا فليس هناك مُسوغ أخلاقي في إجبار الآخرين على مسألة ذوقية(2).

في الحقيقة، فإنَّ الكلام السابق يفترض أن الشيء يدخل في زمرة حقوق الإنسان بمجرد أن يميل إليه؛ وعليه إذا ما كان الشخصُ محبباً لعملٍ ما، فإن القيام بذلك العمل لا يعدُّ ضرباً لحقوقه. ولكن يمكن توجيه الإشكال على هذا الافتراض بسهولة حتى في فضاء الإنسانية الغربية. فمثلاً، أليس إعطاء الطعام لمريضٍ يجهل مرضه ولا يعلم أنَّ الطعام مُسمِّ له ويمسُّ مساساً بحقوقه الأساسية ([نتكلم] عن حق الحياة هنا)؟! فهل قدّموا تفسيراً مبرراً -وفقاً لهذا المبنى- لسبب منع الانتحار، ولماذا لا يتركون للناس الحرية في هذا القرار الشخصي.

1 - أوضح آر ش نراقي في مقالة له تحت عنوان: بـ«حق ألا يكون على حق» وحاول تقديم إجابة عن إشكال التناقض «بارادوكس» في هذا المفهوم. (نراقي آ.، 1395)، وقد أشرتُ في مقالةٍ بالتفصيل إلى أنَّ دفاعه لا يستقيم أصلاً، وهذا المفهوم يحتوي على التناقض فعلاً. انظر: (سوزنجي ح.، 1397 الف)

2 - ترجع جذور هذا الالتباس إلى أنَّ الذوق هو أحد المجالات التي لنا «الحق» فيها؛ أما الحق المقصود في مجال الأدواق فهو الآتي: «التدخل غير المبرر في حياة الآخرين مرفوض أخلاقاً»؛ وليس إنَّ الحقوق -أساساً- ذوقية.

السؤال المهم الذي يتحدّى الليبرالية وادّعاءاتها -التي مرّت- بالطبع لماذا علينا أن نتحدث عن «حق في الحرية» بالنسبة «إلى الإنسان»؟ (1) إذا كان الملاك في هكذا حقّ هو كون الموجود حيّاً فلماذا لا نعترف بالحق للحيوانات والنباتات، و[لماذا] نعطي «الحقّ» لأنفسنا في تحديد حرّيتهم بل أكثر من ذلك؛ فنحن نمنعهم من ممارسة أسلوب حياتهم الطبيعي، ونربّيهم طبقاً لذوقنا تماماً ونربّيهم لنأكلهم.

يصبح الكلام عن «حقوق الإنسان» أمراً معقولاً عندما نعتقد بنحو كرامة خاصّة للبشر، فتكون هذه الكرامة -وليس الحالة البيولوجية فقط- سبباً في إيجاد قيمة و«حقّ» له، ولا يكون لغيره (كالحيوان) هذا «الحقّ». عندها وعلى أساس الإيمان بهذه الكرامة لـ«الإنسان» بعدها قيمة اجتماعية عالمية، «يجب» علينا أن نحترم حقوق البشر الآخرين.

إذا كان الأمر كذلك، فيجب معرفة ما هي هذه الخاصية، وعندها فقط يمكن احترام أي شيء بعده «حق للإنسان» في حال كان ينشأ مع تلك الخاصية ويتماشى معها أو ألاّ يعارض تلك الخاصية على أقلّ تقدير. وجوابنا هو أنّ للإنسان جنبه أرقى يُعبّر عنها في الأدبيات الدينية بالفطرة. في هذه الجنبه -وخلافاً للحيوان- ليست كل حاجات الإنسان بالفعل وليست محدودة بمجال الحياة الدنيوية والمادية؛ ولكنّ وجود هذه الحاجات الحقيقية التي تحدّد له توجّهاته الواقعية يعطينا الحقّ باعتبار بعض الحيثيات مبررة وبعضها الآخر غير مبرر. هذا والحال أنّه من وجهة نظر إنسانية؛ ليس للإنسان كرامة خاصّة وأعلى سوى بالتفوق الدارويني؛ أي أن الإنسان وبالمقارنة مع سائر الحيوانات قد حصّل القدرة على عيش حياة اجتماعية

1 - ويمكن توجيه هذا النقض إلى الليبرالية من زاوية أخرى: إذا كنتم تعدّون أن الحرية أهمّ حق من حقوق الإنسان، فلماذا تقيّدونه بضرورة عدم التعرّض لحرية الآخرين؟ إذا أجابوا: لأن الشخص يقابله إنسان، فنسأل عن المعيار في كون المخلوق إنساناً بحيث تمنعني «الحرية» من الاعتداء عليه.

فإن كان معيار كون المخلوق إنساناً هو الجلد واللحم فقط، أو هذا البدن أو تمتّعه بالحياة، فما الميزة التي يتفاضل بها هذا البدن الحي على بدن الغنم والنبات والجزر؟! وإن كان هذا الحق بسبب «الإنسانية» التي يتمتّع بها، أي أنّها خاصية منحصرة بالإنسان فقط وليست موجودة في سائر الكائنات الحيّة (الحيوان والنبات)، فالشيء الوحيد الذي يمكن حسبانته حقاً هو الذي يتماشى مع هذه الخاصية المنحصرة بالإنسان.

مبنية على العقد [الاجتماعي] (سوزنچی ح. ، 1398د). و بالطريقة نفسها تنظر الليبرالية إلى الحق على أنه تابع للعقود [الاجتماعية] بين الأفراد فقط. ويصبح «الحق في الحرية» أهم حق بالاعتبار الإنساني، وتترك هذه الاعتبارات أثراً كبيراً على الواقعات العينية للإنسان، بحيث يسمح [الإنسان] لنفسه أن يفرق بين «الجندر» و«الجنس» (أي المتن الواقعي الطبيعي للإنسان)، وأن يزرع فكرة «إنسان بلا جنس» (1). ولكن هل يبقى الإنسان إنساناً واقعاً لو كان بلا جنس؟ وهل يمكن الدفاع عن إيديولوجية تدفعنا نحو «الحياد الجنسي» (2) (أي أننا لا نستطيع تقسيم البشر وسلوكهم بحسب الجنس إلى رجل وامرأة، وعلينا أن نحذف التمييز الجنسي من اللغة)؟ (3) إذا لم يكن لـ«الإنسان» أي أفضلية على الحيوانات سوى الأفضلية الداروينية فلماذا يجب على الآخرين أن يعترفوا بـ«الحق في الحرية» بالنسبة إليه؟! إذا كان معياراً أفضلية الإنسان على الحيوان هو -فقط- تطوره الدارويني عن الحيوانات، فوفق هذا المعيار يكون البشر المتطورون جينياً عن الآخرين أصحاب حق أكبر! وهذا هو المنطق الذي برّر استعمار الأوروبيين للشعوب الأخرى على مدى سنوات (اريكسون & نيكسون، 1387). وإذا غضينا النظر عن أن هذه الدعوة فقدت بريقها اليوم، فبهذا المنطق لا يبقى هناك مجال للدفاع عن حقوق الأقليات والذي يُراد من خلالها الدفاع عن المثليين بوصفهم أقلية. بعبارة أخرى، إذا كان معيارُ الحق في المنطق الدارويني هو الوصول إلى الرغبة واللذة أيضاً، و«الحق» ينشأ فقط على أساس العقود [الاجتماعية] بين الناس، فإن مبدأ التنازع للبقاء سيكون هو الحاكم، وفي كل مرة يستطيع شخصٌ ما أن يتفوق على العقود (من خلال الإعلان أو القوة أو...) فإن «الحق» سيتبدّل، وينتج عن هذا التحليل أن القوة -كالوضع عند الحيوان- هي صاحبة الكلمة العليا عند الكلام عن «الحق». وبالطبع، نظراً إلى تعقيد الحيثيات البشرية، فإن منطق القوة ليس عبارة عن القوة المادية والجسدية فحسب، بل ولأنّ الفهم الإنساني يحيط بالحيثيات فستكون الكلمة العليا للسلطة والمال والعلام و... فيما يرتبط بحياة البشر،

gender-deprived - 1

Gender Neutrality - 2

3 - قدّم المؤلف في مقالته «جنسيت وفطرت؛ غامى به سوى يك «نظريه جنسي» اسلامي» نقداً مفصلاً وحوال التقديم خطوات في اتجاه تقديم نظرية منافسة. انظر: (سوزنچی ح. ، 1398ب).

وليست لـ«العقد الحيادي بين الناس». ومن هذا المنطلق يتضح أنه لن يكون لـ«الأقلية» من جهة كونها «أقلية» أي حق، بل بطبيعة الحال ستُسحق في قبال منافع المقتدرين. وما يهمُّ الآن هو كيفَ أنَّ الدفاعَ عن الأقلية الجنسية اليوم يتمُّ انطلاقاً من منطلق أول ما يلزم عنه هو عدم الالتفات إلى الأقليات وسحقهم؟ أليس هذا بدليل على أننا أمام بنية اجتماعية أكثر ممّا نحن أمام مسألة حقوق إنسان، وأنه قد أعاد البعض إنتاج هكذا أقلية لتحقيق منافعه الشخصية؟!

■ وجود الإرادة لدى الإنسان يقتضي الحرية أم الحق في الكمال؟

اتضح من البحث السابق أنّ مجرد «الإرادة» (بمعنى أنّ الشخص يستطيع القيام بأيّ فعلٍ يريد في حال امتلاك القدرة) ليست مبرراً مناسباً لـ«الحق في الحرية» -الذي يجب على الآخرين رعايته-؛ لأن الحيوانات تمتلك هذا المقدار من الإرادة وليس هنالك فرق بين الإنسان والحيوان من هذه الجهة. وعليه يمكن أن يكون وجود «الإرادة» مبرراً لحصول الإنسان على حقّ خاص فقط فيما لو قلنا بأن: «الإرادة» هي أكثر من مجرد «الميل» الموجود عند الحيوانات. «الإرادة» التي تجعل الإنسان أشرف من الحيوان بل ومن الملائكة هي التي تفتح له الطريق للقيام بالأفعال التي يمكن لعقله أن يُشخّص حُسنها وقُبْحها بشكل صحيح، ويستطيع بمساعدة عقله القيام بالفعل الذي شخّص حُسنه ولو كان على خلاف ميله وعلى خلاف حاجات محيطه.

بمعنى آخر تأخذ الإرادة أحياناً شأنًا أكبر من الميل الحيواني عندما ترتبط بطريقة ما بـ(التعالّي) الإنساني والتشخيص الواعي ومن ثمّ اختيار هذا الـ(تعالّي): أي يمكن للإنسان أن يتعالّى من خلال العمل (خلافاً للحيوانات) ويمكنه التشخيص، ويمكنه أيضاً ألاّ يعمل بما يتطلبه التعالّي (خلافاً للملائكة)، وحينها عليه أن يُرجّح التعالّي الذي شخّصه ولو كان على خلاف ميله.

ولذلك فإنّ أساء الإنسان استخدام إرادته فهو أضلُّ من الحيوان (الأعراف: 179؛ الفرقان: 44). وهذا ليس طرْحاً داخل الدين فقط، فالكل يعرف أن إنساناً كصدامٍ سهل عليه تعذيب آلاف الأبرياء أو قتلهم من أجل لذته ومن أجل السلطة يكون أدنى من الحيوانات.

القضية تكمن في أنّ مجرد امتلاك الإنسان لـ«القدرة على شيء معين» فهذا لا يعني امتلاكه «الحق في ذلك الشيء». ألم يكن لصدام القدرة على قتل آلاف الأبرياء؟ وبالتالي هذه القدرة وفّرت إمكانية أن يُصبح «ذي الحق» فقط. وكما فصلتُ في مكان آخر، فإنَّ أصلَ الإرادة مرتبطٌ بشيء اسمه «الجهاز النفسي» المشترك بين الإنسان والحيوان وهو الذي يدفع الإنسان إلى القيام بالأفعال. وهناك تُطرح مسألة «الحق» (حقوق الإنسان) المبنية على امتلاك الفطرة والروح الإلهية (سوزنجي ح. ، 1398د).

الآن إذ قبلنا بالفطرة الإلهية وبكرامة خاصّة للإنسان - بوصفها الأمر الوحيد الذي يمكنه تبرير «حقوق الإنسان» باعتبارها أمراً مقدساً عالمياً مُلزِمٌ للجميع -، فالحق الأساسي للإنسان ليس «الحق في الحرية» بل «الحق في الكمال»؛ أي الحركة الوجودية في طريق التعالي، ولأنَّ الكمال الحقيقي القويم يتحقّق عندما يختار الإنسان بشكل واعٍ وحرّاً، فحينها يأتي الكلام عن «الحق في الحرية». إلّا أنّ معنى «الحق في الحرية» لا يمكن تبريره إلّا في ظلِّ مطلب «الكمال». وعليه فإنَّ «الحق في الحرية» نفسه ليس بمعنى «الحق في» القيام بما يريد و«كونه مُحقّقاً دائماً» (حتى مع كون اختياره مضرّاً بتعالیه)، وبالتالي يوصله إلى نتائج كـ«حق اللواط» أو بتعبير أكثر عصرية «الحق في القيام بسلوكيات مثلية»؛ بل:

إذا كان «الحق في الحرية» مبنياً على الكرامة الإنسانية، فهو يعني ببساطة «السماح» بارتكاب الخطأ [عند الاشتباه]؛ بمعنى:

إذا أخطأ في اختياره فلا يعاقب على هذا الخطأ؛
وليس أنّ نتيجته الخاطئة تعدُّ أمراً صحيحاً ومشروعاً؛ وأن هذا الخطأ أبدع له حقاً خاصاً!
وليس الأمر أن يُسمح له بـ«تثبيت الاضطرابات النفسية» و[بارتكاب] «الخطيئة» و«الذنب»
(أي الفعل الذي يعلم قبحه وليس يجهله ليُقَال بأن فعله مصداق لـ«الاشتباه»!)
وليس الأمر بحيث لا يكون مسؤولاً عن الآثار الجانبية التي تنتج عن ارتكابه للخطأ(1).
وما يهمُّ في المقام هو أن الحياة الإنسانية مرتبطة بالاعتبارات وهذه الاعتبارات يمكنها أن تتحول شيئاً فشيئاً إلى ميلٍ داخليٍّ عند بعض الأفراد من خلال تشكُّل بعض السلوكيات

1 - وشبهه ما لو تعرّض شخصٌ ما لحادث سير بسبب الخطأ في القيادة ولم يكن قد تجاوز القانون، ولكنه أوقع خسارة على الشخص الآخر؛ فهو لم يرتكب ذنباً ولا جرماً ولكن مع ذلك عليه أن يجبر خسارة الشخص الآخر.

والإصرار عليها؛ ومجرد وجود ميلٍ داخليٍّ عند بعض الأشخاص لا يعني أنه مبرر، فلو كان الأمر كذلك، ففي المجال النفسي لا يمكن حمل أيِّ مرضٍ أو اضطراب على أنه مرض. بعبارة أخرى فإن أتباع الليبرالية فهموا أن «جواز ارتكاب الاشتباه» يعني «حق فعل الخطيئة»، أو أنهم اعتبروهما أمراً واحداً. في حين لو غضينا النظر عن الأمور الذوقية (التي لا معنى للحق والباطل فيها)، وذهبنا إلى المجالات التي يكون فيها أداء هذا الفعل أو ذلك مؤثراً حقاً في الحياة، ويكون القيام بالأفعال الصالحة والباطلة ذا معنى (وهذه الساحة من أهمّ ساحات الحق)، فلا شك أن للإنسان الاختيار في هذه الساحة. ويلزم من امتلاك الاختيار أنه عند القيام بفعلٍ ما، غالباً ما يكون هناك طريقتان؛ الأولى يؤدي الأثر المطلوب والآخر يؤدي الأثر السيء. وفي الوقت نفسه، فإنّ تقدير عقل الشخص وانتخابه يتوقف على أن نسمح لأنفسنا بالـ«التشخيص» واختيار «الطريق الأفضل». في الواقع، بمجرد أن نتحدّث عن «التشخيص» فإننا دخلنا مجال «اتخاذ القرار العقلاني المبني على الإدراك» وليس «اتخاذ القرار العاطفي» أو الذوقي فقط. بعبارة أخرى، إذا كان السبب المعتبر في تمكين الناس من اتخاذ القرارات هو تحسين إدراكهم العقلي وتعزيز قدرتهم على التشخيص (حتى يتمكنوا بقراراتهم من الوصول إلى «التشخيص الأفضل»)، ولذلك هناك خيار «أفضل» و«أسوأ»، والغرض من السماح بالاختيار أن يتحسن الشخص فكرياً بالتدريج ويختار «الأفضل». وعليه، عندما نسمح لأحدٍ ما بالاختيار فنحن نقبل بارتكابه لـ«الاشتباه»، ولا نلومه بسبب ارتكابه هذا الاشتباه. ولكن هذا لا يعني أن نعتبر «اشتباهه» «صواباً» ولا يعني ألا نخبره بخطأ فعله. وإذا كان المفترض أن يتمّ «السماح» للناس بارتكاب الأخطاء لكي يفهموا خطأ أفعالهم، وبعد أن يفهموها يمكنهم اتخاذ «الخيار الصحيح»؛ وليس معنى مجرد الاختيار وأنه لا يستطيع الوصول إلى الحق.

■ لزوم احترام كرامة الإنسان والعدل والمساواة بين الناس

مرّ في الأبحاث السابقة أننا عندما نتكلّم عن ضرورة العدل والمساواة بين الناس فإننا نتحدّث عن صعيد حقوق الفرد و«حقوق الإنسان»، وأننا لا نعترف بهذه الحقوق بالنسبة إلى الحيوانات، وأننا نعطي لأنفسنا الحق في أكل الحيوانات وتربيتها. في الحقيقة، إذا أخذنا مجرد القدرة على الفعل بعين الاعتبار، وكان معيار الاعتبار عبارة فقط عن الفعل على أساس

اللذة والرغبة، فهذا ما يمتلكه الحيوان بالضبط؛ وعليه ينبغي أن يكون هناك جنبه أكثر شرفاً عند الإنسان، بحيث يمكننا الحديث في هذه الجنبه عن الكرامة والأفضلية الذاتية للإنسان، ولا يكون هناك قيمة للعدل والمساواة بين الناس إلا عندما يتم مراعاة متطلبات تلك الجنبه؛ فمثلاً، هل هناك عاقل يقبل [بأن يكون هناك] شخصٌ يوهن الناس جميعاً وعند الكلام عن القتل والسرقة فإنه لا يُفرّق بين مختلف البشر، وأن يحترم المساواة والعدالة بين الناس؟ مع الأخذ بالحسبان أننا أشرنا في البحوث السابقة إلى أن وجود ميل [مثلي] عند بعض الأشخاص يعود إلى قديم الزمن، وعليه ذهب بعض أنصار المثلية في تبرير احترامها من جهة العدل إلى وجوب التفكيك بين «الجنس مع المثل لأجل المتعة» وبين «المثلية»: فالشخص الذي يمارس الجنس مع مثيله فقط لأجل المتعة والشهوة [وما يقوم به حينها هو اللواط بعينه ولا ينبغي أن يُشرع قانونياً]، أمّا «المثلي» فهو الشخص الذي يمتلك هكذا ميول منذ البداية (جبلي، 1397، ص. 60)، والعدالة تقتضي أن يستطيع هو أيضاً أن يشبع حاجته الجنسية بحسب ميله الداخلي. في الحقيقة، هنا تكمن القصة: ألا يقتضي العدل أن يكون الأشخاص ذوي الميل الداخلي -على الأقل- أحراراً في القيام بسلوك جنسي مثلي؟

وفي معرض الرد عليهم يجب الإشارة إلى نقطتين:

أولاً: وكما بيّنت بالتفصيل في مكان آخر فإنّ الميل الجنسي نحو المثل عند هؤلاء الأشخاص هو مرضٌ واضطراب وليس حالةً طبيعيّةً (سوزنجي ح. . 1398ج)؛ وعندما نواجه مرضاً قطعاً لا يمكننا القول بأنّ العدالة تقتضي أن نترك المريض مع مرضه ونفسح المجال لمرضه. السمّنة مرض أيضاً، وبعض الأشخاص الذين يعانون من السمّنة لديهم ميل جنسي كبير نحو الأكل؛ فهل يقتضي العدل أن نسمح لهم أن يأكلوا بقدر ما يشتهون؟ نعم، قد يمكننا النقاش في أنّ قيام هؤلاء الأفراد -الذين يمتلكون واقعاً مثل هذا الميل الداخلي- بهذا السلوك هل يعدُّ جرماً أم لا؟ وفي إمكانية تخفيف [العقوبة] لهم؛ ولكن ومهما كان، فلا يمكن الحديث عن «حقّ» يسمح لهم بالقيام بمثل هذه السلوكيات ببساطة وبشكل تام.

ثانياً: يجب الالتفات إلى أنّه وفي مقام تشريع القوانين الاجتماعية لا ينبغي بحث العدالة

من الجهة الفردية فقط؛ بل قد تقتضي المصلحة العامة أحياناً وضع قانون يُعدُّ مصداقاً لظلم الفرد في حالات نادرة، ولكنّ عدم تشريعه يخلق مشاكل أكثر بكثير. لا أحد يُعدُّ مثل هذا القانون مجحفاً بسبب استثناءاته ويطالب بإلغائه. فمثلاً انظروا إلى قانون منع تجاوز الإشارة الحمراء: قد تضطر في بعض الأحيان للمرور والإشارة حمراء لإيصال ابنك للمستشفى لأنّه مُعرَّضٌ لخطر الموت. أنت لديك سبب وجيه لكسر هذا القانون، ولكن هذا لا يعني ألاّ تسطر الشرطة لك جريمة (فعندها، سيطلب كل من يريد قطع الإشارة الحمراء من ابنه أن يفقد وعيه!). في مثل هذه الحالات لو أمكن فصل الاستثناءات المنضبطة فعندها نضع لها قانوناً خاصاً (كجواز عبور الإشارة الحمراء من قبل سيارة الإسعاف)، وأما إذا لم نتمكّن من ذلك فلا يجدر التلاعب بالقانون لأجل الحالات غير المنضبطة (كالمثال السابق). وكما أشرنا فإن إقامة العلاقة الجنسية مع المثلث تلازم الكثير من الأضرار الفردية والاجتماعية، أولاً هذه المضار متوجهة للذي يمتلك ميلاً مثلياً نفسه، وثانياً وبغض النظر عن عددهم القليل بالنسبة إلى المجتمع، فإن معرفة «مثلي الجنس» ممّن «يمارس الجنس مع مثيله دون وجود الميل حقيقةً» صعبٌ (1) جداً بحيث لا يمكننا بحجة وجود هؤلاء أن نسمح بانجرار المجتمع بأكمله إلى مستنقع الفساد.

هذا ونحن تجاوزنا عن الأضرار المعنوية التي تناولتها الأديان السماوية، وفي الحقيقة فإنّ واحدة من الأسباب التي تدفع الإنسان العاقل إلى الرجوع إلى الدين هي وجود هذه الحقوق الأساسية للإنسان، بل وجود هذه الآثار السيئة -بعبارة أخرى- والتي قد لا تخطر على بال الإنسان للوهلة الأولى بل وقد يحسبها أمراً حسناً. يمكن القول: إنّ تعقيد مجال الفعل أهم سبب للرجوع إلى التشريعات الإلهية. يقول الله تعالى: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ» (البقرة: 216)، إذا التفت الإنسان إلى هذه القاعدة القرآنية -وهي ليست أمراً تعبدياً بل إنها تشير إلى حقيقة واقعية تعيشها البشرية جمعاء- فحينها سيترف على الفور بأنّه لا يستطيع الحكم على الشيء بأنه «حق» و«مطلوب» وفقاً لما يرغب فقط. كلنا مررنا بتجارب في حياتنا قد أحببنا فيها شيئاً ما وط سعينا وراءه وأحياناً وصلنا إليه، ولكننا أدركنا فيما بعد أنّه سيء بالنسبة إلينا، أو العكس صحيح؛ وغالباً ما نقول

1 - تمّت الإشارة إلى أنّه في مجتمع إحصائي معيّن في أمريكا، فإنّ 81% من الفتيات و75% من الفتيان بعدما عرفوا أنفسهم على أنّهم مثليون خخلسنة أو لعدة سنوات بدّلوا رأيهم بشأن ميولهم الداخلية.

لأنفسنا بعد الندم: يا ليتته تمّ تحذيرنا من هذه العواقب قبل إقدامنا [على العمل]. بالمناسبة، في الكثير من الأحيان كان هناك من يحذرنا ولكننا لم نأخذ كلامه على محمل الجد؛ لأننا لا نقبل بأنه أعلم منا. ولكنّ الإنسان المؤمن يعلم بأن الله موجود وأنه أعلم منا في كل شيء؛ ولهذا ففي تتمّة هذه الآية يقول مباشرة: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فصحيح أنك قد ترغب أحياناً بشيءٍ ما فيكون ضاراً والعكس صحيح؛ ولكن لا تقلق لأن الله عالم ورحيم، فإذا كنت لا تعلم فهو العالم بشكل شيء. فثق به. وإذا منعك عن أمرٍ ترغب به، فإنّ ذلك لمصحتك أنت فقط، وليس له فيه مصلحة فهو الغني المطلق.

تلخيص واستنتاج:

أشرنا في هذه المقالة أولاً إلى الفصل بين السلوكيات الجنسية، والميول المثلية، وهوية الشخص المثلي، وأشرنا إلى التطورات التي أدت إلى تقنين زواج المثليين في المجتمعات الغربية. المدافعون عن تطبيع السلوكيات الجنسية مع المثيل لم يكتفوا بالدفاع-الجاد والحديث- عن وجود ميل طبيعي أو هويّة مشتركة تمكّنهم من إطلاق تعبير «الأقلية»، بل إنهم واعتماداً على الفكر الليبرالي شيّدوا أسساً تقول بأنه: حتى لو لم نتمكّن من تبرير هذا السلوك على أساس وجود الميل الداخلي، فمن حق الأشخاص الذين يرغبون بالقيام بهذا الفعل أن يقوموا به بحرية ما دام لا يؤذي الآخرين وليس لأحد أن يمنع حريتهم. بينما رأينا أنه يكون لـ«حقوق الإنسان» صفة ملزمة للجميع بحيث يجب مراعاتها فقط حينما تُطرح بوصفها مسألة متعالية؛ وبالتالي لا يبقى هناك مجال للدفاع عن المثلية، حتى لو طرحت في أفق احترام الرغبات الشخصية واتباع الأعراف الإنسانية البحتة، فهي لا تملك صفة الإلزام للذين يخالفونها، واستناداً إلى هذا المنطق لا يمكن الكلام عن احترام حقوق الأقليات. بعبارة أخرى، منطقياً يمكن الدفاع عن احترام حقوق الأقليات عندما نعتزف بالجانب المتعالي للإنسان؛ وعليه فالحرية التي تخالف سير التعالي للإنسان وكماله الحقيقي لا يمكنها تبرير أي حق للإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

- ▶ Chalabi, M. (2013, May 23). Gay Britain: what do the statistics say? The Guardian.
- ▶ Jeffrey M. (2017) Jones. (22 May, 2017). In U.S., 10.2% of LGBT Adults Now Married to Same-. Gallup.
- ▶ McCarthy, J. (2019, May 23). Two in Three Americans Support Same-Sex Marriage. Gallup.
- ▶ Michael J. (2013) Klarman. (2013). How Same-Sex Marriage Came to Be. Harvard Magazine.
- ▶ Peter (2011) Sprigg. (2011). Debating Homosexuality: Understanding Two Views. United States.: Family research council.
- ▶ Phil (2013) Hickey. (2 January, 2013). Homosexuality: The Mental Illness That Went Away. Behav-iorismandmentalhealth.com.
- ▶ Sprigg, P., & Dailey,, T. (2004). Getting it Straight: What the Research. Family Research.
- ▶ Strayed, C., & Almond, S. (2018, Dec. 24). My 15-Year-Old Daughter Told Me She's Pansexual and Dating a Transgender Boy. I'm Struggling. New York Times.
- ▶ Ward, B., & et. (2014). (July 2014.). Sexual Orientation and Health Among U.S. Adults: National Health Interview Survey (2013). National Health Statistics Reports. No.77.
- ▶ Winerip, M. (. (2012, November 26). Gay support for clinton holds in Middle America. New York Times.

◀ توماس هیلند اریکسون، و فین سیورت (1387) نیکسون. (1387). تاریخ انسان شناسی (از

- آغاز تا امروز). (علی بلوکباشی، المترجمون) تهران: نشر گل آذین.
- ◀ جبلی، س. (1397). شناسایی و تبیین ابعاد هویت در جوانان پسر با گرایش به هم جنس، پایان‌نامه کارشناسی ارشد مشاوره خانواده. دانشکده روان‌شناسی و علوم تربیتی دانشگاه تهران.
- ◀ حسین (1397 الف) سوزنچی. (11 دی، 1397 الف). تلاشی ناموفق در دفاع از پارادوکس حق ناحق بودن. سایت حسین سوزنچی.
- ◀ حسین (1398 الف) سوزنچی. (24 اردیبهشت، 1398 الف). شبهه کودک‌همسری و جواز تمتع از نوزاد در فقه. سایت حسین سوزنچی (souzanchi.ir).
- ◀ حسین (1398 ب) سوزنچی. (1398 ب). جنسیت و فطرت، گامی به سوی یک «نظریه جنسی» اسلامی. در دست چاپ.
- ◀ سوزنچی، ح. (1397، دی 15). اسلام، اخلاق، و هم‌جنس‌گرایی، نقدی بر آرش نراقی. سایت حسین سوزنچی.
- ◀ سوزنچی، ح. (1398 ج، در دست چاپ). رابطه جنسی دو ه‌مجنس؛ بیماری یا طبیعی.
- ◀ سوزنچی، ح. (1398 د، در دست چاپ). فطرت به مثابه یک نظریه انسان‌شناختی رقیب برای علوم انسانی مدرن.
- ◀ محمد بن یعقوب الكليني. (1407، ج 5). الكافي. تهران: دار الکتب الإسلامية.
- ◀ نراقی، آ. (1395، مهر 25). پارادوکس مدارا. سایت صدا نت.
- ◀ نراقی، آ. (بهار 1397). مسئله هم‌جنس‌گرایی در اندیشه شیعی ایران معاصر. فصلنامه ایران‌نامگ.
- ◀ نیکولوسی، ج. & نیکولوسی، ل. (1396). فهم هم‌جنس‌گرایی و راهنمایی والدین برای پیشگیری از آن. (م. بدره، مترجم) تهران: آرما.

الخطاب الأخلاقي في الفكر الغربي الراهن: جدل الأسس والمآلات

■ الدكتور سمير بلكفيف

باحث وكاتب في الفلسفة، جامعة السوربون، باريس.

ملخص

يرتكزُ هذا المقال على تحليل العلاقة بين مفهوم الطبيعة البشرية ومجالات تأويلها أخلاقياً، ومحاولة رصد التحول الجذري في مفهوم الطبيعة البشرية، تارة تحت وقع الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية والسياقية، والجندرية تحديداً، وتارة أخرى تحت وقع الثورة البيوتقنية. إنَّ تشبُّتَ الاتجاهات في الفلسفات الأخلاقية من حيث تنظيرها لأسس السلوك الأخلاقي، ينعكسُ بشكلٍ مباشرٍ على كثيرٍ من الحدود المتخيلة للمسؤولية الأخلاقية والمعايير التي على أساسها ينضبطُ الفهمُ للطبيعة البشرية وثباته عند حدٍّ مُعين. لذلك سنتوقف عند التحول القيمي في الخطاب الأخلاقي المعاصر، أي ذلك الانزياح من المفهوم الكلاسيكي والحديث باعتبار الطبيعة البشرية جوهرًا وماهية، عقلاً أو حساسية -حيث تحدد دلالتها الميتافيزيقية- إلى المفهوم المعاصر الذي أصبحت تحدد فيه علمياً، كبيولوجيا معقدة أو كحصيلة تنشئة سوسولوجية مركبة. ومهما يكنُ، فإنَّ هذه الإحالة العلمية للطبيعة البشرية قد زعزعت الكثير من القيم الأخلاقية الكونية اليوم، وشككت في جدوى المبادئ الأخلاقية الكلاسيكية، وما صاحبها من تحولات في بنية الأسرة ومفهومها، وفي بعض أشكالها الراهنة، وفي طبيعة الذكورة والأنوثة، والعلاقة بين الجنسين.

الكلمات المفتاحية:

الأزمة، الفلسفة، الفكر الأخلاقي الغربي، الطبيعة البشرية، الجندر.

مقدمة

يشيرُ الفكر الأخلاقي الغربي المعاصر إلى جملة التيارات الفكرية والفلسفية الأخلاقية، والتي ظهرت منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين. فقد ولدت في مناخ الفكر النفعي الأنكلوسكسوني، وسعت إلى أخلاق على أساس تدبير شؤون الحياة، ثم ظهرت في ميادين الانتقاد، مثلما هو الحال مع نيتشه وفرويد وسارتر وغيرهم، متعارضة مع المثالية الأفلاطونية، ونظرة العالم المسيحي الوسيط، وفلسفة الفاعل والتفكير المتعالي في العصر الحديث (مصدق، 2005). وبالرغم من أن الفلسفة الأخلاقية كان قد هجرها قسمٌ كبيرٌ من المفكرين الغربيين في فترة ما بين الحربين باسم تجديدي، فقد عادت إلى الظهور في الوقت الراهن. نتج هذا الانبعث عن ظواهر اجتماعية كثيرة وجديدة، مثل أفول الإيديولوجيات والمثاليات والسرديات الكبرى، وصعود النزعة الفردية، والتقلبات التي شهدتها العائلة والأسرة، وكذلك مسألة الإنجاب الاصطناعي والتعديلات الجينية، ومشاكل البيئة والمناخ والحروب.

لقد تأسس الفكر الأخلاقي المعاصر في جزءٍ منه على الانزياح عمّا هو طبيعي وثابت إلى ما هو ثقافي، اعتباطي ومتغير، أي على الموضوعية المنهجية للعلوم في التنصّل ممّا هو ثابت ميتافيزيقياً باعتباره تقليدياً فلسفياً (العقل، الإرادة، الواجب، الحرية)، والبحث فيما هو متغير، ووفق ما هو متغير أيضاً (التنشئة الاجتماعية، السلوك الوصفي، المسموح والممنوع... إلخ) باعتباره علمياً، وفق هذا المنحى المنهجي والعلمي الجديد الذي يأخذ من التغير منطلقاً تفسيريّاً، بينما يتوارى الثبات في الميتافيزيقا، في النومين أو في المتعذر فهمه، وفي خضم هذا التحول، تنزاح القيم الأخلاقية أيضاً من أفقها المعياري (ميتافيزيقا الأخلاق) إلى مدلولاتها الوصفية السلوكية (علم الأخلاق).

■ أولاً- أزمة الفكر الأخلاقي المعاصر، التشتت وتضارب المعايير:

علينا أن نُميِّزَ منذ البداية بين تنوع المعايير وبين تشتتها، ففي حين تكون الحالة الأولى مكسباً لقيمة الاختلاف والتعايش، تكون الحالة الثانية سبباً للتضارب والتصادم، والذي يقود إمّا إلى صراع واستبداد قيم بأخرى، أو يؤدي إلى فقدان الأمل في أي معيار، نتيجة الفوضى القيمة. وبالفعل، فإن أهم سمة أخلاقية للعصر الراهن، هي الفراغ الأخلاقي النظري، وفي هذا الفراغ واللاشيء والعدمية تولد الأخلاق المعاصرة، حيث تتلاشى الأسس المعتادة، الأنطولوجية والدينية. إنَّ الأزمة التي يعيشها الإنسان المعاصر في «ما بعد الحداثة» هي أزمة في الأسس، وأزمة في الحقوق وفي مفهوم العدالة، وهي أزمة تحفر في صميم الأخلاق النظرية، حتى انعدمت الأسس والمعايير ذاتها، أو هو عصر العدمية الذي أشار إليه «نيتشه». ومنها أيضاً بدأت تشكل القيم الجديدة، وهو ما عبّر عنه «هانس جونس» من أننا «نرتعد الآن في عراء العدمية» تتزوج فيها أكبر قدراتنا مع الفراغ الذي نحيا فيه. في صميم هذا الفراغ وفقدان المعنى تظهر القيم على أنها غير ذات أساس، فقد أظهر لنا «ليوتار» غياب المنظومات الكبرى والسرديات الشمولية، وموت الإيديولوجيا، وأبعدت المذاهب والمنظومات الكبرى، وذلك من أجل تبرير شرعية الواقع، (هابرماس، 2006). وربما هو الأمر الذي دفع بفيلسوف بحجم «هيدغر» إلى السكوت عن المسألة الأخلاقية، وكأنما هي أمر وليّ وانتهى، أو هي من بقايا عصر ما قبل التقنية. وإذا كان كنانط قد بشر بعصر نهاية الميتافيزيقا بمفهومها النظري، وهيجل قد أعلن عن نهاية التاريخ، فإننا مع هيدغر نشهد عصر نهاية الأخلاق نفسها، (دورتي، 2009).

إذا جئنا على الوضع الأخلاقي المعاصر فإننا نجدّه يتميز بضرب من المفارقة المحرّجة ما بين زخم النظريات وتنوعها، وضرب من «الفراغ الأخلاقي» أو ضياع البراديجم الذي من شأنه أن يُوجّه الإنسانية الحالية الوجهة الكفيلة، بتحمّل ضخامة بضخامة تكنولوجيا عصر التقنية وهول نتائجها. أمّا عن الزخم الأخلاقي فإنه يتجلّى بعامّة من جهة التقليد الأوروبي الذي يتراوح ما بين إعادة الاعتبار للفلسفة العملية-السلوكية، مثلما الأمر لدى «هانز جورج غدمير»، و«حنّا آرندت»، وأخلاق الحوار مع «كارل أتو آبل»، و«يورغن هابرماس» (1). ومن جهة ثانية يتجلّى هذا

1- إن كتاب هابرماس الذي يحمل عنوان: «إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة»، هو في حقيقته عبارة عن مجموع

الزخم الأخلاقي في التقليد الأنجلو أمريكي الذي يُمثله كُُلُّ من المذهب النفعي والتعاقدي، بالإضافة إلى أخلاقيات الطب والبيئة (بنشيخة المسكيني، 2006). لذلك فإنَّ السؤالَ الفلسفي المتبقي أخلاقياً هو الآتي: كيف يمكن لوعي ما بعد الحداثة أن يكافح في آن معاً تهديد الفراغ الوهمي، باجتياحه لكل لحظة، من ناحية، وتهديد الفراغ الحقيقي نفسه بالانزياح من العدمية إلى الانهيار اللامتناهي (صفدي، 1990)، ومن سؤال الإنسان الأعلى والمؤله إلى سؤال ما بعد إنساني وما بعد ثقافي، وزوال ما هو إنساني، لتُصبح فيه التقنية سيد الموقف والقرار والتشريع. كيف يمكن في عالم توقف عن الرجوع إلى الغايات، وفقد كل أساس إلهي عن تقديم صياغة للأخلاق النظرية؟ أو كيف نتكر أخلاقاً نظرية جديدة؟ وكيف يمكن تحريك هذا العصر أخلاقياً في الوقت الذي دخل مسبقاً في الإفلاس الأخلاقي؟

بالرغم من ذلك، فإننا نلاحظ عودة هابرماس إلى مشروع الحداثة، إذ يتساءل: فكيف يمكن مثلاً لأفكار كانت الأخلاقية أن تعاود إلقاء الضوء على الوضع الراهن للإنسان؟ وكيف ينبغي إعادة صياغة هذه الفكرة نظراً إلى الوضع العالمي الحالي، والتي يمكن لها أن تشكل الوضع البديل؟ وكيف يمكن إعادة الوصل بين القانون والأخلاق بطريقة حقوقية أكثر واقعية، خاصة فيما تعلق بمفهوم حقوق الإنسان والعدالة؟ وعلاوة على ذلك، كيف يمكن اعتبار الكانطية اليوم توفر المفتاح لما بعد نقدي بدلاً من نسق إنساني من الحجج القانونية السلمية التي كانت لها كفاءتها التاريخية (Habermas 1996)، لكن هناك رهانات وتحديات أخرى تواجه الفكر الأخلاقي اليوم، مثل أخلاقيات وآداب البحث البيولوجي، وحماية المحيط والتقنيات الجديدة والإنسانية، وبإمكانها أن توفر لنا نظريات ورؤى مثل «مبدأ المسؤولية لـ» جوناس»، وأخلاق

المحاضرات التي ألقاها هابرماس في باريس في سنة (2001) بدعوة من مركز جورج بومبيدو الدولي بغرض الاحتفاء بكتابه الذي كان قد ظهر آنذاك، وهو كتاب: «الحقيقة والتبرير» «verité et justification»، ليس رداً مباشراً على مجمل الطروحات التي كان قد ساقها أبل في إتيقا المناقشة، ولكنه أيضاً لا يخرج عن السياق الذي يتموضع فيه كل مشروع أبل النظري، وهو التداولية الترنسندنالية، كما أن الإتيقا هنا لا تشكل أي انقطاع مع البنية الهيكلية الأساسية لمشروع هابرماس، وبخاصة ما ورد في كتابه: «الفكر ما بعد الميتافيزيقي»، والذي انتصر فيه لتداولية شمولية أو شاملة تستلهم أخصب ما في الفكر الهيجلي، وهو دياكتيك العقل والواقع. يورغن هابرماس، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، مصدر سابق، مقدمة المترجم، ص 14.

التواصل لـ «هابرماس»، و«العدالة» لـ «جون راولز»، و«الحرب العادلة» لـ «مايكل والتر»، وهي ساحات فكرية متأزمة وفتوحات أخلاقية جديدة وراهنه، رغم أنها تستلهم الإرث الأخلاقي الأنواري والحدائي بطريقة أو بأخرى، (دورتبي، 2009).

يبدو أنّ العودة الأخلاقية إلى الفلسفة الحديثة غير كافية، إذ لم تعد المسألة تتعلق فقط بفنّ الموافقة بين سلوك الفرد وسلوكات الآخرين فحسب، وإنما كيف لسلوك الفرد ألاّ يسبب ضرراً للآخرين. لقد شهد القرن الحالي في ميادين الطب والصحة وعلوم الحياة (1) ثورة كانت لها انعكاسات كبيرة على المجال الفلسفي عامة والأخلاقي خاصة، وأدّت إلى ظهور مشاكل أخلاقية لا حصر لها ولا عهد لها بالمجتمعات البشرية السابقة. وغدا هذا الوضع الطارئ يفرض إعادة النظر في معاني الإنسان والحياة والمرض والموت والمصير، وينبئ باحتمال حدوث تغييرات جذرية في علاقة الإنسان بهويته، وبجسمه، وبقيمه، وثقافته المتوارثة عبر آلاف السنين.

إنّ السؤال الفلسفي الأخلاقي الراهن ينخرط في تنوّع وكثافة المعايير من قبيل: كيف نصوغ حدود المسؤولية التي تقع على عاتقنا في عالم موضوعي تجاه الأجيال القادمة الذين سنعهد إليهم بالعالم؟ كيف نحبي سلطة الواجب في غياب قيم سامية أو تقاليد كانت تنظم السلوكيات في السابق؟ وكيف مثلاً نتحكم في رباطة جأشنا (دورتبي، 2009). ثمّ إن شئنا أن نسأل داخل السؤال نفسه، نقول: عمّ يُعبّر هذا الثقل الأخلاقي الذي يحمله المفكرون المعاصرون أمثال

1 - في سنة 2000، وفي فترة متقاربة، صدر كتابان جديان يهتمان مجال أخلاقيات البيولوجيا (la bioéthique)، الأول صدر في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد نشره المفكر الأمريكي المعروف «فرانسيس فوكو ياما» تحت عنوان: «نهاية الإنسان، عواقب الثورة البيوتكنولوجية»، أما الثاني فقد نُشر في ألمانيا، وهو من تأليف الفيلسوف الألماني المعاصر: «يورغن هابرماس»، وعنوانه: «مستقبل الطبيعة البشرية، هل نسير نحو نزعة ليبرالية لتحسين النسل البشري؟»، والملاحظ أن الكتّابين يلتقيان في كون مؤلفيهما يسعيان، كل واحد من منطلقاته الفكرية وبأسلوبه الخاص، إلى إثارة الانتباه إلى أخطار محتملة يمكن أن تجلبها معطيات التقدم العلمي الهائل الذي تشهده حالياً ميادين العلوم الطبية وعلوم الحياة، كما يحذّران من انبعاث نزعة تحديد النسل البشري (Eugénisme) في شكل يبدو هذه المرة جديداً ومتميزاً، لأنه أولاً يحمل سمات وتوجهات الليبرالية الجديدة في عصر العولمة، وثانياً لكون طموحات العلماء في هذا المجال تبدو وكأنها لا حدّ لها، وقد تفضي إلى إحداث تغييرات فعلية في طبيعة الإنسان كما هي معروفة لدينا حتى الآن. محمد المصباحي، فلسفة الحق عند هابرماس، مرجع سابق، ص ص 7-8.

«جون رولز» في أمريكا، و«غدمير»، و«آبل» و«هابرماس» في ألمانيا، و«جاك ديريدا» في فرنسا؟ هل هو علامة صحة فلسفية أم هو إشارة إلى أزمة حالية أو تنبيه على خطر محقق بالإنسانية القادمة؟ قد تجتمع هذه العلل وقد تستوي، فالتية الفلسفية تبدو واحدة، لكن كيف يكون السبيل إلى أخلاق أصيلة في حجم تكنولوجيا العصر؟ يبدو أن هذا السؤال قد بقي في مقام السؤال دون فاعلية حقيقية، ما دامت الإجابات الحاضرة لم تفلح بعد في فرض براديجم أخلاقي يفي بحاجة الإنسانية الحالية إلى أخلاق كفيلة بمواجهة عصر التقنية؟ (بنشيخة- المسكيني، 2006). بل إن محاولة التشكيك في القيمة والطبيعة البشرية في حد ذاتها، ومحاولة النظر إلى الإنسان عبر القيمة الوظيفية لسلوكه ونتائج أفعاله تُشكل نوعاً من التحديد البراغماتي للسلوك وللقيمة، ناهيك أنه ينخرط في ساحة فكرية تتسم بعقدتين: عقدة التكنولوجيا، أو العقل التقني بمفهومه اللاتيني (ratio)، والذي يُخضع اللوغوس إلى متطلبات التقنية، وعقدة النسق الذي يربط الفكر ربطاً وثيقاً داخل أسوار يصعب تهديمها وتجاوزها، (التريكبي، 2009).

■ ثانياً - الطبيعة البشرية ومأزق التأسيس الأخلاقي⁽¹⁾

تشير الطبيعة البشرية إلى جملة الخصائص الوراثية والاستعدادات البيولوجية الفطرية التي تكون مسؤولة أيضاً عن البنية النفسية للفرد، لذلك فإن أهم ما يُميز الطبيعة البشرية هي الضرورة والالزام والثبات، ونتيجة لذلك أُعتبرت هذه الطبيعة البشرية أساساً ومصدراً ضامناً للسلوك الأخلاقي. وكذلك العقل باعتباره قوة نفسية، معرفية وميتافيزيقية، فقد تمّ تأويله تأويلاً طبيعياً، من أجل ضرورته ومطلقته بين جميع البشر. والحقيقة أن عودة الفكر الأخلاقي تأويلاً إلى هذه الطبيعة البشرية، مرة باسم العقل، ومرة باسم اللذة والألم، ومرة باسم الحاسة الأخلاقية، ومرة أخرى باسم الضمير، كلها زوايا مختلفة لجوهر واحد، ألا وهو الطبيعة البشرية. لذلك تنقلت الطبيعة البشرية من قبضة التفسير والتحديد باعتبارها معطى ميتافيزيقياً أكثر منه معطى حسياً وبيولوجياً. وهو الأمر الذي حدا بالفيلسوف الألماني كانط إلى اعتبارها في حالة حياد أخلاقي، ليست لا بالخير ولا بالشريرة، ولكن على المرء أن يجد الخير المطلق عبر إرادته الخيرة بإطلاق،

1 - يمكن العودة هنا إلى مؤلفنا الجماعي: الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، منشورات صفاف، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

ولكن كديمومة في مواجهة الميول والعواطف والانفعالات. لكن علينا أن نفهم أنّ مقولة الطبيعة البشرية لا تحمل الدلالة الأخلاقية كما كانت عليه قديماً وحديثاً وحتى إلى وقت ليس ببعيد، إذ كان المفهوم حكراً على الاشتغال الديني والفلسفي، أو على الأقل ذو دلالة ماورائية أكثر من أي دلالة أخرى. غير أن ظاهرة استقلال العلوم عن الفلسفة منذ الأزمنة الحديثة وصولاً إلى ظهور ما يُسمّى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، قد ساعد على تأويل الطبيعة البشرية تأويلاً علمياً، وأصبح كل علم يقدم الطبيعة البشرية وفقاً لمنظوره الخاص. فالعلوم البيولوجية تُقدم الطبيعة البشرية على أساس أنها جملة الخصائص الوراثية كالكرموسومات والجينات التي تحدد بنية ومسار كل فرد، والسيكولوجيا تقدم الطبيعة البشرية باعتبارها جملة الاستعدادات الذهنية والانفعالية والعاطفية والغريزية المعقدة المتداخلة، وأمّا العلوم الاجتماعية فقد اعتبرت الطبيعة البشرية كل معطى منصهر ضمن النسق والسياق الثقافي كالأُسرة والتنشئة الاجتماعية، لأنه وفق هذا المعطى الاجتماعي تتمايز الطبيعة البشرية عن الطبيعة الحيوانية. وأمام هذه الرؤية المنهجية والعلمية المتعددة والمتجزئة، أصبح الضوء يُسلطُ على السياق الثقافي للفرد، وعلى تنشئته الاجتماعية وهي متداخلة مع ميوله واهتمامه ووعيه لنفسه، والذي يُعدّ هو الآخر تحصيلاً حاصلًا لنمو الفرد على جميع المستويات.

1 - الطبيعة البشرية وقضية الجندر⁽¹⁾

لم يعرف الفكر الأخلاقي تصدّعاً في ماهيته مثلما يحدث في العصر الحالي، أي عندما أصبح الأساس الأخلاقي مشكوك فيه وفي ماهيته وفي الجدوى منه. إذ لم تعد الطبيعة البشرية مرجعية أخلاقية ثابتة، بما هي عقل أو حس أو كليهما، بل إنّ هذه الطبيعة في حدّ ذاتها تم تأويلها على أنها خاضعة للتطور والسيرورة، سواء أكانت بيولوجية أم سيكولوجية أم اجتماعية. ولعلّ ما ضاعف هذا الاضطراب الأخلاقي هو ظهور مفهوم الجندر ودخوله في معمارية البنية الأخلاقية المعاصرة، وبقائه مفهوماً غامضاً في الأوساط العلمية والأكاديمية أو على الأقل بقي كقضية ملتبسة تنخرط في السجلات الحقوقية والقانونية والسياسية. إذ تزيح بعض الدراسات

1 - أول من صاغ مفهوم الجندر كان عالم النفس «روبرت ستولر»، وذلك ليفرق بين العوامل الاجتماعية والنفسية للأنوثة والذكورة في المجتمعات، وبين العوامل الطبيعية للفروق الجنسية التي خلقت مع الأفراد. أنظر، حيدر البارون، نقد نظرية الجندر والنسوبة لدى آلان دوبنوا، 2021، ص. 5

الاجتماعية الراهنة مفهوم الطبيعة البشرية كمعلم مُحدد للذات، لتستبدلها بمفهوم الجندر، على أساس أن هذا الأخير يشيرُ إلى ضرورة التركيز على وعي الفرد لذاته عبر التمثل والانتماء الثقافي، وعبر التنشئة الاجتماعية، بدل التعريف الطبيعي والجنسي للذات (ذكر، أنثى)، بمعنى أن الهوية النفسية والاجتماعية والتاريخية - وكلها منصهرة عبر المسار الاجتماعي - هي من يُحدد تمثّل الفرد لذاته، ولنوع جنسه (ذكر، أنثى).

إنّ الهوية الجنسية للفرد هنا لا تتحدد طبيعياً وإنما ثقافياً، لا في ثباتها، بل في تحولها، وانطلاقاً من ميوله واهتماماته يصلُ الفردُ إلى أن يجدَ نفسه، ومن ثمة تحديد جنسه ذكراً أم أنثى أو كليهما. هذا التصور الجندري يسعى إلى إزاحة الطبيعة باسم الثقافة، بمفهومها العلمي والتقني، لذلك نودّ أن نشيرَ هنا إلى أن الجندر - باعتباره حقلاً معرفياً جديداً - يتغذى من الرؤية الجديدة للإنسان، كالتقنية والمابعد إنسانية، وكلها آفاق علمية ما بعد ميتافيزيقية.

2 - الجندر، المفهوم والدلالة:

من المفيد أن نشيرَ في البداية إلى الغموض⁽¹⁾ الذي يحيط بكلمة الجندر، سواء في اشتقاقه اللغوي أو الاصطلاحي والدلالي، «بسبب تعدد دلالاتها، يمكن أن تكون غامضة، نظراً إلى تنوع استخدامها. ولقد تمَّ إدراجه في وظائف مختلفة: النحوية والطبية، والأسلوبية، والأدبية، والعلمية، بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تشيرَ الكلمة أيضاً إلى المواقف والسلوكيات، وما إلى ذلك من الفئات إلى العادات، من اللغويات إلى العلوم الطبيعية، يشير الجندر إلى أشكال مجردة وملموسة»، (48-Riot-Sarcey, 2016, p.47). والجندر «Gender» كلمة إنجليزية تنحدر من أصل لاتيني «Genus»، تعرّف الموسوعة البريطانية الهوية الجندرية Gender Identity بأنها: «شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، وتقول: «إن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة - كذكر أو أنثى - بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية، وهي تتغير وتتوسع

1 - في عام 1994 عقد مؤتمر القاهرة للسكان، والذي أثار اعتراضات كبيرة في حينها، وقد تكرر مصطلح الجندر في بيانه الختامي 51 مرة، وأمام عدم وضوح معنى هذا المصطلح الجديد، فقد تمت ترجمته وتعريفه بأنه نوع الجنس من حيث الذكورة والأنوثة، وفي إعلان بكين الصادر عن مؤتمر بكين للمرأة عام 1995 تكررت كلمة جندر 245 مرة، مما دفع وفود الكثير من الدول للمطالبة بتعريف دقيق للمصطلح. أنظر علي الزيدي، الجندر، حلول أم إثارة مشاكل، دار سحر القلم، بغداد، 1، 2021، ص 14.

بتأثیر العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل»، (البارون، 2021، ص. 6-7). لذلك فإن مفهوم الجندر يحاول أن يستبدل محددات الجنس البيولوجية، مستعيضاً عنها بهوية أخرى اجتماعية ونفسية، «المجتمع والتربية هما العاملان الحاسمان في تكوين النفسية الأنثوية أو الذكورية بغض النظر عن الطبيعة العضوية»، (الزیدی، 2021، ص. 20).

3 - الجندر والطبيعة البيولوجية:

في خمسينيات القرن العشرين، تم صياغة مفهوم الجندر على عدة مراحل، فقد أستخدم من قبل John Money الذي تناول اضطرابات الهوية الجنسية لدى الأطفال، استناداً إلى عبارات مثل «دور الجندر» و «هوية الجندر»، لكي يشير إلى أن ما يستدعي فرداً ما إلى فئة ما، وأنما يُحدده كصبي أو كفتاة ينبغي أن يكون على التربية والمحددات الثقافية، بعده يستخدم Robert Stoller كلمة الجندر فيما يخص «مرضى بيجنسوية»⁽¹⁾، ونظر إلى الجندر كجانب من الهوية الجنسية المحددة اجتماعياً، وعلى أنه متميز على الجنس البيولوجي (Laufer et Rochefort, 2014, p. 14-15). «من المألوف أن نجد نعت الجنسانية، والأكثر من ذلك صفات (جنسي، جنسية) تستخدم إلى عشر مرات في الصفحة الواحدة، وفي الطبقات الألمانية لفرويد، تظهر مشتقات (الجنسي، جنسانية)، بأعداد كبيرة في الفهارس، مما يشير إلى الوضع النظري الخاص لهذه المصطلحات، وتواترها في معجم الجنسانية، وفي المقابل يعدُّ بلا شك الجندر «Geschlecht» بمثابة التصور التحتي لكل ذلك دون أن يظهر» (Berger, 2013, p. 159)

لا شك أن هناك تداخلاً كبيراً بين الجندر والجنس، غير أنه من الضروري التمييز بين المفهومين من حيث إن الأول يشير إلى التمثيل الذاتي الثقافي والاجتماعي والنفسى للذكورة والأنوثة، ومدى تقبُّل ذلك التحديد الذاتي للجنس، وهذا التمثيل ليس له علاقة بالضرورة بالجنس البيولوجي، أي نوع الجنس (ذكر، أنثى)، ولكن هو حصيلة عوامل اجتماعية ونفسية معقدة تشكَّلت لدى الفرد، وانتهت به إلى أن يختار الذكورة أو الأنوثة أو كليهما، بينما مفهوم الجنس مثقل بحمولة وبدلالة بيولوجية محددة بالولادة، أو ما يُسمَّى بجنس المولود (ذكر، أنثى). ورغم التداخل بين المفهومين، فإنَّ الجندر يريد أن يُخرج الجنس من دائرة البيولوجيا إلى دائرة الثقافة، ومن ثمة تصبح الهوية الجنسية للفرد لا تتحدد بيولوجياً وإنما سوسيوولوجياً،

1 - البيجنسوية هي تعايش طبائع جنسية مذكرة ومؤنثة لدى الشخص نفسه.

هناك نوع من الخروج من أفق الطبيعة (الضرورة والحتمية والمطلقية) إلى أفق الثقافة (الحرية والاختيار والنسبية). ولعل هذا ما ينتج عنه «الخلط المنهجي بين الجنسين، بالمعنى الدقيق للكلمة، الميول أو التوجُّهات الجنسية، وأيضاً الجنس النفسي أو الازدواجية النفسية (البارون، 2021، ص. 25).

وتذهب Judith Bulter إلى أن تحديد اختلاف الجنس بين الذكر والأنثى غير صحيح، وأن الحقيقة البيولوجية للمرأة والأنوثة النفسية، لا تتطابقان تماماً (Mitchell, 2017). والحقيقة أنّ عودة الدراسات الجندرية إلى مناقشة الطبيعة الجنسية (ضرورة الذكورة أو الأنوثة) يحدث من أجل تبرير المسار الحتمي والضروري أيضاً للجنس، بمعنى أن مسألة الجندر هي الأخرى تقدم نفسها كضرورة طبيعية، من أجل إزاحة الضرورة البيولوجية (الجنسية)، لكن هذه المرة ليس عبر حتمية الجنس (ذكر أو أنثى)، ولكن وفق حتمية اجتماع الذكورة والأنوثة الجنسية داخل الإنسان الواحد.

إنّ هذا التحديد الجندري لاجتماع الذكورة والأنوثة يقود بالضرورة إلى قلب التصورات الكلاسيكية عن العلاقات، من الغيرية (ذكر / أنثى)، (أنثى / ذكر) إلى علاقات مثلية (ذكر / ذكر) (أنثى / أنثى)، أو حتى إلى تعددية مثلية (ذكور)، (إناث). وهو من شأنه أن يقود أساساً إلى قلب نظام القيم الكلاسيكي وتصوراتهِ إلى نظام قيمي جديد، والدليل على ذلك كما يقول دوغلاس موراي: «الباعث الأخلاقي الذي لعب دوراً حاسماً في تطور المواقف تجاه المثلية هو التحول من فكرة أن المثلية الجنسية هي سلوك مُكتسب إلى الاعتقاد بأنها فطرية وغير مُكتسبة، كان للاعتراف بمدى أهمية هذا المؤشر في حالة المثليين تبعات جمّة على الحملات الحقوقية الأخرى» (دوغلاس موراي، 2022، ص. 46). إذ خلال التسعينيات، في سياق التطوير التدريجي لبحوث العلوم الاجتماعية حول فيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز، ولكن أيضاً من أجل التعبئة الدولية من قبل المنظمات النسائية لفرض الاعتراف بالحقوق الجنسية والإنجابية كحقوق إنسانية (لا سيما في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة في عام 1994، والمؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة في بكين في عام 1995)، بدأ تنظيم مجال بحثي في فرنسا يُركّز على قضايا العلاقات الاجتماعية والعلاقات بين الجنسين في تحليل النشاط الجنسي، فمن ناحية، تبرز الدراسات الاستقصائية الكيفية التي يكشف بها وباء فيروس نقص

المناعة البشرية/الإيدز عن أوجه عدم المساواة المتصلة بنوع الجنس والطبقة الاجتماعية والتمييز العنصري والتسلسل الهرمي بين الميول الجنسية المشروعة والمنحرفة ويحللها، ومن ناحية أخرى، تبرز الدراسات الاستقصائية الكيفية التي يكشف بها وباء فيروس نقص المناعة، في إطار الدراسات الاستقصائية الاجتماعية - الديمغرافية التي أجريت في المركز الوطني للمرأة بشأن الممارسات الجنسية، ويجري إيلاء اهتمام أكبر للمسائل التي يثيرها العمل النسوي بشأن علاقات الهيمنة بين الجنسين، ويُعدُّ إنشاء وحدة الشؤون الجنسية التابعة للمركز في عام 1999 مثالاً واضحاً على هذه التوجُّهات الجديدة (Rennes, 2016) ..

4 - الجندر والثقافة:

يبدو أنَّ مفهومَ الجندر - وبالرغم من أنه متداخل مع مفهوم الجنس - يسعى إلى الانفصال عنه، متجاوزاً ومستبدلاً إياه، فإذا كان الجنس بالمفهوم البيولوجي يشير إلى المحدد البيولوجي سواء للرجل (ذكر) أو للمرأة (أنثى)، وبالتالي معيار بيولوجي للتمايز، فإن الجندر يهدف إلى محو الفروقات البيولوجية بين الجنسين، لينخرط في الثقافة ويتأسس عليها، ومن ثمة استبدال المعيار البيولوجي بمعيار ثقافي، ولكن ليس بمعنى تثبيت هذه التمايز ثقافياً فحسب، بل من أجل إرجاع أصوله الطبيعية إلى مجرد كفاءات تراتبية، أي مجرد تصورات وتمثيلات سوسيوثقافية، وبالتالي «إلغاء الفوارق بين الذكر والأنثى، بحيث يكون رده إلى النوع الإنساني، أي أنَّ الذكورة والأنوثة عبارة عن نوع واحد، بمعنى أنَّ الإنسان يولد كإنسان فقط» (الزبيدي، 2021، ص 14-15). والحقيقة أنَّ هذا الإرجاع الثقافي للذكورة والانوثة يُغذي ويتغذى من الحركات النسوية والفلسفات اليسارية النضالية، والتي تضع على رأس أولوياتها المساواة المطلقة التي تمحي كلَّ عناصر الاختلاف، ولو كان طبيعياً.

إذاً تتأسس الرؤية الجندرية على تعميق المشكلة بين ما هو ثقافي وما هو طبيعي، ليس من منظور إضافي أو تكاملي، ولكن من منظور صراعي، تناقضي وإقصائي، وبالتالي تعميق الهوية بينهما، عبر تأكيدها أنَّ «الجنس البيولوجي لا علاقة له بالهوية أو الشخصية الجنسية، وأنَّ الجنس يُبنى» (البارون، 2021، ص 25)، كما لو كان تصحيحاً للطبيعة عبر الثقافة، ولكن بصورة راديكالية في غالب الأحيان. لذلك تتغذى الرؤية الجندرية من الرؤية التقنية والتكنولوجية الهائلة التي تقف جنباً إلى جنب ضد الطبيعة سواء البشرية أو البيئية، غير أنَّ

الوضع الثقافي في صراع مع ما هو طبيعي يقود إلى تأزم الوضع الثقافي من الداخل، وذلك في ظل غياب مرجعية أصيلة ينبثق منها، وهذا في حد ذاته تجاهل لسيرورة المركب الثقافي والطبيعي معاً، وهو ما يعيق تأسيس مرجعية أخلاقية موضوعية ممكنة، لأن دور القيم هو إدارة الميول والانفعالات والرغبات والتحكم بها.

نفهم أيضاً أنّ الجندر يدخل على خط التحول من سؤال الطبيعة البشرية، باعتباره سؤالاً غائياً وقيماً (هل الطبيعة البشرية خيرة أم شريرة؟ وما الذي يحدد القيمة؟ الحس أم العقل؟ السعادة أم الفضيلة؟) إلى سؤال الدور والوظيفة الاجتماعية للقيمة والإنسان، وبالتالي محاولة التشكيك في القيم والطبيعة البشرية في حد ذاتها، والنظر إلى الإنسان عبر القيمة الوظيفية لسلوكه ونتائج أفعاله فقط، هذا التحديد البراغماتي للسلوك وللقيمة يؤزم الخطاب الأخلاقي أكثر من ذي قبل.

■ ثالثاً- الطبيعة البشرية وأخلاق الحياة⁽¹⁾

يشير مصطلح «الأخلاق التطبيقية» الكثير من التساؤلات حول ماهية هذه الأخلاق التطبيقية، هل هي من طبيعة نظرية أم أقرب إلى واجبات المهن المختلفة؟ ومع أنه يمكن القول إنّ مذاهب الأخلاق النظرية في شتى الحقول الاجتماعية والعملية سائدة في كل مكان، ومطلوبة داخل اللجان الوطنية والدولية، إلا أنها مع ذلك لا تحظى بقبول لدى المفكرين باعتبارها مدونات ولوائح مهنية، ورغم ذلك تبدو فكرة الانطلاق من مبادئ والنزول إلى مختلف الدوائر، كالبيولوجيا والإعلام، والتجارة، السياسة... إلخ مهمة وملحة، إذ إن كل ممارسة تستلزم اللجوء إلى معايير ومبادئ، و«أن هذه الأخلاق التطبيقية ليست حقلاً مغلقاً، لأنها على الدوام في علاقة مع الأخلاق النظرية» (غي ديران، 2015، ص. 109).

1 - البيواتيقا (bioéthique) ظهر هذا المصطلح حديثاً ولا يتجاوز ظهوره ثلاثة عقود، وقد تحدد على يد العالم الأمريكي «R. Potter»، ويتكون المصطلح من مقطعين: أخلاق «éthique» وحياء «bio»، لذا فهي من حيث اللغة تدل على التفكير في القيم الخاضعة للحياة أو فلسفة الأخلاق المتعلقة بنتائج علم الحياة والطب، ومن هنا فهي تترجم أحياناً بأخلاق البيولوجيا (أخلاق الحياة) أو الأخلاق الطبية. أحمد عبد الحليم عطية، الفكر الأخلاقي الجديد، مرجع سابق، ص ص 234-235.

لقد تمحورت مساهمة هابرماس من خلال مؤلفه «مستقبل الطبيعة الإنسانية»⁽¹⁾ حول المطالبة بحماية الطبيعة البشرية بناءً على حقّ الإنسان في طبيعة مستقرة، والرد على دعاوي أنصار تيار تحسين النسل⁽²⁾ الجدد الذين تصبُّ محاولاتهم المختلفة في اتجاه تعديل المعطيات الوراثية للإنسان. كما يحاول أن يتخذَ موقفاً وسطاً بين الذين يرفضون أي تدخل في المخزون الوراثي البشري، وبين الذين يرون على النقيض من ذلك ألا مانع من التصرف في هذا المخزون بشكل مطلق دون الوقوف عند أية حدود (المصباحي، 2008). ومن ثمة ضرورة التأسيس لفلسفة أخلاقية من أجل «حماية كمال إرث جيني لا تلاعب فيه، من خلال منع الوصول عفويًا إلى أسس بيولوجية لهوية شخصية، يمكن للحماية القانونية أن تجدَ تعبيرًا لها في الحق بإرث جيني لم يخضع لتدخل مصطنع» (هابرماس، 2006، ص. 33).

1 - يندرج هذا الكتاب «مستقبل الطبيعة الإنسانية» لهابرماس في إطار نقاش حاد بين مجموعة من العلماء والفلاسفة والمفكرين (ألمان وفرنسيين وأمريكيين) ينقسمون إلى فئتين أساسيتين: فئة تتبنى تقنيات الطب والبيولوجيا الحالية دون تحفظ، وتدعو إلى استغلالها لتطوير الجنس البشري، وتحسين سلالته وتخليصه من كل الأمراض والعيوب الوراثية، واكتسابه كل الخصائص الوراثية الايجابية، وفئة ثانية تدافع عن الطبيعة الإنسانية وتطالب بالحفاظ عليها خوفاً من الوقوع في كوارث غير متوقعة، ويعتبر انخراط هابرماس في هذا النقاش استمرارية لمشروعه الكبير حول التواصل الذي اقترحه ودافع عنه منذ عقود، وأطروحة المركزية حول «أخلاقيات إجرائية المناقشة»، والدعوى الأساسية لهذه الأطروحة تتمثل في تأكيده أن أية مناقشة يتم في إطارها احترام الحرية والحجاج العقلاني تقود بالضرورة إلى نتائج يقبلها الجميع. محمد المصباحي، فلسفة الحق عند هابرماس، مرجع سابق، ص 84.

2 - رغم وجود اهتمامات قديمة بتحسين السلالة البشرية يرجعها البعض إلى الفلسفة اليونانية وخاصة أفلاطون، فإن مصطلح «تحسين النسل» لم يظهر إلا أواخر القرن (19)، حين قام ابن خالة «داروين» وهو «فرانسيس جالتون» «francis galton» بنحت المفهوم سنة (1883) مستعملاً لأول مرة الكلمة الإنجليزية «eugenics» اعتماداً على أصول لغوية يونانية تدل على «السلالة الجيدة»، وقد تم ترجمة المصطلح الإنجليزي إلى الفرنسية بكلمتين أساسيتين هما «eugénique» التي تدل على مجموعة التقنيات العلمية التي تتيح تحسين المخزون الوراثي لعرق معين، و«egénisme» والتي تدل على الحركة الاجتماعية السياسية الأيديولوجية التي تدافع على ممارسة تحسين النسل أو أيديولوجيا تحسين النسل. أنظر، محمد المصباحي، فلسفة الحق عند هابرماس، مرجع سابق، ص 64.

إنَّ المشروعَ المتعلق باستكشاف أسرار الحياة⁽¹⁾ يثير تساؤلات أخلاقية من قبيل ماذا يتبقى من الحياة إذا توصلنا إلى فك رموزها والوقوف على كامل أسرارها؟ أليس في معرفة الحياة ابتذال لها وإتلاف لطعمها ومعناها⁽²⁾ (بوحدية وآخرون، 2001). إننا نجد هابرماس يُصرِّحُ بنبرة إنسانية أخلاقية تستعيد النداء الكانطي: «إنَّ التقنية الوراثية ستضعنا في بعض الجوانب بمواجهة مسائل عملية تتعلق بالفرضيات الأولى المرتبطة بالحكم الأخلاقي وبالفعل الأخلاقي، فإنَّ انزياح الحدود بين الصدفة والخيار الحر سيؤثر في الأشخاص في كليتهم، وفي فهمهم لأنفسهم، وهم القلقون على وجودهم والفاعلون أخلاقياً» (هابرماس، 2006، ص 39). إنَّ المعضلة هي أنَّ حياة الفرد من ذلك النوع الذي إذا تمَّ التدخل فيه لا تقبل المراجعة، كما أنها تمنعه من أن يفهم نفسه بوصفه صاحب سيرته بلا منازعة من غيره أو مشاطرة من سواه، إنَّ العلاقة بين المبرمج والمبرمج تصير علاقة غير متوازية؛ أي علاقة مبنية على الفعل والانفعال، والتأثير والتأثر، لا تبادل للأدوار فيها ولا تحاور، إنما هي علاقة أحادية قائمة على الاستتباع القهري، أي تبعية المعدل لطالب التعديل، وهو الاستتباع الذي يخالف الاستتباع الاجتماعي التقليدي، ومن ثمة فهي علاقة تطرح أبوة من نوع خاص، وتلك مسؤولية إشكالية (المصباحي، 2008).

وبالفعل، لقد توالى ظهور مشاكل أخلاقية في ميدان الطب بوتيرة متسارعة. فقد أدَّت نتائج التقدم المتحقق في تقنيات الإنجاب الاصطناعي إلى إثارة مشكلة أطفال الأنابيب، ومشكل تجميد الحيوانات المنوية، والحمل بعد وفاة الزوج، وتخلخل مفاهيم الأسرة والأبوة والأمومة، وفي ميدان تطور الأجنة، ومدَّك انصبَّ النقاش بصفة خاصة على الوضعية القانونية للأجنة البشرية: هل هي تعتبر كائنات بشرية حية تتمتع بكامل الحقوق؟ وهل من المشروع استخدامها في التجارب الطبية؟ وهل من المشروع أيضاً التخلص منها عن

1 - علينا أن نشير إلى أن «احترام الحياة» من حيث كونها حياة، هو مبدأ قديم في البشرية لدى كل الشعوب والديانات والفلسفات، إذ نجده حاضراً في الفلسفات الهندية القديمة، وفي التقاليد اليهودية المسيحية، والإسلامية.

2 - عبد الوهاب بوحدية وآخرون، ما الحياة؟ فعاليات الدورة الرابعة لملتقيات قرطاج الدولية من 2 إلى 6 ماي 2000، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة»، تونس، ط1، 2001، ص 12.

طريق الاجهاض؟ وفي ميدان تطور تقنيات وسائل الإنعاش الطبي ظهرت مشاكل من نوع آخر، مثل مشكل الإطالة الاصطناعية لأمد حياة المرضى المهددين بالموت، والميؤوس من علاجهم، حتى لو كانوا فاقدين للوعي، وفي حالة غيبوبة مستمرة، ومشكلة الحق في الموت الرحيم في حالة المرض العضال، ومشكلة الجدوى من إصرار بعض الأطباء على مواصلة علاج ميؤوس من نتائجه سلفاً. (مجلة التنوير ومساهمات أخرى، إشكالية أخلاقيات الطب والبيولوجيا، ص. 277).

نتيجة للتقدم البيوتقني⁽¹⁾ الذي تحقق في علم الهندسة الوراثية برزت مشاكل أخرى، إذ تمكن العلماء⁽²⁾-مثلاً- من معرفة أسرار التركيب الوراثي للبشر، وفك الرموز والشفرات الوراثية، والتنبؤ الوراثي، بل ومن تطويع المحدد الوراثي من أجل استنساخ كائنات حية. لقد أصبحت الهندسة الوراثية اليوم تتوفر على إمكانات هائلة لمعرفة دقائق المحدد الوراثي للإنسان والتحكّم به، ووفق أهداف مسطرة مسبقاً. لقد أضحت قدسية حياة الإنسان وأسرارها تنتهك، كإحداث تغيير جذري في إنسان المستقبل يطال تركيبه البيولوجي وقدراته وطباعه، وتحت مشاريع أنصار حركة «تحسين سلالة الجنس البشري»، والداعين إلى القضاء على السلالات البشرية المتوحشة تحت ذريعة تطهير المجتمع وحمايته، (مجلة التنوير ومساهمات أخرى، إشكالية أخلاقيات الطب والبيولوجيا، ص. 275).

1 - في فترة الستينات وفي الولايات المتحدة الأمريكية بالضبط، تم الكشف عن أحداث وقعت في بعض المستشفيات اعتبرت بمثابة فضيحة أخلاقية كبرى، ويتعلق الأمر بتجارب طبية أجريت على فئات مستضعفة من المرضى تتكون بصفة خاصة من الزوج والعجزة ونزلاء مستشفيات الأمراض العقلية، بدون علمهم ولا موافقتهم، لقد أثار تلك الفضائح قلق فلاسفة الأخلاق والمثقفين عموماً، كما هزت ضمير الرأي العام الأمريكي، وليس هناك شك في أن انتشار خبر تلك الفضائح كان من الأسباب المباشرة التي عجلت بميلاد «أخلاقيات الطب»، وهو المجال الذي أضحى يهتم بالقضايا الأخلاقية التي تطرحها الممارسة الطبية والأبحاث الطبية بصفة عامة، من تلك التجارب حقن العجزة بخلايا سرطانية، تجربة دواء جديد على الزوج، حقن بعض المرضى بفيروس الالتهاب الكبدي... إلخ. أنظر، عبد الرزاق الدواي، التنوير ومساهمات أخرى، مرجع سابق، ص. 276.

2 - لا يزال العالم يتذكر الضجة الكبرى التي أحدثتها الإعلان عن نجاح تجربة الاستنساخ الوراثي للنعجة «دولي»، على يد فريق من الباحثين البريطانيين في سنة 1996. أنظر، عبد الرزاق الدواي، التنوير ومساهمات أخرى، مرجع سابق، ص. 277.

■ رابعاً- الطبيعة البشرية والكرامة الإنسانية:

يقول «هابرماس»: «إن الكرامة مبدأ ملازمًا للوجود الإنساني يتمتع به الإنسان حتى قبل مرحلة الميلاد وبعد الوفاة» (هابرماس، 2006، ص.48). لذلك فإن أهمية مفهوم الكرامة الإنسانية في أنه يحمل مضامين كونية-عالمية، لكن ينطبق في الوقت نفسه على الفرد المشخص، إن هذه الكرامة ليست مُشكّلة من الغايات المستمدة من وراء العوالم فحسب كما اعتبرتها الفلسفات المثالية، بل هي نتيجة لذوات واقعية، وعلاقات بينذاتية حرة ومتساوية في عالم مشترك. يقول هابرماس: «علينا ألا ننسى أن الجماعة الأخلاقية لذوات من الناس الأحرار والمتساوين لا تشكل أبداً «مملكة الغايات» في عالم مفهومي يرقى إلى الماورائيات، بل إنها (الكرامة الإنسانية) تظل وسط أشكال حياة عينية ووسط قواعد سلوكهم». (هابرماس، 2006، ص.48). علينا إذاً أن نجابه الأسئلة ما بعد أخلاقية وما بعد إنسانية، بنوع من التحفُّظ والبطء النبيل، وهو نوع من الحكمة الفلسفية الأخلاقية في وجه السرعة التكنولوجية والتقنية الفائقة، خاصة وأن الطرح الذي يؤكد ضرورة التجريب على الإنسان، وانتقاء الأجنة يملك من الحجج ما لا يمكن إبطاله بسهولة. علينا أن نفكر -على الأقل- في حرية الفرد وكرامة الإنسان إذا ما فكرنا في تحديد مصير الفرد وفق معطيات الوراثة، وإذا ما كان تعدياً على قيمة الحرية لديه، «فهل لنا الحق في أن نعرض الحياة البشرية لغايات الانتقاء؟» (هابرماس، 2006، ص.29).

خاتمة:

ما يمكن التأكيد عليه في الأخير، هو أن هناك تحولاً أخلاقياً حدث ويحدث على مستوى الخطاب القيمي، إذ يتمُّ فيه الانتقال -تارة تدريجياً وتارة عنوة- من الخطاب الأخلاقي الكلاسيكي بالمفهوم الديني والفلسفي والميتافيزيقي إلى الخطاب الأخلاقي العلمي والتقني. وهو الأمر الذي عمل أساساً على إزاحة الطبيعة البشرية من مجالها الفلسفي والميتافيزيقي والجوهري إلى المجال العلمي والوضعي، ممّا انعكس سلباً على مقولة الإنسان التي أصبحت هي الأخرى تحيل إلى الفهم الوصفي للكائن، وهذا ما بدأ يستقر راهناً في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، باعتباره الميدان الوريث لمبحث الإنسان من قبل الفلسفة. لذلك تتخذ هذه العلوم حجة مراوغة، فهي من جهة، تؤكد انتماءها العلمي والمنهجي للمنظومة العلمية،

وخروجها من الفكر الفلسفي والميتافيزيقي شأنها شأن باقي العلوم الطبيعية والرياضية، ومن جهة أخرى، فهي تستحوذ على فهم الإنسان وفق الآليات العلمية البيولوجية، أي اختزال الإنسان إلى طبيعة بلا ماهية، وجسم بلا روح، وعضوية بلا غاية. وهو ما نتج عنه أزمة مفاهيمية حادة في التصورات الأخلاقية عن الأسرة والفرد، والطبيعة والثقافة، والحقوق والواجبات. ومع ذلك، فإنَّ هذه العلوم، تحتفظُ بإرثٍ فلسفيٍّ تأويليٍّ ومتعدد المقاربات عن الإنسان ويمكنَّها من تقديم روى نقدية عن الوضع الأخلاقي الراهن. وبالتالي يبقى على الفيلسوف اليوم أن يجابه نقدياً هذه الدوائر العلمية التي تمتزج بالمشاريع الليبرالية عن مؤسسات مثل العائلة والأسرة والقرابة والعلاقة بين الجنسين. وأنَّما يجب أن ينبهنا إليه الفيلسوف اليوم هو الرؤية النقدية القائمة على التفكير في التوجُّهات الأخلاقية الكونية للطبيعة البشرية ذاتها بما فيها الإنسان، وحدها الرؤية الأخلاقية الكونية للإنسان من يستطيع أن يرقع ما جزأته العلوم ذاتها في الإنسان والأحلاق.

المصادر والمراجع

باللغة العربية

- ◀ البارون، حيدر. (2021). نقد نظرية الجندر والنسوية لدى آلان دوبنوا، التريكي، فتحي. (2009). الفلسفة الشريفة. ، تونس : دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- ◀ الزيدي، علي. (2021). الجندر، حلول أم إثارة مشاكل. (الطبعة الأولى). بغداد : دار سحر القلم.
- ◀ المصباحي، محمد. (2008). فلسفة الحق عند هابرماس. (الطبعة الأولى). الرباط. بوحديبة، عبد الوهاب وآخرون، ما الحياة؟ فعاليات الدورة الرابعة لملتقيات قرطاج الدولية من 2 إلى 6 ماي 2000، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة»، تونس، ط1، 2001.
- ◀ بنشيخة-المسكينى، أم الزين . (2006). كانط راهنا أو الدين في حدود مجرد العقل. (الطبعة الأولى). المغرب، لبنان : المركز الثقافي العربي.
- ◀ دورتي، جان فرانسوا. (2009). فلسفات عصرنا، الفلسفة الغربية المعاصرة، تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها، ترجمة، إبراهيم صحراوي. (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- ◀ ديران، غي. (2015). البيواتيقا، الطبيعة، المبادئ، الرهانات، ترجمة وتقديم، محمد جديدي. (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان : دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع.
- ◀ صفدي، مطاع. (1990)، نقد العقل الغربي، الحداثة ما بعد الحداثة. بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي.
- ◀ عطية، أحمد عبد الحليم. (2006). الفكر الأخلاقي الجديد ودراسات أخرى. القاهرة، مصر: دار الثقافة العربية.
- ◀ مصدق، حسن. (2005). النظرية النقدية التواصلية، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان : المركز الثقافي العربي.

- ◀ موراي، دوغلاس. (2022). جنون الحشود، الجندر والعرق والهوية، ترجمة، جلال بدلة، (الطبعة الأولى). المملكة العربية السعودية: مطبوعات صفحة سبعة للنشر والتوزيع.
- ◀ هابرماس، يورغين. (2006). مستقبل الطبيعة الإنسانية، نحو نسالة ليبرالية، ترجمة، جورج كتورة، مراجعة، أنطوان الهاشم. (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: المكتبة الشرقية.

باللغة الأجنبية

- ▶ Berger, Anne Emmanuella. (2013). Le grand théâtre du genre, Identités, Sexualités et Féminisme en "Amérique", France : Éditions Belin
- ▶ Habermas, Jurgen. (1996). La paix perpétuelle, le bicentenaire d'une idée kantienne, traduction de l'allemand par Rainer Rochlitz. Paris : Les éditions du cerf.
- ▶ Laufer, Laurie et Rochefort, Florence. (2014). Qu'est-ce que le genre ? Paris : Petite Bibliothèque Payot.
- ▶ Mitchell, Juliet. (2017). Débattre de la différence des sexes, de la politique et de l'inconscient, L'homme et la société, revue internationale de recherches et de synthèses en sciences sociales, corps sexué, corps genré : une géopolitique, cordonné par Pierre Bras, Paris : Editions de l'Harmattan.
- ▶ Rennes, Juliette. (2016). Encyclopédie critique du genre, corps, sexualité, rapports sociaux. Paris : Edition La Découverte.
- ▶ Riot-Sarcey, Michèle. (2016). Le genre en questions, France : Creaphis éditions.

الشدوذ الجنسي في المجتمعات الغربية القديمة

■ **عبد الله السليمان**

مدرس التاريخ القديم بجامعة دمشق

ملخص

يشرح هذا البحث العلاقات الجنسية الشاذة في المجتمعات الغربية القديمة (الإغريقي، المقدوني، والروماني)، ويسلط الضوء على نظرة المجتمع لها، وكيف استطاع مفكرو الغرب من خلال الشخصيات العامة الفاعلة في المجتمع الترويج له، لاسيما أن أغلبهم كان متورطاً في مثل هذه العلاقات الشاذة، وقد لعبت الخلفية الأسطورية، والمفاهيم الخاطئة، والممارسة الفعلية لهذه الآفة الاجتماعية على فئة قاصرة في المجتمع، دوراً في تفشي شيوعتها، وتغلغلت في بنيتها حتى صارت تُعدُّ أساساً في العملية التربوية المدرسية، والتربية الوطنية، والتربية العسكرية، والتربية الرياضية، والصحة النفسية، ويركز هذا البحث على علاقات الشذوذ في حياة النخب؛ كالفلاسفة والقادة والأباطرة، كون هؤلاء كانوا قدوة في مجتمعاتهم. كما يُعالج الأسباب والعوامل التي دفعت بالشدوذ الجنسي إلى التفشي في المجتمعات الغربية القديمة.

الكلمات المفتاحية:

الشدوذ- الإغريق-الرومان-لواط-سحاق- العلاقات الجنسية

المقدمة:

إنَّ العلاقةَ الجنسيَّةَ هي علاقةٌ سليمةٌ ما دامت انعكاساً للرغبة التي أودعها الله فينا، إذ خلقنا من ذكرٍ وأنثى، والحكمة منها هو استمرار النسل البشري، وقد أوجد الله الزواج طريقةً مثلى وإطاراً عظيمًا للعلاقة الجنسية بين أفراد البشر. وبالتالي فهذه هي القاعدة والأصل، وأي مخالفة لها هي مخالفة للفطرة السليمة، التي فطرنا عليها الله، ومخالفتها تُعدُّ شذوذاً مرفوضاً وغير مقبول. لكن الباحث في التاريخ القديم سيجد أنَّ الشذوذَ الجنسيَّ كان ظاهرةً قديمةً ومُتأصلةً في المجتمعات الغربية، ورغم أنه كان مخالفاً للطبيعة البشرية إلا أنَّ مفكري الغرب روجوا له بما فيه الكفاية، وقالوا بأهميته على الصعد التربوية والعسكرية والوطنية كافة، فعلى الصعيد التربوي -حسب زعمهم- «يُمهِّدُ لفتى فاعل في المجتمع»، وعلى الصعيد العسكري يعطي «جيشاً متلاحماً بروابط صداقة حميمية تتوج بممارسة اللواط». ورأى الغرب أنَّ الشرقَ محرومٌ من هذه «الفضيلة»؛ وبالتالي هو محرومٌ من الصداقات الصادقة، تماماً كما هو محرومٌ من الأفكار الخلاقية نتيجة رفضه للفلسفة. وبغض النظر عن التبريرات التي يُقدِّمها الإغريق عن موضوع الشذوذ الجنسي؛ فإنَّ هذه الآفة «المثلية الجنسية» انتقلت منهم إلى المقدونيين؛ فكان الإسكندر المقدوني -مثلاً- متورطاً بمثل هذه العلاقات الشاذة. وكذلك انتقلت المثلية الجنسية منهم إلى الرومان. وإنَّ الباحث في الخلفيات الحقيقية لهذه الظاهرة سيجد دوافعها العميقة مختلفةً، وأسبابها متنوعةً؛ ما بين أسباب بيولوجية، واجتماعية، ونفسية، وإذا كان الطبيبُ الإغريقي سوارنوس أوَّلَ من تصدَّى لمعالجة ظاهرة الشذوذ الجنسي بتفسيرات بيولوجية منطقية، فإنَّ هناك عُقدًا نفسيةً تراكمت في بنية المجتمع اليونان أفضت إلى مثل هذا الشذوذ الجنسي.

■ أولاً: الشذوذ الجنسي عند اليونان:

يُجمعُ كثيرٌ من الباحثين أنَّ كلَّ مجتمعٍ غربيٍّ وُجدَ فيه شواذ؛ من اليونان القديمة، إلى روما، إلى إنكلترا الفكتورية، حتى الوقت الحاضر. وإنَّ أقدمَ الشواهد التي وصلتنا عن الشذوذ الجنسي في المجتمعات الغربية القديمة هي مجموعة الآنية الفخارية، حيث عثر علماء الآثار على كميات كبيرة من الفخاريات التي تُصوِّرُ مشاهد الشذوذ الجنسي في مختلف أنحاء بلاد اليونان، مُنذ فترة مبكرة من تاريخ الإغريق، ورغم أنَّ الآنية الفخارية السوداء تُصوِّرُ مشاهد المثلية بدرجة أعلى من الآنية الفخارية الحمراء التي شاع استخدامها منذ نهاية القرن السادس فصاعداً، إلاَّ أنَّه يمكننا القول: إنَّ الشذوذَ الجنسي كان آفةً حقيقيةً في المجتمع اليوناني، هذا رغم أنَّ تصويرَ أفعال الشذوذ الجنسي على الآنية الفخارية كان مُقيداً بصورة مُلفتة، فالجماع الشرجي أو الفموي لم يظهر قط، مع أنَّهما كانا يتكرران عندما يكون المشهد يُصوِّرُ جماعَ رجل وامرأة (غارلاند، 2023م، ص 257).

لقد وجدَ كثيرٌ من شبان المجتمع الإغريقي طمأنينة دينية على الصعيد الميثولوجي، فيما كانوا يقومون به من فعل جنسي شاذ، ما دام الإله زيوس Zeus قد قام بهذا الفعل مع غانيميد Ganymede بعد أن اختطفه من إقليم فرجيا، وكان غانيميد فتىً مراهقاً مشهوراً بين البشر لشدة جماله (Barnes, 2014, p.2). وكان أفلاطون يُردد قصة أسطورية في حلقاته المدرسية، أخبره بها أرسطوفانس (386 - 456 Aristophanes ق.م) عن الأصول الإنسانية -والتي كان يعتقد بها اليونان- وهي أنَّ كلَّ إنسان كان عنده النوعان من الأعضاء التناسلية؛ المُذكر والمؤنثة، فما كان من الإله زيوس وبقية الآلهة إلاَّ أن نمت الغيرية عند البشر؛ بعد أن قسمتهم إلى جنسين: مُذكر ومؤنث، وهذا ما يفسر -وفق معتقد اليونان- لماذا يتطلع أفراد كل جنس نحو الجنس الآخر؛ فكل فرد يصبو نحو نصفه الآخر منه (Younes, 2017, p.21).

وقد لعبت الملاحم والأساطير اليونانية دوراً كبيراً في تكريس هذا النمط من العلاقات الجنسية الشاذة، في تمجيد الشواذ جنسياً بأسلوب خفي، وما يؤكد ذلك هو أن الإلياذة تنسج بالتوازي ما بين علاقة أخيل Achilles وفطرقل Patroclus من جهة، وعلاقة أخيل والحسناء بريسييس Briseis من جهة ثانية، حيث كان أخيل يعشقها، وكان ذلك معروفاً للجميع، والذي عقد الموقف ودفع بالقصة إلى واجهة الأحداث هو انتزاع الملك أغامينون Agamemnon

لهذه الفتاة الحسنة من هذا المحارب الشاب، بعد أن كان قد حصل عليها كجائزة له لقاء بلاءه الحسن في القتال. فغضب أخيل بشدة ورفض أن يستمر في القتال واعتزل المعركة من أجلها، لقد كان أخيل مدفوعاً بمشاعر الامتعاض من أغامينون بالقدر نفسه الذي كان فيه مدفوعاً بمشاعر الحبِّ اتجاه بريسييس، وحجم ذلك الحب هو الذي دفعه إلى أن يقصي نفسه عن أرض المعركة. واستمر الأمر إلى أن وصله خبر مقتل فطرقل، فدفعه حبه الشديد له، ورغبته بالانتقام للنزول إلى أرض المعركة، ورغم أنه قتل هيكتور Hector ومثّل بجثته إلا أن ذلك لم يشف غليله، وهكذا يجد المؤرخون أن نوعاً من الحب أقصى أخيل عن المعركة، ونوع آخر عاد به إليها (Barnes, 2014, p.12, 13).

وإذا تركنا الأفكار الخاطئة المترامية، والموروث الأسطوري الذي عزّز تلك الأفكار جانباً، وبحثنا في الموضوع بجدية أكبر، سنجد أن لهذه الظاهرة أسباباً مختلفة منها أسباب بيولوجية، وعقد اجتماعية، وعقد نفسية، وقد اختلفت الآراء في تفسير هذا السلوك الشاذ؛ فتم عزوه من وجهة نظر علم الاجتماع إلى عزلة النساء أو قتلتهن، أو ما يسود الحياة العسكرية من كبت في العواطف، وحرمان من الجنس، أو الافتتان بالجسد العاري في الألعاب، أو الاستجابة لنداء الغريزة حيثما يشتدُّ الاختلاط وتتوافر عناصر التحاب (علي، 1974م، 68). أمّا على الصعيد البيولوجي فقد اعتقد الإغريق أن الشذوذ الجنسي عند الناس هو ناتج عن حصول الإنسان على أعضاء تناسلية خطأ؛ سواء الذكور عندما يحصلون على أعضاء مؤنثة، أو بالعكس. ويُعدُّ الطبيب اليوناني سوارنوس Soranus خير من عالج موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء في العصور القديمة، والذي أشار إلى «إن الرغبة الزائدة عند النساء هي التي يمكن أن تتحول إلى شذوذ، والتي يمكن معالجتها بالختان»، طبعاً رغم أن هناك تكتماً على موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء في بلاد الإغريق قبل احتلال الرومان لها في سنة 146 ق.م (Speth, 2015, p.10). بينما يذهب علم النفس إلى أن الشذوذ الجنسي في المجتمع اليوناني القديم مردهُ العقد النفسية، على اعتبار أن الشذوذ في تشخيصه مشكلة نفسية أكثر ممّا هو مشكلة بيولوجية، ومشكلة نفسية فردية قبل أن يصبح مشكلة اجتماعية، وقد بدأ الشذوذ الجنسي عند النساء قبل الرجال، وقد بدأ من النظرة الفوقية للجنس الأقوى (الذكور) إلى الجنس الأضعف (الإناث) والنفور النفسي منهن.

إنَّ هذه العُقدة يمكن أن نلامسها في شخصيات تُعدُّ محورية في البنية الثقافية عند الإغريق، لاسيما أنَّ هذه الشخصيات هي الأكثر تعصُّباً في تاريخ البشرية ضد المرأة، ويأتي على رأسها الشاعر هزيبود Hesiod الذي عاش في القرن الثامن ق.م؛ حدًّا وصلت درجة عداؤه للمرأة أنه كان محتاراً فيما ينصح قُراءه، هل ينصحهم بالزواج أم بالعزوبة؟ على اعتبار أنَّ الزواج شرٌّ من وجهة نظره، وهو «شرٌّ جميلٌ» لا يستطيع الرجل أن يقاومه، لكن هزيبود قاومه، إذ يبدو أنه كان مؤمناً بنظيرته جدًّا، لدرجة أنه عاش دون امرأة، إذ كان عازباً أو أرملاً (عياد، 1980، ص 116)، ومن آرائه في النساء: «إن من يركن إلى إمراة مثل الذي يركن إلى لصٍّ»، فالمرأة إذاً كانت في نظره نموذجاً حياً للخيانة والخدعة. وهزيبود نفسه كان ضحية الموروث الأسطوري المتوارث، إذ كان من أنصار أسطورة يونانية قديمة، يُقصُّها علينا في كتابه أنساب الآلهة، تصف المرأة «باندورا-حواء» بأنَّها: «هدية الإله زيوس للبشر في ساعة غضب» (Persson, 2016, p.9)، هذا فيما يخصُّ نظرة المجتمع.

أمَّا الذين تزوجوا فلم تكن المؤسسة الزوجية في نظرهم مؤسسة مُقدَّسة، فرغم أنَّ الإغريق كانوا ينظرون إلى بيت دون امرأة كبيت فارغ، ورغم أن كل بيت في اليونان كان فيه غرفة خاصة للزوجين؛ فيها سرير زوجي، إلَّا أن الحرية الجنسية كانت مطلقة للرجل في المجتمع اليوناني (Adāmut, p.12)، حيث كان هناك اعترافٌ أنَّ الزواج لا يمكن أن يحتوي شبق الرجل، لذلك كان الرجال المتزوجون وغير المتزوجين أحراراً في ممارسة الجنس مع العاهرات الإماء (غارلاند، 2023م، ص 254)، وكان للرجل أن يتخذ لنفسه ما شاء من المحظيات له دون أن يتسبب له ذلك بمشكلة (Kelleher, 2011, p.21). هذا ناهيك أنه لم ينظر إلى المرأة على أنها مواطن حقيقي في الدولة يتمتع بكامل حقوقه، وبالتالي أُخرجت المرأة خارج مجتمع الأحرار، مثلها مثل العبيد والغرباء المقيمين، وهكذا حُرمت من حقوقها السياسية، تلك الحقوق التي حُصرت بالذكور البالغين؛ الذين تجاوزوا العشرين سنة من عمرهم فقط (Bonk, 2013, p.23). إنَّ النظرة الذكورية المتعالية على المرأة، قابلتها ردة فعل نسائية خطيرة على المجتمع، لم تقف عند الخيانة الزوجية، بل تعدتها إلى موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء، وربما إنَّ الشذوذ الجنسي عند النساء أقدم منه عند الذكور. وتلك الحركة قادتها الشاعرة اليونانية المشهورة سافو Sappho (560 - 612 ق.م)، وهي امرأة مشهورة برغباتها الجنسية الشاذة

اتجاه الفتيات السحاقيات Lesbianism، حتّى أنّ سافو كانت أوّل امرأةٍ في بلاد اليونان فتحت مدرسةً لتعليم الفتيات السحاقيات الشعر والموسيقى في جزيرة لسبوس Lesbos، ومن اسم الجزيرة تمّ اشتقاقُ لفظ السحاقيات، وفي تلك الجزيرة كانت توجد مدرسة مُغلقة للفتيات السحاقيات، حتى أنهن كن يتجولن فيها عاريات، ولم تكن سافو تُسمّي الفتيات في مدرستها تلميذات، بل رفيقات. وقد نظمت فيهن كثيراً من الأشعار (120 ألف بيت)؛ تكشف فيها عن عشقتها للتلميذات (عياد، 1980م، ص 167)، ومدح السحاق، والتصريح بشوقها إليه، حتى وُصفت بأنها شاعرة الشذوذ الجنسي.

لقد بدأت القصة مع الشاعرة سافو حين تزوّجت رجلاً انجبت منه طفلة، ثم أصيب بعدها الزوج بالعجز الجنسي، فلم يعد قادراً أن يشبع لها غريزتها، ورغم أن الشاعر الروماني أوفيد Ovid يؤكد أن سافو تعرّضت للوم الاجتماعي كسحاقيّة، إلّا أننا لم نعثر على نصّ معاصر يُبين نظرة المجتمع اليوناني إلى هذه المجموعة من الفتيات اللواتي اخترن لأنفسهن هذا النمط من العلاقات الجنسية الشاذة (Speth, 2015, p.47). فمن الصعب جداً معرفة نظرة اليونان إلى موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء، باستثناء الشاء الذي حصلت عليه الشاعرة اليونانية سافو من قبل كبار الكتاب والأدباء الإغريق، وهؤلاء فئة تُعبّر عن رأي محدود من أبناء المجتمع (Speth, 2015, p.10)، لكن هذا الشذوذ لم يُقابل بالوم كما أدعى أوفيد، والدليل على ذلك هو أنه كثيراً ما كانت تُعنى الأشعار التي كتبتها سافو في حفلات الزفاف في بلاد اليونان من قبل جوقات الفتيات الشابات (Pomeroy, 2004, p.83).

ويبدو أنّ الإغريق قد قبلوا اللواط بين الرجال، وعدّوه نوعاً من المطارحة النبيلة، وعلاقة جسدية عابرة بين ذكّرين، ومن دون أن يطالبوا أن تحلّ المثلية محلّ العلاقة الطبيعية، وما أرادوه هو أن تكون العلاقة الأولى رافدةً للثانية، لا بل إنهم احتقروا المخنثين؛ الذين ليس بوسعهم الاستغناء عن هذه الممارسات، وهكذا عدّ الإغريق أنّ المثلية فعلٌ مقبولٌ ضمن شروط مُعيّنة (غارلاند، 2023م، ص 257)، ويشهد على ذلك علاقة أخيل مع بريسيس وفطرقل في الإلياذة، فعلاقة أخيل الجنسية مع بريسيس تمتّ منذ أن أهديت إليه؛ مكافأةً له كمحارب عظيم. لكن هذه العلاقة الطبيعية بين أخيل وبريسييس، لم تمنع من استمرار العلاقة الشاذة بين أخيل وفطرقل، والعكس صحيح، فالعلاقة المثلية الجنسية بين أخيل وفطرقل لم تدفع إلى طرد

بريسيس من مشهد الأحداث، وجميع المثليين الجنسيين في المجتمعات الغربية القديمة، كانت لهم علاقات جنسية مع العاهرات، إضافة إلى علاقات الشذوذ الجنسي (Barnes, 2014, pp.12, 13). لكن المشكلة الكبرى التي وقع فيها المجتمع اليوناني القديم، أن فعل اللواط الذي كان في نظرهم لا يتعدى كونه علاقة عابرة، تحوّل إلى مرض اجتماعي متمثل في زواج الشواذ جنسياً، بمعنى حلول المثلية محل العلاقة الطبيعية التي يجب أن تقوم بين رجل وامرأة (Barnes, 2014, p.5)، وأقدم مثال على هذه المشكلة هو زواج هارموديوس Harmodius من أرسطوجيتون (Aristogeiton) Barnes, 2014, pp.2, 3.

وإذا بحثنا في المعطيات التي أدت إلى شيوع الشذوذ الجنسي، سنجد أن العزوف عن الزواج أو تأخير سنه كان من أهم الأسباب، فرغم أنه كان يحقّ نظرياً للفتى في أثينا الزواج متى بلغ 18 من عمره، إلا أنه من النادر أن يتزوج فتيان أثينا في سن مبكرة، بل كانوا يفضلون الانتظار حتى يتجاوزوا سنّ الثلاثين. إن الفراغ الذي يترك فيه الفتى، والحرمان الجنسي من علاقة منتظمة يُولد الشذوذ، ويفتح باب الدعارة الذكورية على مصراعيه في ظلّ انعدام القيم الاجتماعية، وغياب الرادع الديني، وانتشار مفاهيم وموروثات خاطئ (Pomeroy, 2004, p.158)، حتى أمست أثينا واحة الشذوذ الجنسي والبغاء الذكوري في العصور القديمة (Adāmut, p.13).

ولما كان الجيش جزءاً من المجتمع تسرّب إليه الشذوذ الجنسي، وإن كان عددٌ من المؤرخين يرى العكس، أي أن الجيش هو الذي أتى بالشذوذ الجنسي إلى المجتمع، حتى إن إحدى النظريات القديمة برهنت أن اللواط قد وفد إلى اليونان مع الغزوات الدورية، استناداً إلى بنية الدوربين العسكرية المتينة (Barnes, 2014, p.2). وبالعوم أكد المؤرخون أن اللواط كان جزءاً من عقيدة المجتمعات الغربية القديمة المحاربة، حيث يضطر الذكور إلى الانغلاق على أنفسهم، وفي هذه الأماكن المغلقة تنشأ علاقات جنسية شاذة، وقد برّر أولئك المحاربون أن هذه العلاقات الجنسية فيما بينهم ما هي إلا نوع من صداقات متينة وحميمية (Adāmut, p.15)، وقد استشهد المؤرخون بنماذج، والتي كان فيها كتيبة مقاتلة قوامها ثلاثمئة شاب انخرطوا في سلكها على أساس أن كلّ شابين فيها متحابان، وكانا يُدربان على أنماط عاطفة الحب المتبادل، والقتال سوياً ولقاء الموت معاً في الميدان (علي، 1974، ص 68). وقد اقترح فريقٌ من المؤرخين أن اللواط قد أتى إلى أثينا من إسبارطة التي كانت تسودها أجواء عسكرية

قاسية، وكان يتم فيها انتزاع الفتى من أسرته في سن مبكرة، ووضعه تحت سلطة مدربين أكبر منه سناً، ولم تجد إسبارطة مشكلة في رواج المثلية الجنسية بين جنودها؛ مدعية أنها أحد أنواع زيادة اللحمة العسكرية فيما بينهم (Barnes, 2014, p.2).

طبعاً لا شك أن اللواط قد طبّقته المجتمعات اليونانية المحاربة، لكنه أقدم من الدورين وأقدم من الإسبارطيين، وأقدم من داركون وقوانينه الصارمة، فمن يقرأ الإلياذة سيجد أنه ولوقت طويل كانت الأخبار تنتهي إلى مسامع أخيل عمماً يدور في ساحة المعركة، وعمماً يعاني منه الآخيون من خسائر كبيرة، وأنه قتل منهم عدد كبير، وهدد معسكرهم في أكثر من مرة، لكنه بقي خاملاً لا يريد القتال، حتى وصل إليه نبأ مقتل شخص واحد هو فطرقل على يد هيكتور، فظهر في الميدان بعنفوان لا يوصف، وانتقم بذبح هيكتور البطل الطروادي، في الواقع لم يكن قتل هيكتور مفخرة عظيمة فقط، بل تضحية لا توصف، لأن النبوءة كانت قد أشارت إلى أن أخيل إذا ظلّ معتزلاً القتال؛ فإنه سيعود إلى بيته وسيموت بسبب الشيخوخة، بمعنى أنه سيحيى عمراً مديداً، أمّا إذا قاتل فإنه سيموت في الميدان، وهكذا قبل أخيل بالموت من أجل الانتقام لموت صديقه فطرقل، وهكذا تلخص الصداقة الحميمة في المجتمعات المحاربة (Barnes, 2014, p.14).

لقد كان للشذوذ الجنسي في المجتمع الإغريقي أعرافاً، منها: أنه لم يكن الاتصال الجنسي المثلي بين الذكور مقبولاً إلاّ حينما يكون غير متناظر، أي بمعنى أنه يفترض أن تكون العلاقة الشاذة (اللوواط) بين ذكّرين؛ أحدهما رجل والآخر فتى مراهق شاب لم تنبت لحيته بعد، فبينما كان الرجل قد جاوز الثلاثين يجب أن يكون الفتى بعمر 12-15 سنة، أي قبل أن ينهي الفتى دروسه في الثامنة عشر من عمره. ويجب أن يكون الرجل هو الشريك النشط حصراً، ومن المخزي له أن يكون الشريك السلبي. وعلى الفتى ألاّ يقبل المال من الرجل، ويبقى الفتى يمارس عليه اللواط حتى يبلغ سنّ الرشد ويعترف به كمواطن (Dover, 1987, pp.91-109). إنّ هذه الصلات كانت جزءاً من ثقافة المجتمع وهويته، وكانت تُوفر أساس التربية الأرستقراطية في عصر الآخين، وقد ادّعى القائمون على هذا النظام التربوي المقيت، أن اللواط يزيد الفتى حكمةً وضبطاً للنفس ويُطور من شخصيته. وادّعى الإغريق أن هذه العلاقة (اللوواط) لا تُقدّم السرور الجنسي إلى الحبيب فقط، وإنما تقدم إلى المحبوب أصول التربية

(Kelleher, 2011, p.13)، وإنَّ أقدمَ مثالٍ نمتلكه يدعم وجهة النظر هذه هو بداية العلاقة بين فطرقل وأخيل، والتي تعود إلى وقت كانا صغيرين جداً في مملكة باثيا Phthia، عندما كان بيولس Peleus والد أخيل ملكاً هناك، وأتى مينوتيسوس Menoetius بابنه فطرقل من أوبوس Opous، ليتربى سوياً مع أخيل، ويكون مُرشداً له، كونه كان أكبر منه سنّاً (Barnes, 2014, p.10).

وقد أكَّدَ إكسينوفون Xenophon أن الشذوذ الجنسي عند الإغريق كان جزءاً من أساس التربية المدرسية، إذ كان من الواجب على الفتى أن يرتبط عاطفياً بأستاذه، فكلُّ فتى بالغ نبتت لحيته عليه أن يكون قد تعلَّم شيئاً عن اللوطة، لأنها أمرٌ مهمٌ يجب أن يعرف عنه التلميذ، وغالبًا ما تكون هذه العلاقة بين رجل بالغ وفتى مراهق (Adāmut, p.14) كما أسلفنا. ويُسمَّى الرجل الذي يقوم بفعل اللواط في اللغة اليونانية القديمة Erastes، بينما كان الفتى المراهق الذي يقع عليه فعل اللواط يُسمَّى Eromenos بمعنى المحبوب (Barnes, 2014, p.1). وهذه السمة التربوية امتدت إلى ما بعد فترة المراهقة؛ فتحول اللواط إلى ظاهرة شذوذ جنسي عام في المجتمع، بمعنى أن العلاقة لم تعد بين مراهق وشاب، وإنما أصبحت بين البالغين اثنين (Adāmut, p.16)، وبعد أن أدرك كثير من المشرعين في أثينا أن الشذوذ الجنسي قد أفسد فتيان المدينة، عمدت كثيرٌ من المدارس إلى البحث عن مُدرسين فوق سن 40 سنة، على فرض أن شهواتهم الجنسية ستكون أخف (Kelleher, 2011, p.16).

كما كان الشذوذ الجنسي عند الإغريق جزءاً من أساس التربية الرياضية، فجميعنا يعلم مدى أهمية الرياضة بالنسبة إلى الإغريق، وكان الجمنازيوم؛ وهو مؤسسة تربوية رياضية يونانية، دورٌ كبيرٌ في شيوع اللواط في المجتمع اليوناني، والجمنازيوم لغة يعني مكان التعرُّب (غلاند، 2023م، ص 255)، ولما كان الجمنازيوم المكان الاجتماعي والرياضي لنخبة أثينا، إذ كانوا يلتقون فيه للجلوس، والتحدث، والاستمتاع بمشاهدة العروض الرياضية. كان الأطفال والفتيان يدرّبون أجسادهم بالرياضة فيه؛ من أجل أن يصبحوا جنوداً بلياقة عالية لمواصلة الكفاح في ساحة المعركة، وفيه كانوا يتدربون ويُقدِّمون عروضهم الرياضية وهم عراة، لكن في هذا المكان استملح كثيرٌ من الإغريق معاشرَةَ الأطفال، بعد أن أغرتهم رشاقتهُم، وسرعان ما صاروا عُشاقاً لهؤلاء الفتيان (Kelleher, 2011, p.14). وقد تردد في شعر كاتاكريون وإبيكوس

وثيوجنيس أبيات عديدة في غزل الغلمان (علي، 1974، ص 68). ورغم أنّ القانون الاثني ربط جريمة الاعتداء على الكبرياء بجريمة الاعتداء الجنسي، ومرتكبها المدان كان يُحكم عليه بالموت، فقد كانت مشكلة الفتیان الأساسية في أنهم تحت السنّ القانونية، وبالتالي كانوا غير مؤهلين للدفاع عن أنفسهم (Kelleher, 2011, p.17). والأبشع أن الإغريق قاموا باستغلال أطفال العبيد جنسياً؛ إذ جرت العادة على دفع الأطفال الذين تمّ استرقاقهم إلى العمل في بيوت الدعارة الذكورية، كما كان الحال مع فيدون الإليسي (السليمان، 2021م، ص 210).

والأهم أن الشذوذ الجنسي عند الإغريق كان نوعاً من التربية الوطنية، فالمؤرخون يصفون لنا علاقة الحب المتينة بين الزوجين المثليين هاروموديس وأرسطوجيتون، والغيرة التي أدت إلى اغتيال طاغية أثينا هيبارخوس Hipparchus ابن بيسيراتوس Peisistratus في سنة 514 ق.م، على يد هذين الزوجين، فبعد أن أحبّ هيبارخوس الشابّ المخنث هاروموديس، كان هذا الأخير متعلقاً بأرسطوجيتون، وعندما رفض هاروموديس أن يستجيب لرغبات هيبارخوس، بدأ الأخير يُعدّ العدة للانتقام منه فطلب من أخت هاروموديس أن تكون إحدى حاملات الهدايا في احتفالات عيد عموم الأثينيين، وكان ذلك شرفاً خاصاً ببنات الأسر الشريفة، وقد قبلت الفتاة الأمر بطيب نية، لكن هيبارخوس وبخها أمام الحاضرين بحجة أنّها لا ترقى إلى هذا الشرف، عندها خطّط كلُّ من هاروموديس وأرسطوجيتون لقتل هيبارخوس، وكان لهذه الحادثة دور عظيم في تحول أثينا نحو النظام الديمقراطي، بمعنى أنّ اليونانيين كانوا يُمجّدون هذين الزوجين، لدورهما البارز في إسقاط الاستبداد والتحول نحو الديمقراطية الأثينية، وتم تكريم هذين المثليين بتخليدهما بتمثال برونزي، ومُنِع إطلاق اسميهما على العبيد (Barnes, 2014, pp.7,8). وإن كانت هذه الشخصيات نصفها تاريخي ونصفها أسطوري، فإنها حملت الكثير من الرمزية لأثينا، فهذه الشخصيات لم تكن أسماء عادية لتُنسخ من التاريخ، وبالتالي فإنّ جميع تصرّفاتهم رفعت إلى درجة القداسة، ويبدو أنّ اليونانيين استخدموا أسماءهم لتأكيد شرعية المثلية الجنسية التي يقومون بها (Barnes, 2014, p.5).

■ ثانياً الشذوذ الجنسي عند المقدونيين:

إنّ أفضل مثال يمكن أن يُدرّس للشذوذ الجنسي عند المقدونيين هو قائدهم الإسكندر

المقدوني، لقد كانت ميول الإسكندر المقدوني الجنسية موضع نقاش وشك بين المؤرخين، وما كان يعزز تلك الشكوك أن الإسكندر لم يمتلك أيّة عشيقة، كما إنّ جميع زيجاته عُقدت لأغراض سياسية (Thornton, 1988, p.33)، وبالعودة للتاريخ يتبين لنا فعلاً أن الإسكندر كان يتزوج لأغراض سياسية بحتة، فقد تزوّج من روكسانا Roxane زواجاً سياسياً في أثناء حملة صغديا Sogdiana في ربيع سنة 327 ق.م، وبعد عودته من حملته على بلاد الهند تزوّج من ستاتريا Stateira ابنة الملك الفارسي داريوس الثالث Darius III (331-335 ق.م) في سوسا Susa في ربيع سنة 324 ق.م. لقد كانت عادةً تعدد الزوجات والإكثار منهن عادةً مُتبعة في مقدونيا؛ حتى الإسكندر نفسه كانت أمّه أولمبياس هي الزوجة الرابعة لفيليب؛ والتي تزوّجها في غمرة تحالفاته السياسية. إذاً كانت جميع تلك الزيجات تتم لأغراض دبلوماسية، وليس هناك ما يُثبت أن الإسكندر كان عاشقاً لأيّ من تلك النساء اللواتي تزوج منهن. عموماً لم يكن الزواج في المجتمعات اليونانية يقوم على الحبّ، لأن المرأة اليونانية أدنى قيمة من الرجل؛ وهي لا تستحق أن يحبها، وفق المعتقدات اليونانية القديمة، وبالتالي زوجات الإسكندر وفق تلك العقلية السائدة في ذلك العصر هن أوضع من أن يأسرن قلبه، وإنّ وجودهن كنوع من توطيد العلاقات الدبلوماسية (Kitchen, 2020, p.5)، ورغم وجهة هذا الشاهد إلّا أننا بحاجة إلى دراسة أعمق لفهم جذور الإشكالية:

لقد كان الإسكندر حليق الوجه، وكانت تلك العادة تُعدّ إشارة إلى المخشّين، إلّا أنّ رفاق الإسكندر قد اقتدوا به، واستمرّ ملوك اليونان والرومان يحلقون ذقونهم حتى عهد الإمبراطور الروماني هادريان Hadrian (117 - 138م) الذي أطلق ذقنه (Alterman, 2000, p.6). فهل كان الإسكندر خنياً حقاً؟ لقد شجعت بعض دويلات المدن اليونانية العلاقات الجنسية المثلية (اللواط) بين أفراد الوحدات العسكرية المقاتلة كنوع من الرابط النفسي بين عناصرها، فالفرقة المقدسة في طيبة كانت تتبع مثل هذا الأسلوب من العلاقات الجنسية المثلية، وربما إنّ هذه العادة تسرّبت إلى مقدونيا من خلال الرهائن الذين كانت ترسلهم مقدونية إلى طيبة (قبل أن يعتلي فيليب الثاني العرش كان رهينة في طيبة بين سنتي 364 - 367 ق.م أي بين الـ 15 و 18 من عمره)، حتى أن المصادر التاريخية تشير إلى أنّ فيليب الثاني كان متورطاً في عدد من العلاقات الجنسية المثلية، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنّ سبب مقتل فيليب كان ناجماً عن تلك

العلاقات الشاذة، بعد أن اشتكى له الضابط بوسنياس Pausanias (وكان أحد المثليين جنسياً ، والذي ربطته علاقة حميمة مع فيليب الثاني)؛ بأنه تعرّض إلى الإهانة والاعتصاب بقسوة من قبل أتالوس، فأعرض عنه فيليب ورفض أن يأخذ له حقه، فما كان من بوسنياس إلا أن انتقم منه بقتله، في حين تحاول المراجع الكلاسيكية التي اعتادت تمجد الإسكندر ووالده أن تُلقِي باللائمة على الفرس، وتُصوّر بوسنياس على أنه عميلٌ مدسوسٌ، قَتَلَ فيليب بعد أن دفع له الفرس وأمروه بذلك (Kitchen, 2020, p.7).

وبما أن الإسكندر كان فرداً في هذا المجتمع كان من الطبيعي أن يقيم عدداً من هذه العلاقات المثلية، وقد جرى أنه كان عاشقاً لأحد أصدقائه المدعو هفايستيون ، والذي كان ينعتة المؤرخ الإغريقي أليانوس تاكيتوس Aelianus Tacticus (101 - 150م) بالمفردة الإغريقية «إيرومينوس» والتي تعني «المحبوب» باليونانية القديمة، ويذكر لنا هذا المؤرخ قصة تدعم شكوكنا؛ جاء فيها أن الإسكندر عندما زار طروادة، اتجه إلى قبر أخيل وكلّله بالزهور، فيما اتجه هفايستيون إلى قبر فطرقل وكلّله كذلك، ممّا يعني أنه كان عشيّقاً للإسكندر، تماماً كما كان فطرقل عشيّقاً لأخيل، بمعنى أن كلّ واحد منهم قد توجّح قبر نظيره.

ورغم أن الإغريق لم يكثرثوا كثيراً بقضايا المثليين جنسياً، وغضّوا النظر عنها بصفقتها شكل من أشكال الدعارة الذكورية الشائعة بينهم، كما لم تكن بالأمر المحرّم أو غير الطبيعي في تلك الأيام، إلا أنها كانت تعدّ نقيصة أخلاقية لا يمكن المجاهرة بها، ولا شك أن هذه العلاقة الجنسية الشاذة كانت في نظر معاصريه أمراً مرفوضاً لقائد بحجمه، إلا أن الإسكندر لم يكثرث بالأمر، لكن الذي أثار جنونه هو موت هفايستيون بالمرض، فأمر بقتل الطبيب المشرف على علاجه، وحلق رأسه حداداً عليه، وأمر له بجنّازة عظيمة، لا بل إن الإسكندر فقد أعصابه من شدة الحزن فاستمر أربعين يوماً في حالة هياج شديد، يهاجم خلالها القرى ويقتل كل من يلاقيه في طريقه، لقد لعبت وفاة هفايستيون دوراً في جعل صحة الإسكندر تتراجع بوتيرة أكبر، وأسهمت في اختلال اتزانة العقلي (Kromhout, pp.26, 27).

في الواقع لم يكتفِ الإسكندر بصديقه هفايستيون بل أقام علاقة مع الخصي باجوس Bagoas، وحتى نكون منصفين: لم يكن من العادات والتقاليد اليونانية أن يكون هناك خصي في القصر، فهم ليسوا مواطنين كاملين، ولا يحقُّ لهم شغل الوظائف العامة، ولما كانت هذه

العادة شائعة في القصور الفارسية، لم يجد الإسكندر حرجاً من إبقاء هذا الخصي في رفقته، واتخذ منه وسيلة لإشباع رغباته الجنسية، ولم يستطع الإسكندر أن يخفي شوقه إليه وعلاقته به أمام الجميع؛ فالمؤرخ الشهير بلوتارخ يصف القبل الحميمة والمودة البالغة لهذا الخصي من قبل الإسكندر، ولم تؤد هذه المعاملة إزعاجاً لأحد من جنود الحملة اليونانيين أو المقدونيين، حيث إنها كانت ضمن العادات والتقاليد اليونانية للدعارة الذكورية (Kitchen, 2020, p.5). بمعنى إن جميع علاقات الإسكندر الجنسية سواء السليمة منها أو الشاذة كانت متسقة مع العادات والتقاليد والأفكار اليونانية الموروثة حول الجنس.

■ ثالثاً: الشذوذ الجنسي عند الرومان:

لقد كان شيشرون يرى أن كل من يخالف الطبيعية هو شاذ وغير مقبول، فمثلاً أكد أن المشي على الأيدي أو إلى الخلف هو أمر شاذ وغير طبيعي، وبالتالي ووفقاً لهذا المنطق يجب أن يكون اللواط فعلاً شاذاً. لكن يبدو أن كلامه لم يكن مقنعاً للرومان، مادام أنهم اعتقدوا أن شرح الطفل يجب أن يخترق من قبل رجل بالغ (Younes, 2017, p.18). في الواقع لقد لعبت الخلفية الثقافية دورها في الشذوذ الجنسي عند الرومان، فمن يطلع على بعض أساطيرهم يدرك ذلك، ففي إحدى الملاحم الأسطورية والتي دوتها الشاعر أوفيد شيء من هذا القبيل، منها قصة إيفيس Iphis وإيناثي Ianthe هذه القصة تدور حول أم كانت حاملاً، فأتى إليها زوجها وأخبرها أسفاً بأنه سيقتل المولود إذا كان أنثى، فأتى السيدة الحامل الإله إيسيس Isis في حلمها، وأخبرها بأنها حامل بأنثى، وطلب منها أن تخفي حقيقة جنس المولودة عن أبيها، وأن تربي المولودة كمولود ذكر، وبالفعل فعلت الأم ذلك، إذ أنشأت ابنتها إيفيس كما لو أنها ذكر، وعندما كبرت إيفيس بحث والدها -الذي كان لا يزال يعتقد أنها ذكر- عن زوجة جميلة لابنه فوجد إيناثي، وتم تزويجهما من بعضيهما. طبعاً القصة لم تنته بشكل سيء، إذ تضرعت الأم إلى الإله إيسيس الذي تدخل في الوقت المناسب وحوّل إيفيس إلى ذكر حقيقي، فتم الزواج بصورة صحيحة، وبالتالي فإن فكرة التحول الجنسي لم تكن أمراً مستهجناً عندهم (Speth, p.12). وإذا تركنا الخلفية الثقافية قليلاً سنجد الواقع أشدّ فظاعة؛ وإن فكرة الرجولة والطبيعة الجنسية عند الرومان كانت نوعاً مختلفة، فالمجتمع ذكوري وبالتالي الرجل يحق له أن يمارس ذكورته على النساء

وعلى الأطفال الذين هم أقل مرتبة اجتماعية منه، لكنه إذ سلّم جسده ليكون هو المحبوب، فهذا انتقاص عظيم لرجولته، ووفقاً لهذه القاعدة كان بوسع الرجل الروماني أن يتمتع بعبده جنسياً كيف ما شاء ومتى ما شاء، أولئك الأفراد الذين ما كان عندهم قوة قانونية تحميهم (Younes, 2017, p.20).

وقد كتب الشاعر الروماني بروبرتيوس Propertius في نصف الأول من القرن الأول ق.م: «أعدائي يقعون في حب النساء، وأصدقائي في حب الأولاد [اللواط] ... لا يمكن أن يأتي الأذى من مثل هذه القناة الضيقة [يقصد شرح الاطفال]». بشكل عام مارس الرومان الشذوذ الجنسي كما فعل الإغريق من قبلهم، فطالما تمّت ممارسة اللواط على عبد صغير؛ فهذا الفعل قانوني، لكن الرومان مثلهم مثل الإغريق استهجنوا أن يمارس الرجل الحر فعل اللواط بالدور السلبي في الجنس (دور المعشوق: impudicus)، وقد أكدّ الفيلسوف سنيكا Seneca على ذلك، ورفض أن يستمر الرجل في مضاجعة العبد الصغير بعد أن يكبر وينبت في وجهه شعر، لأنه عندها سيُعدُّ عملاً مرفقاً وغير شرعي (Veyne, 1985, pp.31-33).

ولم يقتصر الأمر في روما على الدعارة الذكورية، فلدينا كثيرٌ من الأمثلة عن المرأة الرومانية الشاذة، التي كانت تهرب من فراش زوجها لتمارس السحاق؛ مع سيدة تماثلها في الشهوة الشاذة. وقد استخدم الرومان الكلمة اليونانية τριβὰς (tribas) وتعني «فرك» للإشارة للسحاقيات، وكانت الكلمة تستخدم للإشارة إلى الفتاة الشاذة جنسياً. وقد أكدّ الرومان أن هذه العادة قد وفدت على نسائهم من الإغريق. وقد تحدّث الكتاب الرومان عن السحاقيات في المجتمع، دون الإشارة إلى كيفية ممارسة هذا الفعل، تاركين للقارئ أن يطلق العنان لمخيلته، ويبدو أن تلك الأفعال في العصور القديمة لا تختلف كثيراً عنها في العصور الحديثة (Speth, pp.3+8+11).

ويبدو أنّ الفساد الخلقي قد شاع في المجتمع الروماني، وانتشر الشذوذ الجنسي حتى وقع فيه أبرز الشخصيات الرومانية؛ وكان على رأسها يوليوس قيصر Julius Caesar (100 - 44 ق.م) ، الذي وصفه الجنرال سولا Sula «إنه لا يتمنطق بالحزام جيداً، ويتركه مرتخياً، ويرتدي مثل النساء أكماماً مُطرزة من المعصم». ولعل أشهر القصص التي حفظها المؤرخون عن شذوذه الجنسي علاقته المشبوهة مع ملك بثينا، فعندما ذهب قيصر إلى آسيا الصغرى، في بعثة رسمية

كبريتور، لمقابلة نيكوميديس الرابع ملك بثينا، قابله الأخير بكثير من الحفاوة حتى أنه أعطاه جناحه الخاص لينام به، ويرتاح من عناء السفر، وهي الحادثة التي تسببت في ظهور الشائعات. وما عزز تلك الشائعات أنه نسي نفسه في حفل الوداع الذي أقامه الملك، فقام بدور الساقى واضعاً نفسه إلى جانب حاشية الملك؛ من الشباب المخنثين والفتاة ساحرة الجمال. وهذا ما دفع شيشرون إلى أن يصرخ: «إن قيصر فقد عذريته في بثينا»، وسرعان ما انتشرت هذه الشائعة في روما، ويبدو أن الذي نقل هذه الأخبار هم التجار الرومان الذين حضروا حفل الوداع. وقد ردّد الجنود الرومان حتى عندما كانوا تحت إمرة قيصر أغنية بذيئة يتهمون فيها قيصر برجولته، وكان ذلك في موكب النصر الذي منح له على انتصاراته في بلاد الغال، ما أغضب قيصر ودفعه إلى أن يُغلظ الأيمان أنها تهمة باطلة ومحض افتراء. ولكن روما لتغفر لقيصر زلته حتى بعد أن شاع عنه في روما أنه زير نساء، فمنافسه دولابيللا يُسميه «المنافس النسائي لملكة بثينا». ويقول عنه جايوس سكريبونيوس كوريو (قنصل سنة 77 ق.م) أنه: «عروس نيكوميديس»، و«مومس بثينا»، و«زوج كل امرأة وزوجة كل رجل». وعندما كان قيصر في مجلس الشيوخ يدافع عن بعض رعايا نيكوميديس بعد موته، تهكّم أحد الحاضرين وقال مُستهزئاً «إن قيصر مدين لهذا الملك بأكثر من معروف»، فقاطعه شيشرون بالقول: «دعك من هذا القول أرجوك، فجميعنا يعرف المعروف الذي صنعه الملك لهذا الرجل، والثلث الذي دفعه إليه». ويورد سويتونيوس في بيتين من قصيدة هجائية للشاعر كالفوس يقول فيها: «ثروات ملك بثينا الذي دلّل قيصر في فراشه». والجدير بالذكر أن قيصر ذهب إلى بثينا بعد موت ملكها، على أمل أن يجد اسمه في وصيته (عثمان، 1985م، ص 424).

لم يكن قيصر وحده شاذاً، كذلك كان صديقه مارك أنطونيوس Marcus Antonius (83 - 30 ق.م)، إذ ذكر المؤرخون أنه كان هناك عشيقٌ ذكرٌ لأنطونيوس اسمه ميسالا (كان رفيق بروتس)، ثم أصبح على صلة وثيقة بأنطونيوس، وأقام معه علاقة شاذة، إلى أن أضحى أنطونيوس عبداً لكليوباترا، وهكذا لم تظهر كليوباترا على أنها دمرت مصالح أنطونيوس السياسية فحسب، بل استخدم خصوم أنطونيوس القصة للتأكيد على أن هجرة أنطونيوس إلى ميسالا؛ هي دليل على تخليه عن التقاليد الرومانية (آنتون، 2017م، ص 157). لكن بعد سقوط النظام الجمهوري وقيام النظام الإمبراطوري استفحل الانحلال الخلقي، ولم تنفع صرامة القوانين التي سنّها أغسطس

للحدّ من ظاهرة الانحلال الخلقي، لا بل إن الذي اقترح تخفيف هذه القوانين على أغسطس وهو ماسناس؛ كان مختلاً ولم ينجب ولدًا، وفي هذا الوقت كان ماسناس يعيش عيشة الترف والخنوثة، وكان أغسطس يعوي زوجة هذا المخنث على الفحشاء (ديورانت، 1988م، ص 32). لقد وصل المجتمع اليوناني خلال هذا العصر إلى درجة من الانهيار أن هناك مصادر أدبية معاصرة تحدّثت أن الشذوذ صار معترفً به من خلال زواج المثليين، إذ يُحدثنا جوفينال عن زواج رجلين بالغين من بعضيهما في العصر الإمبراطوري، والشاعر جوفينال اشتمأ من غراكوس Gracchus الفتى الذي ينحدر من أسرة نبيلة، كيف قبل على نفسه أن يكون الزوجة في تلك العلاقة الشاذة، مع رجل هو أصلاً أدنى منه مرتبة اجتماعية. والأنكى من ذلك أن ذلك الزفاف تمّ في مراسم رسمية؛ إذ حضر الحفل الشهود والضيوف وتمّ عقد القران وفق مهر مُتفق عليه، وتمّت الاحتفالات، وجلبت العروس معها القماش المطرز، وارتدت ثوب الزفاف الطويل، ووضعت الطرحة على رأسها، وجلست في حضن عريسها، ويؤكد جوفينال أن الزفاف حصل تماماً كما لو أنه أُعدّ لفئة بكر زوّت من بيت أبيها إلى بيت زوجها (Gellérfi, 2020, p.96).

كما تردد أنّ عدداً من أباطرة الرومان مارس اللواط، وكان أولهم تيبروس، إذ كان تيبروس رجلاً شاذاً، كثير المجون، يهوى هتك أعراض الأطفال. أمّا الإمبراطور نيرون (54 - 68م) فقد كان منحلاً خلقياً يسير في شوارع روما، ليحلق به الشذاذ والمتملقون من الذكور والإناث، ويطلبوا منه أن يقدم لهم التسهيلات الجنسية (14-Younes, 2017, pp.12). وبعد أن توفيت سابينا Sabina، زوجة نيرون الثانية، أتى بعبد الشاب سبوروس Sporus فخصاه وعده زوجته الثالثة، وزفّه بثوب زفاف رسمي، وقدم له المهر، وتم الاحتفال بهذا الزفاف علناً. كما تزوج نيرون من معتق آخر اسمه فيثاغورث Pythagoras، وأقام له حفل زفاف بشهود ومهر وأريكة جلس عليها الزوجان وعلقت المصاييح بهذه المناسبة، لكن فيثاغورث كان الزوج في علاقته مع نيرون، وقد عزف نيرون لزوجه على القيثارة في هذا الاحتفال، الذي تم في أيام الاحتفالات بعيد الإله ساتور Saturnalia. هذا ناهيك عن زيارة نيرون لبيوت البغاء، والاعتصاب، وانتهاك بكارة عذراوات الربة فيستال Vestal، ونكاحه المحرم مع أمه، وتعذيب أعدائه بضربهم على أعضائهم التناسلية حتى الموت (Gellérfi, 2020, pp.94,95). لا شك أن كل هذه الأمور دفعت بولس الرسول إلى الكتابة للرومان، فكما هو معلوم للجميع فإنّ الدين السماوي يُحرّم مخالفة الفطرة التي خلق عليها

الإنسان، فبدأ بولس الرسول رسالته إلى الرومان يستنكر فيها الشذوذ الجنسي عندهم، وتؤرخ هذه الرسالة تقريباً ما بين سنتي (56-57 ق.م) أي أنه بعثها في زمن نيرون (14-Younes, 2017, pp.12).
 أمّا الإمبراطور ألغبال Elagabal (218 - 222م) فقد حوّل الحياة في روما خلال سنوات حكمه إلى مكان موبوء بكل أصناف الانحراف التي باركها الدين، عدا أنه لم يكن يميز بين الحلال والحرام، فكل شيء بالنسبة إليه مباح، جمع بين خمس زوجات، وكانت إحداهن من عذراوات الربة فيستال؛ التي يحرم الزواج بهن، والظاهر أن الإمبراطور الشره للجنس لم تكفيه خمس زوجات، فأضاف إليهن رجلين اثنين؛ أحدهما كان عبده الكاري هيروكليس Hierocles الفتى صاحب الشعر الأشقر، والذي كان يعمل سائقاً لعربته، أمّا زواجه الثاني فكان من الرياضي زوتيكيوس Zoticus من سميرونا Smyrna على الساحل الغربي للأناضول. وقد أصبغ الإمبراطور على نفسه -خلال زواجه من هيروكليس- صفات الزوجة والعشيقة والملكة، وأراد أن يجعل من هيروكليس قيصرًا رومانياً؛ لأنه كان يمارس عليه فعل اللواط، طبعاً من دون وجود إشارة واضحة إلى إقامة حفلة زفاف بمناسبة زواجهما. أما في زواج الإمبراطور الثاني من زوتيكيوس، فقد تم إقامة حفل زفاف رسمي، وقد صرّح الإمبراطور أنه يتمنى لو أنه كان أنثى حقاً، وكثيراً ما لعب دور ربة الجمال في المسرحيات التي كانت تعرض عنده في القصر، وكان يطيب له أن يُنعت بالصفات الأنثوية (93-Gellérfi, 2020, pp.91).

ويبدو أن الكثيرين اقتدوا بالإمبراطور، فهناك إشارات إلى أن عقود زواج تمت، وأقيمت حفلات زفاف للممثلين في الإمبراطورية الرومانية بصورة علنية، منها حفل الزفاف الذي تمّ في سنة 342م، والموثق بالمخطوطة «Codex Theodosianus»، وإن ما يدعم هذا الرأي هو صدور قرار إمبراطوري في القرن الرابع يحظر هذا النوع من حفلات الزفاف؛ وقد استمر الشذوذ الجنسي في روما حتى منعه جستنيان الكبير بموجب القانون، لكن بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية 476م عاد الشذوذ الجنسي إلى الانتشار في أوروبا مرة أخرى (Gellérfi, 2020, p.90).

الخاتمة:

إنّ الباحث في تاريخ المجتمعات الغربية القديمة سيجد أن الشذوذ الجنسي كان ظاهرة

عميقة الجذور عندهم، يدعمها موروث أسطوري، وأفكار خاطئة، وعقد اجتماعية ونفسية متراكمة، تخالف الفطرة السليمة التي فطر عليها البشر. وربما أن الشذوذ الجنسي عند النساء قد بدأ قبل الشذوذ الجنسي عند الذكور. ولم يعترف الغرب بالشذوذ الجنسي آفة اجتماعية بل سعى إلى الدفاع عنه، وتكريسه في مجتمعاته تحت شعارات مختلفة تراوحت ما بين الأئس التربوية والتربية الوطنية والتربية الرياضية وإعداد المواطن الصالح، والأنكى أن الإله زيوس وفلاسفة الإغريق وجنرالات المقدونيين وأباطرة الرومان كانوا متورطين في مثل هذه الأفعال المشينة، وبالتالي لا حرج على عوام الناس.

قائمة المصادر والمراجع:

- ◀ أحمد عثمان، يوليوس قيصر يسعى وراء السلطة، مجلة عالم الفكر، الصادرة عن وزارة الإعلام في دولة الكويت، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، سبتمبر 1985م.
- ◀ سالي-آن أشتون، كليوبترا ملكة مصر، ترجمة زينب عاطف، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة 2017م.
- ◀ روبرت غارلاندر، الحياة اليومية لليونان القدماء، ترجمة ثائر ديب، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2023م.
- ◀ عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي)، ج2، دار النهضة العربية، بيروت 1974م.
- ◀ عبد الله السليمان، الرقيق عند الإغريق، ضمن مشروع نقد الحضارة الغربية، ج4، تاريخ الإغريق بين القرنين الثامن والخامس ق.م، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت 2021م.
- ◀ محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ط3، دار الفكر، دمشق 1980م.
- ◀ ول. ديورانت، قصة الحضارة، قيصر والمسيح، ج2، مج3، ترجمة: محمد بدران، بيروت 1988م.

المراجع الاجنبية:

- ▶ Adămuț. A., Philosophical Aspects of Homosexuality in Ancient Greek., University of Iași, Romania.
- ▶ Alterman, L., Alexander III and the men who made him great., Master of Philosophy, Faculty of Arts, University of Glasgow, London 2000.
- ▶ Barnes. K, E., Beyond pederasty: Finding models for adult male Homosexuality in Classical Athens, A thesis submitted to the faculty of The University of Mississippi in partial fulfillment of the requirements of the Sally McDonnell Barksdale Honors College., Oxford 2014.
- ▶ Bonk, E., Differentiating Slaves from Wives in Ancient Athens by Social

Death., Presented in partial fulfillment of the requirements for graduation with Honors Research., The Ohio State University 2013.

- ▶ Dover, K. J., Greek Homosexuality., Cambridge, MA: Harvard University Press 1978.
- ▶ Gellérfi, G., Nubit amicus: Same-sex weddings in Imperial Rome., Graeco-Latina Brunensia 2020.
- ▶ Kelleher. B., Acceptance through Restriction: Male Homosexuality in Ancient Athens, Journal of History; Series II Volume 16, Article 7, 2011.
- ▶ Kitchen, M., Interpreting Alexander III of Macedon's "Sexuality" in the Ancient Greco-Macedonian World, Western Illinois Historical Review., Volume XI, Spring 2020.
- ▶ Kromhout, A., & Helene van de Ven., Alexander the Great, Great leader or madman? Liberal Arts & Sciences Capstone Project: An Interdisciplinary study., Universiteit Utrecht.
- ▶ Persson, L., Women and Their Bodies in Classical Greece: The Hippocratic Female., Bachelor's Thesis in Classical Archaeology and Ancient History, Uppsala University 2016.
- ▶ Pomeroy. S., B., & Stanley M. Burstein, & Walter Donlan & Jennifer Tolbert Roberts., A Brief History of Ancient Greece: Politics, Society, and Culture., University Press Oxford., Oxford 2004.
- ▶ Speth, N., Female Homoeroticism in the Roman Empire: How Many Licks Does It Take to Get to the Disruption of a Phallogocentric Model of Sexuality? Hofstra University, Hempstead, New York 2015.
- ▶ Thornton, L. R., Alexander the Great and Hellenization., Calvary Baptist Theological Journal I Spring 1988.
- ▶ Veyne, P., Homosexuality in ancient Rome, in Western Sexuality., Oxford; Basil Blackwell Ltd 1985.
- ▶ Younes, Michael, «Engaging Romans: an exegetical analysis of Romans 1:26-27», Masters Essays 78., 2017.

الاقتصاد السياسي لتيار الشذوذ في الولايات المتحدة

■ علي حسن مراد

(باحث في الشؤون الأمريكية- لبنان)

ملخص

لطالما امتهنّ النظام الرأسمالي الأمريكي عبر القرون حرفة مراكمة رأس المال عبر زيادة الإنتاج ودرّ الأرباح، متفتّناً في اختراع السلع وكل ما من شأنه أن يخلق له أسواقاً لتصريف إنتاجه. وفي سبيل تحقيق هذه الغايات، اعتمد سياسات وتشريعات سهّلت عليه الوصول إلى أهدافه. وكانت الرأسماليات الحاكمة في الولايات المتحدة تشقُّ طريقها نحو مراكمة القوة، التي مكّنتها من ممارسة الهيمنة. وقد كانت الدولة الرأسمالية العميقة بارعة في خلق القضايا وإنتاج الهويات التي سهّلت عليها تسليع ما رأت فيه مصلحة، فالحقوق التي سجّل التاريخ أنّها مُنحت لتحقيق أهداف تحرير الإنسان، كان خلفها مصلحة تعود بالنفع على نظام الهيمنة الرأسمالي. تفحص هذه الورقة تطوّر مسار النظام الرأسمالي الأمريكي، وما تؤمّنه منظومة المصالح الشركائية من هيمنة، وخاصة مع بروز تيار الشذوذ الجنسي في الولايات المتحدة. وتُظهر الأرقام في هذه الورقة جانباً من القوة الاقتصادية الكامنة وراء تيار الشذوذ الجنسي وطبيعة العلاقات المصلحية التي أنتجها العقل الرأسمالي الأمريكي، بما يضمن تحقيق عوائد مالية ضخمة، وينتج أسواقاً من شأنها أن تضمن السيطرة على المجتمعات.

الكلمات المفتاحية:

الاقتصاد السياسي، النظام الرأسمالي، النيوليبرالية، المجمع الصناعي العسكري، لوبي شركات الدواء، التحوّل الجنسي، الشاذين جنسياً، الهويات الجنسية، عائلة بريتزكر، الرأسمالية الوردية.

المقدمة

منذ ظهورها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وفق المذهب التجاري، قامت الرأسمالية على هدف تحقيق الربح اللامتناهي، الذي بقي ثابتاً مع تبدل مذاهبها وتنوع مدارسها في القرون اللاحقة. بحسب المدرسة المادية الرأسمالية، يسعى رأس المال دائماً إلى تحقيق الأرباح عبر زيادة الإنتاج والبيع وتخفيض الأجور بهدف مضاعفة الثروة، الأمر الذي عنى بأنّ صاحب رأس المال سيبقى مستعداً لصيانة مصالحه الساعية لمراكمة الربح، بمعزل عن النتائج والعواقب. وفق هذه المنطلقات، عمل النظام الاقتصادي الرأسمالي على تطوير ما من شأنه صيانة مصالحه وتفوّقه، وهو في مراحل لاحقة استطاع بأن يمتلك القوة التي مكّنته من ضمان ممارسة الهيمنة كما حصل في منتصف القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة الأمريكية. قبيل اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية عام 1861، كانت الرأسمالية الصناعية المتمركزة في الولايات الشمالية الأمريكية تطمح إلى توسيع إنتاجها ومراكمة أرباحها، عبر دفع الولايات الجنوبية إلى شراء بضائعها عوضاً عن استيراد ما تحتاجه من أوروبا. ظاهرياً، طالب الرأسماليون الشماليون بتحرير العبيد من رقهم للانتقال الفعلي إلى المجتمع الأمريكي الحرّ، وهذا ما يعني أنّ العبيد الذين سيتحرّرون كانوا سيتحوّلون إلى عمال بأجور، وهو ما رفضه الرأسماليون الجنوبيون الذين كان رأس مالهم يقوم على عمالة العبيد في الحقول الزراعية، وهو ما أدّى إلى اندلاع الحرب الأهلية التي انتصر فيها الشماليون عام 1865.

العامل بأجر حرّ وغير حرّ في الوقت نفسه، على عكس العبيد، الذين يجبرهم مالكوهم على العمل، حيث يمكن للعمال المأجورين أن يقرروا ما إذا كانوا سيعملون ولصالح من؟ (Fulcher, 2004). وعلى عكس الأفتنان في المجتمع الإقطاعي، الذين كانوا مُقيدين بأرض سيدهم، يُمكنهم التحرك بحريّة والبحث عن عمل أينما اختاروا. من ناحية أخرى، تُعدّ هذه الحريات وهمية إلى حدّ ما، لأنّه في المجتمع الرأسمالي يصعب البقاء على قيد الحياة دون

عمل مدفوع الأجر، وقد لا يتوافر سوى القليل من الخيارات حول العمل أو صاحب العمل. ويخضع العمال المأجورون أيضاً لرقابة مُشدّدة من قبل صاحب العمل، حيث إنّ الإنتاج الرأسمالي يقوم على العمل المنضبط والمستمر، وهو ما يعني أنّ العمّال يتحولون إلى «عبيد للأجور».

إنّ أهمية العمل المأجور لا تكمن في دوره في الإنتاج فحسب، بل في دوره في الاستهلاك أيضاً. لا يستطيع العمال المأجورون أن ينتجوا بأنفسهم ما يحتاجون إليه أو يرغبون في استهلاكه، بل يتعيّن عليهم شراءه، وبالتالي توفير الطلب الذي يُحفّز سلسلة من المشاريع الرأسمالية الجديدة. وهذا لا ينطبق على طعامهم وملابسهم وممتلكاتهم الشخصية فقط، بل على أنشطتهم الترفيهية أيضاً. لقد أدّى الإنتاج الرأسمالي بسرعة إلى خلق صناعات جديدة بالكامل تعتمد على تسويق الترفيه. إنّ هذا الدور المزدوج للعمل المأجور، والذي سهّل التفاعل الديناميكي بين الإنتاج والاستهلاك، يُفسّر سبب توسّع الإنتاج الرأسمالي بهذه السرعة الكبيرة بمجرد انطلاقه.

عاد النظام الرأسمالي الليبرالي في ستينيات القرن العشرين وطرح عبر الحزب الديمقراطي إعطاء الأفرقة بعض الحقوق التي فشل أجدادهم بتحصيلها قبل قرن بعد الحرب الأهلية وحقبة إعادة الإعمار التي قامت على أكتافهم. سعى الحزب الديمقراطي عبر تبنيّه مطالب «حركة الحقوق المدنية» إلى ضمان احتواء الأقليات واستقطابها ضمن الأيديولوجيا الليبرالية، التي «تحترم» حقوق الإنسان وتنبذ تطرّف الإنسان الأبيض. هكذا ضمن الديمقراطيون ولاء الأقليات الملونة مع كل استحقاق إنتخابي، واستفادت الرأسمالية المالية الداعمة للديمقراطيين من عائدات ولاء الأقليات، النابع من مظلوميتهم المنتصر لها في وجه الأكتورية البيضاء العنصرية. الأمرُ عينه يتكرّر اليوم، فالرأسمالية التي تواجه استمرار المعركة مع اليمين الأبيض داخلياً، برز في وجهها على الساحة العالمية، ومن داخل الأطر المعوامة التي صاغتها، قوى صاعدة كالصين، تنافسها وتهدّد زعامتها للنظام العالمي. وسط هذه الظروف، برز بشكل فاقع تبني الرأسمالية النيوليبرالية المعوامة ما تسمّى «الصحوة الليبرالية» ذات المضمون الحقوقي (Wokeness)، وفي قلبها تيارات الهويات الجسانية والجندرية التقسيمية، مع ما يصاحبها من مجموعات ولوبيات ضغط تنشط لنشر ثقافة الشذوذ والدفاع عنها داخل الولايات المتحدة

وخارجها. لقد بات النيوليبراليون، ولأسباب عديدة، أهمها إقتصادية، يرون بنشر ثقافة الشذوذ أداة ناجعة لتقويض المجتمعات التي تنافسهم وتهدد مصالحهم داخلياً وخارجياً. من هنا، كان لا بُدَّ من دراسة الاقتصاد السياسي لتيار الشذوذ الجنسي في الولايات المتحدة، في محاولة فهم ديناميات المصالح التي تنطلق منها الرأسمالية الأمريكية على اختلاف أنواعها.

المبحث الأول: تأثير اللوبيات الرأسمالية على صنع القرار الأمريكي

■ المطلب الأول: النيوليبرالية ورأسمالية الشركات

ظهر التأصيل النظري للنيوليبرالية في سبعينيات القرن الماضي، ومع فوز الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان وتسلُّم السلطة عام 1981، أعلن تبني إدارته مبادئ الاقتصاد الرأسمالي النيوليبرالي، والتي كان مُنظِّرو «مدرسة شيكاغو» أمثال ميلتون فريدمان وفان هايك قد طالبوا باعتمادها لعقود، كبديل عن الرأسمالية الكينزية التي أثبتت فشلها برأيهم. وتقوم النيوليبرالية على إزالة الحواجز التي تحول دون حرية حركة السلع والخدمات، وخاصة رأس المال، في جميع أنحاء الاقتصاد العالمي، وانسحاب الدولة من دور توجيه وتنظيم النشاط الاقتصادي، وخصخصة مؤسسات الدولة والخدمات العامة، وتقليص البرامج الاجتماعية التي تقدِّمها الدولة، وتقليص الضرائب على رأس المال، والانتقال من مفهوم التعاون بين رأس المال والعمل على مفهوم قيادة رأس المال بمساعدة من الدولة للسيطرة الكاملة على العمل، والاستعاضة عن السلوك التشاركي بين الشركات الكبرى بالمنافسة غير المُقيَّدة. ترتبط النيوليبرالية بإيديولوجية تقدِّس ما يُسمَّى بـ «السوق الحرة»، إلى جانب إنكار أيِّ دورٍ إيجابيٍّ للدولة بصرف النظر عن وظائفها الإيجابية.

قبل ظهور الشركة الحديثة، كان الرأسماليون الأفراد الذين يديرون شركات صغيرة، نسبياً، قادرين على اتخاذ قرارات ذات أهمية اجتماعية، وكانوا أقوى اقتصادياً واجتماعياً. وبعيداً عن أيِّ تأثير سياسي لهؤلاء، فإنَّ التوظيف والفصل من العمل والاستثمار وتلوُّث البيئة والبناء والتدمير، كانت كلُّها قرارات تم تلزيمها إلى حدِّ كبير للشركات الخاصة، ولكنها بالتزامن، عملت على صياغة المجتمع. لقد زادت الشركات التجارية، بنيتها المؤسسية المصمَّمة

للنشاط الاقتصادي واسع النطاق، من حجم تأثيرها على النظام الاقتصادي وعلى المجتمع على نطاق أوسع. يمكن لقرارات الشركات الآن أن توجه التكنولوجيا الصناعية القومية، وأنماط العمل، وهياكل الأسواق، والموارد، وبالطبع كل ما يتعلق بالخدمات والتوجهات الاجتماعية. إلا أن هذه الشركات لا تعدُّ أن مصالحها الخاصة تلقائية التحقق، حتى وإن كانت مصالحها الأساسية (ووجودها ذاته) ليست عرضة للتحدي. على هذا النحو، عملت الشركات، كمجموعات ومن تلقاء أنفسها، على نطاق واسع للتأثير على الساحة السياسية. منذ سبعينيات القرن الماضي، تضخمت في الولايات المتحدة أموال الشركات التي تُنفق على جماعات الضغط، ومساهماتها المالية في الحملات الانتخابية، الأمر الذي أوجد قطاعاً تبلغ قيمته مليارات الدولارات، إذ قامت الشركات بتمويل مراكز الأبحاث والفكر لبت الأفكار المؤيدة لمصالحها، وأسست مجموعات شعبية غير حقيقية، وموّلت أبحاثها الخاصة لمكافحة البحث العلمي العام، والأوراق العلمية المتحيزة (McHenry, 2018)، وشجعت موظفيها على المرور عبر «الباب الدوار» بين قطاع الشركات والحكومة الفيدرالية، وقامت بتوظيف شخصيات امتهنت العبور عبر هذا الباب، واستخدمت مجموعة متنوعة من الوسائل لنشر رسائل إيجابية عنها في وسائل الإعلام المهيمنة.

في حين أن الشركات كانت قوية قبل النيوليبرالية، إلا أن الأخيرة ضخمت بلا شك قوتها مقارنة بفترة ما قبل ظهور الرأسمالية النيوليبرالية – لقد أصبحت الشركات الأمريكية الكبرى في ظل النيوليبرالية أكثر قدرة على تحقيق مصالحها (سواء كان ذلك عبر بيع مادة كيميائية مسرطنة، أو عرض سندات مالية محفوفة بالمخاطر، أو بيع بيانات شخصية، أو حتى الترويج لثقافة الشذوذ الجنسي) على حساب التيارات الاجتماعية والدينية والقيمية. وبدءاً بإلغاء القيود التنظيمية، والأسواق الحرة، وسياسة عدم التدخل، والتجارة الحرة، كانت الممارسات النيوليبرالية تعمل على تهيئة الظروف للشركات لكي تنمو بشكل أكبر، ويكون لها انتشار عالمي أوسع، ما يعني زيادة قوتها الاجتماعية والاقتصادية، بالتوازي مع منحها وضعاً متميزاً، أكسبها قوة سياسية أكبر.

■ المطلب الثاني: آليات تأثير اللوبيات على السياسة الأمريكية

إنَّ ال حماس النيوليبرالي للإحجام عن السياسة التدخلية وإلغاء القيود التنظيمية دفع الولايات

المتحدة نحو خصخصة العديد من القطاعات، حتى غدا الاقتصاد الأمريكي ممسوكاً من قبل الشركات الخاصة، التي تقوم بمهام الدولة في عملية تخادم، بمعزل عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية والصحية، والأهم، الأخلاقية.

● لوبي شركات السلاح والخدمات العسكرية

يمكن عدُّ قطاع الدفاع أخطر القطاعات التي خصصها النظام الرأسمالي النيوليبرالي الأمريكي. لقد قدّمت النيوليبرالية الأمريكية مُبرراً فلسفياً وسياسياً واقتصادياً للإطاحة بالشكل البيروقراطي المسؤول رسمياً عن الحرب، التي من المفترض أن تديرها الدولة، لصالح استخدام خدمات الشركات العسكرية الخاصة. تمَّ تعيين دونالد رامسفيلد، مهندس التغييرات في الجيش الأمريكي، من قبل الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الابن وزيراً للدفاع في عام 2001 بمهمة مُحدّدة تمثّلت بتحويل الجيش الأمريكي إلى «قوة قتالية أخف». عكس رامسفيلد في أدائه توجهاته خلال التسعينيات بتنفيذ إعادة هيكلة، بحيث أعطى دوراً أكبر للشركات الخاصة الأمريكية. وقد تمثّلت رؤيته بتقليص حجم القوى العسكرية العاملة الأساسية، إمّا عبر التعاقد من الباطن أو عبر الاستعانة بشركات خاصة لتنفيذ الأنشطة غير الأساسية. كان الأساس المنطقي لديه هو أنّ الاستعانة بمصادر خارجية لنسبة كبيرة من الأنشطة من شأنه أن يُقلّل بشكل كبير من الالتزامات المالية، بما لا يضرُّ بالفعالية التشغيلية. أراد رامسفيلد أن يحدث هذا التمويل الداخلي المتزايد أيضاً داخل الجيش الأمريكي المعاصر، ونفّذه من خلال سياسة «تحويل القوة». على هذا النحو، كان نهج رامسفيلد ينطلق من نظرة عامة على جميع أنواع الأنشطة العسكرية وتقييم ما إذا كان من الممكن الاستعانة بمصادر خارجية أم لا (2007 Ackroyd).

كانت شركات تصنيع الأسلحة الأمريكية أكبر المستفيدين الماليين من زيادة الإنفاق العسكري بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة. لكن صانعي الأسلحة لم يكونوا المستفيدين الوحيدين. تتراوح الشركات المستفيدة خلال العشرين سنة الماضية من شركات تصنيع الأسلحة مثل Raytheon وLockheed Martin، إلى شركات الخدمات اللوجستية وإعادة الإعمار مثل Kellogg وBrown and Root وBechtel، إلى مقاولي الأمن من القطاع

الخاص (المرتزقة) مثل Blackwater و DynCorp. ما يقرب من نصف ميزانية البنتاغون لعام 2019، أي حوالي 370 مليار دولار، ذهب إلى المقاولين العسكريين، لكل من الأنشطة المتعلقة بالحرب والأنشطة المستمرة في وقت السلم. وتُقدَّر خدمة أبحاث الكونغرس أنه في السنة المالية 2020، ارتفع الإنفاق على المقاولين إلى 420 مليار دولار، أي أكثر من نصف إجمالي ميزانية البنتاغون (Hartung, 2021).

يتمتع المجمع الصناعي العسكري بأدوات وافرة تحت تصرفه للتأثير على القرارات المتعلقة بإنفاق البنتاغون. أنفق هذا المجمع نحو 285 مليون دولار على شكل «مساهمات» للحملة الانتخابية منذ عام 2001، مع التركيز بشكل خاص على المرشحين الرئاسيين، وقيادة الكونغرس، وأعضاء لجان القوات المسلحة والمُخصَّصات في مجلسي النواب والشيوخ⁽¹⁾، وهم الأشخاص الذين يتمتعون بأكبر قدر من السلطة على حجم ما ستنفقه الدولة الأمريكية للأغراض العسكرية. بالإضافة إلى ذلك، أنفق صانعو الأسلحة 2.5 مليار دولار على جماعات الضغط على مدى العقدين الماضيين، حيث وظَّفوا أكثر من 700 جماعة ضغط سنوياً على مدى السنوات الخمس الماضية، أي أكثر من جماعة واحدة لكل عضو في الكونغرس (Hartung, 2022).

ويمارس مقاولو الدفاع أيضاً تأثيراً كبيراً من خلال تمويل مؤسسات الفكر والرأي المعروفة التي تدعو إلى زيادة ميزانيات البنتاغون، دون أن يُسلَّط الضوء على المصالح المالية الكامنة وراء وجهة النظر هذه. وخلص تقريرٌ صادرٌ عن «مركز السياسة الدولية» إلى أن أكبر 50 مؤسسة بحثية في أمريكا تلقت مليار دولار من شركات الأسلحة أو الحكومة الأمريكية في الفترة من 2014 إلى 2019 (Freeman, 2020).

● لوبي شركات الدواء والعقاقير

تتمتع شركات صناعة الأدوية الأمريكية بأعلى هوامش الربح عالمياً، ممَّا يفرض ضغطاً

1 - من المهام المنوطة بلجان القوات المسلحة المصادقة على ومراجعة العقود التي توقعها وزارة الدفاع الأمريكية مع الشركات الأمنية الخاصة. كما أن لججان المخصصات هي التي تملك صلاحيات المصادقة على الموازنات التي تطلبها وزارات الحكومة الفيدرالية الأمريكية.

تصاعدياً متزايداً لرفع معدلات الأرباح باستمرار. وبما أنّ الرأسمالية تقوم على فكرة أنّ نموّ الأرباح لا نهاية لها، تتحرك شركات الدواء الأمريكية باستمرار للحفاظ على ارتفاع أرباحها بشكل مطّرد، خاصة عندما تسعى إلى شراء الأدوية قيد التطوير من الشركات الصغيرة، أو عندما تستحوذ على الشركات نفسها بأكملها. إنّ وضع شركات الأدوية، في ظلّ اقتصاد رأسمالي نيوليبرالي، كمولّد عملاق للأرباح المالية، كفيلاً بأن يدفع الموظفين باستمرار - سعيّاً إلى الحصول على رواتب عالية - إلى الابتعاد عن الوكالات الحكومية، والتوجّه باستمرار للحصول إلى مناصب أعلى في شركات الدواء، ضمن باب دوّار آخر في القطاع الشركاتي، حيث يذهب أغلب العاملين الذين يتركون العمل في وكالة «إدارة الغذاء والدواء» الحكومية، للعمل في شركات الأدوية الخاصة، ولتبيّن بأنّ أغلب هؤلاء كانوا قد أشرفوا شخصياً على مصادقات لاعتماد أدوية مربحة للشركات عندما كانوا في مناصبهم في هيئة الغذاء والدواء (Pillar, 2018).

بين عامي 1999 و2018، سجّل إنفاق شركات الدواء والعقاقير الأمريكية 4.7 مليار دولار - بمتوسط 233 مليون دولار سنوياً - على نشاط الضغط على المستوى الفيدرالي في الولايات المتحدة، وهو رقم يُعدُّ الأعلى من حيث كل القطاعات واللوبيات الشركاتية التي تنفق على نشاط الضغط. وعلى رأس قائمة هؤلاء المنفقين «المجموعة التجارية للأبحاث الصيدلانية والمصنعين في أمريكا» بحوالي 422 مليون دولار، فيما دفعت 19 شركة ومؤسسة أخرى 2.2 مليار دولار. وقد ذهب مبلغ 414 مليون دولار من هذه الشركات على شكل مساهمات قُدِّمت للمرشّحين في الانتخابات الرئاسية وانتخابات الكونغرس، واللجان الحزبية الوطنية، ومجموعات الإنفاق الخارجية.

المبحث الثاني: الاقتصاد السياسي الأمريكي لتيار الشذوذ الجنسي

■ المطلب الأول: تطور الأجندة الجنسانية تاريخياً

يرى المؤرّخ الأمريكي جون ديميليو المتخصّص بالدراسات الجندرية، أنّ صعود تيار الشذوذ في الولايات المتحدة كان نتيجة مباشرة للهياكل التي خلقتها الرأسمالية (D'Emilio, 1993)،

ويخلص إلى أن ظهور مثل هذه الهويات كان عملية بطيئة بدأت في العصر الاستعماري، عندما بدأت الرأسمالية تحل محل نظام الإنتاج الأسري الفردي واسع النطاق. وعلى مدى عقود، انخفض عدد الأسر المكتفية ذاتياً، فاعتمدت هذه الوحدات المعيشية على الأسرة النووية (أي الزوج والزوجة والأطفال) في الإنتاج، لكنها أصبحت جزءاً من نظام العمل المأجور الذي قلل من الاكتفاء الذاتي. ومع الإنتاج المنزلي، كان الأفراد بحاجة إلى الانتقال إلى العلاقات بين الجنسين بسبب الدور المركزي الذي يلعبه الإنجاب في عيش حياة مستدامة.

يوضح ديميليو أن الظهور البطيء والتدريجي لهويات الشاذين بلغ ذروته في الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى تسارع تشكل هوية الشاذين. أخذت الحرب الآلاف من الرجال والنساء من جميع أنحاء البلاد ووضعتهم في بيئات شاذة، بالإضافة إلى وضع الذين تم تعريفهم على أنهم شاذين في تلك البيئات. حدثت علاقات جنسية شاذة طوال فترة الحرب، وبقي العديد من الشاذين والشاذات في المدن الكبرى بعد انتهاء الحرب، مما أدى إلى تكوين مجتمعات حضرية تعتمد على الحياة الجنسية (المرجع السابق). مثلت أعمال شغب ستون وول في نيويورك في حزيران عام 1969، البداية الرسمية لحركة «تحرير» الشاذين جنسياً. يوضح ديميليو أن هياكل الرأسمالية (على سبيل المثال، الانتقال إلى المدن نتيجة انخفاض عدد الأسر المكتفية ذاتياً) سمحت لحركة الشذوذ بتشكيل شبكة شعبية تم تنشيطها بعد أحداث عام 1969.

في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، لم يتقبل معظم الرأسماليين الأمريكيين الشاذين جنسياً، خاصة أثناء وبعد «الحقبة المكارثية»، وكان أرباب العمل يلاحقون الموظفين الذين يُشتبه بممارستهم الشذوذ (D)Emilio & Freedman, 1997). بعد حادثة ستون وول، بدأ ناشطو الشذوذ باستهداف الشركات البارزة مثل شركة AT&T للاتصالات، التي كانت ترفض بشكل علني توظيف الشاذين والشاذات جنسياً. تم تشكيل أول مجموعة نقابية عمالية خاصة بالشاذين عام 1978، لكن استغرق الأمر سنوات حتى تمكن مجتمع الشاذين من إسقاط سياسات معظم الشركات التي كانت تحول دون مساواة أعضائه بباقي العمال (Raeburn, 2004).

ولا تعتمد أغلب الشركات هذه السياسات لأسباب تعاطفية. السبب الرئيس، إن لم يكن الوحيد، لتبني سياسات تقبل الشذوذ، هو السعي إلى الاستحواذ على حصة أكبر مما يُنظر

إليه على أنه السوق الاستهلاكية المربحة لمجتمع الشذوذ. ومن خلال تبني هذه السياسات الصديقة للشاذين، غالباً ما تحصل ردات فعل طبيعية رافضة من طرف استهلاكي آخر كمجتمع المتديّنين. في حين أنّ الرأسمالية أوجدت الهياكل اللازمة لخلق هويات الشذوذ، فقد أوجدت النسخ الأحدث من الرأسمالية أيضاً ظروفاً يتم فيها تغليف جزء كبير من هوية الفرد في العمل (Ciulla, 2000). خلال خمسينيات القرن العشرين، سعت الشركات الأمريكية إلى تحسين الإنتاجية من خلال تعزيز العلاقات الإنسانية في العمل عبر تنفيذ برامج التقاعد الشاملة، والأمان الوظيفي، ولاحقاً جرى تنظيم هذه البرامج ضمن ما يُسمّى بمفهوم «المسؤولية الاجتماعية للشركات».

لم تقتصر جهود تأكيد الاعتراف بتيار الشذوذ على الشركات، فالحكومات الأمريكية المتعاقبة غيرت مقاربتها مع مرور العقود. ففي عام 1953 أصدر الرئيس الأمريكي حينها دوايت آيزنهاور أمراً تنفيذياً نص على طرد كل موظفي الدولة الذين يثبت أنهم يتعاطون الأفعال الشاذة. هذا الأمر التنفيذي بقي ساري المفعول حتى أصدر الرئيس الأسبق بيل كلينتون في 2 آب/أغسطس 1995 الأمر التنفيذي رقم 12968، الذي أبطل مفعول قرار آيزنهاور، وشرع بتسهيل عملية تقبل تيار الشذوذ في مؤسسات الدولة الفيدرالية والمجتمع الأمريكي ككل، عندما اعتمد في نصّه للمرة الأولى اعترافاً بما تسمى «الهوية الجنسية». بعدها بتسعة عشر عاماً، أصدر الرئيس الديمقراطي باراك أوباما في 21 تموز/يوليو 2014 أمراً تنفيذياً جديداً حمل الرقم 13672، نصّ على «حظر التمييز في القوى العاملة الفيدرالية المدنية على أساس الهوية الجنسية وفي التوظيف من قبل المقاولين الفيدراليين على أساس التوجّه الجنسي والهوية الجنسية» (Gates & Saunders, 2016). كان من نتائج الرعاية الرسمية لتيار الشذوذ، الأرقام التي أظهرت مع بداية عام 2023 أن مجتمع الشذوذ في الولايات المتحدة تضاعف حجمه خلال العقد الماضي، حيث ارتفعت نسبتهم من 3.5% من مجموع السكان عام 2012 إلى 7.2% عام 2023 (Jones, 2023).

■ المطلب الثاني: علاقة رأس المال بتيار الشذوذ

لطالما كانت مصالح الشركات متوافقة مع مصالح مجتمع الشذوذ، خاصة منذ سبعينيات

القرن الماضي. مع تشكيل مجموعات الضغط الخاصة بالشاذين والشاذات وشركات المحاماة لتوفير الدعم القانوني ونقابات الموظفين، ارتفع منسوب الضغط والحراك المطلبي داخل الشركات، كما حصل مع شركتي Microsoft وAT&T، تحت عنوان «القضاء على السياسات التمييزية». في وقت لاحق في الثمانينيات والتسعينيات، بدأت هذه الشركات والعديد من الشركات الأخرى بالترويج خارج مكاتبها من أجل المصادقة على «الحقوق المدنية» الخاصة بمجتمع الشذوذ على المستويين المحلي والفيدرالي.

وعلى امتداد العقد الماضي، تصاعد هذا الدعم الرأسمالي من جانب الشركات، فظهرت تحالفات على المستوى الفيدرالي مثل «تحالف الحرية لجميع الأمريكيين»، وشركات الصناعة التكنولوجية الكبيرة مثل Salesforce، التي قادت جهود الضغط والمقاطعة ضد الولايات التي تجرأت على تمرير تشريعات صنّفها تيار الشذوذ على أنها تمييزية ضدهم. دفع التهديد بإجراءات المقاطعة الاقتصادية حكّام الولايات السابقين كأمثال مايك بنس (إنديانا) وبات ماكروري (نورث كارولينا) إلى إعادة النظر وتعديل قوانين كانت قد أقرتها أغلبية جمهورية محافظة استهدفت مجتمع الشذوذ. عام 2020، تم إقناع حاكمة ولاية داكوتا الجنوبية «كريستي نويم» بمعارضة مشروع «قانون الرعاية الصحية للشباب» المناهض للمتحوّلين جنسياً. جاء ذلك بعد أن حدّرت الغرف التجارية في ولاية داكوتا الجنوبية من أنّ الولاية ستواجه خطر «عواقب اقتصادية تشمل خسارة المؤتمرات والبطولات والترفيه رفيعة المستوى، والاستثمار التجاري من شركات تأتي من خارج الولاية» (Burall, 2020).

تكمن وراء الخطابات المستوحاة من الرؤساء التنفيذيين للشركات والجوائز التي تقدّمها المجموعات المعنية بمجتمع الشذوذ بعض الحوافز المادية الأساسية، حيث تشارك معظم الشركات على مستوى التوقيع على حملات رسائل ناشطين ضمن حملات التضامن. يُعتبر هذا الأسلوب مناورة علاقات عامة منخفض التكلفة ونتيجته مربحة، فهو يخلق أرضية «حسنة» مع قاعدة استهلاكية مستهدفة، ويساهم في تحقيق هدف التوظيف المتنوع (أبحاث التسويق المعاصرة تشير إلى أنّ هذا الأسلوب يزيد من القيمة المدركة للربح ضمن مجموعة متنوعة من الموظفين). لقد ظهر تحالف من الشركات، يبلغ مجموع إيراداتها السنوية حوالي 5 تريليون دولار سنوياً، يضمُّ شركات التكنولوجيا وشركات تجارة التجزئة ومؤسسات مالية

وشركات تأمين، باتت تؤمن بأن الاعتراف بـ «حقوق» الشاذين وحمايتها بموجب القانون تزيد الإنتاجية، وتقلل الأعباء الإدارية، وتصون المصالح الاقتصادية للأمة الأمريكية (Supreme Court of The United States, 2022).

بحسب تقديرات منظمة LGBT Capital المتخصصة برصد اقتصاد «الرأسمالية الوردية»⁽¹⁾، تبلغ قوة الإنفاق السنوية لمجتمع الشذوذ في العالم حاليًا حوالي 3.9 تريليون دولار، وهي مستمرة بالنمو. وقد أعلنت شركة الخدمات المالية Credit Suisse أن سلة أسهمها من الشركات التي تشمل مجتمع الشذوذ تتفوق باستمرار في السوق بشكل عام. يُعد مجتمع الشاذين سوقًا «مخلصًا» ومربحًا للشركات التي تناصر قضاياها، ويعدُّ «رأس المال الوردي» قوة اقتصادية قوية، وسوف تؤثر تبرعات الأموال الوردية بشكل متزايد في الحملات السياسية في السنوات القادمة» (Nick Wolny, 2023).

بحسب «الغرفة التجارية الوطنية للواط والسحاقيات» التي تأسست عام 2002 في العاصمة الأمريكية واشنطن، حتى تشرين الأول/أكتوبر 2016، تم اعتماد 909 شركة رسميًا لدى الغرفة، بعدها شركة رسمية مملوكة من مجتمع الشذوذ. من هذه الشركات الـ 909، 533 شركة تأسست في العشر سنوات الماضية، وهو ما يعني أن المناخ التشجيعي لثقافة الشذوذ الذي شهدته الولايات المتحدة ساهم بشكل كبير في بروز رأس المال الخاص بمجتمع الشذوذ (219 شركة منها مركزه ولاية كاليفورنيا التي يحكمها الديمقراطيون منذ عقود). ويقدر تقرير الغرفة التجارية الخاصة بالشاذين، بالنظر إلى حجم حضور الشركات المملوكة للشاذين في أمريكا، بأن مساهمة هذه الشركات في الاقتصاد الأمريكي تتجاوز 1.7 تريليون دولار (The National Gay & Lesbian Chamber of Commerce, 2022).

تعمل مجموعات الضغط الخاصة بتيار الشذوذ في الولايات المتحدة على دعم المرشحين المصنّفين من قبلها كحلفاء وللضغط على الحكومة الفيدرالية. تفضّل مجموعات تيار الشذوذ في هذا الصدد الديمقراطيين بأغلبية ساحقة. أنفقت هذه المجموعات في موسم انتخابات عام 2020 حوالي 6.9 مليون دولار لدعم الديمقراطيين و79,800 دولار فقط لدعم الجمهوريين.

1 - مصطلح الرأسمالية الوردية يرمز إلى كل ما يتعلّق باقتصاد تيار الشذوذ، من قوة شرائية إلى المدخول السنوي ومجموع الثروات التي يمتلكها المنتسبون إلى مجتمع الشذوذ.

وشهدت الدورة الانتخابية لعام 2020 أكبر إنفاق على الإطلاق لمجموعات تيار الشذوذ، حيث أنفقت ما مجموعه 7.7 مليون دولار لمساعدة المرشحين المختارين من خلال المساهمات والنفقات المستقلة. ومن هذا المبلغ، ذهب 1.8 مليون دولار لدعم الرئيس جو بايدن. خلال الأشهر الأولى من توليه منصبه، ألغى بايدن أمر الرئيس السابق دونالد ترامب بحظر المتحولين جنسياً من الخدمة في الجيش الأمريكي، ووقع أمراً تنفيذياً يجعل «التمييز على أساس التوجه الجنسي أو الهوية الجنسية غير قانوني».

وقبل انتخابات عام 2020، كان إنفاق هذه المجموعات قد بلغ ذروته في عام 2015، عشية قرار المحكمة العليا الأمريكية تشريع الزواج بين الأفراد من الجنس نفسه في جميع الولايات الخمسين ومقاطعة كولومبيا. في دورة عام 2020 أنفق تسعة موظفين في جماعات ضغط تتبع تيار الشذوذ ما مجموعه 1.1 مليون دولار للضغط على الحكومة الفيدرالية بشأن قضايا تتعلق بما تُسمى «حقوق» الشاذين، عبر دعم المناقشة والمصادقة في الكونغرس رقم 116 على ما مجموعه 155 مشروع قانون لمجلس النواب ومجلس الشيوخ. لكن بحسب منظمة OpenSecrets المتخصصة بتتبع حركة المال في السياسة، يمكن اعتبار التراجع في صرف مجموعات الضغط الخاصة بتيار الشذوذ الأموال للضغط المؤيد لمجتمع الشذوذ على المستوى الفيدرالي، حصل بسبب تحويل المجموعات المعنية اهتمامها إلى عواصم الولايات، حيث يعمد الحكام ومشروع الولايات الجمهوريين إلى إقرار قوانين تضيق على المتحولين جنسياً. مثلاً، في ولاية ميسيسيبي التي يحكمها الجمهوريون، أصدر المشرعون في الولاية قانوناً يحظر على المتحولين جنسياً في الصفوف من الروضة حتى الصف الثاني عشر التنافس في الفرق الرياضية على أساس هويتهم الجنسية، وهناك مشاريع قوانين مماثلة في 11 ولاية أخرى (OpenSecrets, 2021).

المبحث الثالث: تجارة التحول الجنسي في أمريكا

■ المطلب الأول: مراحل تطور ثقافة التحول الجنسي

يمكن تتبع وجود ظاهرة التحول الجنسي في الولايات المتحدة إلى مرحلة تشكل المستعمرات

الأمريكية قبل الاستقلال، وقد اقتصر على حالات فردية تمثلت بأشخاص كانوا يمارسون حياة الجنسين من حيث الأزياء والسلوك. وفي الروايات التاريخية القليلة عن المتحولين جنسياً الموجودة في أمريكا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، يظهر في الغالب أشخاص متحولين جنسياً من الأنوثة إلى الذكورة، لأنه كان من الصعب على الذكور التحول إلى الأنوثة بطبيعة الحال (Beemyn, 2014).

شهد عقدا الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ظهور بعض المنظمات والمشورات الأولى المتعلقة بالمتحولين جنسياً، لكن القانون والطب لم يعترفوا بظاهرة المتحولين جنسياً. في أواخر الستينيات في نيويورك، أسس «ماريو مارتينو» مؤسسة Labyrinth للاستشارات، والتي كانت أول منظمة متخصصة بالمتحولين جنسياً، وعالجت على وجه التحديد احتياجات الرجال المتحولين جنسياً. إذ بدأ النقاش العام حول مجتمع المتحولين الجنسيين يكتسب حضوراً مع ترويج هوليوود للظاهرة من خلال عرض ممثلين متحولين جنسياً⁽¹⁾. في عام 1968، كتب «جور فيدال» أول رواية أمريكية تخضع فيها الشخصية الرئيسية (ميرا بريكنريدج) لعملية جراحية لتأكيد الجنس، والتي تم تحويلها لاحقاً إلى فيلم (Harris, 2007).

كان طبيب الغدد الصماء الأمريكي هاري بنيامين (ألماني المولد)، خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، أول من حاول عبر الهرمونات والعمليات الجراحية «ضبط الجسم حسب العقل» للأشخاص الراغبين بتحويل أجسادهم. واعتقد بنيامين بأن محاولات علاج هؤلاء الأفراد عن طريق الطب النفسي «مهمة عديمة الفائدة»، وبدأ بوصف الهرمونات لهم واقترح جراحين لإجراء العمليات الجراحية خارج أمريكا، حيث لم يكن هناك طبيب في الولايات المتحدة في ذلك الوقت يقوم بإجراء عمليات تغيير الجنس بشكل علني. كان بنيامين أول من استعمل مصطلح «transgender» أي «متحول الجنس»، لوصف الراغبين بتغيير جنسهم (Benjamin, 1966).

مع حلول نهاية عقد الستينيات من القرن الماضي، كانت الأقليات الملونة الأمريكية قد حصلت على بعض الحقوق إبان «حركة الحقوق المدنية». بعد عام 1968 الذي شهد إقرار

1 - كان المخرج «آندي وار هول» أول من أشرك المتحولين الجنسيين في أفلامه التي ظهرت فيها كل من الممثلتين المتحولتين جنسياً هولي وودلون وكاندي دارلينج خلال عقد الستينيات.

الكونغرس الأمريكي نسخة معدلة من «قانون الحقوق المدنية»، أزال القيود على تملك الأقليات الملوّنة للعقارات والحصول على قروض سكنية⁽¹⁾، تصاعد نشاط التجمّعات والمنظّمات ذات المنطلقات الهوياتية التي كانت تسعى إلى الاعتراف بها كأقليات، وبالتالي مساواتها بالأقليات العرقية التي كانت قد انتزعت للتو بعض الحقوق. شهد عقدا السبعينيات والثمانينيات تأسيس المزيد من المنظمات والمؤسسات التي عملت على طبع ونشر مجلات ونشرات حول ما يُسمّى «مجتمع المتحولين جنسياً»، ومنها على سبيل المثال منظمة «جبهة تحرير كوينز» و «منظمة العمل للمتحوّلين والمختّئين». في 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1979 نُظمت أول مسيرة على مستوى الولايات المتحدة في العاصمة واشنطن من أجل ما تُسمى «حقوق المثليين والمثليات»، والتي شارك فيها بين 75,000 و125,000 شخص، منهم مجموعات من تيار المتحوّلين جنسياً، وقد طالبت بإقرار قوانين حقوق مدنية تعترف بوجودهم كأقلية جديدة (مرجع سابق Beemyn,).

وفي عام 1980 تم تصنيف ظاهرة التحوّل الجنسي رسمياً من قبل «الجمعية الأمريكية للطب النفسي» على أنّها مرض نفسي اسمه «اضطراب الهوية الجنسية». عندما ظهر وباء الإيدز بشكل واسع النطاق في الشارع الأمريكي عام 1981، كان المتحوّلون جنسياً يشكّلون الفئة الأكثر إصابة به، لأن أغلب هؤلاء كانوا منخرطين في دعاية الشوارع وإدمان المخدرات عبر الحقن. وقد شهدت فترة الثمانينيات ظهور مجتمع متحولين جنسياً منظماً من الأنوثة إلى الذكورة، خاصة عبر منظمة سُميت Female To Male، التي لعبت دوراً في إقناع المتخصّصين في الطب والعلاج النفسي بتقديم الخدمات للأفراد المتحوّلين جنسياً. وقد شهدت فترة التسعينيات تصاعداً في نشاط المنظمة سالف الذكر، إلى جانب منظّمات أخرى، مستفيدة من توجّهات الحزب الديمقراطي التي كانت قد بدأت بتبني مختلف قضايا الشذوذ الجنسي والهويات الجنسية، خلال فترتي حكم بيل كلينتون بين 1993 و2000.

1 - في الوقت الذي كان الخطاب الحقوقي في أوجه في الستينيات، وسط معارضة القاعدة اليمينية البيضاء مناقشة الأغلبية الديمقراطية في مجلسي الكونغرس مشاريع قوانين الحقوق المدنية، كانت مصارف وول ستريت ترى في إقرار قوانين تلغي القيود عن تملك الأفارقة والأقليات العرقية وسحبهم قروضاً سكنية فرصة تاريخية لتوسيع قاعدة المقترضين منها وبالتالي تحقيق أرباح ضخمة.

في حين أنّ التشريعات الذي تحظر التمييز على أساس الهوية الجنسية لم تحقق نتائج ملموسة لمجتمع المتحولين الجنسيين على مستوى تشريعات الكونغرس الفيدرالي، إلا أنّ نشاطاً التحول الجنسي وحلفائهم حققوا خرقاً كبيراً على المستوى المحلي في الولايات (Beemyn, 2013). قبل عام 2000، إذ كانت ولاية مينيسوتا هي الوحيدة التي أصدرت قانون عدم التمييز الذي يشمل الهوية/التعبير الجنسي، وبحلول عام 2023، كانت خمس وعشرون ولاية، بالإضافة إلى مقاطعة كولومبيا، قد تبنت هكذا توجّهات في تشريعاتها. وقد ارتفع عدد المدن والمقاطعات التي أقرت قوانين «حقوق» المتحولين جنسياً من ثلاث في الثمانينيات إلى أكثر من 225 في عام 2021، بحيث أصبح أكثر من 50% من سكان الولايات المتحدة مشمولين الآن بقوانين عدم التمييز الشامل ضد المتحولين جنسياً (Human Rights Campaign, 2021).

■ **المطلب الثاني: الاستثمار الرأسمالي في قطاع التحول الجنسي**

لا شك أنّ الاستثمار الرأسمالي بظاهرة التحول الجنسي يتنوع أولاً من حيث الفاعلين المؤثرين في صياغة الرواية العلمية والأكاديمية والصحية حول الظاهرة، وثانياً، من حيث المسكين بالاقتصاد السياسي لقطاع التحول الجنسي الآخذ بالتطور والتوسع. الفئة الأولى تمثل رأس المال الذي يعمل على ترسيخ الأيديولوجية المؤسّسة لوجود هويات جنسية متعدّدة، عبر الأدوات العلمية والنفسية والطبية، والفئة الثانية تعمل على استغلال ضحايا هذه الأيديولوجية، عبر تحويلهم إلى سوق استهلاكية مضمونة الأرباح، ففي نهاية المطاف، سيتحوّل زبائن عمليات التحول الجنسي إلى زبائن مدى الحياة، كون برامج تحويلهم تقتضي صرف مبالغ طائلة على هرمونات وأدوية الشركات المصنّعة، التي يجب على المتحوّل تناولها مدى الحياة، بالإضافة إلى العيادات والمستشفيات والمراكز الطبية التي تستفيد من تصاعد أعداد الراغبين بإجراء عمليات التحول الجنسي.

● **رأس المال المغذّي لأيديولوجيا التحول الجنسي**

تقف خلف عملية ترويج ونشر ظاهرة التحول الجنسي مجموعةً متنوّعةً من الجهات التي تعمل على فرض هذه الظاهرة على المجتمع الأمريكي وعلى الساحة العالمية. ومن بين أقوى

الدوافع التي تستثمر في تضخيم وفرض أجندة التحوّل الجنسي تبرز طبقة من الرأسماليين الأمريكيين، الذين يتبنون مفاهيم نظريات التحوّل الجندري، ويعملون عبر أصولهم المالية على فرضها كإيديولوجيا عبر المؤسّسات الطبية والقانونية والثقافية والتعليمية الأمريكية، ولا يمكن هنا إغفال دور عائلات أمريكية فاحشة الثراء كعائلة «بريتزكر» من ولاية إلينوي، التي عملت ولا تزال على فرض «الهويات الجنسية الاصطناعية» (Bilek, 2018). وقد برز اسم ودور عائلة «بريتزكر» خلال العقد الماضي إلى جانب الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما، حيث مولّت حملتيه الرئاسيتين، وساهمت بإيصاله إلى البيت الأبيض. بعد فوزه بالانتخابات، عين أوباما «بيني بريتزكر» وزيرة التجارة، واستلم «جي بي بريتزكر» منصب حاكم ولاية إلينوي، بالإضافة إلى المتحوّلة جنسياً «جينيفر بريتزكر»، التي ساهمت بقوة في تمويل برامج فرض مفاهيم التحوّل الجنسي.

ومن خلال الاستثمارات في المجمع التقني الطبي، حيث يتم اختراع هويات جنسية جديدة من منظور طبي، حاولت عائلة بريتزكر وغيرها من النخب المانحة تطبيع فكرة وجود «الجنس الإنجابي البشري» على نطاق واسع، وتصبّب استثمارات العائلة في تمويل برامج استخدام العمليات الجراحية والأدوية، واستحداث مصطلحات لغوية لدعم الهويات الجديدة، وحثّ المؤسّسات والأفراد على اعتمادها. على سبيل المثال لا الحصر، أعلن قسم أمراض النساء والتوليد في مركز رونالد ريغان الطبي بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس عام 2018، بتمويل من عائلة بريتزكر، عن توفير «خيارات للشابات اللاتي يعتقدن أنّهن يمكن أن يصبحن رجالاً من خلال إزالة أعضائهن التناسلية»، وهو إجراء يُسمّى «رعاية تأكيد النوع الاجتماعي» (Bilek, 2022a).

أصبحت عائلة بريتزكر عام 1968 أول عائلة أمريكية تمتلك كلية طب تحمل اسمها، تقديراً لتبرعها بـ 12 مليون دولار لكلية الطب بجامعة شيكاغو. وفي حزيران/يونيو عام 2002، أعلنت العائلة عن هدية إضافية بقيمة 30 مليون دولار، ليتمّ استثمارها في قسم العلوم البيولوجية وكلية الطب بجامعة شيكاغو. وقد وفّرت هذه الاستثمارات للعائلة جسراً إلى عالم الطب الأكاديمي، والذي توسّعت نشاطاتها من خلاله منذ ذلك الحين، سعياً إلى تحقيق أجندة محدّدة تتمحور حول أبحاث «الهويات الجنسية الاصطناعية». وفي عام 2002 أيضاً، أسست جينيفر بريتزكر

«مؤسسة تاواني»، التي تموّل من خلالها كل من مركز هوارد براون هيلث ومركز راش التذكاري الطبي في شيكاغو، وصندوق مؤسسة جامعة أركنساس للعلوم الطبية، ومعهد الصحة الجنسية والجنسانية بجامعة مينيسوتا، حيث سعت كل هذه المراكز إلى ترسيخ لغة طبيّة محدّدة حول «الرعاية الجنسية». تشمل قائمة زبائن «معهد الصحة الجنسية والجنسانية بجامعة مينيسوتا» «الأطفال المبدعين جنسياً وكذلك المراهقين المتحولين جنسياً وغير المتوافقين جنسياً» (University Of Minnesota, n.d).

جون سترايكر (شاذ جنسياً)، صاحب مؤسسة أركوس وزوجه سلوبودان راندجيلوفيتش، تيم جيل من مؤسسة جيل، فابريس هودارت رئيس قسم القيادة الخارجية، تود سيرز صاحب مؤسسة Out Leadership، ومارك بونهام من مركز بونهام للدراسات الجنسية في تورونتو - كندا، جميعهم من الرجال البيض الشاذّين فاحشي الثراء، الذين يقومون بإضفاء الطابع المؤسّسي على إيديولوجية الهوية الجنسية على مستوى العالم. على مدى عقد من الزمن، كان اللوبي المعني بالجنس (ويعرف أيضاً باسم النخب المستثمرة في المجمع التقني الطبي) يروج لفكرة أنّ الأشخاص والأطفال غير الراضين عن أجسادهم، لا يوجد خيار أمامهم سوى تشويه أعضائهم الجنسية بالأدوية والعقاقير. لقد ظهر بسبب هؤلاء سوق مزدهر للعمليات الجراحية لاستئصال وتركيب الأعضاء التناسلية البشرية (Bilek, 2022b).

وكمثال يُضرب على تأثير تمويل هؤلاء الأثرياء، قامت مؤسسة أركوس، وهي أبرز منظمة غير حكومية لمجتمع الشذوذ في الولايات المتحدة، والتي أسّسها جون سترايكر عام 2000 بتمويل من أسهمه في شركة سترايكر الطبية، بالتأثير على تقييمات وتوجّهات «الجمعية الأمريكية للطب النفسي». وعام 2018، حصل «اتحاد الحريات المدنية الأمريكي» على تبرّع بقيمة 20 مليون دولار من مايكل موريتز، الصحفي السابق الذي تحوّل إلى رأسمالي مغامر وشريك في «سيكويكا كابتال»، وزوجته هاربيت هيمنان، اللذان يتقاسمان ثروة صافية قدرها 2.6 مليار دولار. ويمكن الإشارة هنا إلى وجود عشرات المؤسسات الأخرى التي تبرّع بمبالغ ضخمة سنوياً لهيمنة إيديولوجيا الجندر والتحوّل الجنسي، منها مؤسسات المجتمع المفتوح لصاحبها الملياردير جورج سوروس، ومؤسسة فورد، ومؤسسة بيل وميليندا غيتس، وغيرهم الكثير.

● سوق تغيير الجنس وأرباحها المليارية

قُدِّر حجم سوق جراحة تغيير الجنس في الولايات المتحدة بنحو 2.1 مليار دولار أمريكي في عام 2022، ومن المتوقع أن ينمو هذا السوق بمعدل نمو سنوي مركَّب بنسبة 11.25% من عام 2023 إلى عام 2030. ويؤدي ارتفاع معدل انتشار اضطراب الهوية الجنسية في الولايات المتحدة إلى تفاقم الطلب على إجراء العمليات الجراحية لتغيير الجنس. وينمو سوق التحوّل الجنسي بشكل أساسي بفضل المبادرات الحكومية الداعمة التي توفّر الرعاية والمساعدات المالية للعمليات الجراحية، وفي حزيران/يونيو 2021، أعلن وزير شؤون المحاربين القدامى دينيس ماكدونو أنه أصبح يمكن للمحاربين القدامى المتحوّلين جنسياً في الولايات المتحدة إجراء عمليات جراحية لتحويل جنسهم، بموجب تغطية التكاليف حكومياً. قبل هذا الإعلان، كانت خدمات العلاج الهرموني والصحة العقلية مُدرجة ضمن تغطية الرعاية الصحية الحكومية فقط، وهو ما يُؤكِّد أنّ المبادرات الحكومية الداعمة تُعدُّ الدافع الأساسي لتوسع السوق (Research and Markets Ltd, 2023).

وفي تشرين الأول/أكتوبر 2022، نشرت وكالة رويترز نتائج دراسة طلبتها الأخيرة من شركة Komodo Health المتخصصة بالإحصاءات الصحية. بحسب الدراسة، التي أجرت مسحاً بالاستناد إلى معلومات عن ملايين المرضى الأمريكيين، تم تشخيص إصابة أكثر من 42,000 طفل تتراوح أعمارهم بين 6 و17 عاماً بما يُسمى «اضطراب الهوية الجنسية» خلال عام 2022 فقط، بزيادة قدرها 70% عن أرقام عام 2020. وبحسب الدراسة، على مدى فترة خمس سنوات، من 2017 إلى 2021، تبين أنّ ما لا يقلُّ عن 121,882 طفلاً أمريكياً خضعوا لتشخيص «اضطراب الهوية الجنسية» (Komodo Health, 2022).

افتُتحت أول عيادة جنسانية للأطفال في بوسطن عام 2007، وهي تستقبل مئات الأطفال. في السنوات العشر الماضية، ونشأت في الولايات المتحدة أكثر من 41 عيادة للأطفال الذين يُزعم بأنهم يعانون من «اضطراب الهوية الجنسية» (Marchiano, 2017). على مدى العقد الماضي، وظهرت بشكل سريع البنية التحتية الطبية لعلاج المتحوّلين جنسياً في جميع أنحاء الولايات المتحدة. بالإضافة إلى انتشار عيادات تغيير الجنس في جميع أنحاء أمريكا، استُحدثت أجنحة في المستشفيات لإجراء العمليات الجراحية المتخصصة، ونُظمت حملات لمخاطبة العديد

من المؤسسات الطبية لدعوتها لتبني الأمر عينه والمشاركة في جهود توسيع توفّر إجراء هذه العمليات الجراحية.

ألغت وزارة خدمات الصحة البشرية الفيدرالية عام 2014 سياسة استبعاد المتحوّلين جنسياً من الاستفادة من برامج الرعاية الصحية، ممّا أدّى إلى زيادة في الاستفادة من التأمين الخاص والحكومي لإجراء عمليات التحوّل الجنسي. زادت جراحات تأكيد الجنس بنسبة 115% من عام 2016 إلى عام 2017، وفقاً لما ذكرته الجمعية الأمريكية لجراحي التجميل. في عام 2020، سُجّل إجراء 16,353 تغيير جنس على مستوى كل الولايات الأمريكية، وهو ما يمثل زيادة بنسبة 12% عن العام الذي سبقه (Tristani-Firouz & Veith & Simpson & Hoerger & Rivera & Agarwal, 2021).

وبحسب أرقام عام 2022، تراوحت تكاليف العمليات الجراحية لتغيير الجنس بين 6,927 دولاراً أمريكياً لعملية استئصال الخصيتين، إلى 45,080 دولاراً لعملية استحداث العضو التناسلي الأنثوي، و63,432 دولاراً لعملية استحداث العضو التناسلي الذكري. ونظراً إلى أنّ عمليتي استحداث العضو التناسلي الأنثوي واستحداث العضو التناسلي الذكري تصاحبها إجراءات إضافية متعدّدة، فقد بلغ متوسط التكلفة الإجمالية لهذه الإجراءات للشخص الواحد بين 53,645 دولاراً و133,911 دولاراً على التوالي. وتندرج أيضاً ضمن خانة صناعة التحوّل الجنسي عمليات تأنيث الوجه للراغبين بالتحوّل من جنس الذكورة إلى جنس الإناث. ويشهد هذا القطاع ازدهاراً تجارياً بالنظر إلى العوائد الكبيرة التي يجلبها للجراحين، حيث تتراوح تكاليف العملية بين 9,000 دولار إلى حدود 62,000 دولار. (Baker & Restar, 2022).

إضافة إلى سوق جراحة التغيير الجنسي، تبرز أيضاً تجارة ما يُسمى «علاج التحوّل الجنسي عبر الهرمونات». وتلجأ مختلف الشرائح العمرية (بما في ذلك الأطفال) من الراغبين بالتحوّل الجنسي إلى تناول الهرمونات بناءً على استشارات اختصاصيين طبيين، وهنا تبرز مشكلة عدم توفّر التأمين الصحي لتغطية تكاليف «العلاج». بحسب إحدى الدراسات، الأشخاص الذين لديهم تأمين، تراوحت نسب تغطية برامج الذكورة غير المقيّدة من 22% إلى 79% في عام 2010، ومن 5% إلى 75% في عام 2018. وبالنسبة إلى برامج التأنيث، تراوحت النسبة التي توفر تغطية غير مقيّدة من 24% إلى 100% في عام 2010، ومن 13% إلى 100% في عام 2018.

وتراوح متوسط التكاليف السنوية لعلاجات الذكورة من 232 دولاراً إلى 1112 دولاراً في عام 2010، ومن 180 دولاراً إلى 2176 دولاراً في عام 2018. وبالنسبة إلى علاجات التأنيث، تراوحت التكاليف من 84 دولاراً إلى 2716 دولاراً في عام 2010، ومن 72 دولاراً إلى 3792 دولاراً في عام 2018 (Solotke & Liu & Dhruva & Gulanski & Shah, & Ross, 2020).

الخاتمة

بالنظر إلى طبيعة النظام الرأسمالي النيوليبرالي الحاكم حالياً في الولايات المتحدة، كان من المنطقي بأن يتصرف رأس المال بكل حرية لتضخيم وتوسيع حجم حضور ثقافة الشذوذ في المجتمع الأمريكي، فهذا النظام بتركيبته وشكله المعتمد منذ عقود وقر الأرضية القانونية والاقتصادية والسياسية لانفلات الأمور من عقابها. لكن لا بد من الإشارة إلى أن كل ما يحصل حالياً في الولايات المتحدة من حضور قوي وصاعد لتيار الشذوذ، ما كان ليحصل لولا أن الدولة في نهاية المطاف لم ترد ذلك. اليوم تتوافق أجندة من يحكم في البيت الأبيض مع التوجّه السائد، ولكن هذا لا يعني أن هناك إجماعاً أمريكياً على سياسة التبني السائدة حالياً، ومن المرجح أن يخسر تيار الشذوذ كثيراً من «المكاسب»، إذا عاد الجمهوريون إلى السلطة، وخاصة إذا كان الرئيس السابق دونالد ترامب.

إن فهم ديناميات وتركيبية الاقتصاد السياسي لتيار الشذوذ الجنسي في الولايات المتحدة أمر مهم جداً ومطلوب في منطقتنا والعالم أجمع، كون ما يسميه البعض «ثورة الشذوذ» الحالية المنبثقة من الولايات المتحدة تجتاح كل دول العالم، فإدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن وضعت استراتيجية لتعزيز المجتمعات الشاذة ودعمها ليس داخل أمريكا فقط، بل على الصعيد العالمي ككل. من هنا، ينبغي أن تدعم المبادرات البحثية مستقبلاً لدراسة كل أبعاد الظاهرة وآليات ونواحي التأثير التي تنفذ عبرها تيارات الشذوذ، لخلق مجتمعات قابلة لاستهلاك ثقافة الشذوذ والتعايش معها، والانضمام إليها في مراحل لاحقة. لا ينبغي الاستهانة بقوة وقدرة رأس المال الموظف لنشر ثقافة الشذوذ، فهو يملك إمكانات ضخمة للتأثير ثقافياً وأكاديمياً واقتصادياً وسياسياً، وهو ما يعني أن المعركة مع هذا التيار لا تزال في بداياتها.

جدول الأرقام

<p>بفعل الرعاية الرسمية لتيار الشذوذ، أظهرت الإحصاءات التقديرية أنّ نسبة الشاذين من مجموع السكان ارتفعت من 3.5 % عام 2012 إلى 7.2% عام 2023.</p>
<p>في دورة عام 2020 أنفق تسعة موظفين في جماعات ضغط تتبع تيار الشذوذ ما مجموعه 1.1 مليون دولار للضغط على الحكومة الفيدرالية بشأن قضايا تتعلق بما تسمى «حقوق» الشاذين.</p>
<p>ارتفع عدد المدن والمقاطعات التي أقرت قوانين «حقوق» المتحوّلين جنسياً من ثلاث في الثمانينيات إلى أكثر من 225 في عام 2021، بحيث أصبح أكثر من 50 % من سكان الولايات المتحدة مشمولين الآن بقوانين عدم التمييز الشامل ضد المتحوّلين جنسياً.</p>
<p>يقدّر تقرير الغرفة التجارية الخاصة بالشاذين، بالنظر إلى حجم حضور الشركات المملوكة للشاذين في أمريكا، بأنّ مساهمة هذه الشركات في الاقتصاد الأمريكي تتجاوز 1.7 تريليون دولار</p>
<p>بحسب تقديرات منظمة LGBT Capital المتخصصة برصد اقتصاد «الرأسمالية الوردية» ، تبلغ قوة الإنفاق السنوية لمجتمع الشذوذ في العالم حاليًا حوالي 3.9 تريليون دولار، وهي مستمرة بالنمو</p>
<p>قدّر حجم سوق جراحة تغيير الجنس في الولايات المتحدة بنحو 2.1 مليار دولار في عام 2022.</p>
<p>من المتوقع أنّ سوق التحوّل الجنسي سينمو بمعدل سنوي مركّب بنسبة 11.25 % من عام 2023 إلى عام 2030.</p>
<p>بين 2017 و 2021، تبين أنّ ما لا يقلُّ عن 121,882 طفلاً أمريكياً خضعوا لتشخيص «اضطراب الهوية الجنسية».</p>

<p>في السنوات العشر الماضية، نشأت في الولايات المتحدة أكثر من 41 عيادة للأطفال الذين يُزعم بأنهم يعانون من «اضطراب الهوية الجنسية».</p>
<p>زادت جراحات تأكيد الجنس بنسبة 115% من عام 2016 إلى عام 2017، وفقاً لما ذكرته الجمعية الأمريكية لجراحي التجميل.</p>
<p>في عام 2020، سُجِّل إجراء 16,353 تغيير جنس على مستوى كل الولايات الأمريكية، وهو ما يمثّل زيادة بنسبة 12% عن العام الذي سبقه.</p>
<p>عام 2022، تراوحت تكاليف العمليات الجراحية لتغيير الجنس بين 6,927 دولاراً أمريكياً لعملية استئصال الخصيتين، إلى 45,080 دولاراً لعملية استحداث العضو التناسلي الأنثوي، و63,432 دولاراً لعملية استحداث العضو التناسلي الذكري.</p>
<p>عملية استحداث العضو التناسلي الأنثوي واستحداث العضو التناسلي الذكري تصاحبها إجراءات إضافية متعدّدة بحيث يبلغ متوسط التكلفة الإجمالية لهذه الإجراءات للشخص الواحد بين 53,645 دولاراً و133,911 دولاراً على التوالي.</p>
<p>تتراوح تكاليف عملية تأنيث الوجه للراغبين بالتحوّل من جنس الذكورة إلى جنس الأنوثة بين 9,000 دولار إلى حدود 62,000 دولار.</p>
<p>تراوح متوسط التكاليف السنوية لعلاجات هرمون الذكورة من 232 دولاراً إلى 1112 دولاراً في عام 2010، ومن 180 دولاراً إلى 2176 دولاراً في عام 2018.</p>
<p>تراوح متوسط التكاليف السنوية لعلاجات هرمون الأنوثة من 84 دولاراً إلى 2716 دولاراً في عام 2010، ومن 72 دولاراً إلى 3792 دولاراً في عام 2018.</p>

قائمة المراجع

- ▶ Ackroyd, S. (2007). Large Corporations and the Emergence of a Flexible Economic System: Some Recent Developments in the UK. In *Flexibility and Stability in Working Life*.
- ▶ Aristizábal, A., Escandón, J. M., Ciudad, P., & Manrique, O. J. (2023). The Limited coverage of facial feminization surgery in the United States: A Literature Review of policy constraints and implications. *Journal of Clinical Medicine*, 12(16), 5308. <https://doi.org/10.3390/jcm12165308>
- ▶ Baker, K., & Restar, A. (2022). Utilization and Costs of Gender Affirming Care in a Commercially Insured Transgender Population. *The Journal of Law, Medicine & Ethics*, 50, 456-470. <https://doi.org/10.1017/jme.2022.87>
- ▶ Beemyn, G. (2013). *Campus Pride Trans Policy Clearinghouse*. Campus Pride. <http://www.campuspride.org/tpc>
- ▶ Beemyn, G. (2014). *Transgender History in the United States*. Oxford University. https://www.umass.edu/stonewall/sites/default/files/Infoforandabout/transpeople/genny_beemyn_transgender_history_in_the_united_states.pdf
- ▶ Benjamin, H. (1966). *The Transsexual Phenomenon*. New York: Julian Press
- ▶ Bilek, J. (2022a, June 14). The Billionaire Family Pushing Synthetic Sex Identities (SSI). *Tablet Magazine*. <https://www.tabletmag.com/sections/news/articles/billionaire-family-pushing-synthetic-sex-identities-ssi-pritzkers>
- ▶ Bilek, J. (2022b, October 15). Elite Gay Men & the Destruction of Women's Role in Sexual Ethics & Human Reproduction. *The 11th Hour Blog*. <https://www.the11thhourblog.com/post/elite-gay-men-the-destruction-of-women-s-role-in-sexual-ethics-human-reproduction>
- ▶ Bilek, J. (2018). Who are the rich, white men institutionalizing transgender ideology? *The Federalist*. <https://thefederalist.com/2018/02/20/rich-white-men-institutionalizing-transgender-ideology/>
- ▶ Burrall, D. (2020, January 20). South Dakota Chamber opposes bill that aims to insert itself into relationship between doctors and transgender youth. *DRGNews.com*. <https://drgnews.com/2020/01/20/south-dakota-chamber-opposes-bill-that-aims-to-insert-itself-into-relationship-between-doctors-and-transgender-youth/>
- ▶ Ciulla, J. B. (2000). *The working life: The promise and betrayal of modern work*. New York: Times Books.

- ▶ D'Emilio, J. (1993). *Capitalism and Gay Identity*. The Gay & Lesbian Studies Reader. (pp. 467-476). New York: Routledge.
- ▶ D'Emilio, J., & Freedman, E. B. (1997). *Intimate matters: A history of sexuality in America* (2nd ed.). Chicago: University of Chicago Press
- ▶ Freeman, B. (2020, October). U.S. Government and Defense Contractor Funding of America's Top 50 Think Tanks. The Center for International Policy. https://3ba8a190-62da-4c98-86d2-893079d87083.usrfiles.com/ugd/3ba8a1_318530ca605142e68e653d93b5ad698f.pdf
- ▶ Fulcher, J. (2004). *Capitalism: A Very Short Introduction*. Oxford University Press Inc., New York.
- ▶ Gates, T. G., & Saunders, M. C. (2016). Executive orders for human rights. *International Journal of Discrimination and the Law*, 16(1), 24-36. <https://doi.org/10.1177/1358229115627726>
- ▶ Harris, S. (2007). Book Review: Gore Vidal's *America* Dennis Altman Cambridge/ Malden: Polity Press, 2005, 216 pp. *Journal of Sociology*, 43(3), 326-327. <https://doi.org/10.1177/14407833070110030605>
- ▶ Hartung, W. D. (2021). *Profits of War: Corporate Beneficiaries of the Post-9/11 Pentagon Spending Surge*. Center for International Policy, Watson Institute https://watson.brown.edu/costsofwar/files/cow/imce/papers/2021/Profits%20of%20War_Hartung_Costs%20of%20War_Sept%2013%2C%202021.pdf.
- ▶ Hartung, W. D. (2022, June 22). *Pathways to Pentagon Spending reductions: Removing the obstacles* - Quincy Institute for Responsible Statecraft. <https://quincyinst.org/report/pathways-to-pentagon-spending-reductions-removing-the-obstacles/>
- ▶ Human Rights Campaign. (2021, January). *Cities and Counties with Non-Discrimination Ordinances that Include Gender Identity*. <https://www.hrc.org/resources/cities-and-counties-with-non-discrimination-ordinances-that-include-gender>
- ▶ Jones, B. J. M. (2023b, June 6). *What percentage of Americans are LGBT?* Gallup.com. <https://news.gallup.com/poll/332522/percentage-americans-lgbt.aspx>
- ▶ Komodo Health. (2022, October 6). *Komodo Findings Point To Rising Healthcare Needs for Transgender Youth*. <https://www.komodohealth.com/insights/komodo-findings-point-to-rising-healthcare-needs-for-transgender-youth>

- ▶ Leeson, R. (Ed.). (2017, October 4). Milton Friedman: Old School Liberalism. Hoover Institution. <https://www.hoover.org/research/milton-friedman-old-school-liberalism>
- ▶ Marchiano, L. (2017). Outbreak: on Transgender teens and psychic Epidemics. *Psychological Perspectives*, 60(3), 345-366.
- ▶ <https://doi.org/10.1080/00332925.2017.1350804>
- ▶ McHenry, L. B. (2018). The Monsanto Papers: Poisoning the scientific well. *The International Journal of Risk and Safety in Medicine*, 29(3-4), 193-205.
- ▶ Nick Wolny. (2023, August 24). What Is Pink Money? LGBTQ Spending, Explained. Nickwolny.com. <https://nickwolny.com/what-is-pink-money>
- ▶ Piller, C. (2018, July 5). FDA's revolving door: Companies often hire agency staffers who managed their successful drug reviews. *Science*. <https://www.science.org/content/article/fda-s-revolving-door-companies-often-hire-agency-staffers-who-managed-their-successful>
- ▶ Research and Markets Ltd. (2023). U.S. Sex Reassignment Surgery Market Size, Share & Trends Analysis Report By Gender Transition (Female-to-male, Male-to-female), By Procedure (Mastectomy, Vaginoplasty, Scrotoplasty, Hysterectomy, Phalloplasty), And Segment Forecasts, 2023 - 2030.
- ▶ <https://www.researchandmarkets.com/report/transgender-surgery>
- ▶ Solotke, M. T., Liu, P., Dhruva, S. S., Gulanski, B., Shah, N. D., & Ross, J. S. (2020). Medicare Prescription Drug Plan coverage of hormone therapies used by transgender individuals. *LGBT Health*, 7(3), 137-145. <https://doi.org/10.1089/lgbt.2019.0306>
- ▶ The National Gay & Lesbian Chamber of Commerce. (2022). America's LGBT Economy. <https://nglcc.org/wp-content/uploads/2022/02/REPORT-NGLCC-Americas-LGBT-Economy-1-1.pdf>
- ▶ Tristani-Firouzi, B., Veith, J., Simpson, A., Hoerger, K., Rivera, A., & Agarwal, C. A. (2021). Preferences for and barriers to gender affirming surgeries in transgender and non-binary individuals. *International Journal of Transgender Health*, 23(4), 458-471.
- ▶ <https://doi.org/10.1080/26895269.2021.1926391>
- ▶ University Of Minnesota. (n.d.). Sexual and Gender Health Clinic. Eli Coleman Institute for Sexual and Gender Health.
- ▶ <https://med.umn.edu/sexualhealth/clinic>

الإعلام الغربي وعولمة الشذوذ الجنسي

■ أسماء عبد العزيز أحمد

كاتبة وباحثة، دكتوراه في الآداب قسم الإعلام-مصر

ملخص

أخذت الأحداث العالمية "البارزة" التي تتناول الشذوذ الجنسي توطر بوتيرة متزايدة على شبكات الأخبار الفضائية العالمية والعربية، وهي عتبة لم يكن من الممكن تصور حدوثها قبل عقد من الزمن في وسائل الإعلام. إن هذه المهام "التبشيرية" والخطابات الإعلامية التي ينتجها هذا التيار، والمنظمات التي يمثلها، هي التي تشكل ما قد يجوز تسميته بـ "حلم الأممية" للشواذ، والذي يُرى من ناحيتهم أنه مشروع استيعابي للحاق بالركب بسرعة خاصة في الدول الشرقية، التي تُعتبر "متأخرة" نسبياً في هذا المشروع الأممي الاستيعابي، خاصة في العالمين العربي والإسلامي. ومن ناحيتنا نرى أن هذا الدافع "الاستشراقي" لتوجيه جميع فروع البحث الأكاديمي ومحتوى وسائل الإعلام عن مجتمع وحقوق الشواذ هو ضمن المهام التبشيرية لإيجاد أسس لحلم الشواذ الأممي، حيث يتزايد الرهان على ضرب بوصلة الوعي الجمعي لدى شعوب بعينها، لتمرير أيديولوجيات مغايرة تماماً عن ثقافتهم وسياقهم الاجتماعي والاقتصادي، وذلك من خلال استهداف متلقين من نوع خاص، مثل الأطفال والمراهقين؛ لذلك فإن تفكيك الخطاب الإعلامي الغربي من الأهمية بمكان لرصد مدى تمكنه من إخراج الهوية العربية والإسلامية من حساباته، وتصوير أي تيار مضاد على أنه أمر معيب ومتناقض مع الحداثة.

الكلمات المفتاحية:

عولمة الشذوذ الجنسي- وسائل الإعلام الغربية - الثقافة العابرة للحدود - أممية الشذوذ - السخافة الثقافية.

مقدمة:

عندما ظهرت قضية الشذوذ الجنسي لأول مرة على الساحة العالمية، تمرّد مجموعة من الشواذ لأول مرة في شوارع نيويورك علناً عام 1969، وهو الحدث الذي عُرف فيما بعد بتمرد ستونول The Stonewall Riots، ولم يكن هذا الحدث إلاّ كاشفاً عن تاريخ ممتد إلى أشكال من السلوكيات الجنسية الشاذة التي تشكّلت في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا منذ القرن الرابع عشر فصاعداً، والتي يمكن تسميتها بالجنس "المتحول إلى سلعة" و"الجنس المثلي أو المثلي المتبادل"، حيث كانا مختلفين عن أيّ شكل من أشكال الجنس التقليدي، إلى جانب السلوكيات الشاذة التي أتت بها الإسبان والبرتغاليون إلى أمريكا الجنوبية منذ القرن الخامس عشر، فقد كان يرتبط بشكل أو بآخر بالبعاء من أجل المال، حيث لم تنشأ الحياة الجنسية المتبادلة بالتراضي بين الشواذ والسحاقيات إلاّ في القرن التاسع عشر، إذ ساعد التطور الرأسمالي والتصنيع اللاحق، ودمج المرأة في سوق العمل، وارتفاع مستوى الرفاهية على تكوين مجتمعات للشواذ التي يتم تعريفها الآن بمجتمع الميم (الشواذ جنسياً) Homosexuality. حالياً يستحوذ هذا "المشروع" على الخطاب الغربي السائد حول حقوق الإنسان من أجل إطلاقه على نطاق دولي، ففي المجتمع الغربي، تخطّى التعامل بحساسية وحذر هذا الموضوع منذ سنوات طويلة، الآن يتم تصدير المشهد -بعد إخراجه- إلى المنطقة العربية والإسلامية ودول الشرق عبر تيارات من "الأيدلوجيا الناعمة"⁽¹⁾ والتي تتغلغل في العقل الجمعي من خلال مشاهدات ومحتويات تتناول هذا الموضوع، وعلى خطى الحركة النسائية، التي سعت إلى تعميم قضاياها من خلال فرض نسويتها "الخاصة" على الحركات النسائية في دول العالم غير الغربي،

1 - مصطلح تم صياغته من قبل الدكتور محمد دوير في كتابه (أسطورة نهاية الأيدولوجيا).

وبدأت حركة الشواذ تتخذ دوراً "تبشيراً" -إن جاز التعبير- مُستغلة وسائل الإعلام وقادة الرأي والمؤثرين، ومن خلال استناد تنظيمي مُمثلاً في المنظمات اللواتي يهيمن عليها الغرب في جميع أنحاء العالم مثل الرابطة الدولية للشواذ ILGA، واللجنة الدولية لحقوق الإنسان للدفاع عن حقوق "الشواذ" IGLHRC (والتي ستحدث عن دورها لاحقاً) والتي تأسست عام 1978 في ذروة حملة حقوق الإنسان التي قامت بها إدارة الرئيس كارتر ضد الاتحاد السوفييتي و"أعداء" العالم الثالث، حيث كان أحد أهم أهدافها هو إنشاء منظمة للشواذ ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين جنسياً على المستوى الدولي، وذلك في إطار سعيهم إلى الاعتراف بهم كمجموعة لها حقوق دستورية وتحرريها من القيود الاجتماعية والقانونية، لا سيما من خلال المؤتمرات العالمية والإقليمية، مدعومين من قبل اللجنة الدولية لحقوق الإنسان، التي تأسست عام 1991، ومهمتها "حماية وتعزيز حقوق الإنسان لجميع الأشخاص والمجتمعات المعرضة للتمييز أو سوء المعاملة على أساس التوجه الجنسي، أو الهوية الجنسية، أو المصابين بفيروس نقص المناعة".

في 17 مايو 2004، أصبحت ولاية ماساتشوستس أول ولاية أمريكية تُقنن زواج الشواذ، (<https://www.politico.com/story/2018/05/17/first-same-sex-marriage-in-us-may-17-2004-586604>)، فيما كان يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه حدث تاريخي في أمريكا الشمالية، سرعان ما تمّ توجيه النقاش حول المساواة في الزواج والتبني إلى أضواء شبكات الإعلام العالمية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك وكالات الأنباء العربية والإسلامية، وتمّ نقلُ وتناول صور المتظاهرين والناشطين و"الأزواج" المبتهجين الذين اصطَفُوا في طوابير طويلة خارج قاعة مدينة بوسطن، فمن الحق في الزواج إلى تجنيد الشواذ في الجيش الأمريكي، أخذت الأحداث العالمية "البارزة" التي تتناول الشذوذ الجنسي تُوَطر بوتيرة متزايدة على شبكات الأخبار الفضائية العالمية والعربية، وهي عتبة لم يكن من الممكن تصور حدوثها قبل عقد من الزمن في وسائل الإعلام.

إنّ هذه المهام "التبشيرية" والخطابات الإعلامية التي ينتجها هذا التيار، والمنظمات التي يمثلها هي التي تُشكّل ما قد يجوز تسميته بـ "حلم الأُممية" للشواذ، الذي يرى من ناحيتهم أنه مشروع استيعابي للحاق بالركب بسرعة، خاصة في الدول الشرقية التي تُعدُّ متأخرةً نسبياً في هذا المشروع الأُممي الاستيعابي، خاصة في العالمين العربي والإسلامي، وإلى جانب

الدراسات الأكاديمية حول الروايات التاريخية والأدبية والأنثروبولوجية، التي أُجريت في الغالب بوساطة باحثين أوروبيين أو أمريكيين، والتي تُفسّر أسباب تأخر تطبيع شعوب هؤلاء المناطق مع حركة الشواذ من منظورهم، وتُأصل لتاريخ الشذوذ وطبيعته بين الماضي والحاضر في العالمين العربي والإسلامي وتسعى إلى تدعيم الشواذ في المنطقة وتحريرهم من الاضطهاد الذي يُزعمون أنهم يعيشون في ظلّه؛ وهناك أيضاً تقارير صحفية وترويج إعلامي واسع النطاق عن حركة الشواذ عالمياً كمسار حتمي لا بد من الوصول إليه يوماً ما.

ومن ناحيتنا نرى أن هذا الدافع "الاستشراقي" لتوجيه جميع فروع البحث الأكاديمي ومحتوى وسائل الإعلام عن مجتمع وحقوق الشواذ هو ضمن المهام التبشيرية لإيجاد أسس لحلم الشواذ الأممي، حيث يتزايد الرهان على ضرب بوصلة الوعي الجمعي لدى شعوب بعينها، لتميرير أيديولوجيات مغايرة تماماً عن ثقافتهم وسياقهم الاجتماعي والاقتصادي، وذلك من خلال استهداف متلقين من نوع خاص (الأطفال والمراهقين لما يُمثلونه من عناصر أساسية وفعّالة في بناء المجتمع السليم)، لذلك لا بد من تناول آليات وسائل الإعلام في السينما والوسائط الإعلامية المتنوعة ودورها في عولمة الشذوذ الجنسي وتأثير ذلك على السلوك الاجتماعي والإنساني خاصة لفئة الشباب.

أولاً: الأطر الإعلامية "لعولمة" الشذوذ الجنسي

■ السياق الأمريكي كثقافة عابرة للحدود:

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أصبح هناك اهتمام أكاديمي متزايد حول العلاقات الجنسية الشاذة، وبدءاً من الثمانينيات أصبح العالم أكثر انفتاحاً على التحولات الجنسية الشاذة، ونرى ذلك في قرارات المؤسسات الدولية والمنظمات العالمية المعنية بحقوق الإنسان وفي محتويات وسائل الإعلام العالمية، ومع مرور الوقت هناك أدلة عالمية حول قبول الشواذ ليس في الدول الغربية فحسب؛ بل كذلك في باقي دول العالم، وإن كان شكل القبول يختلف من دولة إلى أخرى. وفي تقرير مركز بيو للأبحاث (<https://www.politico.com/story/2018/05/17/first-same-sex-marriage-in-us-may-17-2004-586604>) يكشف عن أن هناك اتجاهاً عاماً

متزايداً حول العالم في قبول المثلية الجنسية؛ خاصة في دول الشرق مثل: اليابان والهند وتركيا وغيرهم، ومع ذلك كشف التقرير أيضاً أن هناك بعض البلدان التي لم تسجل أي تقدم ذي دلالة إحصائية، وعلى الرغم من الافتراضات العلمية التي تربط التنشئة الاجتماعية والتحول التي تتعلق بقضايا الشذوذ بوسائل الإعلام، إلا أنه لا توجد أدلة منهجية وافية لهذا الغرض، على الرغم من خطورته، وبالتالي فالأمر الذي نريد التركيز عليه هنا هو أن الأطر الإعلامية التي تتناول قضية الشذوذ عبر الدراما والأفلام والموسيقى والكتب والعديد من القنوات الإعلامية الأخرى، تُشجّع الجمهور على التواصل بين المجموعات البعيدة؛ بل ويصبح محتواها الثقافي عابراً للحدود، بل ولها تأثير على الأطر الإعلامية المحلية التي يُقدّم من خلالها قضية الشواذ، وهو البعد غير المدروس باستفاضة لعولمة الشذوذ، وبناءً عليه سنتناول في هذا القسم الافتراضات الخاصة بتحول الاتجاهات العالمية تجاه الشذوذ الجنسي في ظلّ تحليل الأطر الإعلامية التي تناولت تقديم القضية في هذا الموضوع؛ خاصة في السياق الأمريكي بما أنه أقوى سياق إعلامي مؤثّر عابر للحدود.

نجدُ في أدبيات العلوم السياسية تحليلات حول الرأي العام المُتعلق بقبول قيم ما ترتبط بالمواقف تجاه الشواذ وحقوقهم، وتتعلق العديد من هذه النتائج بالتركيب الاقتصادية والاجتماعية في دول "الرفاهية" ومن أبرزها ما قدّمته نظرية "ما بعد المادية" لتفسير الاتجاه المتنامي حول قبول حركة الشواذ؛ حيث أسّست النظرية منظوراً نظرياً مركزياً في دراسة المواقف العابرة للحدود الوطنية منذ أكثر من 40 عاماً، وتمثل أطروحة رونالد إنجلهارت (Inglehart, 2025) منظوراً علمياً مهماً حول ما يُحرّك الثقافة والمعتقد خاصة في المجتمعات الاستهلاكية، وسوف نركز عليها لرصد المواقف تجاه المثلية الجنسية اعتماداً على منطقتها التفسيري وافتراضها الرئيس؛ والذي يرى أنّ الشباب هم الأكثر احتمالاً لاحتضان قيم ما بعد المادية، من خلال الثورة الصامتة وليس من خلال اعتبار أنها مجرد حالة تغير في دورة الحياة، بل هي مثال حقيقي لاستبدال الأجيال للقيم والمعتقدات، ممّا تسبب في تغير القيمة بين الأجيال، ولذلك نستمد من الأدبيات النظرية والتجريبية ذات الصلة، وخاصة عبر البلاد التي طبقت فيها مثل هذه الدراسات التي تُقدّم نظرة ثابتة لفهم التحولات المتزايدة نحو الشذوذ الجنسي؛ لتحليل تناول الإعلام الأمريكي في الصحافة والدراما والسينما في ضوء هذه

النظرية، وبالتالي نصنع "تخمين مستنير" حول الدور المحتمل لتلك العوامل_التي لم تتمكن من تضمينها في المجتمعات العربية أو الإسلامية_ لكن له الأثر الذي قد يكون له دور في زيادة قبول الشذوذ الجنسي، مع إعطاء الأولوية إلى خصوصية كل دولة.

■ التأطير الإعلامي للشذوذ في السينما:

في السينما، كان إدراج الشخصيات الشاذة في الصناعة السينمائية يُعدُّ انتهاكاً مباشراً للقانون، لكن الأمثلة الآتية ستُوضِّحُ أنه منذ إنشاء القانون الخاص بذلك في عام 1930 حتى عام 1934، تمَّ تجاهل هذا الأمر إلى حدٍّ كبير، على الرغم من أن صياغة القانون لتعبير "الحب غير النقي" داخل القانون، تنطوي على وصم للشذوذ، إلا أن إدخال الشخصية المثلية استمرَّ بلا هوادة في صناعة الفيلم الأمريكي، وقد أظهر هذا أهمية الصورة السينمائية في التأثير على الخطاب العام، حيث قدّمت قوالب عمماً يعنيه أن تكون شاذاً جنسياً من خلال لغة الفيلم ومشاهده.

أنتجت استوديوهات مترو جولدين ماير (MGM) فيلم *The Big House* في عام 1930، بطولة تشيستر موريس، وروبرت مونتغمري، والممثل الشهير والاس بيرى، وكان الشعار الخاص بالفيلم الذي أطلقه قسم العلاقات العامة في الاستوديو هو: "في الوقت المناسب! هائل! مثير! دراما الحب والهروب من السجن! وتدور الحبكة حول وقوع أحد المدانين في حب أخت زميله الجديد في الزنزانة؛ ليتورط في عملية هروب من السجن مُخطَّط لها، تسبَّب هذا الفيلم في قدر كبير من الذعر داخل مكتب هايز بسبب تصويره للمدانين المتشددين، ومستوى العنف فيه، ولكن بشكل خاص بسبب محتواه الجنسي "التخريبي" المحتمل؛ حيث تضمن الحوار لشخصية *Beery*، وهو شخصية قاسية مثل المسامير تُدعى "*Machine Gun*" *Butch Schmidt*، ليعلن بوتش أن كينت ليس لوطياً على الإطلاق"، وهو يشير ضمناً إلى الشذوذ، وكان هناك قلق يتمثل في أن الجمهور سيفهم هذه الدلالة وأن التورية في حوار الفيلم تشير بوضوح إلى أن الرجال قد يمارسون علاقات جنسية مع بعضهم البعض في السجن، وبالتالي سوف يفهم الجمهور هذا على أنه مظهر آخر من مظاهر الانحراف الجنسي، ونستطيع القول: إنَّ في هذه الفترة تم تقديم قضية الشذوذ الجنسي في السينما في إطار غير مباشر، تظهر تجلياتها بين السطور، وبالطبع يستطيع الجمهور التقاطها بهذه الطريقة (Urschel, 2015).

ونجد في فيلم 1959 Wyler Ben-Hur من بطولة تشارلز هيستون، قد قدّم شخصية تُدعى مسالا تصدر تلميحات قوية عن ميولها الشاذ تجاه شخصية بن هور، خلال الستينيات، وبعد إلغاء قانون الرقابة على المصنّفات الفنية، أصبحت الأفلام تميل إلى أن تصبح أقل صرامة فيما يتعلق بالشذوذ الجنسي، فإن المجتمع حينها لم يكن كذلك، فرضت أمريكا عقوبات قانونية قاسية على الشواذ جنسياً وتعاملت الشرطة مع تمرد ستونبول بقسوة. وفيما بعد كان على صنّاع السينما التعامل بمراوغة أكثر واستخدام أطر إعلامية أكثر موارد (Doherty, 1999).

كانت الانطلاقة الأكثر جرأة في ثلاثية Torch Song Trilogy 1988 لبوغارت، عندما قدمت مشاهد صريحة بين ذكّرين من شخصيات الفيلم، في إطار رومانسي واستخدام استراتيجية التواصل العاطفي (Green, 1984)، وفي التسعينيات أثار فيلم Basic Instinct "غريزة أساسية" للمخرج Paul Verhoeven عام 1992، قدّم الفيلم شخصيات الشواذ في إطار الشر وقدام الشخصيات الشاذة كمجرمين أشرار ممّا أثار غضب الناشطين في مجال حقوق الشواذ، في عام 1993، كان فيلم فيلادلفيا للمخرج ديمي أول فيلم يركّز على الإيدز والشذوذ بشكل مباشر، إذ صوّرَ الفيلم الشواذ بصورة إيجابية في إطار "الأقلية" المهضوم حقهم والمفتري عليهم لكسب التعاطف وتأييد الجمهور، بعد أن تعاملت بعض الأفلام بشكل أكثر صراحة مع المثلية الجنسية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين (على سبيل المثال فيلم Capote لعام 2005 لميلر) (<https://www.grin.com/document/337201>).

لكن يمكن عدّ فيلم Brokeback Mountain لعام 2005 للمخرج لي علامة بارزة في تغيير التأطير الإعلامي نحو تقديم الشخصيات الشاذة في الأفلام، حيث كان الفيلم رائداً في تصوير الشواذ بصفات رجولية وذكورية على عكس القوالب الأخرى التي كان من المعتاد رؤيتهم فيها كشخصيات مُصنّفي الشعر أو مُصممي أزياء أو من هذا القبيل (Cooper, 2008)، وبالتالي يظهر التأطير غير الاعتيادي للشخصيات انقلاب على التأطير المعتاد، وقد تكررت ادعاءات مماثلة حول "الابتكار" في تأطير الشخصيات الشاذة على امتداد الإنتاج السينمائي من حينها؛ حيث واصلت أفلام هوليوود الأخرى منذ ذلك الحين هذا الاتجاه التصاعدي لتأطير الشخصيات الشاذة.

■ التأطير الإعلامي في الصحافة:

في السياق الأمريكي، حدثت طفرة لا مثيل لها في تناول قضية الشذوذ الجنسي في الصحف والأخبار والدراما، ففي الصحافة المطبوعة منذ الخمسينيات إلى منتصف الستينيات اتسم التأطير الصحفي -وربما وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعة والسينما- في هذه الفترة بـ"الصمت" تجاه قضايا الشذوذ، ولم تتم مقاطعة هذا الصمت إلا من خلال إعلانات شخصية في الصحف المحلية من رجال يسعون إلى الحصول على أصدقاء ذكور، مع مجلات محلية خاصة تتناول الشذوذ مثل مجلة The Ladder 1956، ومجلة ONE التي كان معظم كتّابها من الذكور البيض من الطبقة الوسطى، ومجلات محلية أخرى محدودة التوزيع، أما نقطة الانطلاق في الوسائل الإعلامية المطبوعة كانت المقال المميز عن الشذوذ عام 1965، على النيويورك تايمز، والذي تناول قصة شاذ أمريكي من أصول هندية، يُدعى إلمر غيج وتناول الكاتب جاك كيرواك بـ"قلق" تصوير الشذوذ كتهديد للدور الاجتماعي للذكور، لكن بعد أربع سنوات من هذا المقال حدث تمرد الشواذ المعروف بـ أحداث ستونوول الذي غير من تناول الصحفي تجاه قضية الشذوذ من وقتها وتحول تأطير القضية من "القلق" إلى "حتمية التغيير"، كما جاء في افتتاحية الصحيفة التي كتبها ريتشارد كونجر: "النقطة المهمة هنا ألا ننسى أبداً، أننا سواء أشرنا إلى جماهير العبيد في أثينا القديمة، أو إلى الفلاحين الكادحين تحت حكم المانشو، أو عمال مناجم الفحم القذرين في منطقة ميدلاندرز الإنجليزية في القرن التاسع عشر، أو إلى الزوج المحرومين في واتس، نرى أنه لا يمكن لأي قطاع كبير من المجتمع أن يبقى في الخضوع المستكين إلى الأبد -يقصد الشواذ- لأن الطبيعة البشرية ليست كذلك (https://daily.jstor.org/one-the-first-gay-magazine-in-the-united-states)، وبالتالي وضع تمرد ستونوول نقطة التحول في التأطير الصحفي للقضية، والتي تعاملت مع القضية على أنه اتجاه ثوري لابد من حتمية نجاحه، وهي استراتيجية ما زال معمول بها في الصحف الغربية إلى يومنا هذا.

■ التأطير الإعلامي للشذوذ في الدراما التليفزيونية:

وفي الدراما، بدأ التمثيل الإعلامي للشواذ في التليفزيون الأمريكي في التسعينيات من القرن الماضي، ولعل أبرز تناول الإعلامي كان ظهور إلين دي جينيريس على الشاشات التليفزيونية

الأمريكية، خاصة الظهور الأول على برنامج The tonight show مع جوني كارلسون، حيث انطلقت مسيرتها في تأطير شخصية المرأة السحاكية من خلال شخصية إلين في مسلسل على شبكة تليفزيون ABC بعنوان: إلين أدت فيه دور شخصية إلين مورجان من خلال إطار شخصية هزلية ساخرة لاقت استحساناً من الجمهور، وعلى مدار عقدين ماضيين، تمّ تقديم الشخصيات الشاذة والسحاكية في الدراما الأمريكية من خلال إطار هزلي ساخر مُحبب إلى الجمهور، ونجدُ هذا على سبيل المثال في أعمال رائدة من نوع السيت كوم Sitcom، مثل المسلسل الأمريكي Will & Grace 1998_2019، على شبكة تليفزيون UBC، الذي قدّم شخصية الشاذ في إطار كوميدي لطيف ومحبوب اجتماعياً، والذي عدّه النقاد حينها ثورة في الدراما لاحتوائه على أكثر من شخصية شاذة ومزدوجة العلاقات، ومسلسل Modern Family 2009، الذي استخدم الإطار الساخر نفسه في عرض الشخصيات الشاذة في قالب اجتماعي محبوب ولطيف، إلى جانب مسلسل الدراما الذي قام بطولته مجموعة من المراهقين، وكان الجمهور المستهدف هو فئة المراهقين والشباب، تناول مسلسل Glee 2009 ومسلسل Teen wolf 2011، ظهور الشخصيات الشاذة كأبطال مع إطار القوة الخارقة والصفات النبيلة التي تُقدّمها الشخصية الشاذة، والنواحي الإنسانية مع شريكه الشاذ في مشاهد المسلسل، وإلى الآن يغلب على تناول الإعلامي الدرامي لشخصية الشاذ الإطار المرح/الكوميدي/المقبول اجتماعياً/الطيب/المراعي للأصدقاء/الحنون/الناجح وظيفياً/ وغيره من القوالب والسمات الإيجابية، حيث كشفت دراسة حديثة عن الأعمال الدرامية المقدمة على شبكة Netflix أنّ الشذوذ الجنسي كان من أكثر القيم الاجتماعية تناولاً على المنصة في عام 2020-2021، من خلال استكشاف الأطر الدرامية التي تُقدم من خلالها الشخصيات الشاذة، وانقسمت أشكال السياقات المروجة للشذوذ الجنسي المقدمة ضمن الأعمال الدرامية على منصة Netflix إلى شكلين، الأول السياقات الداعمة للشذوذ الجنسي بشكل مباشر، يليها السياقات الداعمة للشذوذ الجنسي بشكل غير مباشر، ويقصد بالسياقات هنا هو كيفية تقديم Netflix للقلاب الدرامي للمشاهد، يشمل ذلك القصة الدرامية والحوار، والدور الذي تقوم به الشخصيات الشاذة جنسياً، وطريقة تعامل الجمهور مع تلك الشخصيات والمعالجات الدرامية وما يتبعها من رسائل مباشرة وغير مباشرة، للوصول إلى رسالة يرغب صانع العمل الدرامي إيصالها إلى المشاهد (المخرج، 2022).

يكشف الطرح السابق أنَّ التأطير للقضية في وسائل الإعلام يعمل بمثابة استراتيجية خطابية، أو ممارسة للسلطة؛ لأنه يُؤثِّر في فهمنا للعالم السياسي والاجتماعي، ويمكن العثور على نمط متميز من الأطر الإعلامية التي قُدِّمت من خلالها الشخصيات الشاذة، فحتى الثمانينيات كانت معظم القوالب الفنية الإعلامية عن الشذوذ الجنسية في معظم الأفلام تكون غير مباشرة، وهو ما كان يعنيه التعبير عن الشذوذ الجنسي في الحياة حينها، حيث لا يكون التعبير إلا بشكل غير مباشر، كما لا يستطيع الأشخاص الذين يظهرون على الشاشة التعبير عن أنفسهم إلا بشكل غير مباشر، وعلى الرغم من التحول في الرؤية الإعلامية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية منذ التسعينيات إلى الآن، إلا أن الأطر العامة كانت تنحصر في تقديم الشواذ بعدها أقلية مُهمشة، ويُعزى جزءٌ كبيرٌ من تحول الشباب الذين أصبحوا أكثر انفتاحًا على قضايا الشذوذ، إلى وصول مجموعة كبيرة منهم وتعرُّضهم لقضايا أكثر ليبرالية وانفتاحًا وارتفاع تصدير الشواذ في الإعلام الغربي بشكل مطرد، وتعمد تعامل هوليوود على تقديمهم في إطار مُحبب، والتأطير الإعلامي بلا هوادة على مدى عقدين ماضيين، إلى جانب التركيز على مبدأ أن الشذوذ قضية "جينية" لها استنادها في علم الأحياء بدلاً من أنها اختيار حرٌّ لنمط حياة.

بالإضافة إلى ذلك هناك تيارات مواتية من النخب السياسية والمنظمات الحقوقية العالمية والمؤسسات الرسمية التي تصدر قضية الشذوذ جدول أعمالها، على سبيل المثال، أعلن جيسون كولينز، لاعب الاتحاد الوطني لكرة السلة (NBA) الأمريكي الذي يحظى بشعبية كبيرة، عن ميوله الجنسية الشاذة في عام 2013 (<https://www.nytimes.com/2013/04/30/sports/basketball/nba-center-jason-collins-comes-out-as-gay.html>)، وكان من الملفت التأطير الإعلامي لتغطية كولينز؛ حيث تبنت وسائل الإعلام إطارات داعمة وشاملة للتغطية خاصة أعمدة الرأي في الصحف الأمريكية، وهو ما يُوجد أدلة على وجود اتجاه أكثر تسامحًا بمرور الوقت لقبول اللاعبين الشواذ.

■ رؤية نظيرية:

هناك العديد من النظريات الاجتماعية والاقتصادية التي تُقدِّم تفسيرًا للنهج المتزايد حول تغيير المواقف عالمياً تجاه العلاقات الشاذة، كما تربط الأبحاث المعاصرة أيضاً التوجّه

الأيدولوجي للفرد بقبول الشذوذ الجنسي، على سبيل المثال، يميل المحافظون إلى تسجيل مستويات أعلى من رفض العلاقات الشاذة مقارنة بالليبراليين، وإنَّ التفسير المطروح في هذه الورقة هو بناء على استشهادات من التأطير الإعلامي، المستمدة بشكل رئيس من الدراسات التي أُجريت على السياق الأمريكي، وهي استشهادات توضيحية لكنها لا تترك لنا سوى القليل من "النفوذ" التحليلي لشرح سبب حدوث التغيير في المواقف عبر سياقات عالمية ومحلية متعددة.

ووفقاً لنظرية "إنجلهارت" أو ما بعد المادية، تتحول القيم الفردية من القيم المادية، والفيزيائية (الأكل والشرب)، والاقتصادية (الأمن الاقتصادي)؛ حيث ينتقلون من الحاجات السياسية التي تهتمُّ في المقام الأول بقضايا (إعادة) التوزيع، في الوقت الذي يكون الأمان الجسدي فيه أكثر القيم إلحاحاً كما تمثِّله الاحتياجات الأساسية مثل: الجوع والعطش التي يجب أن تُرضي أولاً لأنها مرتبطة بالبقاء والوجود الإنساني، إلى تلبية القيم الفردية الجديدة للاستقلال والتعبير عن الذات وتحقيق الذات، بمعنى أن الرخاء المتزايد هو المحرك الذي يحرر تدريجياً جمهور المجتمعات الصناعية المتقدمة من ضغوط الاحتياجات التملّكية أو المادية؛ حيث إن الثراء الكبير الذي عانت منه أجيال ما بعد الحرب في دول "الرفاه" قاد البعض منهم إلى اعتبار أن أمنهم المادي أمرٌ مفروغٌ منه، وبدلاً من ذلك يولون أهمية أكبر إلى أهداف غير مادية مثل التعبير عن الذات، واستقلال الفرد، وحرية التعبير، والمساواة بين الجنسين، والدفاع عن البيئة، حيث تسمح مرحلة ما بعد المادية اللاحقة بالصراع السياسي حول -ومواقف أكثر ليبرالية بشأن- حقوق الشواذ.

تسهم الافتراضية في فهم بروز القضية إعلامياً وسياسياً للهويات الجديدة التي يتم الترويج لها، خاصة من المؤسسات الدولية لحقوق الإنسان، إلى مجتمعات الأمن الدولية، التي تأخذ في الحسبان تأثير تدفُّقات المعاملات الاجتماعية والتواصل الثقافي على استيعاب الهويات السياسية والاجتماعية الجديدة على المستوى الفردي، على سبيل المثال، الاتصال والمعاملات الاجتماعية عبر الحدود التي تساهم في دعم التكامل الأوروبي لكل دول الناتو، هذه التفاعلات، بما في ذلك تلك التفاعلات "الرمزية والاقتصادية والمادية والسياسية والتكنولوجية" يمكن أن تُؤدِّي إلى عمليات التنشئة الاجتماعية على المستوى الفردي التي يمكن أن تسهم في تغيير المعتقدات أو

تغيير تصورات الأفراد في تلك المعتقدات بسبب التعاطي الإعلامي المكثف لها أو الملاحظات والقوانين العالمية، أو الممارسة الجديدة لها التي نتج عنها التطبيع مع الشواذ جنسياً بشكل عالمي. وفي هذا السياق يصف عبد الوهاب المسيري سمات هذه المرحلة بأنها تتسم بحمولات لا إنسانية، فهي تسعى إلى ترسيخ فكرة الإنسان صاحب البعد الواحد، فأياً إنسان له حدود إنسانية خاصة وهو قادر على تغيير قيمه بين ليلة وضحاها، ومن هنا تظهر دعوات الدفاع عن حقوق الشواذ جنسياً والتمركز حول الأنثى والحق المطلق في أن يفعل الفرد ما يشاء، كما تتسم بغياب المرجعيات وتآكل الذات وهيمنة النسبية واللايقين، فهي لا تعترف بأي مرجعيات إنسانية أو موضوعية، فيتسم العالم بالتفتت، والانقطاع والفوضى، وحكم المصادفة وغياب السببية، وظهور الاحتمالية والتغير الكامل والمستمر، وبهذا تصبح المعرفة الإنسانية الكلية متعذرة، كما تم القضاء فيها على مفهوم المركز، فأصبحنا بذلك أمام تعدد المراكز، وجراء هذا التعدد أصبح من المتعذر على الإنسان أن يتجاوز حدوده المادية الضيقة، ويضرب مثلاً على هذا من عمق تجربته في أمريكا، فيحكي أنه قبل عام 1965م كان لباس المرأة الغربية محتشماً نسبياً، أما بعد هذا التاريخ تنامت ظاهرة العري، وتزامناً مع هذا برزت ظواهر أخرى كالشذوذ الجنسي، والحمل السفاح بين المراهقات، وانتشار المخدرات، وتآكل الأسرة، والحمل خارج إطار الأسرة، وتقديس اللذة (المسيري، 2002).

في النهاية، نحن نختبر فقط فرضية "عولمة" الشذوذ باستخدام استطلاعات القيم للمنظمات العالمية والأوروبية، ووفق ما قدمته وسائل الإعلام من تأطير للقضية على مدار عقود ماضية، حيث نعتقد أن في ظل السيوالة وهيمنة قيم ما بعد المادية على الدول الداعمة للشذوذ الجنسي، فإن الثقافة العالمية حينها تكون ثقافة عابرة للحدود الوطنية؛ حيث يوضح المقال أن تأطير وسائل الإعلام والصحافة والسينما لقضايا الشذوذ قد يرتبط بمواقف أكثر قبولاً بين الشباب، نعتقد كذلك أن تعرض هؤلاء للشذوذ في وسائل الإعلام يتزامن كذلك مع الاتصالات التي يجريها الشباب مع الشواذ وقضاياهم على أرض الواقع من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وبث طرق أخرى للتنشئة الاجتماعية، ومهما كانت الصورة الإعلامية التي توظف بها قضية الشذوذ الجنسي، ومهما كان ذلك بديلاً عن الاتصالات الشخصية معهم، فإن وسائل الإعلام رغمًا عن ذلك مازالت أداة تقدم من خلالها مناقشات جديدة، وأطراً مرجعية جديدة حول العلاقات الشاذة.

ثانياً: نحو حلم "أممي للشواذ"

■ التشريع والتبشير:

إن التحول إلى منظور عالمي موحد تجاه قضية الشذوذ الجنسي ليس مجرد ظاهرة أمريكية أو أوروبية غربية، بل هو ظاهرة كذلك لها نطاق واسع - وإن كان بمعدلات مختلفة - في أجزاء مختلفة من العالم، حقوقياً اعتمد قراراً خاصاً في عام 2019، بإنشاء خبير مستقل في الحماية من العنف والتمييز على أساس التوجه الجنسي وأصدرت منظمة الهوية الجنسية، النسخة الثانية من التقرير المعنون: "ولدوا أحرار ومتساوون: التوجه الجنسي والهوية الجنسية والخصائص الجنسية في القانون الدولي لحقوق الإنسان" والذي ركز على المواد الآتية: (1) حماية الأفراد من العنف (2) منع التعذيب والمعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة والعقوبة أو المعاملة (3) مناهضة القوانين التمييزية (4) منع التمييز على أساس التفضيل الجنسي (5) حرية التعبير والتجمع وتكوين الجمعيات (Young-Schlee, 2023)، وهو يعتبر تأسيس موحد لحقوق الشواذ التي أمضت المنظمات الحقوقية وقتاً - غير طويل - في تطوير مواد استناداً على قوانين منظمات حقوق الإنسان وهو الحق في تقرير التوجه الجنسي.

عند النظر إلى المواد القانونية التي تؤيد تشريع العلاقات الشاذة، فإن بعض المنظمات الدولية تدعم الشذوذ بمختلف تنوعاته، وتقدم أدلة مهمة تثبت أن الشذوذ له تأثير جيد على المجتمعات، بالإضافة إلى ذلك، تم وضع بعض القوانين للسيطرة على باقي البلاد الأخرى، ومنع مقاضاة أو اضطهاد الشواذ في مناسبات عالمية (كما حدث في مونديال قطر 2022) وتعميم هذا الاتجاه عالمياً، وكما رأينا عندما قررت فرنسا في قانون آخر حظر كلمتي "أم" و"أب" من جميع الوثائق الرسمية والمناهج التعليمية في إطار مخطط مشير للجدل؛ لتشريع زواج الشواذ وتطبيع الشذوذ للطلبة في سنوات الدراسة التأسيسية، كما أدرجت لجنة الحقوق الجنسية مواد قانون صاغته مجموعة دولية من المدافعين عن صحة المرأة الذين شاركوا في مؤتمرات الأمم المتحدة التي عقدت منذ التسعينيات، كما أوردوها لُغويًا في مواد اللجنة، تشمل هذه الحقوق حق الإنسان في "تجربة حياة جنسية ممتعة"؛ حيث تربط مواد "الحقوق الجنسية" مع حقوق الإنسان الأصيلة لجميع الأشخاص فيما يتعلق بالتعبير الحر والمسؤولية

عن حياتهم الجنسية وسيطرتهم على أجسادهم، وحققهم في ممارسة الشذوذ بما يناسب تفضيلهم الجنسي.

إن هذه القوانين "التقدمية" التي تنتجها منظمات عالمية مثل منظمات حقوق الإنسان الكبرى التي تتخذ من الولايات المتحدة مقراً لها مع (هيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية) والعديد من المنظمات النسوية الغربية البيضاء، ما دأبت على ترويج الخطاب العالمي الداعم للشذوذ ومناصرتها للاتجاه العالمي الناشئ أو حلم الشذوذ الأممي، و"تحرير" باقي شواذ العالم لا سيما في العالم العربي والإسلامي من القيود الدينية والاجتماعية والسياسية، وتغليف حراكهم بالنكهة "الثورية" ورسم مساعيهم بتصورات عن النضال والحرية والمساواة، وذلك من خلال تحويلهم من ممارسي الشذوذ بشكل خفي، إلى أشخاص يُعرفون أنفسهم علناً بأنهم شواذ جنسياً؛ حيث يمكن أن يكون الفرد مع أو ضد العلاقات الشاذة فهي -بحد تصريحهم- مثل أي قضية أخرى قابلة للنقاش، الأمر الذي يضر بأي حراك ثوري آخر لأنه قد يُحسب على الخطاب الداعم للشذوذ.

قد يبدو الأمر بسيطاً بالمقارنة مع حقوق الإنسان الأخرى، لكن المحو الثقافي المصاحب هو ما يمثل مشكلة خاصة عند تحليل الثقافة العالمية الجديدة التي تنشرها وسائل الإعلام -كأدوات ناقلة للثقافات عبر الحدود- وتحت رعاية نفس المنظمات الدولية والنخب وغيرهم من حراس وسائل الإعلام، ودور هذه "الجهات الفاعلة"، على الرغم من أنها سلطة "غير مُلزَمة" قانونياً على المستوى الوطني، لكنها تؤثر بدورها على المواقف العامة، حيث يتم إدماج الشذوذ على أنه ضمن عناصر الثقافة العالمية بل ويشكل أساساً مكوناً لها، ومن ثم فإنها تشكل نظريات وظيفية تعمل كأيديولوجيات للاسترشاد بها، على اعتبار أن للثقافة وظيفة عالمية متفق عليها في "الأوصاف المنطقية" والنظريات العلمية الاجتماعية حول "الطريقة التي تعمل بها الأشياء"، هو ما يخلق مبررات وظيفية وعلاقات سببية لإنشاء اتجاه أممي لقضايا الشواذ. نحو "هيكلة" الحلم الأممي للشواذ:

من خلال ما تطرحه نظرية المجتمع العالمي، فإن العالم إما فوضوي (تسعى الجهات الفاعلة لتحقيق مصالحها دون تدخل من هيكل السلطة الشامل) أو متشابك (تبني الجهات الفاعلة عمداً أنظمة مترابطة للمنافسة الاقتصادية والسياسية من الألف إلى الياء)، وبذلك يتم تفسير

الثقافة العابرة للحدود على محمل الجد بين هذين الاتجاهين، لكن في بعض الأحيان يتم حصر تأثيرها في عمليات الهيكلية التي يُعمل بها على المستويات المحلية أو الوطنية، ففي عالم متصل بشكل متزايد، نفترض أن التأثيرات الناجمة عن الاتصالات الافتراضية من خلال التعرض الإعلامي لقضايا الشواذ سيستمر عبر الحدود الوطنية، لذلك نتوقع أن تُخلف هذه التأثيرات على الجمهور - حسب الفئة العمرية؛ نظراً لأن الجماهير الأصغر سناً في سنواتها القابلة للتأثر من المرجح أن تغير وجهات نظرها بما يتماشى مع المعلومات الجديدة المنقولة منذ التسعينيات - اتجاه عابر للحدود لتكوين مجتمعهم المزعوم كالتالي:

الأول، تقوم "الجهات الفاعلة" المعاصرة، بما في ذلك الدول القومية الوطنية، بتنظيم نفسها وإضفاء الشرعية عليها بشكل روتيني من حيث النماذج (العالمية) العالمية مثل المواطنة، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، والعدالة العقلانية، والتنمية المستدامة، والدول تنشئ المعاهدات والبروتوكولات وتبنى قرارات المنظمات العالمية مثل بنود حقوق الإنسان وقرارات لجنة العفو الدولية وغيرها.

الثاني، مثل هذه النماذج منتشرة إلى حد كبير على المستوى العالمي، مع قدر كبير من الإجماع على طبيعة وقيمة أمور مثل المواطنة وحقوق الإنسان، والبيئة والبحث العلمي، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، والتعليم، على سبيل المثال، تصر الشرعية الدولية على أن التعليم الرسمي ضروري ومفيد للنمو الاقتصادي، والإبداع التقني، وولاء المواطنين، والمؤسسات الديمقراطية، ونادراً ما يتم التشكيك في مثل هذه المبررات الشرعية للتعليم، فتطبق الدول بروتوكولات واستراتيجيات وتوصيات المنظمات والمؤسسات الدولية.

الثالث، تعتمد النماذج على ادعاءات بإمكانية تطبيقها عالمياً؛ على سبيل المثال، من المفترض أن تكون النماذج الاقتصادية للتنمية والسياسة المالية والرعاية الصحية قابلة للتطبيق في كل مكان، وليس فقط في بعض المناطق أو الدول.

بالتالي فالثقافة العالمية من الناحية الوظيفية مادة تعبيرية تدمج الجماعات أو تدعم هيمنة الجهات الفاعلة القوية لما فيه صلاح الإنسانية، ومن هنا نرى أن للثقافة العالمية خصائص "مولدة" للمعنى من الممكن "استيرادها" معرفياً لمساهمة في خطط التنمية والتطوير، ومن هنا يتحدد البعد الثقافي للمجتمع العالمي، والنماذج المعرفية والأنطولوجية للواقع التي تحدد

طبيعة وسيادة وسيطرة وموارد الدول القومية والجهات الفاعلة الأخرى (منظور التشابك)، وهذه الأبعاد هي المنظمة للدول والمجتمعات والأفراد، وهي الأكثر إدراكاً وعقلانية من الجهات الفاعلة المحلية.

الطرح السابق هو ما يفسر ما يحدث الآن من حركة "تعميمية" لتطبيع الشذوذ، حتى في اختيارهم لعلم "قوس قزح" تحديداً -المحجب لنا من وقت أن كنا أطفالاً- واستغلاله لجعله شعار ظاهرة خارجة عن الطبيعة الإنسانية، أصبح اقتران ألون قوس القزح الجميلة لا إرادياً في رؤوسنا يعكس الشذوذ من خلال تلاعبهم في الصورة الذهنية، وإضفاء المفاهيم قسرياً على مسيرات الشواذ الشهرية وإطلاق مسميات مثل "شهر الفخر" والتلاعب بالمصطلحات، وترهيب المختلف أو المنكر لقضايا الشذوذ، واعتباره في ذيل الحضارة ذلك عندما توهم الدول الممانعة -على استحياء- بتطبيع الشذوذ بأنها رجعية ومتخلفة عن الركب، نقارن هذا بطريقة عفوية بين هذا الاتجاه الأممي القسري وبين حركات أخرى أُعتبرت ثورية مثل حركة الحقوق المدنية في الستينات، فإن ما يسمى "بالثورة الجنسية" التي تحدث في الغرب الآن هو تجسيد لما يحدث عندما يغيب سقف المتع والملذات الحسية، بسبب غياب العقلانية عن أهداف الحراك الجنسي الغربي الذي فاقم الوضع إلى حد أن وصل معه الأمر لذرورة الذرورة، فعندما يُرى أن "المصلحة الإنسانية" تقتضي بتشكيل أممي للدفاع عن حقوق الشواذ، وتجنب أي عائق بأي ثمن وبأسرع وقت وبأقل مجهود، يصبح الشغل الشاغل للأمم فقط هو نصيبها من المتع والملذات، غالباً ما يكون هذا السيناريو هو سيناريو نهاية الحضارات، كما حدث في فترة "الخبز والسيرك" التي كانت في نهاية الإمبراطورية الرومانية، عندما اهتم الشعب بالملذات وسقطت الإمبراطورية في يد الغزاة الجيرمان، بالفعل لا يوجد الآن إمبراطوريات أو رومان أو عبید، لكن يوجد المعادل الشكلي والنسقي منهم، فالأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية ومنظمة حقوق الإنسان وكل الداعمين لقضايا الشواذ هم الإمبراطورية الحديثة، وكل المناصرين والمتفعين من تعميم هذا الاتجاه وجعله اتجاه عالمي هم كما الرومان الغارقين في اللذة، وكل المكبلين والمفروض عليهم قسرياً هذا الاتجاه من الدول أو الشعوب هم العبيد الذين لا حول لهم ولا قوة أمام هذا التيار الأممي الجديد.

■ استشراف من نوع آخر:

وفي هذا الإطار المعاصر، يطرح جوزيف مسعد رؤيته في مقالته المثيرة للجدل "إعادة توجيه الرغبة" (Hamdan, 2015)، حيث يرى أن "منظمة الشواذ الدولية"، التي يعرفها على أنها اتحاد "فضفاض" من المبشرين والناشطين والعلماء الملتزمين بتعزيز حقوق الشواذ والسحاقيات ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين جنسياً (LGBT)، وهي مجرد مظهر آخر من مظاهر الإمبريالية الثقافية التي مورست مع وصول الفرنسيين والبريطانيين للشرق الأوسط.

علاوة على ذلك، يرى مسعد "العدوانية" في أجندة "منظمة الشواذ الدولية" ILGA، بل أنها المسؤولة عن الكثير من ردود الفعل العنيفة ضد الشواذ، خاصة في العالم العربي، رد الفعل العنيف هذا، الذي يعرفه بأنه "التحريض على الخطاب" لم يؤد فقط إلى تأجيج اضطهاد ممارسي العلاقات الشاذة، ولكنه شجع على ردود الفعل العنيفة ضدهم، باختصار، يرى مسعد أن هذه "المنظمة الدولية للشواذ" هي خط المواجهة في المعركة بين أشرس المدافعين عنها والمعادين لفلسفتها (Massad, 2002)، بالتالي تصبح المنظمة تتعلق المنظمة الدولية "كمساحة للمبشرين" مؤلفة من المؤسسات والجهات الفاعلة والأفراد الذين يتم حشدهم من أجل تعزيز أجندة الحقوق الجنسية العالمية، أما الأمر الآخر فهو أن مثل هذه المنظمات الدولية تعمل كإطار أيديولوجي يتكون من مبادئ وافتراضات يتم نشرها عبر العالم، وعلى هذا النحو، تعتبر أممية "الشواذ" بمثابة استعارة نظرية للاستشراف ما بعد الاستعماري -على حد تقدير مسعد- وهي بالتالي تُنسب إلى فئة الوكلاء الذين يعملون بنشاط نيابة عن مبادئها.

تتكون المجموعات والمنظمات الدولية المشاركة في العمل "التبشيري" من جماعات حقوق الإنسان البيضاء والغربية (على الرغم من أن مسعد أرجع هذه الإشارات أيضاً إلى جماعات نشطة للمطالب بحقوق الشواذ العرب العاملة على استحياء)، ويخص مسعد اللجنة الدولية لحقوق الإنسان للشواذ كمثال على هذه المؤسسة التبشيرية؛ ويقول إن بيان مهمتها هو بمثابة دعاية لمهمة منظمة الشواذ الدولية الأوسع IGLHRC المتمثلة في "حماية وتعزيز حقوق الإنسان لجميع الأشخاص والمجتمعات المعرضة للتمييز أو سوء المعاملة على أساس التوجه الجنسي أو الهوية الجنسية أو حالة فيروس نقص المناعة البشرية"، والتي تأسست

في عام 1990، وأصبحت واحدة من أقدم وأبرز مجموعات الدفاع عن الشواذ ومزدوجي الميل الجنسي ومغاييري الهوية الجنسانية في الولايات المتحدة مع ناشطين عالميين واسعين آخرين، ويمتد نشاطهم إلى أمريكا اللاتينية، وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ومؤخراً إلى منطقة البحر الكاريبي، كما أنها تتمتع بحضور سياسي قوي في الكونغرس؛ حيث عملت مع الكونغرس بشأن تشريعات اللجوء (<https://www.refworld.org/docid/5072d0a92.html>). بالإضافة إلى ذلك، تتمتع المنظمة بسجل قوي في التعاون مع مجموعات حقوق الإنسان الأخرى مثل منظمة العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش، بالنسبة لمساعد، فإن النطاق العالمي لمهمة المنظمة IGLHRC ونشاطها العالمي يجعلها مثلاً نموذجياً لحلم الشواذ الأممي.

يحدد مسعد كذلك عدداً من الخصائص التي يدعي أنها متأصلة في جميع المشاركين في منظمة المثليين الدولية، كإطار أيديولوجي، في سمتين:

السمة الأولى أنها تعزز الاستشراق من خلال الاستمرار في اعتبار العالمين الإسلامي والعربي "أماكن خاصة" في خطاباتها وخططها القادمة، ويستشهد ببيان أدلت به ليزا باور_الأمينة المشاركة للرابطة الدولية للمثليين والمثليات (ILGA)_ والذي ظهر في مجلة OUT كمثال تطبيقي على ذلك، نقبس من البيان: "معظم الثقافات الإسلامية لا ترحب بالمثلية الجنسية (الشذوذ الجنسي) على الرغم من أن المثلية الجنسية الذكورية متأصلة في جذورها الثقافية!... معظم الناس رافضون للغاية والآخر متوترون بحيث لا يتمكنون من التنظيم والإعلان عن أنفسهم، حتى في البلدان التي بها مستوى عالٍ من العلاقات الجنسية الشاذة"، يمثل تعليق ليزا باورز كما حلله مسعد على أنه مظهرًا معاصرًا لكيفية نظر القوى الاستعمارية إلى الحياة الجنسية العربية، وهو ما يعيد تجسيد التصورات الجوهرية للجنس في العالم العربي والإسلامي باعتبارها تصورات معادية وتندر بالخطر ولا بد من تعديلها.

السمة الأخرى التي يكشفها هي تأكيده على أن منظمة الشواذ الدولية "عالمية" في أفكارها ونشاطها بل عالمية في معتقداتها ورغبتها، وأن فهمها للجنس يتجاوز الحدود التاريخية والثقافية والجغرافية _ وهو ما يستتبع تأكيد فكرة عولمة التيار الأممي المرغوب به_ وفي هذا يكتب:

"نفترض من هذا الخطاب أن الشواذ جنسيًا هم فئات عالمية موجودة بشكل استباقي في كل مكان في العالم، واستنادًا إلى هذه "البديهية" التي يزعمونها، تتخذ المنظمة الدولية من نفسها وظيفة المدافع عنهم من خلال المطالبة بحقوقهم، بذلك، تنتج منظمة المثليين الدولية تأثيرًا أقل من التحرري ويضيف أن يجب أن يُنظر إلى تعميم فئة الشواذ جنسيًا من قبل جماعات حقوق الإنسان الدولية على أنه "عنف معرفي وأخلاقي وسياسي" (Massad، 2002)، وبعبارة أخرى، فإن تعميم هذه الفئات هو شكل آخر من أشكال الإمبريالية الجنسية الغربية التي يردون أن يطبقونها عالميًا

الجملة الأخيرة من هذا الاقتباس هي مقدمة مباشرة لمفهوم مسعد عن التحريض في الخطاب الأممي الشاذ؛ حيث يرى أن المنظمة الدولية للشواذ مصدر دائم لخطاب التحريض المقلق، والذي يمثل من الناحية التجريبية ظهور رهاب المثلية في المجتمعات التي لا تقبل اتجاه هذا التيار، بمعنى إنه يفرض بناءً ثنائيًا أنطولوجيًا للجنسانية على الذات العربية التي لم يكن لها تقليديًا هذا الاتجاه في ثقافتها الأصيلة (مثل هذ الفئات الجنسية المماثلة من التفرعات الجديدة ومعها ما يُطلق عليه "رهاب المثلية" الذي لم يكن موجودًا أيضًا في الثقافة العربية) ومع ذلك، يشير مسعد أيضًا إلى أن الخطاب المناهض للشذوذ في العالم العربي الإسلامي يُذكرنا بشكل متزايد بالنغمات البلاغية والمعجمية لنظيره الغربي اليهودي/المسيحي في الغرب في الخمسين عامًا الماضية، فلا يقدم أبعد من "المحظورات" الأخلاقية والدينية التي لا تلاحق العديد من الموضوعات المتجددة للشذوذ الجنسي التي تظهر في الغرب، على سبيل المثال، تأثير القوة الناعمة التي غالبًا ما تكون نتيجة ثانوية غير مقصودة، ومن هنا نفهم ما يفعله مشاهير هوليوود اليوم وتسبق كلٌّ منهم في تقديم نفسه كداعم أصيل للقضية، مثل: أنجيلينا جولي، ميغان فوكس، أديل، تشارليز ثيرون، الذين كانوا من الرواد في تبنّي أطفال بغرض تحويلهم جنسيًا، وعدّهم من الشواذ أو الكويريين _ على الرغم من أنهم مازالوا أطفالًا غير قادرين على اتخاذ قرارات مصيرية _ لكن تحت بند تسليع العواطف والمشاعر، هم في حقيقة الأمر يُروّجوا لاتجاه عالمي مستفيدين من شهرته وراهنيته و"أمميته" المزعومة لتوفير ترويج ذاتي لهم ولأعمالهم وليبقوا متصدرين المشهد بأنهم رواد هذا الحراك ومؤثرات على جماهير عريضة من الناس.

ثالثاً: "السخافة" الثقافية: إلى أين؟

نشرت صحيفة National Post الكندية تقريراً عن حركة تُسمّى "قابلية التحول"، وذلك عندما قطع رجل ذراعه اليمنى باستخدام "أداة كهربائية حادة جداً"، جعل الرجل -الذي يطلق على نفسه الآن اسم One Hand Jason- الجميع يعتقدون أنه كان حادثاً، لإخفاء رغبته في أن يصبح معاقاً، أيضاً تم الإعلان عن امرأة من كارولينا الشمالية وضعت في عينيها منظم للأحواض لأنها شعرت أنها من المفترض بها أن تكون كيفية، كما أعلن رجل بالغ عن رغبته في الحصول على مربية مقيمة بأجر مُجز؛ لأنه يُعرّف نفسه بأنه: رضيع (Boesveld, 2015)!

ربما تكون تلك الحوادث غريبة الأطوار، أو ربما -من جهة أخرى- أن يكون لأيّ إنسان الحق في أن يعرّف نفسه كما يريد، السؤال هنا هو من له حق إقرار مدى أخلاقية هذه الأفعال في تلك الحالات؟ خاصة إذا كان هذا هو شعورهم الحقيقي وتصورهم عن أنفسهم؟ إذا كانت الإجابة لا، سيكون الردّ وما المانع في ذلك؟ حسناً، ماذا لو عكسنا الأمر، هل يمكن لطفل أن يعرّف نفسه بأنه رجل بالغ؛ لأنه يشعر بالبلوغ؟ هل بإمكان المراهق أن يحوز سلاحاً ما أو أن يشرب الكحول؛ لأنه يعرّف نفسه على أنه رجل بالغ تعدّى السنّ القانوني؟ هل يمكن لطفلة أن تذهب إلى ملهى ليلي بدلاً من المنزل لأنها تشعر أنها امرأة ناضجة؟ هل يمكن لطفل ذي أربع سنوات أن يقضي يومه في مزرعة حيوانات بدلاً من المدرسة؛ لأنه يُعرّف نفسه على أنه أرنب؟ إذا كانت الإجابة لا، سيكون الردّ كذلك وما المانع لذلك؟ فإذا أراد رجل أن يكون طفلة بعمر الخمس سنوات فقط؛ لأنه يعرّف نفسه على أنه طفلة في الخامسة من عمرها هل يمكنه ارتياد الحضانة وهو في الخمسين من عمره؟ وإذا أرادت امرأة أن تكون رجلاً؛ لأنها تشعر أنها كذلك، أو إذا أرادت امرأة بيضاء أن تصبح سوداء؛ لأنها أرادت أن تشعر بذلك أيضاً، وإذا قرّر آخر الحصول على مربية لأنه يشعر أنه رضيع، إذاً أين يمكن أن ينتهي هذا كله؟ لو أمكن للطفل أن يصبح متحولاً جنسياً؛ لأنه يشعر وكأنه فتاة، كيف يحق لنا إذاً أن نطلب منه حضور يوم دراسي أو إطاعة الوالدين أو منع إعطائه الكحول عندما يطلب ذلك؟ هل من المنطقي أن نُطبّق كلتا الفرضيتين: إذا قام رجل بالغ بعدّ نفسه طفلاً؛ لأنه يشعر بأنه طفل محاصر في جسم رجل بالغ (هل ننتهك حق الرجل بمنحه الحب والرعاية اللذان يستحقهما الأطفال) أم ننتهك

حق الأطفال في الحصول على رعاية ذويهم لهم؟

ربما لم يسمع معظم الناس عن حركة "قابلية التحول" هذه، والتي تختلف كليةً عن التحول الجنسي، فالتحول الجنسي هو مصطلح شامل لحالة أو تحديد حالة أو التعبير عن الهوية الجنسية التي لا تتطابق مع النوع الجندري/الجنيني للشخص، أمّا قابلية التحول فهو مصطلح شامل تم تطويره داخل مجتمع الأفراد الذين يُعدُّون أشخاصًا قابلين للتحول، أيّ الأشخاص الذين لديهم رغبة مستمرة في اكتساب إعاقة جسدية أو السعي إلى الانتقال الاختياري للجسم من قادر إلى مُعاق، الآن وبعد ظهور تيار المثلية بتفريعاتها المتجددة من المتحولين، وعابري الجنس، وعابري الإعاقة Transabled (أشخاص يشعرون بأنهم كان من المفترض بهم أن يولدوا معاقين)؛ حيث أصبحت قائمة الشذوذ الجنسي طويلة؛ فمن متحولين، إلى عابري الجنس، ثم متحولي الإعاقة، ثم مزدوجي التوجُّه، إلى القابلين للتحويل، تُرى ماذا سيكون التفرع الآتي في قائمة الشذوذ الجنسي؟ حقيقة الأمر ليس باستطاعتنا إيقاف القائمة؛ لأنها مفتوحة النهاية.

هؤلاء الأشخاص يدَّعون بأن لديهم اضطراب في هوية تعريف أجسادهم، فهم لا يشعرون أن جسدهم يتطابق مع واقعهم الداخلي، بمعنى أن أجسادهم المادية الخارجية لا تعكس صورتهم الجسدية الداخلية لهم، وهذا الانزعاج يُسبب لهم معاناة عاطفية شديدة، بالتالي يتخيلون أن الراحة لن تأتي إلّا عندما يتمكنون من تغيير مظهرهم الخارجي (الزائف) ليعكس حالتهم الداخلية (الحقيقية)، إنهم يؤمنون بأنهم لا يمكنهم أن يعيشوا حياة سعيدة ومرضية إلّا عن طريق إزالة أعضائهم التناسلية والخارجية جراحيًا، وبمجرد إجراء الجراحة لهم، عندها فقط سيصبحون سعداء وقادرين على تقديم "شخصيتهم الحقيقية" للعالم.

لكن السؤال المطروح هنا: هل يجب على المجتمع أن يدعم مثل هذه الحالات في قرارته بإجراء مثل هذا التحول حتى ولو بجراحة؟ هل هناك أبحاث طويلة المدى على مثل هذا التيار الجديد من متحولي الإعاقة؟ هل الأمر فعلاً متعلق باضطراب نفسي للأفراد أم أن الأمر تحوّل إلى سخافة ثقافية؟

في حين أن معظمنا قد يقول إنّه لا ينبغي لنا أن ندعم مثل هذه الحالات (بل ولا نستطيع أن نفهم لماذا يجب أن يُعدَّ هذا سؤالاً جدياً بالأساس)، فإن آخرين، وخاصة "حلفاء" ومناصري

" الشواذ ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسية قد يُجيبون بأن هؤلاء الأفراد لا ينبغي أن يحظوا بالدعم فحسب، بل يجب أن يتمّ الثناء على "شجاعته" في القيام بذلك التحول الجندري.

إلى هذه المجموعة الثانية من المناصرين أريد أن أضيفَ نقطة واحدة للتوضيح: إن هؤلاء الأفراد ليسوا متحولين جنسياً ولكنهم قابلين للتحويل الجنسي، حسناً قد يغير هذا من دعمكم لهذه القضية، والأهم هل فكرتم كيف يمكن للمجتمع أن يكون قادراً على التجاوب أخلاقياً واجتماعياً وتشريعياً مع كل هذه التنوعات الخاصة بالتمثيلية الجنسية الغربية، حيث تغلب المشاعر الفردية في ظل غياب سقف المتع الحسيّة على الحقائق الموضوعية؟ هذا الأمر بحاجة إلى الدراسة والفحص من قبل المجتمعات المفتوحة، ولا بد لنا من تناوله كذلك قبل أن نخوض مثل هذا الجدل في الوطن العربي ونفتح على أنفسنا باباً من التلاعب بسياسات الهوية والوصول إلى نقطة اللاعودة، والبدء في فهم ورصد ومراقبة المؤشرات المؤثرة في هذا التحول "الوارد"، ولا بد من عدم تجاهل الموضوعية والعجدية في طرح مثل هذه القضايا، وواقع التغيير العالمي على مُناصري الشذوذ في الوطن العربي قبل أن يفتح ذلك التيار الباب لقائمة عربية أخرى من المتحولين، وعابري الجنس، وعابري الإعاقة، وعابري السن، وعابري الفصيلة، وعابري الأشياء والقائمة تطول إلى حدّ نصل إلى مرحلة من السخافة الثقافية التغريبية (ترسيخ قيم المجتمع الغربي داخل المجتمع الشرقي)؛ لأنه قد بدأ للتوّ؟

خاتمة

من المهم جداً أن ندرّك أنّ التعامل مع الحداثة ليس اختيارياً، لكن على الجانب الآخر، لا بد أن نوجد قائمة "انتقائية" يمكن للمجتمع من خلالها انتقاء واختيار العناصر التي يريدونها لأغراضه الخاصة ويقرر ببساطة تجنّب بعض الجوانب الأخرى المتأصلة في الحداثة مثل إشكاليات الهوية الجنسية في الثقافة الغربية، وتجنّب معالجة إيديولوجيات ما بعد الاستعمار بهذا الاستسلام لهيمنة أعراف المجتمع الغربي؛ لأنه ينتج أمرين، الأول: توقف حاسة النقد ونزعتهم، والثاني، تأطير قضية الشذوذ بأنها: ما يتفق عليه العالم الآن فقط، والاعتقاد يخلق

التكلس والتماهي مع القيم الغربية، وتصبح المعركة ليست في رفض التبشير بالشذوذ، بل في إيجاد قيم طرق تجعلنا نتقبل هذه الأهمية لكن بصوت غير مسموع، ومن ثم كسر الحاجز الخرساني بين الشذوذ الجنسي والخصوصيات الثقافية في أي بلد، من هذا التصور الحاكم في عولمة الشذوذ، المبني على حلم "أهمية" الشذوذ فإن تفكيك الخطاب الإعلامي من الأهمية بمكان لرصد مدى تمكنه من إخراج الهوية العربية والإسلامية من حساباته، وتصوير أي تيار مضاد مثل الحتمية الوطنية على أنه أمر معيب ومتناقض مع الحداثة.

على الجانب الآخر، وفي عرض قضيتنا في أن انتشار المعلومات والثقافة الشعبية الأمريكية أدى بشكل عام إلى زيادة الوعي العالمي والانفتاح على الأفكار والقيم الأمريكية، ويعكس هذا إلى حد ما "سياسات متعمدة"، لا يعني هذا التقليل من مساهمات الاتصالات المباشرة بين الأشخاص في عمليات تغيير المواقف والتصورات، في الواقع، قد تظهر بيانات ودراسات وتأثيرات مشتركة من جهات الاتصال الإعلامية وجهات الاتصال الشخصية، وربما حدث طريق آخر للتغيير، حيث أدت صور وسائل الإعلام الرقمية الجديدة إلى زيادة ظهور وتمثيل الشواذ واحتمالية خروجهم والكشف عن هوياتهم علناً للأصدقاء والجيران وزملاء العمل، حتى داخل سياقات محلية متعددة.

النقاط التي تمّ طرحها لها آثار على فهمنا لكيفية تشكيل تصور عالمي مُوحّد للتواصل مع المجموعات المختلفة من الجمهور، حيث إنّ الاتصالات مع مجموعة خارجية وتمثيلات الإعلام، قد تتجاوز تأثيراتها أكثر من مجرد التفاعلات وجهاً لوجه معهم، لذلك ينبغي للباحثين والدعاة وصنّاع السياسات وقادة الرأي أن يأخذوا في الحسبان كيف يمكن للاتصال الثقافي من خلال وسائل الإعلام أن يُشكّل تصورات الجمهور والآراء والقيم عبر الحدود تجاه قضية قد نراها بعيدة عن دائرة اهتماماتنا، ويظلّ التلفزيون والسينما والإذاعة والإنترنت آليات اجتماعية قوية تتصلّ من خلالها الأجيال الشابة عالمياً بأقليات لم تكن مرئية من قبل، وعولمة السلوك الإنساني وتطبيع الهويات الشاذة بعدها أيديولوجية مُتفق عليها عالمياً.

لائحة المصادر والمراجع

- ◀ المحرج, ي. (2022, مج 7). الأعمال الدرامية لمنصة Netflix وانعكاسها على القيم الثقافية والاجتماعية في الوطن العربي: دراسة نقدية للمسلسلات الأكثر مشاهدة في ضوء نظرية تحليل الإطار الإعلامي. مجلة العلوم والاتصال، كلية الإعلام، جامعة أم درمان.
- ◀ المسيري, ع. ا. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان . دار الفكر المعاصر.
- ▶ <https://www.pewresearch.org/global/2020/06/25/global-divide-on-homosexuality-persists/>. (n.d.).
- ▶ Boesveld, S. (2015). Becoming disabled by choice, not chance: 'Transabled' people feel like impostors in their fully working bodies. . National Post.
- ▶ Cooper, B. &. (2008, 25(3),). Framing Brokeback Mountain: How the popular press corralled the "gay cowboy movie". Critical Studies in Media Communication.
- ▶ Doherty, T. (1999). Pre-code Hollywood: Sex, immorality, and insurrection in American cinema, 1930-1934. Columbia University Press.
- ▶ Green, W. (1984, 30(1-2),). Torch Song Trilogy: a gay comedy with a dying fall., . Maske und Kothurn.
- ▶ Hamdan, S. (2015). Re-Orienting desire from with/in queer Arab shame: Conceptualizing queer Arab subjectivities through sexual difference theory in a reading of Bareed Mista3jil. Kohl: . A Journal for Gender and Body Research, 1(1).
- ▶ <https://daily.jstor.org/one-the-first-gay-magazine-in-the-united-states> . (n.d.).
- ▶ <https://kohljournal.press/reorienting-desire-from-within>. (n.d.).
- ▶ <https://www.grin.com/document/337201>. (n.d.).
- ▶ <https://www.nytimes.com/2013/04/30/sports/basketball/nba-center-jason-collins-comes-out-as-gay.html>. (n.d.).
- ▶ <https://www.politico.com/story/2018/05/17/first-same-sex-marriage-in-us-may-17-2004-586604>. (n.d.).
- ▶ <https://www.refworld.org/docid/5072d0a92.html>. . (n.d.).
- ▶ Inglehart, R. (2025). The silent revolution: Changing values and political styles among Western publics. . Princeton University Press.
- ▶ Massad, J. A. (2002). "Re-orienting desire: The gay international and the Arab world.". Public culture 14.2.
- ▶ Urschel, J. (2015). The Year of Fear: Machine Gun Kelly and the Manhunt that Changed the Nation. . Minotaur Books.
- ▶ Young-Schlee, M. (2023). "The Right to" Take Part in Cultural Life" and Censorship of Queer Media. . " Indiana International & Comparative Law Review 33.1.

فرضُ الشذوذ وتغولُ الفكر الغربي في الهيمنة والانحدار

د. مريم رضا خليل

دكتوراه علم اجتماع سياسي

ملخص

اتَّخَذَ فرضُ الشذوذ الجنسي والترويج له في عهد إدارة الرئيس بايدن الصفةَ الرسميةَ بعد صيرورة من الخطوات التمهيدية، وفرضه بقوة القانون تحت ذريعة «حماية الحقوق». وتبحث هذه الورقة الأسباب التفهيمية لهذا الإجراء، بلحاظ تداعياته على المجتمع البشري بأكمله، وضمنًا المجتمع الغربي والأمريكي. وتربط الورقة موضوع الدراسة ومشكلتها بمنشئها الأساس، أي الفكر الغربي الرأسمالي الذي سمحت مبادئه المادية بهذا القدر من التفلُّت القيمي. ينظر البحث إلى عملية التسويغ القانوني كنتاج طبيعي وحتمي لتغول الهيمنة المادية، لكنه نتاج لن تأمين منه المجتمعات المضيفة نفسها التي ستشهد على تآكل بُناها. وتحيط بمسألة نشر الشذوذ مجموعة من الأبعاد السياسية والاجتماعية التي تكشف مدى سعي الفكر الغربي للهيمنة على الهويات الثقافية خدمة لمصالح مشروع هيمنتها على الشعوب، وهي أبعاد تؤكِّد ضعف مخرجات الحرب الناعمة في عمليات الاستلاب والتغريب. وفي حين تبيح الولايات المتحدة لنفسها الهيمنة الاستعمارية على الإيرادات الشعبية والوعي الجمعي في المجتمعات، إلا أنَّها تدفع بعجلة انحدارها وخسارة مشروعها الليبرالي أمام مشروع حضاري قوامه التحرُّر والبحث عن العدالة والاستقامة.

الكلمات المفتاحية:

الشذوذ؛ «المثلية»؛ الهيمنة؛ الإمبريالية المتوحَّشة؛ الحرب الناعمة؛ «الترهات» الثقافية

المقدمة:

الشذوذ مسألة تاريخية قديمة بحسب المؤرخين والمشتغلين بالأنثروبولوجيا، وعلوم الاجتماع؛ وبقيت على مدى العصور غير مقبولة ومدانة ومحدودة وغير معترف بها، لكنها تتخذ في العصر الحديث سمة ترويجية تشريعية قانونية في المؤسسات الدينية والمدنية والسياسية والإعلامية بحيث تفرض على الجميع دعمها وإلا الدخول في قفص الاتهام والاضطهاد والمعاقبة. نشطت عمليات التشريع للشذوذ الجنسي منذ سبعينيات القرن الماضي تقريباً. وللمفارقة، ظهرت في مجتمعات الدول المتقدمة بل والمجتمعات الحداثوية وما بعدها، لا في المجتمعات المنغلقة والتقليدية. يخرج فرض تأييد الشذوذ بعد نصف قرن تقريباً من السرّ إلى العلانية ويتخذ وضعية مؤسسية في إطار عمل منظم من البرامج والتشريعات والقوانين والشرعية الدولية عبر الهيئات والمنظمات الدولية. وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية عبر هذه الآلية فرض الشذوذ كواقع على دول العالم الإسلامي. ويعكس هذا الفرض مدى الهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة من موقع «القيادة العالمية»؛ الهيمنة التي لا تنحصر سيطرتها في مجالات الموارد المادية، وإنما تشتد قوتها في سياق الحرب الناعمة ضد الميادين المعنوية والثقافية والهوياتية.

وانطلاقاً من خطورة الطوفان الناجم في فرض الشذوذ الجنسي في النسق الاجتماعي داخل الدول المروّجة نفسها وامتداد التهديد إلى مجتمعات العالم الإسلامي، يحاول البحث الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية:

لماذا تلجأ المجتمعات الغربية وفي مقدمتها المجتمع الأمريكي إلى سياسة وخيمة العقاب على المجتمع البشري بأكمله، تطال مجتمعاتهم قبل غيرها، سواء اعترفوا بذلك أم لا؟ ويفترض البحث أنّ عملية التشريع للشذوذ ومحاولات فرضه باسم القانون هي تقيّحات طبيعية وحتمية ناجمة عن تغوّل المباني الفكرية الغربية القائمة على الانحطاط الأخلاقي

والفراغ الروحي والهيمنة المتعددة المستويات، فالمدرسة الرأسمالية وصلت إلى مرحلة من الخواء الفكري المعنوي تدفع باتجاه تآكل مبانيها من الداخل. لذا يدرس البحث الحالي الأبعاد السياسية والاجتماعية لنشر الشذوذ لما تكشفه من تقيح الفكر الغربي عبر الفرض القسري للشذوذ في سياق مشروع الهيمنة الاستعمارية على الشعوب المناوئة للمشروع الغربي المادي، ولما تظهر من ضعف مخرجات الحرب الناعمة في استلاب الهويات وعمليات التغريب، ما دفع إلى المواجهة العلنية. ويهدف البحث إلى كشف تموضع نشر الشذوذ في سياق زيادة «التوحّش» الرأسمالي في الحرب الناعمة؛ من خلال تبيان علاقة نشر الشذوذ بمشروع الهيمنة الغربية في ضرب الشعوب المقاومة للمشروع الاستعماري الغربي، وتكريس الهيمنة عليها.

أولاً، الأبعاد السياسية لنشر الشذوذ:

■ الشذوذ وتطرف الحرب الناعمة

الشذوذ لغة يعني الابتعاد عن الوضع الطبيعي، أو الانحراف عن القاعدة أو الشكل أو النظام المتعارف عليه، ويفيد الخروج عن المألوف والمعروف. والشذوذ الجنسي لغة هو الانحراف عن السلوك الجنسي الطبيعي (المعاني)؛ أي الخروج بالعلاقة الجنسية عن المسار الطبيعي لها بما يخالف الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها. يتضمن معنى ممارسة الجنس بصورة تخالف المشروع في العلاقة الجنسية؛ كالزنا بين الرجال والنساء اللاتي لا يحلن لهم، واللوواط بين الرجال والرجال، والسحاق بين النساء والنساء.

عمدت مدارس العلوم الإنسانية الغربية إلى استبدال المصطلح الموجود في كتب علم النفس بعبارة «المثلية الجنسية»، التي يعتمدها موقع «ترجمة غوغل» (google translate) كمرادف في اللغة الأجنبية (homosexuality) لمعنى الشذوذ، علماً أن ترجمة الأخيرة الصحيحة هي (Anomaly). وفي ذات السياق، بدّل الطبُّ العصبي تصنيف حالة الشذوذ من نوع من الاضطراب الجنسي لشخصية مصابة بمرض عقلي (Psychopathic Personality) إلى اضطراب في التوجّه الجنسي (Sexual Orientation). كذلك، تستخدم مفردات تضليلية

أخرى للتعبير عن الشذوذ مثل: «التوجه الجنسي» (Sexual Orientation)، و «الهوية الجندرية» (Gender Identity).

تُعرَّف وثيقة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي «الجندر» بأنه يُعبر عن مصطلح النوع الإنساني ويرادف «النوع الجنسي»، أو «الجنس الاجتماعي»، أو «اللاجنس» أو «النوع الاجتماعي»، يُقصد به أدواراً اجتماعية يصنعها المجتمع بناءً على دور بيولوجي لكنها تختلف من مجتمع إلى آخر. ويتوقع هذا المجتمع من الذكر أو الأنثى التصرف في شكل محدد وتكون لهما أدوارٌ محددة بناءً على قيم المجتمع وعاداته (المركز التربوي للبحوث والإنماء). ويعني أن تحديد هوية نوع الإنسان متروك للإنسان ذاته؛ فهو الذي يُحدد لنفسه ما يشاء من الميول الجنسية، فيصبح تحديد النوع الجنسي لا علاقة له بالخلقة التي خلق الله الإنسان عليها، إنمَّا اختيار ذاتي يرجع إلى رغبة الشخص ويُحوَّل نفسه بعملية جراحية متى شاء. وتعود فكرة دراسات «الجندر» في الأصل إلى اليهودية (أودري كوهين)، الرئيسة والمؤسسة لكلية متروبوليان في نيويورك عام 1971، وفق ما يشير إليه تقرير لأرشيف النساء اليهوديات (وكالة المعلومة، 2023). تستخدم المصطلحات الأجنبية والنفسية أعلاه في سياق التلاعب وقصف العقول عبر تكرار مفهوم التماثل بما يهدف معه إلى قبول وتطبيع الممارسة بغية تخفيف وطأة اللاشريعة الطبيعية والفطرية والأخلاقية التي يخترنها مفهوم الشذوذ. كما قام النشطاء الداعمون والمؤيدون والمروجون لفعل الشذوذ بخطوة هجومية على الجماعات المعارضة باتهامها بالاضطهاد والتعدّي على الحريات والحقوق الشخصية لعدم تقبلها تلك الفئات وتصنيفها في خانة «الشاذين». وتؤكد هذه الهيمنة المفاهيمية والإعلامية مستوى الانحطاط الذي وصل إليه الفكر الغربي حتى استباح مختلف الوسائل في عملية تضليل مفاهيم الحق والباطل، وترسيخ عملية استلاب الوعي الجمعي للشعوب.

ويشير مدى الاهتمام الرسمي الأمريكي بنشر الشذوذ بطريقة قسرية عبر فرض القوانين وإلزام المؤسسات بتشريعها إلى مرحلة متقدمة في الحرب الناعمة لم تعد تعتمد التسلّل الخفي في الاختراق الثقافي، بل الإكراه القانوني والغصبية والهيمنة الشرعية. وبعدها كان الاختراق الغربي للمجتمعات الإسلامية والعربية لفرض الشذوذ يتم وفق آليات الحرب الناعمة غير المكشوفة واللاعنفية، كما في مُسمّى «حرية الضمير»، وتعني أن لكل شخص الحق في

حرية التفكير والضمير والدين (إدريس، 2016، صفحة 6)، التي أدرجت في العديد من دساتير الدول، ومنها تونس (2014) وغيرها من المفاهيم المنمّقة والمصطلحات المضمّلة من قبيل ما ورد أعلاه. إذ أضحي الشذوذ والتحوُّل علنيًا وتساهم بفرض الاعتراف به كافة الكيانات والمنظمات الدولية كممارسات مقبولة في المجتمعات.

لقد لجأت واشنطن إلى الحرب الناعمة ضد دول المنطقة، وتحديدًا إيران، منذ تسعينيات القرن الماضي بهدف تحقيق ما تعجز عنه المواجهة الصلبة. فهي حرب عن طريق الاختراق والهجوم على الحدود الثقافية بطرق ناعمة (نائيني، 2016، الصفحات 23-24). وقد استتر مشروع نشر الشذوذ على مدى عقود في آليات الحرب الناعمة بغية استبدال النماذج السلوكية في المجتمعات المستهدفة بالنماذج الخاصة للمجتمع الغربي في الإباحية الجنسية. وإنَّ توجُّه الغرب نحو المواجهة الفكرية والثقافية بدل التستر والعمل في الخفاء يشير إلى ضعف آليات الحرب الناعمة المعهودة أمام معركة الوعي التي باتت عنوان المرحلة الحالية من تاريخ شعوب منطقة غرب آسيا المقاومة للمشاريع الأمريكية الغربية للمنطقة. من هنا، عمد العدو إلى تغيير التكتيك في استهداف الشعوب المقصودة، حتى لو عنى ذلك تعرُّض المجتمعات الغربية بالعرض إلى تداعيات هذا الانحدار الفكري.

■ نشر الشذوذ.. والقيادة الأمريكية للفراغ:

سحّرت الولايات المتحدة الأمريكية مختلف المؤسسات القانونية والحقوقية في حشد عملية فرض الشذوذ، وحشدت كل مؤسسات الإدارة الأمريكية تقريبًا جهدًا ضخمًا في تطبيق قانوني (4 شباط 2021 و14 كانون أول 2022)، على مستوى التخطيط وإعداد السياسات والحملات الإعلامية والدعاية، لتطبيق قرارات إدارة بايدن التنفيذية حول الشذوذ (Department of State). إذ سمحت القوانين الجديدة بتشريع الشذوذ بشكل كامل في الولايات المتحدة، وأضفت الشرعية على جماعات الشذوذ واعترفت بتمتعها بحقوق المواطنة نفسها مع جميع الأمريكيين، بل وبالحمية الخاصة التي تجعل أي انتقاد لهم ولأفكارهم وميولهم جريمة يُعاقب عليها القانون الأمريكي. وقد أصبحت حقوق المثليين بالنسبة إلى إدارة الرئيس الأمريكي، جو

بايدن، أولوية في السياسة الخارجية لتعزيز وحماية حقوق الإنسان «لمجتمع LGBTQ»⁽¹⁾ ومكافحة تجريم الحكومات الأجنبية لها (White House, 2021).

وقد نظّمت المؤسسات التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية حملاتها الترويجية وانتزاع الاعتراف بالشذوذ عبر ممارسة هيمنتها السياسية على الدول والحكومات والمجتمعات والهيئات الدولية مثل المنظمة العالمية للصحة وهيئة الأمم المتحدة. فشرّعت الأخيرة فعل الشذوذ في القانون الدولي، وجعلت أيّ تحدٍ أو إشارة كراهية لها بمثابة اعتداء على حقوق الإنسان، وأكثر من ذلك بات الشذوذ الجنسي عملاً سويًا لا ضير فيه وليس بمرض (Mysorekar, 2019)، واعترفت بـ «التنظيم الدولي للشاذين والسحاقيات»، ويضمُّ أكثر من 700 منظمة للشاذين والمتحولين جنسيًا في جميع أنحاء أوروبا وآسيا الوسطى. ويكشف شعار هذا التنظيم «نحن نعمل من أجل سلامة الأشخاص الشاذين ومساواتهم وحرّيتهم، نحن قوة دافعة للتغيير السياسي والقانوني والاجتماعي» (ilga) عن برنامج ورؤية وأهداف يقف خلفها جهات مُنظمة عابرة للدول والقارات، ما يشي بخطورة الطرح والتوقعات المأمولة منه.

هكذا، قادت الإدارة الأمريكية عملية إضفاء الشرعية السياسية والقانونية المحلية والدولية على استراتيجية تشريع الشذوذ وفرض مشروعيتها، كاستراتيجية مادية «متقيحة» تتغذى على مفاهيم الكراهية والعنصرية والزيغ وطمس الفطرة الإنسانية ونبذ المثل والقيم، حتى نصّجت إلى درجة عدم إمكانية حصر توحُّشها، إلى الحد الذي تبيح معه استهداف الهوية الإنسانية. لقد اصطدمت القيادة الأمريكية للعالم في منطقة غرب آسيا بعد نجاح الثورة الإسلامية (1979) بصعود المشروع الإسلامي المقاوم لمشاريع الاستكبار في السيطرة على ثروات الشعوب ومقدراتها. وقد ظهر الخلل القيادي على المستويات السياسية والعسكرية والثقافية. ويعبّر مشروع فرض الشذوذ عن تغوّل الفكر الغربي في سياق الحرب الناعمة بغية الحفاظ على الدور القيادي الأمريكي الذي بات مهددًا في معركة الوعي التي تشارك فيها دول محور المقاومة في

1 - مجتمع LGBTQ، ويُستخدم الاختصار أحيانًا كـ (LGBTQI)، يعبر عن مجتمع الشذوذ على أنواعه، وتجمع الأحرف اختصار الأنواع باستخدام الحرف الأول من مختلف المصطلحات: النساء السحاقيات والمثليين ومزدوجي التوجّه الجنسي والمتحولين جنسيًا والمتساثلين أو العابرين للجنس. وهي: (lesbian, gay, bisexual, transgender, and questioning (or queer

مواجهة المشاريع الصهيونـأمريكية.

يقدّر الفكر الغربي المتغول في الهيمنة أنّ نشرَ الشذوذ يُوفّر تمهيداً للأرضية للقضاء على الفكر المقاوم الممانع لمشاريع نهب خيرات البلاد ومصادرة قرارها السيادي، وذلك عبر التفكير المجتمعي للمجتمعات المقاومة. بيد أنّ التجربة الأمريكية الميدانية في الحرب الناعمة تشير إلى فشل عمليات الاختراق المتكررة، خاصة في السنوات الأربع الأخيرة بدليل فشل تظاهرات تشرين الأول 2019، سواء في العراق، أو لبنان، أو ما عرف بـ «حركة الحجاب» في إيران 2023 . إذًا، الواقع مغاير عن التقديرات الأمريكية التي تحاول استعادة القيادة الأمريكية مع قوانين نشر الشذوذ، ولو عنى ذلك قيادة واهمة للفراغ الفكري.

■ بروباغندا • تطبيع " الشذوذ:

تعدُّ البروباغندا ثاني مؤشرات ارتباط مشروع نشر الشذوذ بفكر الهيمنة الغربي إلى جانب القيادة الأمريكية للشرعية والمشروعية. ويلاحظ أن بروباغندا أو أجندة الترويج للشذوذ اعتمدت اتجاهين: الأول إعلامي والثاني تربوي. لم تقتصر آليات الهيمنة الأمريكية على المؤسسات الدولية والقانونية في ترويج الشذوذ ونشره، فقد استخدمت السلطة الإعلامية بمؤسساتها الضخمة، الأمريكية والغربية بالدرجة الأولى، والمملوكة من قبل كبار أصحاب رأس المال المالي العالمي، وسُخّرت العديد من الساحات والمنصات في السنوات الأخيرة في سياق مساعي تطوير السياسة الإعلامية الخاصة بالفئات الشاذة. ونظّمت الأجددة الإعلامية عملية التبنّي والترويج للشذوذ في مختلف الأعمال السمعية البصرية، برامج التلفزيون والإذاعة الموجهة إلى الأطفال والمراهقين على وجه الخصوص، من المسلسلات والبرامج الترفيهية والأفلام الكرتونية وحتى البرامج السياسية، وخاصة برامج «التوك شو» (Talk Show).

يظهر اتجاه البروباغندا الثاني في المجال التربوي التعليمي من خلال البرامج المدرسية بدءاً من المرحلة الابتدائية. وعملت الدول الغربية والولايات المتحدة على نشر الشذوذ والترويج للهوية الجنسية والنوع تحت ذريعة رفع التوعية وقبول الآخر والتعايش وغيرها من المغالطات، ما يشير إلى دخول الفكر الغربي حقبة ما يمكن إطلاق تسمية «الترهات الثقافية» عليها، ويُقصد بها التشعُّبات الباطلة غير النافعة والمنحرفة عن المقاصد السامية للثقافة، فهي تعني

توسّع مساحات الخواء والفراغ للبنى الثقافية الغربية المادية الناجم عن صفرية المضامين بما يؤدي إلى تزعزعها وانهيائها الداخلي. فالفكر المادي يعاني قحطاً معرفياً انعكس في «ثقافة الانحطاط»، حيث تحولت الموضوعات المُسمّاة «ثقافية»، وليس الثقافة بذاتها، إلى أداة أساس في توطيد أركان «نظام التفاهة»، كما يُعبّر آلان دونو، إذ تحكم طبقة التافهين النظام الاجتماعي أو تُكافأ التفاهة والرداءة بدلاً من الجدية والجودة (دونو، 2020، صفحة 14).

وفي حين أخذ الأمر طابع الصراحة المطلقة في تلك الدول عبر بثّ الأفكار الصريحة والواضحة وزرعها في عقول الطلاب الصغار ضمن المناهج الدراسية، واتخاذ إجراءات قانونية لمحاصرة الأهل الرافضين لكي عقول أطفالهم، لعبت المؤسسات والهيئات الدولية وغير الحكومية دور الوكيل في تسريب «الترهات» والدسّ لها في بعض الكتب والمنشورات داخل الدول الإسلامية (العراق ولبنان). وقد انكشف مؤخراً دور الجامعة الأمريكية في السليمانية، العراق، في محاولة تفكيك تركيبة المجتمع العراقي عبر الترويج لقضايا الشذوذ المنافية للعادات الأخلاقية والاجتماعية، من خلال تخصيص مركز دراسات خاص لمفهوم «الجندر» في إطار ذرائع البحث الأكاديمي و«تنمية» المجتمع و«التوعية»، سيّما التركيز على فئة الشباب من النساء ضمن برامج التبادل الشبابي ودراسة برامج المعهد الصيفي الأمريكي وبرامج تبادل القادة الشباب.

وقد قامت البروباغندا الإعلامية والتربوية على مجموعة من الطرق الفعّالة في التأثير، وفي مقدمتها التقليد واكتساب العادة والتعايش عبر آليات التكرار للألفاظ الصريحة والصور وبعث الكمّ الهائل من الرسائل الضمنية ومخاطبة الحواس عبر الصور واستخدام المصطلحات البديلة. ومؤخراً، أعلنت قناة Cartoon Network عن تأييدها العلني وطورت رسائلها الضمنية إلى استبدال صورتها على فيس بوك بصورة قوس قزح، شعار الشاذين دعماً لحقوق هؤلاء حول العالم، واحتفالاً بـ «شهر الفخر» كما يطلقون عليه، الذي يشهد الكثير من الفعاليات الخاصة بمجتمع الشواذ حول العالم. أمّا على صعيد الألفاظ، فقد استثمرت اللغة في استخدام صياغة شاملة جنسائياً تفيد التحدث والكتابة بطريقة لا تنطوي على تمييز ضد جنس أو نوع اجتماعي معين أو هوية جنسانية معينة، فالولد لم يعد «مذكراً» والبنت لم تعد «مؤنثاً» في برامج الأمم المتحدة الشفهية والكتابية والرسمية وغير الرسمية.

ثانياً، الأبعاد الاجتماعية لنشر الشذوذ:

■ تغولُ الفكر المادي الريعي

ظهر موضوع ترويج الشواذ بقوة وسط المجتمعات الرأسمالية التي تتخذ من حركات العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان روافع سياسية واجتماعية مادية، تستثمر في الانتخابات خاصة. وقد أعلن شيخ الأزهر د. أحمد الطيب في كلمته بجامعة «شريف هداية الله» في جاكرتا، إندونيسيا، سنة 2016، أن الغرب يدافع عن الشذوذ الجنسي طمعاً في أصوات الشواذ في الانتخابات، حيث يستخدمهم الساسة في الصراعات الانتخابية (شفقنا، 2016).

تُشكّل عناوين الحقوق والحريات الشخصية والديمقراطية مرتكزات في السياسة الليبرالية الرأسمالية التي تبيح أقصى المنافع الفردية المادية، ولو على الطريقة «المكيفايلية»، حيث «الغاية تبرر الوسيلة». فرُفع الشذوذ الجنسي في القانون الدولي لحقوق الإنسان لتأمين عملية التقنين له كحق من الحقوق، لكن فعل التشريع وقع في مغالطة ازدواجية المعايير في معالجة المواضيع من جهة، وضمان واحترام خصوصيات الشعوب وثقافتها من جهة ثانية. ترفع الولايات المتحدة شعار حماية حقوق الشاذين جنسياً، لكنها لا تكثرث لحقوق المدنيين من الأطفال والنساء الأبرياء في غزة، فلسطين. في حين تشهد المجتمعات الغربية والإسلامية والعربية ازدواجية الولايات المتحدة في التعامل مع الصراع الفلسطيني مع الكيان الصهيوني، إلى درجة دعم «الإبادة الجماعية» لشعب غزة بعد طوفان الأقصى، في السابع من تشرين الأول 2023، تتناقض سياستها مع السردية الغربية الأمريكية حول «الشر» الروسي في أوكرانيا، الخطاب الذي يُروّج ضد موسكو حشداً للدول في دعم كييف. كما تصطدم ازدواجية تفسير الحقوق بمنع الحرية الدينية في الاحتكام إلى الدين ورفض الامتثال لتشريع الشذوذ، أو في مغالطات حق ضمان الأمن الوجودي وحق البقاء وحفظ النوع، التي تكفلها المؤسسات الإنسانية والقانونية الدولية. لقد سبق أن كرّست مؤسسات أوروبية هذه الحقوق، ومنها المحكمة الدولية لحقوق الإنسان في ستراسبورغ، فرنسا، وهي أكبر محكمة لحقوق الإنسان في العالم. إذ رفض 47 قاضياً الاعتراف بزواج «المثليين» في حزيران 2016، وبالتوافق بين 9 دولة أعضاء في المحكمة العامة بناءً على الاعتبارات الفلسفية والأثروبولوجيا القائمة على النظام الطبيعي والحسّ السليم والعلاقات العلميّة.

كما إنَّ الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان من معاهدات حقوق الإنسان لا تشمل الحق في الزواج من الجنس نفسه لخصوصية احترام الحياة الخاصة وتكوين الأسرة (الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، صفحة 10). وللمفارقة، إنَّ المؤسسات الدولية وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة ومعظم دول العالم كانت حتى الوقت القريب تجرّم الشذوذ بمختلف صورهِ في تشريعاتها، وتعدّه جريمة اجتماعية تستحق العقاب، حتى داخل الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، إذ لم تتضمن القوانين قبلاً ما يبيح الشذوذ. ولم تُطرح قضايا الشذوذ الجنسي في الأمم المتحدة بصورة رسمية إلا في العام 1994، في مؤتمر السكان، القاهرة، والولايات المتحدة الأمريكية لم تقرّ بتنظيم قانوني فدرالي للشذوذ الجنسي إلا يوم 26 حزيران 2015، عندما حكمت المحكمة العليا الأمريكية بتشريع يقبل بزواج الشاذين في الولايات كافة (Human Rights Watch, 2015). وهذا التأخر في إلغاء التشريعات التي تجرم الشذوذ مواكبة للمواثيق الدولية الصادرة من منظمة الأمم المتحدة بحدّ ذاته يثير الشكوك حول مدى صحة استجابة المنظمات والولايات المتحدة لحماية «حقوق الميول الجنسية» كسائر الحقوق. شكّل معجىء إدارة بايدن علامة فارقة وطارئة ومستجدة في مسار تقنين الشذوذ الجنسي ومحاولة رفع التجريم عنه وإباحته، ما تبيّن معه لاحقاً أنّ الإدارة تضم أكبر عدد من المسؤولين من مجتمع الشذوذ، ما تراه الإدارة «تنوعاً»، وهؤلاء يقدر عددهم بأكثر من مئتي مسؤول، ما نسبته 14% من مجموع المعيّنين البالغ عددهم 1500 (Bose, 2021). الأمر الذي يضع أصوات الشاذين في ميزان الناخب بحيث يستقطب هؤلاء المسؤولين جماعات الشذوذ تحت عناوين: «حماية الحقوق». إنّ تغوّل الفكر المادي بات يشكّل خطراً على المجتمعات التي نشأ فيها فضلاً عن مخاطره على المجتمعات الإسلامية، إذ تضخّمت المنفعة الربحية إلى درجة سحق كل المعوقات حتى لو كان الإنسان نفسه. وما نشر الشذوذ والاحتفال به إلا مشروع ريعي ربحي على حساب الإنسان، يُروّج له لوبي من الأغنياء والمتنفذين بدعم من المنظمات الدولية والكيانات الرأسمالية العالمية التي تمتلك كبرى رؤوس الأموال والشركات، وتتاجر بنشر «السعار الجنسي» (Sex Assignment Surgery Market)، وتفتتح أسواق جديدة في مجال جراحة التجميل المرتبطة بالتحويل الجنسي والتسويق للأدوية الهرمونية المرتبطة أيضاً، أو ما يُسمّى بـ «حاصرات البلوغ» (Puberty Blockers) التي تعمل على إيقاف سن البلوغ لدى الأطفال بهدف تمهيد هؤلاء لمرحلة التحول الجديد.

■ تشويه المجتمعات ومسح الدور الإنساني :

يفرض الشذوذ على المجتمعات باسم القانون، وعندما كان الجرم يطال الفعل وفاعله، تغيرت المعادلة باتجاه تجريم الرافضين وغير المتقبلين. وقد سجّلت في العالم الغربي عدة اعتراضات من المواطنين الذين يُهددون من قبل الدولة في وظائفهم ومدخراتهم في حال استمرار التعبير عن الرفض في العالمين الواقعي والافتراضي. هذه الإجراءات القسرية والإكراهية وعدم احترام حقوق فئة لصالح فئة أخرى تؤكد وجود مشروع أكبر من مجرد تكريس حقوق تلك الفئة من الشواذ، سيّما وأن السياسات الترويجية للشذوذ تركّز على فئات الشباب والمراهقين والأطفال، لما لديها من قابلية للتأثر والاستقبال والتلقّف السهل.

وتتسع دائرة الخطورة المحيطة بنشر الشذوذ مع التطرف الحاد الذي يستهدف الأطفال عبر الترويج لعمليات تحول جنسي لأطفال بعمر الخامسة، وتغيير تشخيص البيدوفيليا، مرض اضطراب اشتهاؤ الأطفال، إلى ميّل جنسي طبيعي، مع ما يعنيه ذلك من انتهاكات لحرمة الأطفال وقداسة براءتهم. ويتّضح وجود المخطط المنظم لفرض الشواذ عبر التلاعب بالرأي العام باستخدام التطرّف ضد الأطفال لتغيير منحى توزيع الرأي العام (جرس الرأي العام)، بحيث إنّ تكرار التركيز على آراء شديدة التطرّف مثل التحول الجنسي عند الأطفال تجري عملية إزاحة لجرس الرأي العام، فتتحول النسبة القليلة من جهتيّ التطرف المتناقضتين للطف الذي تتوزع عليه آراء الناس، إلى النسبة العظمى من ذوي الآراء المعتدلة، فيصبح القبول بعمليات التحول الجنسي لمن هم فوق 18 أوسع بين الناس، على قاعدة أنه لا بأس بذلك شرط أن تباعدوا عن الأطفال (مركز دراسات غرب آسيا، 2023، صفحة 11).

يصوّب الشذوذ على اختلاف المصطلحات، «الجندر والنوع الاجتماعي والمثلية»، على الأطفال؛ نواة المجتمع البشري. ويُقصد به إفساد الناشئة، أجيال المستقبل، وتفكّك الأسر بما يولّده من الأمراض النفسية والاجتماعية، وتالياً إضعاف المجتمع بضرب الروابط الاجتماعية والأسرية والحسّ الاجتماعي السويّ، فالإرادات المتفاعلة مع القضايا المصيرية في شؤون الوطن والأمة. إنّ من أخطر تداعيات الشذوذ ونشره هو الحطّ من قدر الإنسان، والدفع به نحو مسالك التسافل والانتقاص من «آدميته» وتقييده بشهوات غير منضبطة، فيتخلخل تماسك المجتمع ووحدته، حتى يُفكّ بمقومات استمراره وبقائه، وحضارته وقوته، إلى أن تتزعزع بناه

وتنهار معه الإنسانية. وقد كشف تقرير أرشيف النساء اليهوديات أن دراسات «الجندر» هدفت إلى كسر الأنماط الاجتماعية وترسيخها في مناهج الدراسات كوسيلة أكاديمية لتغيير وجهة نظر المرأة، وحتى تطوير صورة جديدة عن النساء كـ «جنس ثابت أو متحول». ولا يخفى أثر التصويب على المرأة في هدم المجتمعات، فهي الزوجة والأم والأخت، ومهامها له قدسية مهام القرآن، فكلاهما أوكل إليه مهمة صنع الإنسان وتربيته، كما يقول الإمام الخميني. إن تداعيات الشواذ على الأسرة والمجتمعات الفتاكة تتمحور حول اختراق الهوية والشخصية الإنسانية. فالأفكار الشاذة المتنافية مع المعتقدات والفطرة السليمة في ظل الأزمة المفاهيمية التي تعصف بالمجتمعات، سيّما الإسلامية، تؤدي إلى تعميم التفاهة والسخافة بالتوازي مع تغييب الوعي والقيم أو تشويهها. وتتفاقم الأزمة مع الاستباحة الثقافية للمفردات والمصطلحات وفرضها على المجتمعات. وبالنتيجة، تتولد عدة آثار مدمرة، أبرزها: (1) إضعاف الشخصية المعنوية للشعوب المستهدفة؛ (2) تفكيك وتدمير العائلة، المصدر المعنوي والعاطفي للشعوب وإبعادها عن دورها؛ (3) تدمير الدوافع العاطفية الإنسانية التي تصنع الشخصية المقاومة؛ (4) تفاقم الانقسامات الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع؛ (5) تحويل التفكك الاجتماعي إلى تهديد أمني من خلال إثارة النزاع بين تيار التفكك وتيار التماسك والاستقرار؛ (6) تشويه الفطرة الإنسانية والتصادم الديني؛ (7) وتفكيك الهويات وتخريب الهوية الإنسانية.

■ سحق الهويات الثقافية:

تتميز الشعوب وتتمايز بهوياتها الثقافية على ما فيها من قيم إنسانية مشتركة ومتفق عليها بين كل البشر، كالعدالة والحرية والمساواة؛ بعيداً عن اللون والعرق والدين. وتؤمن الثقافات على اختلافها الخصوصية التي يعبر عنها بالهوية. فالهوية هي: (نظام من القيم والتصورات التاريخية له خصوصياته الحضارية تبعاً لمجتمع ما وبها يتميز، وكل شعب من الشعوب البشرية ينتمي إلى ثقافة متميزة عن غيرها، وهي كيان يتطور باستمرار ويتأثر بالهويات الثقافية الأخرى (نصار، 2015، صفحة 2).

وعلى الرغم من ضمان القانون الدولي للخصوصية الثقافية للشعوب وفق قانون المعاهدات الدولية في اتفاقية فيينا لعام 1969، إلا أن نشر الشذوذ بقوة القانون والمال والسياسة والإعلام

كسح المعايير القانونية والدولية وأسقط العديد من مفاهيم الشرعية والمشروعية نتيجة الهيمنة على المؤسسات الدولية وما كشفته من ازدواجية في المعايير خلال معالجة المشكلات والأزمات المختلفة. وإن إقرار القانون الدولي بضمان تنوع المواصفات القيمة والثقافية والحضارية للمجتمعات المكونة للمجتمع الدولي، لم يحم المجتمعات من سطوة فرض الشذوذ والالتزام بقواعده وخصوصياته.

إنَّ فرض الشذوذ على ثقافة الشعوب الإسلامية والعربية بقواعدها ومرجعياتها الفكرية المتباينة بمثابة تغيير للهوية وتجاوز خصوصية الشعوب مع ما يعنيه ذلك من تغيير البنية الأساسية لكل مكونات الحياة للمجتمعات على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ ما لا يتعلق مع ذلك بالحقوق وإنما بالهيمنة عبر سحق الهويات. فنشر الشذوذ يُعزز عملية الانحراف السلوكي والعرفي والقيمي والاخلاقي عن التراث والثقافة الأصيلة. ويعدّ التصويب على الهوية الثقافية مرتكز العملية الاستعمارية على مدى مئات السنين في إطار إبادة الشعوب كما فعل الإنكليز عبر قصف الهنود بالصابون والتعليم على حدّ تعبير مارك توين (1867)، بغية نسف كيان تلك الشعوب وتدمير قواعد وجودهم. وتعبّر عملية سحق الهويات الثقافية عن الإبادة الثقافية التي أعلنها آنذاك وبصريح العبارة، توماس مكولاي، مهندس سياسة التعليم الإنكليزية للشعوب المستعمرة، بأن السيطرة على الهند لا يمكن ما لم تُكسر «عظام عموده الفقري التي هي لغته، وثقافته، وتراثه الروحي» (العكس، 2009، صفحة 13).

ثالثاً، نشر الشذوذ تقيحات الفكر المادي في الهيمنة الاستعمارية على الإرادات الشعبية والوعي الجمعي:

لطالما تصدّت فطرة العديد من الجماعات الدينية والكنيسة والعائلات والتجمعات المحافظة الأمريكية والأوروبية، سيّما التي تعود أصولها إلى أمريكا اللاتينية وإيرلندا واليونان وإيطاليا لهذا النوع من العلاقات الاجتماعية المنبوذة تاريخياً واجتماعياً ودينياً وثقافياً عبر التاريخ. بيد أنّ الصورة تغيرت مع تشريعات إدارة بايدن للشذوذ وإعلان أمريكا «أمة مثلية» عندما خاطب الشاذين باحتفال كبير أقيم في البيت الأبيض؛ رُفِع خلاله علم الشذوذ بقوله: «بيت الشعب

بيتك»، إذ لم تشهد أي اعتراض أو احتجاج، بل على العكس خرجت التظاهرات المؤيدة في مختلف المدن الأمريكية. كما أصبحت الاحتفالات بزواج «الشاذين» تُنافس أكثر المناسبات شهرةً وبذخًا. الأمر الذي يثير الاستغراب ويطرح علامات استفهام بحثًا في الأسباب وفهمها. تبنى البعض التفسير المادي، فطرح هؤلاء أن ظروف جائحة «كوفيد 19» (2019) التي فرضت على الإدارة الأمريكية إطلاق كل ما في جعبتها من رعاية وكفالة اجتماعية (توزيع أموال - تحسين صحي - إغلاق - تساهل قانوني واجتماعي)، جعلت معظم تلك الجماعات وهي جماعات مهاجرة، أقرب إلى الدولة وأكثر قابلية لقبول قراراتها، بمعنى آخر، فإن الإدارة رشت شعوبها مقابل الصمت واللامبالاة (مركز دراسات غرب آسيا، 2023، صفحة 6). هذه المقاربة الاقتصادية في تفسير عدم الاعتراض سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها على القرارات الأمريكية في تشريع الشذوذ لا يمكن تجاوزها أو التوهين بها لأنها تؤكد مرتكزات الهيمنة الاقتصادية على الهيمنة السياسية ودور الاقتصاد السياسي في صناعة القرارات الدولية والاستراتيجية.

يُشكّل الاقتصاد عصب الحياة وسبيل الرفاهية والحياة الرخاء، إلا أن الفكر المادي الغربي سخر المقدرات الاقتصادية في خدمة المشاريع الإمبريالية الاستعمارية، حيث تتحكم ثلّة قليلة من أصحاب الأموال بثروات العالم، وهذه الفئة يصفها البروفسور الأمريكي في علم الاجتماع السياسي، بيتر فيليبس، ويحدد مهامها في كتابه العمالقة: نخبة القوة العالمية، الصادر في العام 2018، بأنها الشبكات التي تحمي تركيز الثروة العالمية وتأمين استمرار نمو الرأسمال وتسيطر على الجزء الأعظم من الثروة المالية. لقد تغوّلت الهيمنة الاقتصادية في الحرب الناعمة بأشكال مختلفة، وفي مقدمها العقوبات التي عملت الولايات المتحدة على تطوير آلياتها وتعزيز قوانينها في محاولة لإرغام الأطراف العصية المواجهة لمشاريع الهيمنة وتطويرها. وإذا كانت الولايات المتحدة تستخدم سياسة الجزرة الاقتصادية في الداخل، فإنها تركّز على سياسة العصا الاقتصادية في الخارج، وخصوصًا في منطقة غرب آسيا، حيث تسعى إلى السيطرة على قرارات دول المنطقة الممانعة والرافضة للمشروع الصهيوني - أمريكي وإلى مصادرة سيادتها عبر تضيق الخناق والضغط الاقتصادي من خلال سياسات البنك الدولي وصندوق النقد. وقد ربطت واشنطن فعلاً حزم المساعدة للدول المديونة أو المأزومة أو الفاشلة بتمرير مشاريع نشر الشذوذ عبر برامج الأمم المتحدة واتفاقيات القانون الدولي.

أما المقاربة الثقافية لفهم نشر الشذوذ فترتبط بالمنشأ لهذه الظاهرة، إذ تتبناها المجتمعات التي تدعي الحضارة والتقدم الصناعي والحضاري وتعيش ذروة الإباحة والتفلت في العلاقات الاجتماعية وفق الفلسفة الليبرالية الفردية والاقتصادية المتوحشة التي تقوم على الهيمنة المطلقة لصالح الحرية الشخصية والمصالح، ولو على حساب الهوية الإنسانية بأبعادها الأخلاقية والقيمية والدينية.

يرتبط الترويج للإباحية غير الطبيعية والمنافية للفطرة والطبيعة الإنسانية بفكر الهيمنة الاستعماري للشعوب والإرادات، حيث يعمل على تخدير الوعي الجمعي كخطوة تمهيدية في سياق سحق الهويات الإنسانية والثقافية. وفي حين يتألف الوعي الجمعي من مجموعة المعتقدات والقيم والمعارف التي يؤمن امتلاكها وجود المجتمع، يستهدف المشروع الاستعماري تجميد أي شعور بالانتماء ويكرّس الفصل ما بين الأفراد ويغذّي نزعة التمرد على الهيكل الثقافي السائد بما يوهن عناصر الوعي الجمعي، ومن ثم يفكك المجتمع ويؤدي إلى انهياره. ويؤمن التخدير عملية الاختراق التراكمي والتدريجي للمجتمعات المستهدفة، حتى يصار إلى تمرير المشاريع دون مقاومة مكلفة، وتالياً سيادة الهيمنة على أنواعها.

إن الترويج للشذوذ يثبت يوماً بعد يوم، دخول النموذج الرأسمالي في حقبة المتوحشة من الليبرالية مرحلة متقدمة من العجز مع عدم القدرة على تقديم النموذج الأمثل للاستقرار والأمن والرفاهية في وقت تتعمق فيه أزمات دول المجتمع الرأسمالي الهيكلية والبنوية. لقد بات النظام العالمي الليبرالي القائم على «الديمقراطية» المزعومة مهدداً ذاتياً بفعل الاهتراء والاعتلال البنوي الفكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فضلاً عن عوامل التهديد الخارجية الناجمة عن التحولات التاريخية الاستراتيجية والجيوسياسية في العالم. لقد وصل الفكر المادي المنافي للأديان والمعنويات مرحلة من التقيح غير القابل للعلاج والناجم عنه الأمراض والمشكلات حصراً.

لقد بات الفكر الغربي المادي المتغول في انتهاك القواعد والقوانين والمعايير الدولية التي يحاكم باسمها الآخرين، يُشكّل تحدياً استراتيجياً للولايات المتحدة في الهيمنة العالمية لأنه يكشف زيف المبنى الليبرالي «الديمقراطي» ويدفع به نحو المزيد من الانحدار الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي. بينما يُرجّح في المقابل انبلاج نموذج حضاري جديد يعيد

قيمة الإنسان بناء على أصل الخلقة والفطرة، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30)، حيث تتوازن حاجات الإنسان السوي وينتظم الخلق وفق قانون التكوين واستجابة الدين لحاجات الإنسان ومعالجة مشكلاته.

خلاصة وتوصيات:

يتناولُ البحثُ الحالي دراسة عملية التشريع للشذوذ ومحاولات فرضه في سياق تغوُّل المباني الفكرية الغربية التي وصلت إلى مرحلة من الخواء الفكري المعنوي تدفع باتجاه تآكل مبانيها من الداخل. وقد تحقَّق من الافتراضية المطروحة في كشف تموضع نشر الشذوذ في سياق زيادة «التوحُّش» الرأسمالي في الحرب الناعمة؛ بغية توطيد مشروع الهيمنة الغربية عبر ضرب الشعوب المقاومة للمشروع الاستعماري الغربي، وتكريس الهيمنة عليها. إنَّه ليس بالأمر المفاجئ أن تقود الولايات المتحدة الأمريكية مشروع نشر الشذوذ على المستوى العالمي كاستراتيجية أمريكية عابرة للأجناس والأديان، إذ إنَّ الترويج لهذا الفعل المخالف للطبيعة البشرية وفرضه تحت غطاء القوانين هو نتاج تقيُّحات النموذج الرأسمالي الوضعي وتوحُّش الليبرالية بخلفياتها الاجتماعية الثقافية والسياسية في ضرب القيم والأخلاق والجنبه المعنوية في المجتمعات الإنسانية. يأتي تشريع الشذوذ في سياق مرتكزات الفكر الغربي في تعميم التفلُّت من الأديان والترويج للمُحرِّمات وفرض الانحطاط وضرب الخصوصيات الثقافية والحضارية وتغريب الهويات. ويسعى الغرب في حملات التضليل والتشويه للفطرة إلى أسر الفكر الإنساني الحرّ وتكبيله بالشهوات المنحطَّة بما يُحرِّمه من المشاركة المصيرية في قضايا تحرُّر الشعوب والأوطان.

يقع موضوع نشر الشذوذ في صميم آليات الحرب الناعمة التي تهدف إلى تحقيق الأهداف التي فشلت فيها الحرب الصلبة أو العسكرية. بيدَ أنَّ الاستهداف عبر هذه الآلية يكشف تطوراً في هذه الآليات لجهة الانتقال من ميزة التسلُّل عبر الثغرات إلى فرض التغيير العلني باستخدام الهيمنة على «الشرعية». ويشير التبدُّل في آليات الحرب الناعمة من مرحلة الخفاء والتستر إلى

المواجهة الفكرية والثقافية العلنية بسطوة القوة إلى ضعف آليات الحرب الناعمة المعهودة في معركة الوعي التي باتت عنوان المرحلة الحالية من تاريخ شعوب منطقة غرب آسيا المقاومة للمشاريع الأمريكية الغربية للمنطقة.

وإذ تلجأ الولايات المتحدة التي تقود المشروع الرأسمالي في السيطرة مختلف الوسائل المادية بغية تحقيق أهدافها، تظهر فئات الشعب الأمريكي من الشواذ إحدى أدوات الهيمنة بما تمثله من أصوات انتخابية لا يمكن تجاوزها في الداخل الأمريكي. لقد كرّست الولايات المتحدة الأمريكية مختلف أدوات الهيمنة المفاهيمية والإعلامية في سياق الحرب الناعمة بغية تلميع صورة الانحطاط الذي وصل إليه الفكر الغربي في تضليل مفاهيم الحق والباطل، وترسيخ عملية استلاب الوعي الجمعي للشعوب.

إنَّ الممارسات القهرية والقمعية والمخالفة للطبيعة البشرية تُسقط المباني الغربية المزعومة في الحريات والحقوق، وتظهر هشاشة المجتمعات الغربية وعدم قدرتها على حماية هوياتها الوجودية وخياراتها أمام تقيُّح مقوماتها الفكرية لصالح المبدأ النفعي الذي يتحكّم به ثلّة من اللوبيات والمنتفذين من أصحاب رؤوس الأموال وصنّاع القرار. إن اتّضح معالم العجز الأمريكي سواء في الحروب الناعمة أو الصلبة والتهديد المتنامي لدور الولايات المتحدة في قيادة العالم، يوماً بعد يوم، يؤكّد فشل المشروع الليبرالي الرأسمالي كبديل عن المشروع الشيوعي في الاستجابة لمتطلبات المجتمعات في مسيرتها الإنسانية والإلهية. وما تفرضه الولايات المتحدة على شعوب العالم يُعزّز مسار انحدار الطروحات المغايرة للهوية الإنسانية المعنوية، وتحديدًا انحدار «الإمبراطورية» الأمريكية التي تمثّل هذه المدرسة الفكرية. الأمر الذي يُشكّل فرصة لنهوض الفكر الإسلامي في استعادة بناء الحضارة الإنسانية العادلة والمستقيمة.

ويمكن إيجاز أبرز نتائج البحث في النقاط الآتية:

يكشف تاريخ فكرة دراسات «الجنادر» ارتباط مشروع الترويج للشذوذ بالمشروع اليهودي الاستيطاني في المنطقة، وهو ما لا يمكن التفكيك ما بينه وبين هدف إضعاف الأمة وتقسيم المنطقة، حيث يُعدُّ الانحطاط عاملاً قوياً في تفكيك المجتمعات وتخدير الإرادات وفسخ العزائم. تستخدم مجموعة من المفاهيم والمصطلحات في عملية تطويع الشعوب تجاه الشذوذ، وتختلف مفرداتها إلاّ أنها تعمل جميعها على تغيير النظرة تجاه فعل الشذوذ بحيث تدفع نحو

قبوله أو تجاوز الرفض له أو عدم الاكتراث سواء للفعل أو عدمه. إنَّ فراغَ مضامين المشروع الغربي الرأسمالي تشير إلى عجز المشروع نفسه عن تقديم إجابات تواكب الحركة الفكرية للمجتمعات الإنسانية؛ ما يظهر في مشروع الترويج للشذوذ المخالف للفطرة والطبيعة البشرية وجعل المباني الفكرية للمشروع نفسه عرضة للتآكل الذاتي، الأمر الذي يهدد المدرسة الفكرية الغربية الرأسمالية.

إنَّ الأجندة الإعلامية والتربوية الترويجية للشذوذ تظهر وجود عمل مخطط ومنظم مقصود تديره كبرى المؤسسات الإعلامية والسياسية.

تؤكد عملية الترويج للشذوذ دخول الفكر الغربي حقبة ما؛ يمكن إطلاق تسمية «الترهات الثقافية» عليها، وتفيد تزعزع البنى الثقافية الغربية المادية مع توسُّع مساحات الخواء والفراغ فيها الناجم عن صفرية المضامين والتطرُّف في «ثقافة الانحطاط»، وتوطيد أركان «نظام التفاهة»، كما يُسميه آلان دونو.

تخضع عملية الترويج للشذوذ للفكر المادي الربيعي سواء عبر الأصوات الانتخابية أو العمليات التجارية المرافقة لعمليات التحول الجنسي، وهي تتمُّ على حساب احترام الخصوصيات والهويات الثقافية والمغالطات في ازدواجية المعايير واحترام الحقوق.

ترتبط عملية استهداف الهوية الثقافية للشعوب تاريخياً بعملية الاستعمار والسيطرة على الشعوب، وتستغل الولايات المتحدة الهيمنة المفاهيمية في فرض مصطلحات تؤمن كيّ الوعي في التخفيف من وطأة النظر لمنافاة الفعل للأخلاق والفطرة واستبدالها بنظرة محل قبول واستعطاف.

يمثّل نشر الشذوذ وفرضه محطة مفصليّة في مصير الفكر الوضعي المادي لأنه يعبر عن تفاقم الصراع الحضاري بين المشروع المادي والمشروع المعنوي في تاريخ البشرية الإنسانية في وقت تعاني فيه الولايات المتحدة والدول الأوروبية كافة من أزمة هوياتية وهشاشة أخلاقية، وافتقار للحصانة الدينية، على عكس المجتمعات الإسلامية التي ستحوّل التهديدات عليها إلى تحديات بناءً على ما تمتلكه من مقوّمات شرعية وأخلاقية؛ هي بمثابة أرصدة تماسك وثبات. اليوم، يزداد التحديّ وتكبر المسؤولية أمام جميع الدول والمجتمعات والمؤسسات والأفراد في حماية الجنس البشري والمنتجات الثقافية عبر التاريخ في سياق مواجهة التوحش الرأسمالي

في الحرب الناعمة. من هنا، تطرح هذه الورقة بعض التوصيات:
إظهار القوة المجتمعية في رفض الانهيار الخلقي والتراجع عن الفطرة.
الوعي بمخططات ومشاريع الاختراق، سيّما الخاصة بقوانين حماية الطفل والمرأة، وتحت
عناوين تعزيز المساواة وحقوق الإنسان ونشر التوعية حولها وتبيين أهدافها الحقيقية.
اللجوء إلى التحفظ على بنود الاتفاقيات الدولية المُخلّة بالأخلاق والقيم، بما يُحقق لها عدم
الالتزام به دون ترتيب أي أثر للمواجهة القانونية.
الإصرار على مراعاة الخصائص والخلفية التاريخية والثقافية والدينية للشعوب.
عدم السماح لنشر الشذوذ تحت أي مُسمّى، «الجندر والنوع» وغيرها، مع الالتفات إلى عدم
تداول هذه المصطلحات الخاصة بالبيئة التي أنتجتها.
استنفار القوى الثقافية، الأكاديمية والعلمية والبحثية والدينية، لمواجهة أنماط العيش الغربية
التي تُركز على التحرر الجنسي والمصالح الشخصية للحفاظ على التراث الأصيل والقيم
والبنية الاجتماعية والأخلاقية.
تعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على القيم والمعتقدات بالتوازن مع التطور في الحفاظ على
الهوية الوجودية مع الاستفادة من التطور التكنولوجي والإعلامي في نقل الرسائل.
التفكير الجدي في كيفية معالجة هذه المشكلة الوافدة على مجتمعاتنا والبحث في كيفية
التعامل مع بعض المظاهر التي قد تخرج للعلن في الشوارع.
التحذير من الاختراق التجاري عبر السلع التي تتضمن رموز أو مصطلحات الشذوذ أو ألوان
العلم الخاص بالشاذين.
المراجعة النقدية لثقافة الزواج والنمط المعيشي وفق خصوصية المجتمعات بغية مساعدة
الشباب على الحصانة المبكرة.
تسليط الضوء على تحديات مرحلة أفول المشروع الغربي والبحث الجدي في آليات الارتقاء
في مشروع الحضارة الإسلامية.

المصادر والمراجع

أولاً: كتب

- ◀ آلان دونو. (2020). نظام التفاهة. بيروت: دار سؤال، ط1.
- ◀ علي محمد نايني. (2016). معرفة الحرب الناعمة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلامية. بيروت: دار المعارف الحكيمة.
- ◀ منير العكش. (2009). أميركا والإبادة الثقافية لعنة كنعان الإنكليزية، بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر، ط1.

ثانياً: المواقع الإلكترونية باللغة العربية

- ◀ الجندر، المركز التربوي للبحوث والإنماء. (بلا تاريخ). بيروت. تم الاسترداد من:
<https://www.crdp.org/magazinedetails11063#/1064/675/~:text=%22%D8%A7%D984%D8%AC%D986%D8%AF%D8%B120%22%D8%A3%D920%88%84%D8%A3%D8%B2%D987%D8%B1-%D9>
- ◀ جمال نصار (2015). «الهويات الثقافية وتحديات العولمة». مركز الجزيرة للدراسات. تم الاسترداد من:
<https://studies.aljazeera.net/ar/issues/2015201512895243715948/01/html>
- ◀ شفقنا العربي. (2016). «شيخ الأزهر ينتقد الغرب بسبب الشذوذ». تم الاسترداد من:
<https://ar.shafaqna.com/AR/77002/%D8%B4%DB%8C%D8%AE-%D8%A7%D984%D8%A3%D8%B2%D987%D8%B1-%D9>
- ◀ المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان معدلة بالبروتوكولين رقم 11 و 14. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من:
https://www.echr.coe.int/documents/d/echr/convention_ara
- ◀ محمد يوسف إدريس. (2016). حرية الضمير في الدستور التونسي الجديد بين دواعي الانفتاح على القيم الإنسانية وسلطة المرجع الثقافي. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. تم الاسترداد من:

<https://www.mominoun.com/pdf101-2016//damiir.pdf>

◀ المعاني الجامع. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من www.almaany.com
◀ مركز دراسات غرب آسيا. (2023). استراتيجية دارة بايدن لترويج الشذوذ في الولايات المتحدة والعالم. تم الاسترداد من: <https://ufeed.info/post.php?id=123597>
◀ مؤلف مجهول. (2023). انحطاط أمريكا يضرب الجامعات.. «الجندر» يكتسح السليمانية و حرب «شعواء» تهدد العراق. موقع المعلومة. تم الاسترداد من:

<https://almaalomah.me/news/politics/%D8%A7%D986%%D8%AD%D8%B7%D8%A7%D8%B7-%D8%A3%D985%%D8%B1%D98%A%D983%%D8%A7-%D9D8%B4%D8%B9%D988%>

ثالثاً: المواقع الإلكترونية باللغة الأجنبية

- ▶ Bose. (2023). Biden says nearly 14% of his 1,500 agency appointees identify as LGBTQ. Retrieved from: <https://www.reuters.com/world/us/biden-says-nearly-14-his-1500-agency-appointees-identify-lgbtq-202101-06/>
- ▶ Department of State. (n.d.). LGBT Rights. Retrieved from: <https://www.state.gov/subjects/lgbt-rights/>
- ▶ European Court. (n.d.). World Health Organization Considers Homosexuality Normal Behavior, Retrieved from: <https://www.dandc.eu/en/article/world-health-organization-considers-homosexuality-normal-behaviour>
- ▶ Ilga. (n.d.). Retrieved from: <https://www.ilga-europe.org/>: <https://www.ilga-europe.org>
- ▶ Mysorekar, S. (2019). Homosexuality is not a disease. Retrieved from: <http://www.dandc.eu/en>
- ▶ US: Supreme Court Upholds Same-Sex Marriage.(2015). Retrieved from: <https://www.hrw.org/news/201526/06//us-supreme-court-upholds-same-sex->

marriage

► White House. (2021). Memorandum advancing the human rights of lesbian gay bisexual transgender queer and intersex persons around the world. Retrieved from: <https://www.whitehouse.gov/briefing-room/presidential-actions/202104/02//memorandum-advancing-the-human-rights-of-lesbian-gay-bisexual-transgender-queer-and-intersex-persons-around-the-world/>

تأثيرات الحرية الجنسية على المجتمعات الإسلامية: إيران أنموذجاً⁽¹⁾

■ محمد فاتحي ومحمد جواد توکلي خانكي

جامعة علوم القرآن، كلية العلوم القرآنية، مشهد، إيران.

■ ترجمة: هوارى بهلولي

ملخص

تُعدُّ شريحة الشباب من أكبر الشرائح الاجتماعية عرضة للغزو الثقافي الغربي، والذي معظم مفاهيمه السلبية تحمل في طياتها تهديدات للكيان الثقافي، بسبب عدم المعرفة بخطورة التداعيات التي تحملها هذه الثقافة من حريات جنسية. والإمكان تغيير نظرة الشباب حيال هذه الظاهرة عبر تبين مآلاتها السلبية. وقد اعتمدت الدراسة على منهجية (ميثاستنز/ الفوق تركيبي) في تجميع البحوث النوعية؛ فقد قام الباحثون باستخراج نتائج الدراسات السابقة حول تداعيات الحريات الجنسية وتحليلها تحليلاً نوعياً. وأظهرت منهجية تجميع البحوث نماذج مفهومية تحتوي على ثلاثة تداعيات وهي: الفردية، والأسرية، والاجتماعية/ الثقافية. كما أظهر تقسيم التداعيات أنَّ الاجتماعية/ الثقافية هي الأكثر أهمية. وقد استنتجت الدراسة أنَّ الدول الغربية تسعى إلى ترويج الحريات الجنسية المنفلتة في الدول الإسلامية للتأثير على المنظومة الثقافية والدينية، وتدمير مناهج السلوك الاجتماعي السليم. يوفر الترويج للحريات الجنسية الأرضية اللازمة للنفوذ والتوغل، والتأسيس لسلوكيات وأنماط حياة غريبة تماماً عن السلوك الاجتماعي والديني لدى المجتمعات المسلمة.

الكلمات المفتاحية: الأسرة والمجتمع، الثورة الجنسية، الحريات الجنسية، الغزو الثقافي.

1 - «پیامدهای منفی ترویج تفکر آزادی جنسی غربی در کشور: مطالعه کیفی»، مجلة پژوهش در دين وسلامت، العدد 2، 1402، ص 76 - 90.

مقدمة:

تتعرض الدول الإسلامية دائماً للتهديدات الثقافية من قبل الدول الغربية. وبالنظر إلى الاختلافات الأيديولوجية الموجودة بين الدول الإسلامية والحكومات الغربية، وتستخدم الدول الغربية الترويج لأسلوبها الثقافي الخاص كأداة للغزو الثقافي والتأثير على المجتمعات الإسلامية. ومن أدوات الغزو الثقافي هذه الترويج لمفهوم الحرية الجنسية الذي يقدم تحت غطاء المساواة وحماية حقوق الإنسان.

إنَّ الحرية الجنسية هي أحد المفاهيم المنبثقة عن دراسات علم النفس والاجتماع، والتي ظهرت لأول مرة في الدول الغربية. ومعنى الحرية الجنسية هو إزالة القيود الثقافية والتقليدية المرتبطة بالعلاقات الجنسية في إطار الزواج، وقد أصبح مفهوم الحرية الجنسية - وخاصة بعد الثورة الجنسية في الستينيات - كظاهرة لا ينبغي حسابها مخالفة للعرف الاجتماعي، منتشراً على نطاق واسع (Souzanchi H. 2020; 8(1):131-53). على الرغم من أنَّ حكومة البلاد بذلت العديد من الجهود الثقافية لمواجهة ترويج ونشر الحرية الجنسية، إلا أنَّ التصميم الدقيق لبرامج الغزو الثقافي والدعم الإعلامي القوي والمستمر للحرية الجنسية قد تسبب في تأثر بعض الناس، وخاصة الشباب والمراهقين، بهذا النمط من التفكير، ثمَّ إنَّ الانجذاب الجنسي لدى الشباب، إلى جانب الشعارات التي تبدو (في ظاهرها) داعمة لحقوق الإنسان والحرية، جعل في نظر بعض شباب البلد أنَّ الحرية الجنسية تعدُّ حقاً طبيعياً للناس (Dehghani R, Keyvani F. 2018;1(1):135-65).

تروج الحكومات الغربية، وخاصة الولايات المتحدة، للحرية الجنسية، بينما، ووفقاً للشواهد الموجودة، هناك عشرات الآلاف من الفتيات الأمريكيات المراهقات اللاتي تتراوح أعمارهنَّ بين 15 و19 عاماً في كلِّ سنة يحملن بسبب علاقات غير مشروعة ويلدن أطفالاً غير شرعيين. وقد تزايدت هذه الإحصائيات منذ العقود الأخيرة سنة بعد سنة

، (Tajmazinani AA Ebrahimi M. 2021; 12(38):41-72) ولذلك يمكن ملاحظة أنّ الحرية الجنسية لا يمكن أن تكون نهجاً لتلبية الاحتياجات الطبيعية للناس فحسب، بل تعدّ ضرراً اجتماعياً جسيماً قد ابتليت به الدول الغربية أكثر من أي مكان آخر. وينشأ قسم من الاهتمام بمسألة الحرية الجنسية من فكرة خاطئة مفادها أنّه من خلال تحرير الغرائز، يمكن لجمها وتقييدها، في حين أنّ مثل هذه الحرية المطلقة تجعل الناس أكثر حساسية، ولأنّ إمكانية الإشباع الكامل لجميع رغبات الإنسان أمر غير موجود، فهذا الوضع سيؤدي إلى ظهور المزيد من العقد النفسية، (AnanPoor KheirAbadi M. 4(8):92-110) ومن ناحية أخرى، فإنّ وجود مثل هذه الحريات يؤدي أيضاً إلى إضعاف المفاهيم الدينية مثل الحجاب، الذي يلعب دوراً مؤثراً في السلامة الروحية للمرأة؛ لأنّ فهم الحرية الجنسية كقيمة سيؤدي إلى إضعاف معتقداتها الدينية، كما أنّ الشكّ في المعتقدات يُضعف الحجاب (Atashzadeh-Shoorideh F, Mohtashami J, Abdoljabbari M, Karamkhani M. 2016; 2(3): 14-24).

وتظهر الشواهد التي تمّ الحصول عليها من تجربة عدّة عقود في الدول الغربية أنه نتيجة للحرية الجنسية، لم تنطفئ الشهوات والغرائز فحسب، بل ارتفع أيضاً منسوب الاعتداءات الجنسية بشكل تصاعدي، إلى جانب تعرّض نواة العائلة لأضرار كبيرة. كما تؤكد نتائج الدراسات التي أجريت في الدول الغربية هذه الحقيقة تجريبياً: (Swanson J. 2016; 19(4): 592-639) (George RP. 2004; 17: 21).

تختلف الميول الجنسية عن غيرها من الميول الأخرى مثل الأكل والشرب، فإنّ الميل الجنسي له مكانة أعلى وهو معجون بمفاهيم مثل السلام والحميمية. ولذلك تمّ اقتراح نموذج التربية الجنسية المبني على التعاليم الإسلامية كأحد الحاجات الأساسية للمجتمع في عصر العولمة (Shirbaigy M, Esmaeili Z, Saeidipour B, Sarmadi MR. 2020;6(3):122-38) ومن أجل ضمان الصحة الجنسية (من الناحيتين الروحية والجسدية)، طرح القرآن الكريم تنظيم الميل الجنسي، وهو ما يقع في قبال الحرية المطلقة وغير المحدودة في الغرب تماماً. إنّ السعي إلى التوازن الجنسي وضبط النفس والاستجابة الجنسية بشكل مشروع (الزواج) قدّمت كإجراءات قرآنية لتنظيم الجنسي. (Hatami M.

. (63-72: 1(1); 2017) وقد تمّ التوصل إلى هذه النتيجة لا في الإسلام فحسب، بل في جميع المدارس الاجتماعية في العالم، وهي أنه يجب المحافظة على الأسرة واحترامها، وينبغي ارتباط الرجل والمرأة والوفاء لبعضهما البعض من أجل بناء عشٍّ حميمي لأبنائهما ورسم مستقبل مجتمعهم من خلال تربيتهم (Aboutorabian F. 2014; 1(1): 95-126)، وبما أنّ الحرية المطلقة في المسائل الجنسية تدمر أساس الأسرة، ولأنّ الأسرة مهمّة جداً في الإسلام، وبدونها لا يمكن للمجتمع أن يبقى مستقراً، فإنّ الإسلام يعارض الحرية الجنسية والاختلاط. لم يتمكن الفلاسفة وعلماء الاجتماع القائلون بالجماع المشترك، والذين أرادوا استبدال الأسرة، من تنفيذ خطّتهم ولو لفترة قصيرة من الزمن (Basiri M, Asadi N, Heidari K. 2018; 1(1): 53-71).

إنّ الثورة الجنسية، والمعروفة أيضاً باسم التحرّر الجنسي، كانت عبارة عن حركة اجتماعية تحدّت قواعد السلوك التقليدية المتعلقة بالجنس والعلاقات الشخصية بين الأفراد سنوات 1960 إلى 1980 في جميع أنحاء الولايات المتحدة. وتضمّنت الحرية الجنسية المزيد من قبول العلاقة الجنسية خارج إطار العلاقات التقليدية بين الجنسين والعلاقات الأحادية (الزواج في المقام الأول). (Shen Q. 2021; 60(5): 48-74) تعود جذور حركة الحرية الجنسية إلى حوالي سنة 1920، عندما كتب تاربر ووايت (Tarber & White) في كتاب «هل العلاقة الجنسية إلزامية؟» حيث خصّصا فصلاً منه بعنوان: «الثورة الجنسية» وشدّدا على ضرورة إقامة علاقات جنسية حرة، كما استخدم مصطلح «الحرية الجنسية» في روسيا عام 1925، حيث تعني أيضاً ضرورة التحرك نحو زيادة الحرية والتحرّر من القيود التقليدية. مع ظهور وانتشار الحرية الجنسية، ولقد كانت الحرية في الولايات المتحدة أكثر بكثير ممّا كانت عليه في البلدان الأخرى (Cvrček T. 2020). يستخدم أستاذ الدراسات الكلاسيكية كايل هاربر (Kyle Harper)، مصطلح «الثورة الجنسية الأولى» للإشارة إلى استبدال الأعراف الجنسية في روما القديمة مع المسيحية التي تبنتها الإمبراطورية الرومانية. لقد استبدلت هذه الميول بالحظر والمنع المسيحي اتجاه الأفعال الجنسية المثلية وأية علاقات جنسية خارج إطار الزواج (بما في ذلك العبيد والبغايا) (Sabor P. 2000; 33(4): 561-78).

ورداً على فشل القيم التقليدية في التعامل مع العديد من تحديات مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولدت إيديولوجية دعم الحرية الجنسية. بالتوازي مع ترويج فكر الحرية الجنسية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، قام أصحاب وسائل الإعلام والصناعات في الدول الغربية أيضاً بدعم الترويج للحرية الجنسية بطريقة غير مسبوقه. وقد قامت صناعة الترفيه الرائدة لهيو هيفنر (Hugh Hefner)، مؤسس إمبراطورية بلاي بوي (Playboy) التجارية، بنشر أفكار الثورة الجنسية، وجعلت مجلة هيفنر الجنس الترفيهي والمواد الإباحية جذابة بشكل احترافي لجيل كامل من الرجال. صوّرت مجلة بلاي بوي الزواج والأبوة على أنّهما يقيدان الحرية الشخصية والعلاقة الجنسية وأنهما مجرد مسألة خاصّة بين الشركاء المتراضين. لقد كانت تجارة الجنس تنمو، وقد أدّى عدم التقيد بالأخلاقيات والاعتبارات الجنسية إلى ثراء صناعة الفن والترفيه بالجنسية (Ravitch FS. 2018; 71-85).

في العديد من بلدان العالم، خلال العقود القليلة الماضية، تعرّضت التقاليد القديمة المتعلّقة بالجنس والزواج وإعداد الشباب للحياة الأسرية لتحديات شديدة. وقد أدت موجة التغيير هذه إلى ثورة في المناخ الأخلاقي في معظم أنحاء العالم، وكانت لها عواقب وخيمة (Harris SC. 2017)، وسرعان ما انكشفت النتائج السلبية للحرية الجنسية، على عكس ما كان يعتقد منذ البداية، بطريقة شهدت فيها البلدان الغربية تغييرات جذرية في مجال الزواج والأسرة بعد ثورة الحرية الجنسية، ووفقاً لتحقيق كينيدي وروجلز (Kennedy & Ruggles) في أمريكا، فإنّ معدلات الطلاق ارتفع بنحو 30% منذ عام 1970، في حين انخفض معدل الزواج بنسبة أسرع، واليوم تعدّ 38% فقط من زيجات الأمريكيين ناجحة، مقارنة بما كان عليه الأمر قبل 25 عاماً، حيث انخفض بنسبة 53% (Kennedy S, Ruggles S. 2014; % 53). وفي إنجلترا، وصل معدل الزواج الأول إلى أدنى مستوى له منذ عام 1889 حتى اليوم، وقد زاد معدل الطلاق بين عامي 1961 و1991 ستة أضعاف وبلغت تكلفة الطلاق للمجتمع الانجليزي أربعة مليارات جنيه إسترليني سنوياً (Stenner PH, And others. 2006; 11(5):669-84). لقد كانت الحرية الجنسية أحد المفاهيم الأساسية في تشكيل الظاهرة التي تسمّى بالأزمة الثقافية. ويرى بعض الباحثين أنّ اللجوء إلى تعاليم الإسلام هو من أكثر الأساليب فعالية

في التعامل مع مثل هذه الأزمة الثقافية؛ لأنّ أوامر الإسلام تتوافق تماماً مع الاحتياجات الفطرية للبشر. (Azizabadi Farahani F, And others. 2019; 5(2): 127-37) وإذا نظرنا إلى العلاقة بين الرجل والمرأة من منظور القرآن والإسلام، فإنّ شخصية المرأة وحقوقها محترمة (سورة البقرة والنساء)، والعلاقات بين البنات والأولاد مقنّنة، وحرمة العلاقات غير الشرعية للرجال والنساء (سورة النور والقصاص)، واحترام حريم وخصوصية الأسرة. يقول الله تعالى في الآية 32 من سورة النور: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. وهذه الآية تبيّن بوضوح طلب الله للمسلمين بالزواج. وبالرجوع إلى هذه الآية والأحاديث العديدة التي تشجع المسلمين على الزواج، يمكن القول إنّ المشاكل المذكورة أعلاه (النمو السكاني السلبي، المشاكل الجنسية، وما إلى ذلك ..) في المجتمعات الإسلامية إمّا أنّها غير موجودة على الإطلاق أو أنّها تحدث بشكل أقل، وعادة في الموارد التي تكون فيها إساءة للمرأة والمشاكل التي من هذا القبيل سببها عدم مراعاة القوانين والأخلاق الإسلامية (Roudgar MJ. 2010; 12(46 (winter 2010)): 49-80)، ويعتبر الإسلام أنّ تساوي جميع البشر في جميع الحقوق هو عين الظلم، والحق له منشأ وجداني ناشئ عن فطرة الإنسان الإلهية، بينما يعدّ الغرب أنّ منشأ الحقّ طبيعي أو عقلي، مما يعني أنّ الحق هو رضا غالبية الناس في الأمور (Fakoor F, Poor Ghasab-e Amiri A. 2016; 9(29): 7-23). يوصي الإسلام بالزواج الدائم للزوجين من أجل الإشباع الصحيح للمسائل الجنسية، وإذا لم تكن الظروف مهيّأة، فالزواج المؤقت أو المتعة، ويصرّ الإسلام بشدّة على أنّ البيئة الأسرية يجب أن تكون مهيّأة بالكامل لنجاح الزوج والزوجة مع بعضهما البعض، والإسلام يُدين صراحة المرأة أو الرجل الذي يُقصر في هذا الصدد (Akhlaghi M. 2019; 4(1): 7-17). وبالنظر إلى طبيعة الحرية الجنسية الغربية، فهناك حاجة إلى معالجة قضية الغزو الثقافي؛ لأنّ الحرية الجنسية أصبحت أداة بيد الدول الغربية لتنفيذ ثقافي متنامي في الدول الأخرى. وفي دراسة أجريت قبل ثلاثة عقود في كوريا الجنوبية، ثبت تجريبياً أنّ البرامج التلفزيونية الأمريكية يتمّ إنتاجها بهدف الهيمنة الثقافية وتغيير طباع الشعب الكوري الجنوبي (Kang 1992; 9(1): 73-87)، رغم أنّه كانت هناك دائماً معركة ثقافية عبر التاريخ (Safaei

173: (1) 15; 2019; 94-SA). لكن لا ينبغي أن ننسى أن هذا الغزو والمعركة الثقافية قد اتخذ أبعاداً جديدة وأوسع بعد انتصار الثورة الإسلامية، والاختلاف والفرق الأساسي بين الغزو الثقافي والغزو العسكري هو أنه غير محسوس وغير مرئي. إنَّ الغزو الثقافي خطوة محسوبة مرفقة بالتخطيط الدقيق واستخدام أساليب وأدوات وإمكانات عديدة ومتنوعة، تهدف إلى إضعاف المعتقدات، وتغيير القيم، وانحراف الأفكار وتغيير وتبديل العادات والتقاليد، وتدمير المبادئ الأخلاقية التي تحكم المجتمع (Razavi SAM, Nemati Far) 152: (22) 6; 2018; 78-NA, Mousavi SH). يتعرّض المراهقون والشباب إلى مختلف أنواع الغزو الثقافي الغربي أكثر من أي فئة أخرى، والعديد من مفاهيم الغزو الثقافي مثل الحرية الجنسية تكون بسبب عدم وعي الإنسان بعواقبها السلبية، ولذلك فمن الممكن من خلال تبين التداعيات السلبية للحرية الجنسية، تغيير نظرة وفكرة المجتمع الإيراني، وخاصة الشباب، تجاه هذه الظاهرة المذمومة وتوفير الأرضية اللازمة لمواجهة الحريات الجنسية المطلقة. ومن ناحية أخرى، تجدر الإشارة إلى أنه سواء في آيات القرآن الكريم أو في أحاديث المعصومين (ع)، فقد تمّ توضيح دلائل كبح الميل الجنسي وتقييده، وكذلك النتائج السلبية للفوضى والحرية الجنسية غير المحدودة. وبالنظر إلى أنّ شدة الدعاية الثقافية الغربية ضدّ البلاد قد زادت بشكل كبير في السنوات الأخيرة وأنّ وسائل الإعلام الأجنبية تقوم أيضاً بدعاية واسعة النطاق حول ضرورة الحرية الجنسية، فستعرّض في هذه الدراسة، إلى التداعيات السلبية لترويج فكر الحرية الجنسية الغربية على أساس التعاليم القرآنية وأحاديث المعصومين (ع).

■ نهج العمل

إتباع مبادئ أخلاقيات البحث: لقد روعي في هذا البحث مبدأ المصداقية والأمانة في نقل أقوال الباحثين السابقين بشكل كامل. وكذلك لتجنّب أي سرقة علمية، وتمّ ذكر المصادر المتعلقة بالمواد المقدمة بشكل موضوعي.

إنّ هذا البحث من حيث الهدف البحثي تأسيسي. فهو عبارة عن دراسة نوعية حول الأبحاث التي أُجريت في مجال الحرية الجنسية، والتي أُجريت بطريقة مقطعية من حيث

الزمن. وقد تمّ استخدام المنهج فوق التركيبي في هذا البحث، لدراسة التدايمات السلبية لترويج فكر الحرية الجنسية الغربي. والهدف من المنهج فوق التركيبي هو البحث والدراسة بشكل منهجي للأبحاث السابقة التي أجريت في هذا المجال، وأخيراً يتتهي العمل بتحليل النتائج، لتكون النتيجة خريطة طريق للعثور على فجوات وفراغات بحثية والابتكار في المنهجية وطريقة البحث للمجال المعني.

يجري في هذا التحقيق، بحث منهجي ونظّم للمقالات المنشورة في قواعد البيانات العلمية المحلية المعتمدة، بما في ذلك SID، قاعدة معلومات الحوزة، ويكي شيعه، نورمگز، مكتبة تبيان، علم نت، البوابة الشاملة للعلوم الإنسانية وأيضاً قواعد البيانات الدولية بما في ذلك: Emerald insight, Elsevier, Taylor & Francis, Wiley Online Library, Google Scholar. للبحث المنهجي عن النصوص ذات الصلة، تمّ اختيار الكلمات الرئيسية ذات الصلة أولاً. تم تحديد ست كلمات رئيسة حول الحرية الجنسية والبحث فيها وفي قواعد البيانات العلمية والمجلات المحلية والدولية.

Sexual freedom/liberation	الحرية الجنسية	- 1
Sexual revolution	الثورة الجنسية	- 2
Free relationships	العلاقات الحرّة	- 3
Sexual justice	العدالة الجنسية	- 4
Gender equality	المساواة الجنسية	- 5
Homosexuality	المثلية	- 6

المجدول (1) الكلمات الرئيسية التي تمّ البحث عنها والمتعلقة بالحرية الجنسية

ولتحديد وتغطية المزيد من المقالات المنشورة بعد البحث في قواعد البيانات، تمّ أيضاً البحث يدوياً في عدد من المجلات المعتمدة في هذا المجال، ولاستكمال عمليات البحث، تمّ البحث أيضاً في قائمة مصادر المقالات المختارة، ولجمع المتون المتوفرة،

اقتصرت البحث الشامل على الدراسات المنشورة في الفترة ما بين 2000 إلى 2020. وتشمل معايير الدخول إلى الدراسة نشر المقالة بين عامي 2000 و2020، مقالات كانت تتحدث بنحو ما عن الحرية الجنسية أو القضايا المتعلقة بها (مثل الثورة الجنسية والعدالة الجنسية)، ووجود المنهجية العلمية، ووجود الشواهد الكافية لادعاءات البحث. المقالات المنشورة باللغتين الفارسية والإنجليزية والمتون الكاملة للمقالات، وقد شملت معايير استبعاد المقالات المقدمة في المؤتمرات والملتقيات والمقالات المنشورة في المجلات غير المعتبرة والمقالات بلغات غير الفارسية والإنجليزية. وقد بقيت جميع المقالات ذات الصلة بعد استخراجها من قواعد البيانات المطلوبة.

تمَّ تحديدُ المقالات ذات الصلة من خلال البحث عن الكلمات الرئيسة ذات الصلة. وقد استخدمت في القسم الآتي، معايير مثل مدى ملاءمة الملخص للمحتوى ومنهج البحث لغرلة المقالات التي تمَّ الحصول عليها. ولهذا الغرض، فإنَّ غرلة المقالات تمَّت على أربع مراحل متتالية، وهو ما يظهر في الشكل 1. تمَّ العثور على إجمالي 539 مقالة، وبُحذف المقالات المكررة، إذ وصل هذا العدد إلى 182 مقالة. ومن بين هذه المقالات، كان من الممكن الوصول إلى 94 مقالة، وتم اختيار 81 مقالة عن طريق حذف المقالات ذات الملخصات غير المرتبطة. وفي المرحلة التالية تمَّ العثور على 58 مقالة تناسب المحتوى، وفي المرحلة الرابعة من الغرلة، حذفت 27 مقالة بسبب مناهج البحث غير المناسبة، وبذلك اشتملت العينة النهائية على 31 مقالةً.

(N = 539)	إجمالي عمليات البحث في قواعد البيانات
(N = 182)	إجمالي عدد المقالات غير المتكررة
(N = 94)	إجمالي عدد المقالات المتاحة
(N = 81)	إجمالي عدد المقالات ذات الملخصات ذات الصلة
(N = 58)	إجمالي المقالات ذات المحتوى ذي الصلة
(N = 31)	إجمالي عدد المقالات النهائية مع مناهج البحث ذات الصلة

الشكل (1) نتائج البحث واختيار المقالات

■ النتائج

من خلال المراجعة المتكررة للمقالات النهائية الـ 31 المختارة بالمنهج الفوق تركيبي، تم استخراج المعلومات المطلوبة من المقالات المذكورة واسترجعت معلوماتها في شكل رمز. وفي المجمل تمّ في هذا البحث 37 رمزاً محدداً ومن ثمّ بناءً على المراجع الموجودة وتم وضع أسماء الباحثين وسنة نشر المقال لصالح الخبراء في جدول. لقد استفيد في هذا البحث من نظرات 11 خبيراً (سبعة أساتذة جامعيين في مجال علوم القرآن وأربعة رجال دين) يتمتّعون بخبرة تدريسية لا تقلّ عن 10 سنوات في الجامعة أو الحوزة.

يمثّل مزيج النتائج النوعية الجزء الأكثر أهمية في المنهج الفوق التركيبي. ويستخدم هذا المنهج في الأساس لغرض التوصل إلى تفسير جديد ومنسجم للنتائج من خلال مراجعة الأدبيات السابقة. ولهذا السبب، يكون في هذه المرحلة من المنهج الفوق تركيبي، وتصنّف الرموز المستخرجة في المراحل السابقة على قالب مضامين (مجموعات)، كما شكّلت مقولة (أو طبقة) من خلال تركيب المضامين، وبشكل عام، في هذه المرحلة تمّ تطوير الإطار المفاهيمي المقترح وتعديله حسب رأي الخبراء (الجدول رقم 2).

إنّ المراد في البحث النوعي، من الاعتبار المفاهيمي الشامل لقابلية الدفاع والتصديقية وحتى انعكاسية النتائج هو التحقّق. من أجل تقييم جودة ونوعية المقالات المختارة، تم استخدام برنامج مهارات التقييم النقدي (CASP)، وقد تمّ إجراء تقييم كمّي لجودة المقالات بناءً على المعايير العشرة المقدّمة في موقع CASP⁽¹⁾. تحتوي قائمة التحقّق المقدّمة على 10 معايير (أهداف البحث، منطق المنهج، تصميم البحث، منهج أخذ العينات، جمع البيانات، الانعكاسية، الاعتبارات الأخلاقية، دقة التحليل، البيان الواضح للنتائج وقيمة البحث) وتم منح كلّ مؤشّر من مؤشّراته (المتناسب مع المقالة قيد البحث) درجة تتراوح بين 1 (ضعيف) إلى 5 (ممتاز). بعد ذلك، تمّ تصنيف المقالات إلى خمس فئات: ممتاز (41 إلى 50)، جيد جداً (40 إلى 31-)، جيد (30 إلى 21)، متوسط (20 إلى 11) وضعيف (0). تظهر النتائج المتحصّل عليها من التقييم النوعي للمقالات التي تستخدم قائمة التحقّق لـ CASP في الشكل 2.

جدول (2) تصنيف النتائج المستخرجة من المقالات

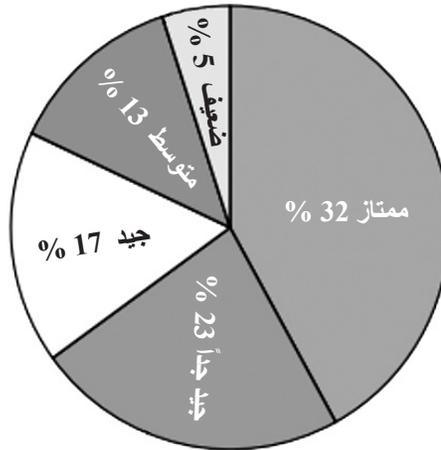
الرمز	المضمون (المجموعة)	البعد
الاضطرابات النفسية	المشاكل النفسية	التداعيات الفردية
الإحباط		
الانتحار		
الجنون الجنسي		
عدم الالتزام	التداعيات الأيديولوجية	
فقدان الكرامة الإنسانية		
انعدام التقوى		
ضعف الإيمان		
عدم التركيز على المهنة والعمل	مشكلات الفرد في المجتمع	
الانعزال الاجتماعي		
فقدان المكانة		
الخيانة الزوجية	انهيار الأسرة	التداعيات الأسرية
الآثار السلبية على الأطفال		
اضمحلال التماسك الأسري		
الإحجام عن الزواج	العزوف عن الزواج	
الميل إلى التنوع الجنسي		
الزواج الأبيض		

عدم استقرار الزواج		
ولادة الأطفال غير الشرعیین		
ارتفاع حالات الإجهاض		
ارتفاع سنّ الزواج		
الاستعداد لقبول المعايير الغربية	تهيئة الثقافة الغربية	الاجتماعي - الثقافي
الترويج لرموز الثقافة الغربية		
هيمنة الفكر الغربي على التقاليد الإيرانية الإسلامية		
تطبيع (ظاهرة) خلع الحجاب		
زيادة الدعارة والفاحشة	فقدان القيم	
إضعاف القيم الدينية		
تجاهل القيم والأعراف المحلية		
الترويج للمعصية		
تضعيف أهمية العفة	الضعف الاجتماعي	
هدر طاقات الشباب		
انتشار الأمراض المنقولة جنسيًا		
ارتفاع الفساد والجريمة		
مواجهة الجيل الجديد للجيل القديم (الهوة بين الأجيال)		
تهيئة الأرضية للنفوذ الثقافي		

أحد أهم الطرق المستخدمة لتقييم الموثوقية في البحث النوعي هو حساب معامل كوهين

كابا (Cohen's kappa coefficient). يتمُّ حسابُ هذا المعامل باستخدام الصيغة الآتية: $Kappa=Pi=(PAo-PAE)/(1-PAE)$ يستخدم في صيغة كابا، نسبة قيمة محدّدة في طبقة واحدة من قبل الترميز، في نسبة استخدام القيمة نفسه يتمُّ ضربها في الترميز الثاني. ثم تجمع هذه النسب معاً للحصول على التوافق المتوقع. تظهر نتائج حساب معامل كابا في الجدول رقم 3. وكما يتبيّن، فقد تمَّ الحصول على معامل كابا الذي يساوي 0.711، وهو أعلى من المقدار المقبولة؛ ولذلك تم التأكد من موثوقية النتائج. كما تمَّ الحصول على معامل دلالي أقلّ من 0.05 (0.002) وه دليل على علاقة الترميز بين الوثيقتين المدروستين، وقد استخدم في هذا البحث بالإضافة إلى حساب معامل كابا كوهين، من المعايير الكمية الثلاثة للتحقق من قابلية الاعتبار، وقابلية النقل، وقابلية التأكيد والموثوقية:

معامل هولستي ومعامل بي سكوت وألفا كرييندورف⁽¹⁾. تمَّ الحصول على مستوى الارتباط لرأي الخبراء من خلال حساب معامل هولستي والذي كان PAO (0.834) أو نسبة الاتفاق الملحوظة البالغة 0.834. الحصول على مقدار لافت. بالالتفات للإشكالات الواردة على منهج هولستي، تمَّ أيضاً حساب مؤشّر بي سكوت، حيث ميزانه 0.77. وأخيراً تمَّ استخدام ألفا كرييندورف وقدّر ميزانه 0.86 في هذه الدراسة مما يدلُّ على اعتبار النتائج.

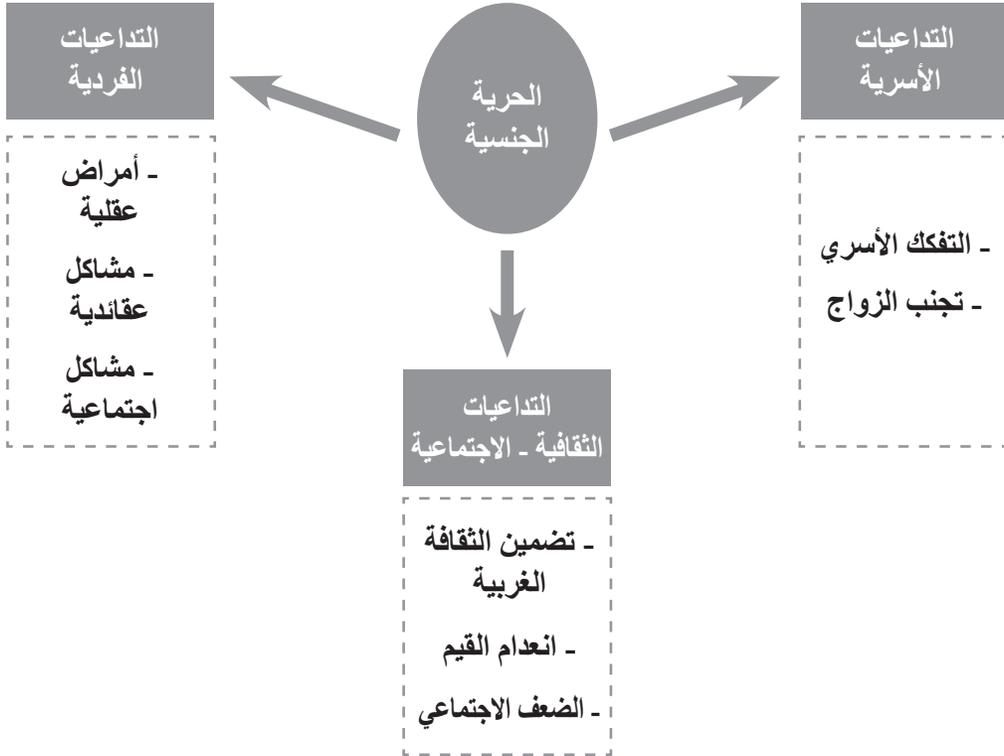


الشكل (2) تقييم جودة المقالات المختارة بناءً على قائمة التحقق CASP

الجدول (3) اختبار توافق الترميز بين الباحث وخبرة (خبير)

مؤشرات تقييم الوثوقية	المقدار المحسوب	نتيجة تقييم الوثوقية
مؤشر كابا	0.711	تأكيد
معامل هولستي	0.834	تأكيد
معامل بي سكوت	0.77	تأكيد
ألفا كربيندورف	0.68	تأكيد

وفي ضوء النتائج التي تمّ الحصول عليها وتحديد معامل أهمية المؤشرات المختلفة وتأكيد اعتبار المضامين والأبعاد المدروسة، فقد تمّ عرض النموذج النهائي للبحث على النحو الآتي:



الجدول (4) ترتيب المواضيع على أساس المتوسط المرجح

الرتبة	معامل WJ	الموضوع	
2	0.1276	المشاكل النفسية	التداعيات الفردية
1	0.1298	الأضرار العقائدية	
3	0.1127	مشاكل الفرد في المجتمع	
2	0.1314	انهيار الأسرة	التداعيات الأسرية
1	0.1388	العزوف عن الزواج	
2	0.1553	تهينة الأرضية للثقافة الغربية	التداعيات الاجتماعية - الثقافية
1	0.1605	إضعاف القيم	
3	0.1491	الضعف الاجتماعي	

وفي الجزء الأخير من هذا التحليل، تم أيضاً حساب المتوسط المرجح لكل من الأبعاد المحددة (التداعيات الفردية، والتداعيات الأسرية، والتداعيات الاجتماعية - الثقافية). و يتضح بناءً على النتائج التي تم الحصول عليها، أنّ التداعيات الاجتماعية - الثقافية تحظى بأهمية بالغة.

الجدول (5) ترتيب الأبعاد على أساس المتوسط المرجح

الرتبة	معامل wj	الأبعاد
3	0.1202	التداعيات الفردية
2	0.1313	التداعيات الأسرية
1	0.1519	التداعيات الاجتماعية - الثقافية

■ بحث ونتيجة:

أظهرت النتائج التي تم الحصول عليها في هذا البحث أن أحد الأضرار المهمة لترويج فكر الحرية الجنسية الغربية في البلاد هو آثاره غير المرجوة على ثقافة المجتمع؛ وكما أصبح واضحاً، فإنّ التدايمات الثقافية والاجتماعية أكثر أهمية مقارنة بالتدايمات الفردية والأسرية. لقد كان كل من: هدر طاقات الشباب، وانتشار الأمراض المتقلبة جنسياً، وزيادة الفساد والجريمة، وضعف التماسك الاجتماعي، وانخفاض معدل المواليد، والمواجهة بين جيل الشباب والجيل القديم (الهوة بين الأجيال) وترسيخ التأثير الثقافي من بين الأضرار الاجتماعية التي تمّ تحديدها في هذا البحث، وفي تبين النتيجة التي بين أيدينا، تجدر الإشارة إلى أن هدف الحكومات الغربية من الترويج لفكرة الحرية الجنسية في الدول الإسلامية هو في الواقع للتأثير على المعتقدات الثقافية والسلوكيات والأعراف الاجتماعية. إنّ الغزو الثقافي هو في الأساس مقولة اجتماعية - ثقافية، والعديد من الظواهر الغربية التي يبدو أنّ لها جانباً فردياً تنتهي أيضاً بتغيرات ثقافية واجتماعية أساسية. وقد أشير في هذا السياق، إلى أنّ التأثير على السلوكيات والاتجاهات الفردية للأفراد يتم أيضاً بهدف التأثير في نهاية المطاف على ثقافة المجتمع وعلاقاته الاجتماعية (Latifi A, Goodarzi M. 2018; 9(54): 165-88.) وفي دراسة أجريت في تركيا (كدولة إسلامية) أشار فيها الباحث إلى أنّ ترويج الحريّات الجنسية بالنسبة إلى مرأة التركية، بالإضافة إلى التدايمات الفردية العديدة، له آثار كبيرة على الثقافة والمجتمع أيضاً: (Ozyegin G. 2009; 16(2): 103-23)، وتظهر النتائج التي تمّ الحصول عليها في هذا البحث وكذلك الدراسات السابقة أنّه من خلال ترويج فكرة الحرية الجنسية، يتمّ أيضاً توفير الأرضية والبيئة اللازمة للنفوذ وإضفاء الطابع المؤسّساتي على المعايير الغربية الأخرى في المجتمع؛ بنحو يمكن من خلاله اعتبار الحرية الجنسية بمثابة بوابة لدخول القيم الغربية الأخرى (التي غالباً ما تكون في تضادّ كامل مع الثقافة والفكر الإسلاميين). وفي هذا السياق يشير بينيت (Bennett) في كتاب «المرأة والإسلام والحداثة» إلى هذا الموضوع وأنّه نظراً إلى مكانة المرأة الخاصّة في الإسلام، فإنّ تقديم ومأسسة مبادئ الحداثة في الدول الإسلامية يعتمد إلى حدّ كبير على تغيير مواقف المرأة وقيمتها (Bennett LR. Routledge; 2005).

تمّ في هذا التحقيق تحديد التدايعات الفردية لأضرار الترويج للفكر الغربي. إنّ اتباع النمط الغربي للحرية الجنسية يُسبّب مشاكل نفسية وفكرية واجتماعية للأفراد، وأمثال الاضطراب النفسي والإحباط والجنون الجنسي وحتى الانتحار هي عواقب نفسية لقبول فكرة الحرية الجنسية. الإحباط الجنسي هو نوع من ردّ الفعل الإدراكي - العاطفي لممارسة العلاقة الجنسية، ممّا يجعل الشخص يشعر بعدم الرضا عن الجنس (حتى مع زوجته) ويتجنّبهُ لأسباب غالباً ما تكون ناجمة عن تجارب سلبية سابقة. يشير الجنون الجنسي إلى الأنشطة غير التقليدية المتمثلة في إيذاء النفس وإيذاء الآخرين في أثناء العلاقة الجنسية، بالإضافة إلى الرغبة القوية في إقامة العلاقة الجنسية. وعلى مستوى المجتمع الإسلامي، فإنّ الحرية في العلاقات الجنسية تسبّب أيضاً العزلة والنبذ الاجتماعي للأفراد، بالإضافة إلى ذلك، فإنّ جزءاً كبيراً من قوة الإنسان الروحية وطاقته الجسدية، بدلاً من استخدامها في العمل والإنتاجية، تنفق على أنشطة غير مجدية وغير ناجحة للأفراد. حتى الآن، أشار العديد من الباحثين إلى تأثير الحرية الجنسية على المواقف الفردية والسلوك وأسلوب الحياة. يعدّ حسين أنّ إيجاد الشبهات في العقائد والتناقض في المواقف والمعتقدات كأحد نتائج الحرية الجنسية بين الشباب البنغلاديشي (Hossain A. 2017;19(12):1418-31). وهكذا، يعدّ يزداني وآخرون أنّ نفوذ الفكر الغربي المؤسس على الحرية في العلاقات الجنسية أحد أهمّ عوامل خلق اختلال الهوية الجنسية بين المراهقين والشباب (Yazdani S, Sohrabi Shegefty A. 2018; 8(2): 93-108). كما يعدّ غروسي (Grossi) الجريمة الجنسية والعنف الجنسي أحد التحديات المهمّة لحرية العلاقات الجنسية (Grossi LM. 2017; 34: 59-67). وفي الواقع، فإنّ النتائج التي تمّ الحصول عليها في البحث الحالي والدراسات السابقة تؤكد مرةً أخرى الرأي القائل بأنّ الحرية الجنسية لا تمنع المشاكل العقلية والنفسية فحسب؛ بل هي بمثابة عامل مقوّي لها، وذلك بسبب الماهية الخاصة للرغبة الجنسية، والتي هي على عكس العديد من الرغبات البشرية، لا يمكن إشباعها. بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ ظهور سلوكيات جنسية غريبة، والتي يُشار إليها أحياناً بالجنون الجنسي، هو أيضاً أحد نتائج الحرية الجنسية المطلقة؛ بحيث لم تعد الأشكال التقليدية للعلاقة الجنسية تستجيب لاحتياجات الإنسان، وبالتالي يلجأ الأفراد إلى أساليب غير تقليدية (بما في ذلك إيذاء

النفس، وإيذاء الآخرين، وما إلى ذلك)، وهو ما أكدّه الباحثون الغربيون أيضاً (Longpre .N, Guay J-P, Knight RA. 2019; 26(1): 70-84).

تلعب حرية العلاقات الجنسيّة دوراً مؤثراً في ميل الأفراد إلى الزواج وأيضاً في انهيار أساس الأسرة. ومن خلال ترويج الحرّية الجنسيّة والتخلّي عن القيود التقليديّة للحدّ من هذه العلاقات، تنخفض ميول الأفراد إلى الزواج وتكوين أسرة. وفي مثل هذه الظروف، تتزايد أشكال جديدة من العلاقات، وخاصّة الزواج الأبيض، بين جيل الشباب، وقد أصبحت هذه المقولة الأخيرة تحديّاً اجتماعياً مهماً في البلاد (Azimpoor A, Papinejad .F. 2019; 21(84): 69-93). يعدّ عدم استقرار الزواج، وإنجاب الأطفال غير الشرعيين، زيادة الإجهاض من التدايعات الأسرية الأخرى للحرّية الجنسيّة. وقد ذكر جارسكا (Jarska) في مقالة تحمل عنوان الزواج الحديث والثقافة الجنسيّة أنّ الابتعاد عن القيود الدينيّة (قواعد الكنيسة) والحرّية الكاملة في العلاقات الجنسيّة هو أحد العوامل الرئيسيّة للحدّ من استقرار الزواج وزيادة نسبة الطلاق في بولندا-467: (3) 49 (Jarska N. 2019; 90). في الدراسات المحليّة، قدّمت الحرّية في العلاقات الجنسيّة وعدم الالتزام بالقيود الجنسيّة الكلاسيكيّة المتجذرة في الثقافة الإيرانيّة والتعاليم الدينيّة، كضرر مهمّ في مجال نجاح الزواج والتماسك الأسري (5.1). وقد خلص هوي (Hoy) في دراسة استقصائيّة بين النساء المهاجرات الشابّات إلى نتيجة مفادها أنّ حرّية العلاقات الجنسيّة، من وجهة نظرهنّ، لها أثر كبير في تقليل الرغبة للزواج (7-183: (2-5) 2007; Hoy C). وحتىّ بعد الزواج وتكوين الأسرة، فإنّ وجود الحرّية في العلاقات الجنسيّة على الطريقتيّ الغربيّة سيؤدّي إلى عدم تمسّك أي من الزوجين بالطرف الآخر وبرباط الزوجية المقدّس. وهذا له دور مؤثّر في زيادة المشاكل والصراعات الأسرية، وإضعاف هوية الأسرة كمؤسسة مقدّسة، وخلق الروح العدوانيّة لدى الأطفال، وبشكل عام، تدمير التماسك الأسري. وهذه المسألة لا تقتصر على المجتمعات الإسلاميّة فحسب، بل توجد في المجتمعات الغربيّة أيضاً؛ حيث يقول إيجان (Egan): بحقّ إنّ الحرّية الجنسيّة ليس فقط ليس لها إنجازات ملموسة للمجتمع، بل إنّ الابتعاد عن القيم العائليّة التقليديّة هو أحد النتائج المهمّة لهذا الشكل من العلاقات الجنسيّة (36-41: (17) 6 (Egan S. 2017; 2017).

تقليدية من العلاقات الجنسية، والتي هي في حد ذاتها نتيجة لاعتبار حرية ممارسة الجنس حق من حقوق الإنسان، كأحد أسباب انهيار الأسر الإيرانية: (Karimi A. 2018; 25(4): 456-74).

إن استخدام المنهج الفوق تركيبي كمنهج جامع لتحقيق صورة كلية عن التدايعات السلبية للتفكير في الحرية الجنسية، بالإضافة إلى البحث الواسع في قواعد البيانات واستخدام آراء 10 خبراء، يمكن اعتباره أحد نقاط قوة في هذا البحث لتقديم نتائج معتبرة.

حدود الدراسة:

أحد مشاكل الدراسات القائمة على المنهج فوق التركيبي هو أنه يتم من خلال البحث عن الكلمات المفتاحية في قواعد البيانات العلمية؛ وعليه، إذ لم يكن الإدخال المطلوب في عنوان مقال، حتى لو كان مذكوراً في المتن، فسيتم حذف ذلك المقال من البحث.

مقترحات الدراسة:

يقترح في الدراسات المستقبلية، أن يتم استخدام تركيبة من المناهج فوق التركيبية والمقابلات للحصول على معلومات من أجل زيادة اعتبار النتائج.

تقدير:

يُعربُ مؤلفاً هذا المقال عن خالص تقديرهم وامتنانهم لأساتذة وموظفي جامعة علوم ومعارف القرآن الكريم، كلية العلوم القرآنية في مشهد.

الاعتبارات الأخلاقية

وبحسب مؤلفي المقال، فإن هذا البحث جزءٌ من رسالة دكتوراه للمؤلف الأول من جامعة علوم ومعارف القرآن الكريم، كلية علوم القرآن مشهد، والتي تمت الموافقة عليها في تاريخ: 2020/04/30 م.

الراعي المالي:

وفقاً لمؤلفي المقال، فإنَّ هذا المقال ليس له راعٍ مالي وقد تمَّت كتابته على النفقة الشخصية للمؤلفين.

تضارب المصالح:

لم يبلغ مؤلفا المقال عن أيِّ تضارب في المصالح فيما يتعلَّق بهذا البحث.

مساهمة المؤلفين:

المؤلف الأول: كتابة جميع أجزاء المقال؛ المؤلف الثاني: المساعدة في تحليل البيانات والجداول والرسوم البيانية.

المراجع

- ▶ Souzanchi H. Gender and Human Nature; A Step towards an Islamic. *Gender and Family Studies*. 2020; 8(1):131-53.
- ▶ Dehghani R, Keyvani F. Pathology of Cultural Invasion and Engineering of Ethnic, National and Islamic Identity in Confronting It. *Scientific Biannual Journal of The Language and Culture of Nations*. 2018;1(1):135-65. (Full Text in Persian)
- ▶ Tajmazinani AA, Ebrahimi M. Gender Analysis of Education Policy in Post-Revolutionary Iran. *Women Studies*. 2021;12(38):41-72. (Full Text in Persian)
- ▶ AnanPoor KheirAbadi M. A Review of the Principles and Characteristics of Islamic Lifestyle in the Holy Quran. *Journal of Islam and Social Sciences*. 4(8):92-110.
- ▶ Atashzadeh-Shoorideh F, Mohtashami J, Abdoljabbari M, Karamkhani M. Facilitators and inhibitors of full hijab by students: One qualitative study. *Journal of Pizhūhish dar dar dīn va salāmat*. 2016;2(3):14-24. (Full Text in Persian)
- ▶ Swanson J. Sexual liberation or violence against women? The debate on the legalization of prostitution and the relationship to human trafficking. *New Criminal Law Review*. 2016;19(4):592-639.
- ▶ George RP. Judicial usurpation and sexual liberation: courts and the abolition of marriage. *Regent UL Rev*. 2004;17:21.
- ▶ Shirbaigy M, Esmaeili Z, Saeidipour B, Sarmadi MR. Designing a Model for Sex Education in the Age of Globalization with an Emphasis on Islam Using Grounded-Theory Method. *Journal of Pizhūhish dar dar dīn va salāmat*. 2020;6(3):122-38. (Full Text in Persian)
- ▶ Hatami M. Sexual health in Quran with emphasizing on organizing sexual desire. *Scientific Journal of Islamic Studies in the Field of Health*. 2017;1(1):63-72.

(Full Text in Persian)

- ▶ Aboutorabian F. Symbols of Western lifestyles at odds with Islamic lifestyle. Religious lifestyle. 2014;1(-1):95-126. (Full Text in Persian)
- ▶ Basiri M, Asadi N, Heidari K. Terrorism-e Farhangi dar Movajeh-e ba Iran; Rahbordha va Roykardha. Andish-e Moaser. 2018;1(1):53-71. (Full Text in Persian)
- ▶ Shen Q. Female Desire, Pop Rock, and the Tiananmen Generation: The Synergy of Sexual and Political Revolutions in the Banned Chinese-German Film Summer Palace (2006). JCMS: Journal of Cinema and Media Studies. 2021;60(5):48-74.
- ▶ Cvrček T. Sexual Liberation, Socialist Style: Communist Czechoslovakia and the Science of Desire, 1945-1989: by Kateřina Lišková, Cambridge, Cambridge University Press, 2018, xi, 281 pp., USD 80.00, ISBN: 9781108576482, 1108576486. Taylor & Francis; 2020.
- ▶ Sabor P. From Sexual Liberation to Gender Trouble: Reading» Memoirs of a Woman of Pleasure» from the 1960s to the 1990s. Eighteenth-Century Studies. 2000;33(4):561-78.
- ▶ Ravitch FS. Tradition's edge: interactions between religious tradition and sexual freedom. Law, Religion and Tradition. 2018;71-85.
- ▶ Harris SC. Irish drama and the other revolutions: playwrights, sexual politics and the international left, 1892-1964: Edinburgh University Press; 2017.
- ▶ Kennedy S, Ruggles S. Breaking up is hard to count: The rise of divorce in the United States, 1980-2010. Demography. 2014;51(2):587-98.
- ▶ Stenner PH, Bianchi G, Popper M, Supeková M, Lukšík I, Pujol J. Constructions of sexual relationships: A study of the views of young people in Catalonia, England and Slovakia and their health implications. Journal of health psychology. 2006;11(5):669-84.
- ▶ Azizabadi Farahani F, Soltanizadeh N, Heydari D, Zahedi M, Yaghoobi Razgi S. Cultural crisis and ways forward considering social health using management

style derived from the Quran and religious pioneers of Islam. *Journal of Pizhūhish dar dar dīn va salāmat*. 2019;5(2):127-37. (Full Text in Persian)

▶ Roudgar MJ. Gender Equality according to Allameh Tabatabaei and Martyr Muttahari. *Women's Strategic Studies*. 2010;12(46 (winter 2010)):49-80.

▶ Fakoor F, Poor Ghasab-e Amiri A. Tabein-e Mafhoom-e Edalat-e Jensiati dar Islam va Qarb. *Journal of Shiite women*. 2016;9(29):7-23. (Full Text in Persian)

▶ Akhlaghi M. Jaygah va Magham-e Zan dar Yahoodiat va Islam. *Pajoohandeh Islami Jensiati va Khanevadeh*. 2019;4(1):7-17. (Full Text in Persian)

▶ Kang JG. The role of American television in Korea: Cultural invasion. *Communication Research Reports*. 1992;9(1):73-87.

▶ Safaei SA. Pathology of cultural invasion among Youth of Hamadan province. *Bi-Quarterly Political Knowledge*. 2019;15(1):173-94. (Full Text in Persian)

▶ Razavi SAM, Nemati Far NA, Mousavi SH. The Study of the Relationship between Media Literacy and Cultural Invasion in the Social Networks: A Case Study of Instagram Social Network. *Journal of Islam and Social Studies*. 2018;6(22):152-78. (Full Text in Persian)

▶ Latifi A, Goodarzi M. Veil and chastity are discussed as two values in human society especially Islamic society. *Scientific Quarterly of Social Security Studies*. 2018;9(54):165-88. (Full Text in Persian)

▶ Ozyegin G. Virginal facades: Sexual freedom and guilt among young Turkish women. *European Journal of Women's Studies*. 2009;16(2):103-23. (Full Text in Persian)

▶ Bennett LR. *Women, Islam and modernity: Single women, sexuality and reproductive health in contemporary Indonesia*: Routledge; 2005.

▶ Hossain A. The paradox of recognition: hijra, third gender and sexual rights in Bangladesh. *Culture, Health & Sexuality*. 2017;19(12):1418-31.

▶ Yazdani S, Sohrabi Shegefty A. The Effectiveness of gender education on the

gender identity of 7-11- year-old children in Shiraz. *Biannual Journal of Applied Counseling*. 2018;8(2):93-108.

▶ Grossi LM. Sexual offenders, violent offenders, and community reentry: Challenges and treatment considerations. *Aggression and Violent Behavior*. 2017;34:59-67. (Full Text in Persian)

▶ Longpre N, Guay J-P, Knight RA. MTC sadism scale: Toward a dimensional assessment of severe sexual sadism with behavioral markers. *Assessment*. 2019;26(1):70-84.

▶ Azimpoor A, Papinejad F. Strategies to Combat white Marriage from the Perspective of the Qur'an and Narratives. *Women's Strategic Studies*. 2019; 21(84): 69-93.

▶ Jarska N. Modern Marriage and the Culture of Sexuality: Experts between the State and the Church in Poland, 1956-1970. *European History Quarterly*. 2019; 49(3):467-90. (Full Text in Persian)

▶ Hoy C. Migration as sexual liberation? Examining the experience of young female migrants in China. *Children's geographies*. 2007;5(1 2):183-7.

▶ Egan S. The Bolsheviks and the Sexual Revolution. *Irish Marxist Review*. 2017;6(17):36-41.

▶ Karimi A. Hamjensgara belongs to family; exclusion and inclusion of male homosexuality in relation to family structure in Iran. *Identities*. 2018;25(4):456-74.

التحيز العلمي في الغرب في دراسات الجندر مراجعة نقدية لدراسات الجندر بمقاربة نفس - اجتماعية

د. كوثر سويسبي

أستاذة باحثة في علم النفس الاجتماعي (تونس)

ملخص

يحتاج مفهوم الجندر إلى الكثير من المراجعة، والتدقيق، وبلورة رؤية أكثر صدقاً وواقعية، عن هذا المفهوم، حتى لا يذهب بنا بعيداً في أوهامه العلمية، وهذا ما تهدفُ إليه الدراسة الحالية، من خلال مراجعة للدراسات النقدية السابقة للجندر. وتستدعي هذه المراجعة سؤال رئيس يدور حول التحيز العلمي في دراسات الجندر. تمّ رصد 27 مقالاً نقدياً من قواعد البيانات الرئيسة؛ باللغة الفرنسية، والإنجليزية، والعربية نشرها في الفترة التي تمتد ما بين 2005 - 2023، ثمّ استخرجت المحاور الأساسية وهي؛ غموض مفهوم الجندر وفلسفته الفردانية، والتحيز العلمي في دراسات الجندر، ودحض الهوية الجندرية. وخلصت الدراسة إلى أنّ غموض مفهوم الجندر يعود إلى التحيز العلمي في دراسات الجندر، بسبب حرص الباحثين على تأكيد صحة نتائجهم (confirmation bias)، ممّا أدى إلى قلب حقائق علمية كانت ثابتة، كمفاهيم الصحة والمرض، الطبيعة والثقافة لتشريع هويات الجندر، وباتفاق مبالغ فيه بين الباحثين الجندريين، تحت تأثير تحيزات "الاتفاق الزائف" والتفرد الزائف، الذي يمكن أن يتحوّل إلى تحيز أكبر وهو الجهل التعددي".

الكلمات المفتاحية:

الجندر، الشذوذ الجنسي، الدراسات النقدية، الغرب، التحيز العلمي، الأخطاء، البحث.

مقدمة:

في السنوات الأخيرة، شهدت الدراسات المتعلقة بقضايا الجندر انتشاراً واسعاً جعل هذه الأخيرة، موضع نقاشات مناصرة من ناحية ومناهضة وساخنة من ناحية موازية. المناصرون يطالبون بتوسيع دراسات الجندر وتعميمها على كل المجالات البحثية لتحقيق مجتمع عادل، وتفكيك الصور النمطية والعلاقة التراتبية بين الجنسين، أما المناهضون فإنهم يرون في الجندر "نظرية"⁽¹⁾، جاءت لتبرير العنف المُسلط على الهوية الإنسانية، وتغيير مُيولها الفطرية، بل "تجسيد للبيرالية جامحة" (فايان تريكورت، 2019)، تسعى إلى إعادة صياغة التاريخ الإنساني، التعامل معها تصالح وتطبيع مع الحدائث الغربية التي تتبنّى المطالبة بحقوق حركة الإل جي بي تي، وتعمل على نشرها وتكريسها في برامج إعلامية ومؤتمرات ووثائق دولية، ومقررات مدرسية تستهدف الأطفال بالدرجة الأولى، وتحثُّهم على اختيار نوعهم الاجتماعي وتوجههم الجنسي. وفي ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وكندا، تجد مثل هذه البرامج المؤيدة للجندر والدعم من أعلى المستويات الحكومية، وتحصل على تمويلات بحثية، ومشاريع وقوانين لفك القيود، لممارسة التشكيك في الهوية الجنسية الطبيعية بكل حرية وأريحية. هذا ما دفع بالكثير من الدراسات إلى نقد مفهوم الجندر وهو ما يدفعا أيضاً إلى مراجعة هذه الدراسات للتعرف إلى الأخطاء التي كشفتها في دراسات الجندر.

■ مشكلة الدراسة:

إنَّ الملاحظة الميدانية للواقع تشير إلى الكم الهائل من الدراسات الجندرية التي اكتسحت كل الميادين والتخصصات الأكاديمية، وذلك الزخم من البرامج والنشريات، ونشطاء المجتمع

1 - الكنيسة الكاثوليكية هي المؤسسة الأولى التي تفاعلت أكثر تجاه هذا الموضوع، خصوصاً بعد إدراج الجندر في الكتب المدرسية لعلوم الحياة والأرض، يمكن الرجوع إلى المنشور الصادر عن مجلس العائلة بعد فترة وجيزة من الجدل المدرسي: النوع الاجتماعي، الجدل (الناشر: بيير تيكي، 2011).

المدني القادمين من كل حذب وصوب للدفاع عن الأقليات، وتمكين المرأة، وحماية الطفولة، وإدخال التربية الجنسية في المدارس، ومحاربة شتى أنواع التمييز والصور النمطية بين الجنسين، شعارات تبدو براققة، تستهوي المدافعين عن الفئات المهمشة والمظلومة، ممّا دفع بالكثير من الباحثين العرب إلى الانغماس في الدراسات الجندرية، أو النوع الاجتماعي، والسباق نحو عرض سلعته على رفوف المكتبات وفي مواقع البيانات بحثاً عن الشهرة، والدعم والتمكين العلمي، كُُلُّ في مجال تخصصه، ومن هنا تأتي الحاجة من وجهة نظرنا إلى التدقيق في فكرة الجندر، والتعرّف إلى مفاهيمها وخلفياتها النظرية والفلسفية، والتجارب العلمية الأولى التي كان لها تأثيرٌ في توجيه الدراسات الجندرية، عن قرب، من أفواه صانعيها ومتقديها، كخطوة أولى، تكشف بها الغطاء عن صدق نوايا قضايا الجندر ومشروعيتها العلمية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتقديم مُلخّص عام عن الانتقادات العلمية المُوجهة لفكرة الجندر والأخطاء التي سقطت فيها الدراسات الجندرية الأولى ولا تزال. وفي ضوء ما تقدم، يمكننا طرح سؤال رئيس حول حقيقة التحيز العلمي في دراسات الجندر، ثمّ جملة من التساؤلات الفرعية التي ستساعدنا على احتواء الإشكالية العامة للدراسة، وهي كالآتي:

- ما جذور فكرة الجندر وكيف تطورت؟
- كيف ناقشت الدراسات النقدية مفهوم الجندر؟
- ما أهم أنواع التحيز العلمي التي رصدتها في الدراسات الجندرية الأولى؟ وما انعكاساتها على الحركة الفكرية والثقافية؟
- وهل توجد دراسات علمية جديدة وصادقة تُكذّب دراسات الجندر؟

دوافع الدراسة:

تسعى هذه المراجعة المنهجية إلى تحليل الدراسات النقدية للجندر للإجابة عن أسئلة الدراسة، ويمكن تلخيصها في 4 أهداف:

- ◀ التعرّف إلى الخلفية الفلسفية لفكرة الجندر
- ◀ التدقيق في المعنى الحقيقي لمفهوم الجندر
- ◀ رصد الأدلة التي أثبتت بها الدراسات النقدية التحيز العلمي في دراسات الجندر

◀ رصد الأدلة العلمية التي تقدمها الدراسات النقدية حول هوية الجندر. سيقودنا تحقيق هذه الأهداف إلى تصحيح فهمنا لفكرة الجندر، وفتح آفاق بحثية جديدة أمام الدراسات النقدية للجندر.

■ مصطلحات الدراسة:

التحيزُ العلمي:

يُحصل التحيزُ العلمي (scientific bias) حين يخطئ الباحث عن قصد أو عن غير قصد في أي خطوة من خطوات البحث الذي يقوم به، ممّا يؤدي إلى عدم الحياد وعدم الموضوعية. وتوجد أنواع عديدة من التحيزات العلمية، نذكر منها مثلاً؛ تحيز التصميم: وهو خطأ في تصميم الدراسة، وتحيز العينة: وهو خطأ في اختيار العينة؛ كأن يكون حجمها صغيراً ولا يسمح بالمقارنات، أو لا تمثل المجتمع، وتحيز الاختبار: وهو خطأ في اختيار أداة جمع البيانات، وتحيز الفرضية، بسبب قُصر بصر الفرضية (Asymmetric attention)، حيث يركز الباحث على جمع الأدلة التي تدعم فرضيته متجاهلاً الأدلة التي تعارضها، أيضاً تحيزُ الباحث: إذ تؤثر شخصيته ومرجعياته الأخلاقية والإيديولوجية وصحته النفسية في سير الدراسة ونتائجها، فيسقط أفكاره المسبقة على النتائج (التحيزُ الإيديولوجي)، وتحيزُ التأكيد: حيث يميل الباحث إلى التركيز على النتائج التي تؤكد أفكاره المسبقة، حتى وإن كانت ضعيفة وليس لها دلالة إحصائية.

هذا ما سنسعى أن نبينه في الدراسة الحالية؛ برصد التحيزات والأخطاء العلمية التي وقعت فيها الدراسات الجندرية، والتي قادتها إلى تزييف نتائجها العلمية.

الدراسات الجندرية:

دراسات الجندر، وتُسمى أيضاً "دراسات حول الجندر"، وهي مجال بحث أكاديمي جديد نسبياً ومتعدد التخصصات، ظهر في أمريكا في سبعينيات القرن الماضي بعد موجة من الاحتجاجات الاجتماعية والسياسية والفكرية، هزت جامعات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تحت شعار "تفكيك" كان يتردد على أفواه جميع الطلبة في ذلك الوقت، ويدعو الشعار إلى تقويض وإعادة

صياغة كل شيء؛ الحقائق العلمية، التاريخ، اللغة والرموز بل الطبيعة البشرية ذاتها. وأطلق على تلك الفترة ب "نقطة التحول" أو "ما بعد الحداثة". إثرها أصبحت "الدراسات على المرأة"، و "الدراسات النسوية"، و الدراسات على الجندر"، ذات طابع رسمي، وهي مجالات ثلاثة، رغم اختلاف موضوعاتها، لها أهداف مشتركة؛ تفكيك لمختلف أنضمة الهيمنة الذكورية من الثقافة والمعرفة العلمية، والتشكيك في الحتمية البيولوجية التي صُنف على أساسها الرجل والمرأة تصنيفاً تفاضلياً حسب الخصائص الطبيعية والأدوار الاجتماعية. ومن ثم، أصبح الجندر "أداة" في يد هذه الدراسات لتنفيذ مشروعها العلمي والسياسي المتمثل في هدم المسار التاريخي الحقيقي للإنسانية التي اتخذت مشروعيتها الفكرية والعلمية والأكاديمية عام 1972 بعد أن نشرت عالمة علم الاجتماع آن أوكلي كتابها "الجنس والجندر والمجتمع" تتحدث فيه عن الفروق بين فئات طبيعية ذكر/ أنثى وفئات ثقافية رجل/ امرأة وبعد مقال آخر تأسيسي لجوان دبليو سكوت حول "الجندر فئة مفيدة للتدليل التاريخي" إذ يؤكد فيه على فائدة استعمال أداة "الجندر" لدراسة علاقات القوة والصراع بين الجنسين، ونتيجة لذلك أطلق عليها اسم "الدراسات الجندرية". ومن ثم انشأ لها دوريات ومجلات علمية وتخصصات علمية تحولت إلى فرنسا، وإسبانيا، وإيطاليا ركزت بحوثها حول تفكيك الاختلافات الطبيعية بين المرأة والرجل، وعلاقات الهيمنة، والصور النمطية، وهي بحوث تحليلية نقدية حول الإنسان، وتركيبته البيولوجية والعصبية، والوراثية، والحضارية، والثقافية التي تتحكم كلها في تشكُّل هويته الجندرية وتوجه ميوله الجنسية. ما تختصُّ به الدراسات الجندرية أنها "دائماً على اتصال وحوار مع نشطاء المجتمع المدني" (Lachenal, 2016). ومن هنا نفهم مدى تأثير التيارات السياسية والإيديولوجية في توجيه قضايا الجندر، وطبيعة النتائج التي يمكن أن تصل إليها البحوث والدراسات في هذا المجال.

الجندر والغرب:

تدعمُ معظمُ الدول الغربية فكرة الجندر، ما عدا روسيا، فالرئيس الروسي لا يتركُ مناسبةً إلاً ويذكر بأنَّ "الغربَ يسعون إلى اللعب بهوية الأطفال الجنسية، وأنَّ روسيا لديها نوعان؛ رجل وامرأة، والغرب الفاسد لديه ثمانين نوعاً يريد فرضه علينا". ومنذ عامين، أصبحت معظم الدول الغربية متبينة لموضوع الجندر وتدافع عنه بكل صلابة، وعلى رأسها ألمانيا وفرنسا، فضلاً عن

الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الدول والتي يبلغ عددها حوالي 32 دولة، حول العالم، تمنح الجندريين حقوقهم وتدافع عنهم، وتبنت بعضها قوانين للدفاع عن حقوق المثليين والمتحولين جنسياً، والغريب في الأمر بأن هذا الدعم لم يأت عليه إلا خمسين عاماً.

■ منهج وأداة الدراسة:

المنهج:

للإجابة عن مختلف مُتطلبات الدراسة اخترنا منهجَ مراجعة الأدبيات الذي سيمكننا من رصد المقالات والدراسات النقدية السابقة حول الجندر. وتمّ الاعتماد على برنامج زوتيرو، (Zotero) كأداة لحفظ المقالات وترتيبها ليسهلَ بعد ذلك قراءتها وتحليلها واستخراج محاورها.

التصميم:

واتبعنا مجموعةً من المراحل في تصميم الدراسة:

- ◀ مرحلة تحديد العنوان والكلمات المفتاحية للدراسة.
- ◀ مرحلة البحث في قواعد البيانات المتاحة باعتماد الكلمات المفتاحية.
- ◀ مرحلة تقييم وتنظيم الدراسات السابقة في قوائم المقالات الرئيسة والإضافية.
- ◀ مرحلة تحديد القائمة النهائية بعد تقييمها والتأكد من قيمتها العلمية.
- ◀ مرحلة قراءة وتحليل الدراسات السابقة واستخراج المحاور الرئيسة وتبويبها.
- ◀ مرحلة كتابة التقرير.

رصد البيانات:

تمّ رصدُ مجموعة من المقالات العلمية من خمس قواعد بيانات رقمية، باعتماد الكلمات المفتاحية الآتية: مفهوم الجندر، نظرية الجندر، النوع الاجتماعي، التحيز العلمي، المصداقية العلمية، التجارب الأولى، المغالطات العلمية، الغرب، علم النفس، الطب النفسي، الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، البيولوجيا، الفلسفة. وقواعد البيانات هذه هي؛ قاعدة كايرن انفو (Cairn)

قاعدة إلسفير (Elsevier)، قاعدة سبرينجر (Springer)، وقاعدة تايلر وفرنسيس (Taylor and Francis)، وقاعدة الجمعية العالمية لعلم النفس (APA). كما حدّدت تخصصات معينة، وهي على النحو الآتي؛ علم النفس، والطب النفسي، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، والصحة، والبيولوجيا، والدراسات الجندرية. وحددت الفترة الزمنية التي ظهر فيها المقال بين عام 2000 و 2023. كما تمّ الاطلاع على مقالات نقدية في مواقع مجلات وصحف إخبارية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية لإثراء معلوماتنا حول موضوع الدراسة والتعرّف إلى مواقف وردود أفعال حينية، في سياقات مختلفة، تجاه الجندر، نذكر منها: مجلة لوبوان (Le Point) ومجلة أبس (OBS) ومجلة غارديان (The Guardian)، ومجلة أبدو (Hebdo) ومجلة الكتيبة، ومجلة الفيصل.

معايير الإدراج والاستبعاد:

اقتصرت الدراسة من الناحية الموضوعية على المقالات العلمية والتقارير الطبية والنفسية، وبعض مقالات العلوم الاجتماعية التي نشرت في قواعد البيانات الرقمية العلمية، تناولت موضوع نقد دراسات الجندر، وتمّ بعد ذلك فرز المقالات حسب المعايير الآتية:

■ ■ معايير الإدراج:

- المقالات التي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة وتحتوي على الكلمات المفتاحية •
- المقالات المنشورة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية •
- مقالات التخصصات الآتية: علم النفس، والطب النفسي، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا •
- والفلسفة، والصحة، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب، وعلم الوراثة، والدراسات الجندرية •
- المقالات التي نُشرت ما بين عام 2000 و 2023.

■ ■ معايير الاستبعاد:

- المقالات السياسية •
- المقالات البعيدة عن موضوع الدراسة •
- المقالات المنشورة في مواقع غير معروفة •

■ عرض النتائج ومناقشتها:

أ. وصف البيانات وتقييمها

مكنت القراءة الأولى من رصد 60 مقالاً حول التحيز العلمي في دراسات الجندر، وبعد المزيد من الفحص والتدقيق في المحتوى ووجهة النشر، احتفظنا بـ 28 مقالاً علمياً مُفهرساً ومُحكماً في مجلات دولية معروفة؛ و10 فصول كتب، نشروا ما بين الفترة 2005-2023 .

ب. محاور المقالات:

تمَّ استخراجُ محاور المقالات حسب أهداف الدراسة الحالية، بعد تبويبها في جداول حسب عنوان الدراسة وتخصصها وتاريخ نشرها ونوع النقاش أو النقد الذي أثارته في دراسات الجندر، وهي أربعة محاور:

◀ المرجعية الفلسفية لفكرة الجندر.

◀ غموض مفهوم الجندر.

◀ التحيز العلمي في دراسات الجندر وتزييف النتائج.

◀ أدلة علمية جديدة عن الهوية الجندرية.

المحور ١ - المرجعية الفلسفية لفكرة الجندر: التنظير للهوية الفردانية:

بدأت فكرة الجندر من الفلسفة الوجودية الملحدة التي أسَّسها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (1905-1980) وروّجت لها رفيقة دربه سيمون دي بوفوار (1908-1986)، ووصلت إلى أوج ازدهارها في بداية القرن العشرين. والوجودية الملحدة اتجه فكري يغالي في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، إنه هو من يصنع نفسه وماهيته، شيئاً فشيئاً من خلال تجاربه الشخصية وقراراته، وقدراته الذاتية، التي يكتشف من خلالها قيم ومعاني الحياة، كما قال سارتر "أنا موجود فأنا أفكر" على عكس مقولة ديكارت. ورغم أنها فلسفة تلغي القيود على التفكير والعقل والمسؤولية، والأخلاق إلا أنها تلقي على عاتق الإنسان مسؤولية أن يكون سيد

نفسه، وتشترط في ذلك أن يتمتع بالحرية الكاملة في اختيار ما ستكون عليه ماهيته" (محمد، 2020)، ومن ثم فإنها تسقطه في دوامة الوحدة والاعتراب، والعبث واللامعنى واللامعيارية في أثناء رحلة بحثه عن ذاته ومعنى الوجود الخاص به، وكلها عوامل يمكن أن تفتك بهوية الإنسان وانتماؤه إلى مجموعة تراقبه وتضبط قيمه. هذه الفلسفة أطلقت العنان للشهوات والغرائز البهيمية الذي عاشه ويعيشه حتى اليوم المجتمع الأوروبي" (فياض، 2021) وقبل أن نجد لها تعريفاً متفقاً عليه، أو مُنظراً يُعرّف نفسه بأنه فيلسوف، فهي الوجود والتفرّد، والانغلاق وكسر القيود مع القيم الجماعية والوعي الجمعي، لذلك صنفت بفلسفة الغموض والإباحية. لاحظت سارت ذات يوم، أننا نقوم بتعريف العالم الذي يحيط بنا، بما فيه من أشياء وأشخاص، وفقاً لتمثلاتنا وطريقة إدراكنا له. أخذت دي بوفوار هذه الفخكرة وطبقتها على تمثّل الرجال للنساء، وأصدرت في هذا الصدد كتابها "الجندس الثاني" (1949)، الذي كان عبارة عن نصّ تأسيسيّ للحركة النسوية في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. جاء في هذا الكتاب: "إنّ مفهوم المرأة هو مفهوم ذكوريّ. المرأة دائماً هي "الآخر" إنّها هي الموضوع وما يجب أن تكون عليه المرأة يتمّ تخمينه من قبل الرجال. أي أنّ الرجل أساسٌ جوهريّ في صياغة الذات الأنثوية بكاملها" (Shaheen, 2019)، وبذلك طرحت دي بوفوار أول نظرية فلسفية حول الجندر بقولتها الشهيرة: "المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة" (الجندس الآخر، 1949) بمعنى أنّ المجتمع هو الذي يصنع شخصيتها وصفاتها الأنثوية، وليس الطبيعة أو البيولوجيا.

لا يفوتنا أن نذكر الحوارات التي دارت بين جان بول سارتر وسكريتيه ليفي يون؛ والتي نُشرت تحت عنوان: "الأمل الآن" (L'Espoir maintenant) عام 1980، وفيها تصريح سارتر بالرجوع عن نظراته الأولى للمسألة اليهودية واعتناقه المسيانية اليهودية (Coorebyter, 2004)، وأثارت تصريحاته جدلاً كبيراً في أوساط المفكرين والمثقفين في ذلك العصر إلى اليوم. لكن ما لا يمكن التشكيك فيه، تعاطف جون بول سارتر ورفيقته سيمون دي بوفوار المتكرر مع إسرائيل، حيث وقّع الثنائي قبل شهر من حرب 1967 بياناً ضمن 66 مثقفاً فرنسياً، دعا فيه الجمهور الفرنسي إلى دعم إسرائيل باعتبارها الدولة الوحيدة التي يجري تهديدها من القادة العرب" (Mardam-Bey, 2009)، وهو ما أدّى إلى تراجع الفلسفة الوجودية، خاصة في أوساط المثقفين

العرب الذين رأوا تناقضًا هائلًا وازدواجية سياسية في مواقف سارتر. وفي عام 1976، أربعة أعوام قبل موته، قبل سارتر تكريمًا وحيداً في حياته وهو الدكتوراه الفخرية من جامعة أورشليم العبرية وقد تلقاها من سفارة إسرائيل بفرنسا " (Mardam-Bey, 2009)، وكان قد رفض قبلها جائزة نوبل للسلام.

حياة سارتر ودي بوفوار كانت مليئة بالصخب والمغامرات والانحراف الأخلاقي، دي بوفوار كانت امرأة غلمانية، بشهادة العديد من الكتّاب المعاصرين، وكلّفها ذلك سحب رخصتها التدريسية مدى الحياة (9منن). " ففي عام 2008، تحدثت البريطانية كارول سيمور جونز، مؤلفة كتاب "العلاقة الخطيرة" (A dangerous liaison) عن سلوك دي بوفوار المنحرف وغير الأخلاقي، واصفة إياها بـ "المعتدية على الطفولة" أو الغلمانية. وفي عام 2015، تحدثت ماري جو بونيه في كتابها: "سيمون دي بوفوار والنساء" عن "العقد الشاذ" الذي كان يربط بين دي بوفوار وسارتر " (La Presse, 2019).

رغم كل ذلك، وجدت أفكار سارتر ودي بوفوار الأذان الصاغية لدى فئة الشباب وكذلك الحركات النسوية، الذين أثرت تأثيراً كبيراً وواسعاً في تلك الفترة، تحولت بعدها إلى قوانين وإجراءات وشعارات يسارية متطرفة، ثم تواصلت بعد ذلك في الحركات النسوية العالمية ومنظمات المجتمع المدني في أمريكا أولاً ثم بقية دول العالم أدت إلى تفكيك الهيمنة الذكورية وقلب موازين القيم الاجتماعية.

المحور ٢ - غموض مصطلح الجندر:

ناقشت جلّ الدراسات التي تم مراجعتها، مصطلح الجندر، واعتبرته من المصطلحات الفضفاضة والغامضة والمظلمة، إذ تعددت تعريفاته واختلقت، من لغة إلى أخرى، من ثقافة إلى أخرى، ومن تخصص إلى آخر، ولم يحض هذا المصطلح إلى اليوم، رغم مضي حوالي 70 سنة على ظهوره، بتعريف دقيق وجامع له، كما هو الشأن بالنسبة إلى الجنس البيولوجي الذي تحدده عوامل طبيعية مثل؛ التركيبة الفسيولوجية والبيولوجية للإنسان وبالتحديد الكروموسومات والهرمونات (Mayer et McHugh, 2016) باتفاق كل الناس مهما كانت ثقافتهم.

أ. مشكلة الترجمة:

على مستوى أصل المصطلح، عرف مفهوم الجندر العديد من الاشتقاقات والتقلبات اللغوية، بسبب تنقله وترحاله عبر القارات والثقافات، وما صاحبه من ترجمات وجدال حول الاختلاف بين الجنسين. ويعود أصل المصطلح إلى كلمة لاتينية (Genus) بمعنى "العرق، العائلة والوطن"، وكلمة فرنسية قديمة (Genre) وهي لا تعني شيئاً غير الفئات النحوية، تقابلها لفظة (Gender) باللغة الإنجليزية التي تعني "النوع الاجتماعي، أو الدور الاجتماعي، أو الصفات الاجتماعية، والنفسية، والثقافية والسلوكية التي تميز الرجل عن المرأة" (لاشونال، 2016).

في اللغة الفرنسية، وُجدت صعوبة في ترجمة مصطلح الجندر (gender)، ولم يُقبل كمرادف لمصطلح (genre). ووصفه بعض المحافظون والنشطاء الكاثوليك في فرنسا بالمصطلح الدخيل "لا علاقة له بالفروق بين الجنسين". وأقحم الكتاب والباحثون في جدال حول هذا التقسيم العشوائي بين الجنس والجندر، كما عبرت عن ذلك الكاتبة كولت شيلاند (Colette Chiland) في عام 1994، حين أشارت إلى أن التمييز الذي قام به الطبيب النفسي جون موني بين الجنس والجندر سيحملنا إلى الغموض، وعدم القدرة على تحديد الهوية الجنسية الطبيعية، كما اتهم بعض الأكاديميين الفرنسيين هذا المصطلح بعدم الحياد في دراسته للفروق بين الجنسين (Marchand, 2011, p.1)، رغم أنه لقي حاضنة في السنوات الماضية، لدى فئة أخرى من الأكاديميين، تبنته بحذر، وأوجدت له تعريفاً مؤقتاً على أن يتواصل التفكير لحسم أمر ترجمته.

تجدر الإشارة، إلى أن الجندر ليس له وجود عربي كمصطلح. وقد سعى بعضهم لطرح صيغة عربية للمصطلح مشتقة من جذور اللغة العربية، وهي: «الجنوسة» على وزن الأنوثة والذكورة. كما تستخدم أحياناً عبارة "النوع الاجتماعي"، بينما لقي المصطلح الإنجلوسكسوني أكثر رواجاً في كثير من بلدان العالم العربي. أمّا عن زمن ظهور المصطلح لأول مرة في العالم العربي، كان في وثيقة مؤتمر القاهرة للسكان 1994. ثم أُثير مرة ثانية في مؤتمر بكين للمرأة عام 1995 وقد شاع استخدام هذا المصطلح في المؤتمرات الدولية وتمت ترجمته إلى اللغة العربية.

أمّا في اللغة الإنجليزية والعالم الانجلوسكسوني، ذكر المصطلح في العديد من المرات في

المؤتمرات دون تعريف وتحت ضغط الدول، تم تشكيل فرق عمل للتعريف به، لكن خرجت لجنة التعريف بعدم تعريف المصطلح. ثم ظهر بعد ذلك في وثائق الأمم المتحدة الدولية: بمفهوم محدد يعني "الفروق بين الرجل والمرأة الحاصلة من الدور الاجتماعي المنوط بهما، والمنظور الثقافي والوظيفة لكل منهما، وهذه الفروق هي نتاج لعوامل دينية وثقافية، وسياسية واجتماعية" (الرفاعي، 2017). ومع بروز تيارات الحداثة والدراسات النسوية والجندرية، شاع مفهوم الجندر وانتشر في كل الأوساط الأكاديمية والتخصصات البحثية، وصاحبه مجموعة أخرى من التنظيرات الاصطلاحية، ظلت متضاربة في معظم الأحيان.

ب. مشكلة التعريف:

تُعرّف حركة النسوية العربية الجندر على أن: "النوع الاجتماعي (الجندر): يتعلّق بالأدوار المحدّدة اجتماعياً لكلّ من الذكر والأنثى، وهذه الأدوار تُكتسب بالتعليم وتتغيّر مع مرور الزمن، وتختلف اختلافاً واسعاً داخل الثقافة الواحدة، ومن ثقافة إلى أخرى، وهذا المصطلح يشير إلى الأدوار والمسؤوليات التي يُحدّدها المجتمع للمرأة والرجل، وهو يعني أيضاً: الصورة التي ينظر بها المجتمع إلى المرأة والرجل، وهذا ليس له علاقة بالاختلافات الجسدية (البيولوجية والجنسية)" (الصفحة الرئيسة الخاصة بموقع الحركة النسوية العربية، 2022). وتُعرّف الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA ب "الأدوار والسلوك والأنشطة والصفات التي يعدّها مجتمع ما مناسبة للفتيان والرجال أو للفتيات والنساء والتي هي مكتسبة اجتماعياً وتؤثر في سلوك الأفراد وردود أفعالهم، وعلى تفاعلهم وشعورهم تجاه أنفسهم، وإذا كانت جوانب الجنس البيولوجي متشابهة لدى الثقافات المختلفة، فقد تختلف أوجه الجندر بالأدوار المبنية اجتماعياً والسلوك والأنشطة والصفات التي يعدّها مجتمع ما مناسبة للرجال والنساء، أي أن" الفروق بين الرجل والمرأة الحاصلة من الاختلافات بين المجتمعات والدور الاجتماعي المنوط بهما هي نتاج لعوامل دينية وثقافية، وسياسية واجتماعية؛ صنّعها البشر عبر تاريخهم الطويل، ويمكن للفرد أن يغيّرها متى شاء حسب السياق والحاجة النفسية أو الاجتماعية دون أن يكون للمجتمع الحق في رفضه" (Mayer et McHugh, 2016, p. 75).

◀ مقابلة بين الفرد والمجتمع في المجتمعات الغربية:

توجد في التعريفات الغربية مقابلة بين الفرد والمجتمع في تعريف أدوار الجندر مع التأكيد على أمرين؛ الأول: العوامل التي تؤثر في هذه الأدوار، وهي الثقافة، والمجتمع والدين والسياسة، الثاني: حرية الفرد في تغيير جنده، باعتباره شخصية مستقلة، أن يغيرها (العوامل المؤثرة)، متى شاء حسب السياق والحاجة النفسية أو الاجتماعية دون أن يكون للمجتمع الحق في رفضه.

ت. قلب مفهومي الطبيعة والثقافة:

◀ الجندر ثقافي ومكتسب: (فرضية نصبح هكذا)

رغم تنوعها واختلافها، تتفق كل التعريفات السابقة على فكرة واحدة؛ وهي أن الجندر صفة مكتسبة، منفصلة عن الجنس البيولوجي، تحددها وتتحكم بها الأعراف الاجتماعية، التي تختلف باختلاف الثقافات، وتؤثر في الطريقة التي يشعر بها الفرد بنفسه وعلى سلوكه، وعلى كيفية تفاعله مع الآخرين. وهي بذلك، تقرر بأنه لا يمكن تحديد الجندر بيولوجيًا، وهذه أولى الحجج التي تثبت أن الجندر ثقافة العصر الحالي، وهي ثقافة الفردانية والانسلاخ عن جماعة الانتماء، ثقافة تفرض نوعاً آخر من التنشئة الاجتماعية، لتقوية الفرد، وفك ارتباطه بالمجتمع، وتغيير الأدوار التقليدية في الأسرة، والإطاحة بها، كما أشارت إلى ذلك عالمة الإنثروبولوجيا غايل روبن، "الجندر هو تقسيم للجنسين مفروض اجتماعيًا، وهو حصيلة العلاقات الاجتماعية المتعلقة بالغريزة الجنسية." وإن لم تتعرض لما فرض علينا اجتماعيًا لبقينا ذكوراً وإناثاً وليس رجالاً ونساءً" (1975) وتضيف الباحثة غايل "إذا تمّ بناء أدوار الجندر التقليدية اجتماعيًا يمكن أيضاً تفكيكها ويمكننا القضاء على "الغرائز الجنسية الإلزامية والأدوار الجنسية" وإنشاء "مجتمع خنثوي ومن دون جندر (ولكن ليس من دون جنس)، حيث تكون التركيبة البنيوية الجنسية لأي شخص منفصلة عن هويته الشخصية" (Mayer et McHugh, 2016, p. 75). وتؤكد هذه الفكرة صاحبة النظرية النسوية المؤثرة جوديث باتلر في كتابها "مشاكل الجندر: النسوية وتقويض الهوية" (1990) و"تفكيك الجندر" (2004)، أي تحدثت باتلر عن "نظرية الأدائية التي تقول بأن: تحديد الإنسان كامرأة أو كرجل لا يتعلق بكيونة الشخص لكن بأفعاله" وأن الجندر ليس نتيجة

سببية للجنس، ولا لما يتم إثباته ظاهرياً كجنس"، على حد تعبيرها. ولكن الجندر هوية تم بناؤها اجتماعياً وهي مستقلة عن الهوية البيولوجية، والصفات الجسدية، "هي حيلة غامضة السبب، ينتج عنها أن الرجل أو الذكر يمكن أن يتماثل بكل سهولة مع جسد الأنثى رغم أن له جسد ذكر، كما يمكن للمرأة أو الأنثى أن تتماثل بسهولة مع جسد الذكر رغم أن لها جسد أنثى." (Mayer et McHugh, 2016, p. 76).

◀ الجنس والجندر:

من أولى الدراسات الأكاديمية التي استعملت مصطلح الجندر، وميّزت بينه وبين الجنس، وأكدت على أنه مكتسب، دراسة عالم النفس وعالم الجنس الأمريكي جون موني (Money, 1955) حول اضطراب النمو الجنسي لدى الأطفال ذوي الأعضاء التناسلية المبهمة (1972) (الذين لم يتمكن الأطباء من تحديد جنسهم البيولوجي)، وقتها لاحظ موني، أن غالبية الأطفال يتماثلون مع الجنس الذي حدده لهم أولياؤهم منذ الولادة (مارشان, 2011)، وأوصلته تخميناته إلى وجود فرق بين الجنس البيولوجي والجندر الذي عرفه آنذاك بـ "الجنس النفس اجتماعي". وبذلك يكون أول من وضع حداً بين الجنس البيولوجي والجندر (Fassin, 2008, p. 375)، وأول من قال بإمكانية تغيير الجندر بالتنشئة الاجتماعية والعلاجات الطبية الجراحية والهرمونية. لكن الدكتور موني لم ينتبه إلى أمر؛ اضطراب النمو الجنسي كان يصيب الإناث أكثر من الذكور، وحدد لهم أولياؤهم جنس الأنثى، لذلك هم يتماثلون في أغلب الحالات مع جندر الأنثى، وبذلك يكون موني قد أقام دراساته على فرضيات غير علمية لأنه لم يستند إلى علم الوراثة أو البيولوجيا، ولكن على قدرة الجراحة في ذلك الوقت على معالجة الأطفال الذين يعانون من اضطراب النمو الجنسي (Mayer et McHugh, 2016).

◀ الهوية الجندرية:

بقيت المقاربة الثقافية طاغية على الجندر، رغم أن مصطلح الجندر انتقل إلى مصطلح الهوية الجندرية (بمعنى الهوية الجنسية الاجتماعية)، مع الطبيب والمحلل النفسي روبرت ستولر (1964)، صديق موني، في دراساته حول تأثير الأعضاء التناسلية الملتبسة على الهوية الاجتماعية،

وكذلك التحول الجنسي واضطرابات هوية الجندر لدى الأطفال والراشدين، ومكثته مقاربتة التحليلية من التمييز بين الجنس البيولوجي وهوية الجندر وعرفها بالهوية الجنسية التي تتكون اجتماعياً تحت تأثير عدة عوامل أهمها نوعية علاقة الطفل بأمه وأبيه منذ الأشهر الأولى من ولادته، يقول في هذا الإطار "إن جوانب الهوية الجنسية والتي نسميها بالـ"gender" تحددها الثقافة في المقام الأول، مما يعني أنها تُكتسب بعد الولادة، في حين أن الخصائص التي تميّز الذكر عن الأنثى هي خصائص تشريحية وجسدية". وهذا منعطف آخر عرفه مصطلح الجندر في علم النفس التحليلي. إذ بعد أعمال ستولر، أصبحت الفروق بين الجنس والجندر أكثر التباساً لدى الكثير من الباحثين في علم النفس والتحليل النفسي، إلى اليوم، رغم محاولات لاكان (Lacan) لتوضيحها، لأن كل مصطلحات وتنظيرات الهوية الجندرية بالمعنى الذي يقصده ستولر، تتعارض مع نظرية فرويد القائمة أساساً على النمو النفسي الجنسي، والتي على أساسها تتكون سمات شخصية الإنسان وهويته الجنسية (Freud's psychosexual theory of development).

وورث التيار النسوي مفهوم الجندر بكل تناقضاته والتباساته، من النظريات النفسية والتحليل النفسي، للاحتجاج على التمييز بين الرجل والمرأة المعتمد على الخصائص النفسية والجسدية بين الجنسين الذي "يفرض أنماطاً وقوالب جامدة على الهوية الجنسية" (Vaulx, 2021). وتفكيك الهيمنة الذكورية من الثقافة والمعرفة العلمية.

■ الجندر طبيعي وبيواجي (نولد هكذا):

إذا كان الجندر لا يتعلق بكينونة الشخص البيولوجية، ولكن بأدواره الاجتماعية التي ينشأ عليها منذ الصغر، كيف تُفسر ما ذهبت إليه بعض التجارب الجندرية الأخرى على التوائم وعلى الأطفال الذين يعانون من اضطراب في النمو الجنسي، والمتحولون جنسياً، في مجال الطب النفسي، وعلم الوراثة السلوكي، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب؟ في محاولاته التفسير المثلية الجنسية بحتمية بيولوجية، أي بأسباب جينية، وبيولوجية وهرمونية وخصوصاً باستعدادات عصبية. من بين هذه الدراسات، نذكر دراسة ميلتون ديامون (1965)، المعارضة لتجارب جون موني، والتي رفضت بشدة فرضية تأثير التربية والثقافة على هوية الجندر، لتأكيد فطرية الهوية الجندرية والميل الجنسي، وتأثرهما بعوامل بيولوجية حتمية كالميراث البيولوجي والهرمونات وخصائص الدماغ،

الجندر "ليس هوية نفس اجتماعية ولكن بيولوجية" (Marchand, 2011, p. 44) "نولد بها هكذا". ولتفسير ذلك، أشارَ ديامان (1965)، إلى أنَّ "الطفلَ يولد بهويتين: هوية جنسية باطنية وهوية جندرية ظاهرية؛ يعيش بهما معاً ويمكن أن تَطغى واحدة على الأخرى، إذ تتكون الأولى في مرحلة ما قبل الولادة وتتأثر بالنمط الجيني والخصائص الوراثية والهرمونية، وتشكل الثانية حسب نظرة الطفل لذاته الظاهرية تحت تأثير التربية والثقافة والبيئة التي نشأ فيها (مارشان، 2011، ص. 5)، هذا يعني حسب ديامان أن الطفل يولد باستعدادات بيولوجية تحدد ميله الجنسي، وبذلك أعطى ديامان تبريراً علمياً بيولوجياً للمثلية الجنسية. كما أكدت دراسة أخرى تفسير ديامان، وهي للطبيب النفسي جوزيف كالمان (1952)، مشيرة إلى أن تأثير الجينات على السمات، بما في ذلك الميل الجنسي، يكاد يكون حتمياً، بنسبة توافق مذهلة تبلغ 100 في المائة في عينة جميع أزواج التوائم المتطابقة التي شكَّلت موضوع دراسته؛ فإذا كان أحدهما مثلي الجنس، يكون الآخر مثلياً أيضاً. هذه الدراسات استبدلت المفهوم النفس اجتماعي للجندر بمفهوم بيولوجي، أي إن الهوية الجندرية الجنسية وراثية تتحدد بعوامل جينية، وبيولوجية وهرمونية وهو منعطف آخر يتناقض فيه مفهوم الجندر مع نفسه.

ناقشت دراسة فرغني (2007) ودراسة بوميبي (2020)، ودراسة شيلاند (2008)، وأيضاً كتاب سو (2022) تقلبات مفهوم الجندر، وكيف أضاع في خضم تحولاته مفهوم الجنس البيولوجي، ووضع مكانه مفاهيم جندرية أخرى غريبة ومتعددة؛ في شكل هوية جنسية اجتماعية، أو جنسية يمكن أن تتغير في أي وقت، حسب الأهواء والميول، متى شاء الشخص (Frignet, 2007, p. 24) كيف يمكن أن تؤثر كل هذه الهويات في تشكيل شخصية الطفل فتضعه في حيرة من أمره (Chiland, 2008). وتحديث بوباتي (2016)، في هذا الاطار، عن الصراع بين الأطباء النفسيين والمتحولين بخصوص معالجة مشكلة المتحولين جنسياً، وكيف يمكن أن تكون العلاج؟ هل على مستوى تغيير الأفكار والتنشئة؟ أم على مستوى التدخل الطبي والجراحة وحقن الهرمونات؟ وهي من القضايا الجندرية الجديدة (Beaubatie, 2016).

إذاً، لم تستطع كل التعريفات أو المقاربات أن تتفقَ على مفهوم واحد لتعريف الجندر، أو تفسير واحد للفروق بين الجنسين، أو بين الجنس والجندر، أو بين هوية الجنس والهوية الجنسية لفهم طبيعة الجندر؛ هل هو مكتسب أم طبيعي؟ هل تحدده الثقافة والمجتمع أم عوامل جينية،

بيولوجية، هرمونية، وعصبية؟ فكانت كل واحدة تنفي الأخرى، وبقيت كل واحدة تدور بمفردها في فراغ مجهول، لأنها تبحث في قضايا فطرية وبديهيات وحقائق راسخة ومستمرة لا تحتاج إلى المناقشة والتصحيح. فالهوية الجندرية لا يمكن أن تتكون بلا هوية جنسية (Rosenberg, 2017, p. 125)، أيضاً لا يمكن دراستها من خلال أشخاص يعانون من اضطرابات في نموهم الجنسي، أو بالشواذ، أو بالمتحولين جنسياً، وهم فئات تعاني من اضطرابات نفسية وعقلية، واجتماعية، وفسولوجية. كما أن الجنس البيولوجي لا يمكن محوه بجنس آخر وهمي حسب الأهواء والرغبات أو تغييره بالجراحة والهرمونات، رغم أن الجراحون اليوم، أصبحوا أكثر قدرة وكفاءةً، وبقيت هذه العمليات بلا جدوى، ولم تغير الجنس البيولوجي ولم تمكن من تحقيق الدور الإيجابي للجنس الذي تم التحول إليه. كما أن الجنس البيولوجي لا يمكن تغييره عن طريق التكيف والتنشئة الاجتماعية (Mayer et McHugh, 2016, p. 79).

يبدو أن مرونة هوية الجندر محدودة" (Mayer et McHugh, 2016, p. 79) كما أكد ذلك الدكتور ماير وماكهيو، وهو ما ينفي كل التجارب الطيبة والنفسية والتحليل الأثروبولوجية التي دخلت في صراع فرضية أن الهوية الجندرية فطرية أو مكتسبة طبيياً أو اجتماعياً، فألت كلها إلى الفشل.

المحور ٣ - التحيز العلمي في دراسات الجندر:

أ. تحيز الباحث:

◀ قلب مفهومي الصحة والمرض:

تشير دراسة ماسي (Macé, 2010) ودراسة جاك دريشر وآخرون (2016) إلى مدى تأثير التحيز العلمي في مسار الدراسات الجندرية وكيف قامت بقلب حقيقة علمية كانت ثابتة حتى العام 1953 في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM) المنشور عن الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين (APA)، مثل مفهومي الصحة والمرض، ومفادها أن الشاذ جنسياً يعاني مرضاً عقلياً ويجب أن يخضع إلى علاج. رغم أن فرويد لم يجزم بالحالة الصحية للشواذ وعدّ المثلية

شكلاً من أشكال عدم النضج النفسي وهي نوع من التوقف في التطور" (Drescher & Sebag, 2017, p. 32)، وفسرها بمجموعة من العوامل كالحرمان الجنسي، أو الرغبات الجنسية المثلية المكبوتة والمسقطّة والشعور بالإثم، تُدخل الفرد في حالة من "البارانويا" والهذيان، وهي وسيلة دفاعية للتصدي للرغبات الجنسية المثلية المكبوتة. ورغم المحلل النفسي ساندور رادو (1940) (Sandor Rado) قطع نهائياً مع تردد فرويد مؤكداً أنّ المثلية انحرافٌ في السلوك الجنسي، ومع ذلك؛ حُذف هذا التصنيف. وأصبح الشاذ جنسياً يُنظر إليه على أنه سليم مُعافى. فكما نعلم إنّ الأمراض النفسية المسجّلة في (DSM)؛ تحتاج إلى علاجٍ دوائيٍّ دائمٍ يلازمه علاجٌ نفسيٍّ. فما السبب لحذف هذا المرض من (DSM)؟ وما الحجج التي قدمت لإيقاف العلاج الدوائي والمتابعة النفسية؟

بيّنت دراسة مورين (2014) ودراسة ماسي (2010) أسباب انقلاب مفهومي الصحة والمرض بخصوص المثلية على النحو الآتي: لم يحدث ذلك نتيجة للأبحاث العلمية المؤكدة، ولكن لضغوط سياسية ولوبيات مثلية كانت تجري في الكواليس في الجمعية الأمريكية للطب النفسي. بعد حادثة غرين ويتش بمدينة نيويورك انطلقت أول مسيرة لمجتمع لي جي بي تي عام 1970 وألغت الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية في ذلك العام والعام التالي 1971 للتأثير عليها حتى استجابت لمطالبهم وقبلت أن يحضر اجتماعاتها نشطاء مثليين ليُدلوا بشهادتهم أمام أطباء النفس عن التمييز والعنف الذي يتعرضون له بسبب الدليل التشخيصي (Macé, 2010, p. 504). وفي عام 1973، اختفى التشخيص المرضي للمثلية، وبدأت الاتجاهات والتمثلات الاجتماعية تتغير تجاه هذه الفئة (Morin, 2014, p. 9).

قبل ذلك بنحو 60 عاماً، كان مجموعة من الأطباء المثليين، أبرزهم طبيب الغدد الصماء ماغنوس هيرشفالد (1910) وتلميذه هاري بنيامين (1914)، يعملون على إثبات أن المثلية الجنسية ليست مرضاً أو اضطراباً نفسياً وإنما شكّل ثالث من أشكال الجنسية مثلها مثل الذكورة والأنوثة (Macé, 2010, p. 501). كما فسّر هاري بنيامين المثلية على أنها غير مرتبطة بالنمو النفسي بل بالتطور الجنيني، حيث تؤثر أنماط هرمونية في الدماغ وهي أصل الاختلافات في التوجه الجنسي "مع أساس عضوي". واتفق هو وتلميذه مع مجموعة من الأطباء المثليين مثلهم، جراحون ومختصون في الغدد الصماء، على أن يكون العلاج على الجسم وجراحة الأعضاء وليس على مستوى التنشئة

الاجتماعية، فإذا لم تكن لهم القدرة على تغيير الجنس البيولوجي فإنهم سيعملون على إيجاد توافق بين الميول الجنسية الشاذة والجنس البيولوجي لتقليل المعاناة النفسية التي يشكو منها مرضاهم الوافدون عليهم بأفواج هائلة وبشكل جنوني من أجل إجراء عمليات جراحية تحول أجسادهم إلى شكل يستجيب لميولاتهم (Macé, 2010, p. 501).

ومن المفارقات العجيبة، أن يأتي تأييد ثان من أطباء وعلماء نفسيين على الرغم من معارضتهم في البداية لنظريات بنيامين فيما يتعلق بأسباب التحول الجنسي، لكنهم اتفقوا معه فيما يتعلق بشرعية العلاجات الهرمونية الجراحية (Castel, 2003; دريشر، 2009).

انطلاقاً ممّا طرح؛ ويتبين أنّ هوية الباحث وأخلاقه لها تأثير كبير على نتائج الدراسة التي يقوم بها، تحت ضغط من "اللوبي المثلي"، على المجتمع العلمي، قلبت المفاهيم العلمية فأصبحت المثلية سلوك سوي ممّا أدّى إلى تهاون في علاج هؤلاء الناس وازدياد أعدادهم. إزاء هذه الظاهرة المرضية تقف المجتمعات الغربية عاجزة؛ فالقوانين تُسنُّ الآن لشرعيتها في المحافل المجتمعية كافة بالتواطؤ مع الجهات الرسمية والقيادية والعلمية؛ ضاربةً عرض حائط الصيرورة التاريخية لنظام الأسرة الذي سوف ينهار ويتلاشى. فالغرب اليوم يصنع تابوته بيديه.

ب. تحيز التأكيد

◀ تجربة ألفرد تشارلز كينزي Alfred Kinsey

تحدثت دراسة شابرون وتقرير جمعية تجريم البیدوفيلي تحت إشراف فرنسوا وديبال (Debelle, François, 2020) عن التجاوزات العلمية والأخلاقية في دراسة ألفريد كينزي، وهو عالم حيوان أمريكي اهتم بحياة الدبابير قبل أن يهتم بالحياة الجنسية لدى البشر، ومؤسس معهد أبحاث الجنس في جامعة إنديانا ببلومغتون (Indiana university) عام (1947)، أين أشرف على دراسة مع فريق عمله، حول الحياة الجنسية لدى الأمريكيين، بتمويل من مؤسسة روكفلر (Rockefeller) ونشر نتائجها في كتابين، اشتهرا بتقارير كينزي؛ الأول كان عن سلوك الجنس لدى ذكر الإنسان (نشر عام 1948) والثاني عن السلوك الجنسي لدى أنثى الإنسان (نشر عام 1953) م. أدهشت نتائج هذه التقارير المجتمع الأمريكي آنذاك ثم ترجمت إلى 13 لغة، وحقق الكتابان مبيعات ضخمة،

وأصبح كینزی من المشاهیر .

ناقشت مقررات كینزی قضايا الجنس في المجتمع الأمريكي، نذكر منها ما يأتي: 46% من الرجال الأمريكيين لهم ميل جنسي لأشخاص من الجنسين، و 37% لهم على الأقل تجربة جنسية مثلية واحدة في حياتهم، و 50% من المتزوجين الرجال قاموا بعلاقات جنسية خارج نطاق الزواج. ونسبة أخرى من الرجال لها ممارسات جنسية ماسوشية وسادية (sodomasochisme)، مما أثار نسبةً عاليةً من الجدل سواء في عامة الناس أو في المجتمع العلمي الذي انتقد بشدة تقارير كینزی. ومن أكثر الأمور الصادمة في دراسته التي وثقها في أكثر كتبه شهرةً، فهي جدول هزات الجماع لدى أطفال قصر، بعضهم لم يتجاوز 3 أشهر من عمره، كما هو مبين في الجدول الآتي:

عمر الطفل	عدد هزات الجماع المسجلة	مدة الاختبار
5 شهور	3	؟
11 شهراً	10	ساعة
11 شهراً	14	38 دقيقة
11 شهراً	7	9 دقائق
سنتان	11	65 دقيقة
سنتان	4	دقيقتان
سنتان	6	5 دقائق
سنتان	17	10 ساعات
4 سنوات	26	24 ساعة
4 سنوات	7	3 ساعات
4 سنوات	8	ساعتان
7 سنوات	7	68 دقيقة

عمر الطفل	عدد هزات الجماع المسجلة	مدة الاختبار
8 سنوات	9	52 دقيقة
9 سنوات	14	24 ساعة
10 سنوات	11	ساعة
10 سنوات	19	ساعة
11 سنة	7	3 ساعات
11 سنة	3	3 دقائق
12 سنة	9	ساعتان
12 سنة	12	ساعتان
12 سنة	15	ساعة
12 سنة	7	24 دقيقة
12 سنة	8	24 ساعة
13 سنة	9	8 ساعات
13 سنة	3	70 ثانية
13 سنة	11	8 ساعات
13 سنة	26	24 ساعة
13 سنة	11	4 ساعات

وانتهى كينزي في دراسته بتوصيات أن الأمريكيين يفضلون ممارسة الجنس مع الأطفال

القصر وبذلك فتح الباب أمام البيد وفيلي وإباحة الحياة الجنسية لدى الأطفال القصر، قام بتفعيل هذا العمل المشين في شكل دراسة علمية مزيفة أوهمت الناس بأنها نتائج صحيحة وموضوعية (Chaperon, 2002).

هل يمكن لعينة من الأطفال الرضع أن تشارك في دراسة؟ حول الميل الجنسي؟ أثارت هذه النتائج جدلاً في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، واستمرت إلى اليوم وتركت أعماله تأثيراً كبيراً في القيم الاجتماعية والثقافية في الولايات المتحدة وكذلك على المستوى الدولي.

ت. تأثير "تحيز التأكيد" على مبادئ أخلاقيات البحث العلمي في دراسة كينزي:

تحت تأثير تحيز التأكيد استعمل كينزي كل الطرق حتى يصل إلى النتائج التي ترضيه، وتؤكد قناعاته، لذلك انتهك كل مبادئ أخلاقيات البحث العلمي:

◀ تمَّ انتهاك مبدأ صدق ونزاهة البحث: انتقد الإحصائي جون توكي (1954) منهجية كينزي وطريقة المقابلات التي جمع بها البيانات، والإحصائيات التي حلل بها النتائج (Debelle, 2020) لأن المقابلات كانت بالأساس مع رجال شواذ قابلهم كنزي في السجون الأمريكية، وعرفوا باغتصاب الأطفال. كما استنكر عالم النفس أبراهام ماسلو تمثيلية عينات دراسة كينزي (Chaperon, 2002)، التي وصلت إلى 17500 وكان أغلبهم من الطبقة الوسطى والبيضاء والحضرية والمتعلمة وليسوا كاثوليك أو يهود.

◀ تمَّ انتهاك مبدأ الموافقة المستنيرة: طريقة المقابلة نفسها ليست موثوقة لأنها أجريت مع متطوعين، يعني أنهم أقل خجلاً، وأكثر انفتاحاً، وربما يرغبون في المبالغة في الحديث عن ممارساتهم الجنسية المنحرفة أو لا يقولون الحقيقة. وبالتالي فإن هذا الجانب يُعدُّ "تحيزاً" ويؤكد عدم تمثيلية العينات (Chaperon, 2002). "حتى وإن كان حجم العينة كبيراً والنتائج مُدعّمة إحصائياً، تبقى دراسة كينزي مُتحيّزة ولا تعكس حقيقة الواقع الأمريكي في ذلك الوقت".

◀ تمَّ انتهاك مبدأ لا ضرر ولا ضرار: إذ ألحق جميع أنواع الضرر وإلى الحد الأقصى على عينة الأطفال الذين أجرى عليهم تجاربه.

■ تجربة جون موني:

تحدثت دراسة مارشان (2011) ودراسة فاسين (2008) عن تجربة عالم النفس النيوزلندي جون موني المتخصص في اضطرابات النمو الجنسي لدى الأطفال (1952) في مستشفى جونز هوبكنز، وبالتحديد في قسم علم الغدد للأطفال. قام عام 1965 بتجربة ليثبت أن التنشئة الاجتماعية، وليس الطبيعة، هي التي تحدد الهوية الجنسية والتوجه الجنسي للإنسان. وبذلك يكون أول من وضع فلسفة دي بوفوار في التجربة.

وكان المشارك هو طفل توأم يُسمى ديفيد رايمر ويبلغ من العمر 22 شهراً، تعرّض لفقدان عضوه الذكري خلال عملية ختان أُجريت له عام 1966. وفي التجربة، خضع الطفل لعملية جراحية لإعادة تحديد جنسه، حيث تمّت إزالة خصيتيه جراحياً. وأقنع الأبوين بأن تغيير جنس الطفل بروس هو الحل ليكون اسمه بريندا، ويبدأ سلسلة علاجات هرمونية حوّلت حياة الصبي إلى جحيم، فمما له ثديان وحدث ضمور تدريجي في العضو الذكري، إلا أنه في سنّ البلوغ، أصبح صوته أجش تماماً وبرزت له العضلات، وحتى سلوكه لم يتغير مُطلقاً عن أيّ صبي على الرغم من محاولات والديه إقناعه بأنه أنثى وعدم إخباره بالحقيقة إلا بشكل متأخر تماماً وعند بلوغه عامه الرابع عشر. ولم يكتف جون موني بهذه التغيرات الطبية، ولكن كان يُجري تجارب جنسية على الطفلين التوأمين ويقوم هو بتصويرهم، وكان يُروّج للأمر على أنه مسرحية أو بروفا جنسية للطفولة من أجل هوية جنسية صحية لدى البالغين. كانت نتائج تجارب موني مُريعة بشتى الطُرق، إذ إن الطفل بروس الذي حوّله لأنثى خضع بعد ذلك لعدة عمليات لمحاولة العودة كذكر من جديد وغير اسمه إلى ديفيد إلا أنه يبدو أنه فشل بشدة لينتحر في عمره الـ38 بعد عدة محاولات سابقة باءت جميعها بالفشل، أمّا شقيقه رايان فقد أُصيب بالفصام وأصبح يعاني من اضطرابات جنسية متنوعة قبل أن ينتحر هو الآخر.

■ تأثير "تعزيز التأكيد" على مبادئ أخلاقيات البحث العلمي في دراسة

موني:

◀ تمّ انتهاك مبدأ "أخلاقيات المهنة": صنفت لجنة أخلاقيات أبحاث علم النفس تجربة "دايفيد رايمر" بغير الأخلاقية.

- ◀ تم انتهاك مبدأ "لا ضرر ولا ضرار": لم تمثل تجربة موني لمبدأ "لا ضرر ولا ضرار"، لأن ديفيد رايمر عانى من ضرر نفسي خطير انتحر بسببه في سن 38 عامًا. بالإضافة إلى ذلك، أضرت التجربة بأسرته بشكل غير مباشر: كانت والدته تفكر في الانتحار، وكان والده مُدمنًا على الكحول، وانتحر شقيقه التوأم، الذي كان يعاني من اكتئاب شديد، بعد انتهاء التجربة.
- ◀ تم انتهاك مبدأ "المشاركة التطوعية": لم يتطوع ديفيد رايمر في الدراسة، وكان والداه مرعوبين بالقدر نفسه من اقتراح تغيير الجنس، لكنهما وافقا في النهاية، ولم يطلعوا على نوايا الدكتور موني.
- ◀ تم استخدام الطفل ديفيد لإثبات "نظريته والتي تنصُّ على أنه يمكن تغيير الجنس من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية.
- ◀ تم انتهاك مبدأ "الموافقة المستنيرة" حيث لم يتم إبلاغ والدي "ديفد" بشكل صحيح على التجربة. ولم يتم إخبارهم بما كان يحدث خلال اجتماعات التوأمين مع دكتور موني.
- ◀ تم انتهاك مبدأ "التقارير الدقيقة" حيث كتب الدكتور موني تقريراً عن دراسته وادَّعى أنَّ التجربة حققت نجاحًا كبيراً وأنَّ نظريته مدعومة، وهو ما يتناقض بشكل كبير مع البيانات الواردة في التقارير السابقة، إذ قام دكتور موني بتزوير نتائج التجربة.
- ◀ تم انتهاك مبدأ الواجب المهني": من الواضح أنَّ عائلة رايمر كانت تعاني من مشاكل نفسية كبيرة، لكن الدكتور موني رغم أنه معالج نفسي لم يقيم بدوره.
- ◀ تم انتهاك "حقوق الانسحاب": إذ أُجبر ديفيد وشقيقه التوأم بريان على السفر إلى بالتيمور لعقد اجتماعات سنوية مع دكتور موني حتى رفضوا (ليس لأن لديهم الحق في الانسحاب، ولكن لأنهم كانوا خائفين جداً من رؤيته (Soh, 2020).

المحور ٤ - أدلة علمية جديدة تُفسر الهوية الجندرية وتدحض كلُّ الفرضيات:

وردَ في تقرير أشرف على إعداده الدكتور والطبيب النفسي بول مك هيو والطبيب الجراح لورنس س. ماير تحت عنوان: "الغريزة الجنسية والجندر" (2016) مراجعة دقيقة لمجموعة من الأبحاث في العلوم البيولوجية والنفسية والاجتماعية حول الجندر والميل الجنسي أثبتت أن:

■ الهوية الجندرية هوية معتلة ومريضة:

"إنّ الشباب من مجتمع (LGBT) (المثليّات والمثليّين وثنائيّ الجنس)، هم أكثر عرضةً للاكتئاب مقارنةً مع الشباب متبايني الجنس. كذلك؛ هم أكثر عرضةً لمحاولات الانتحار والتفكير به، وهم أيضاً أكثر عرضة للعنف والتحرش والتشرد. كما أنّ الأفراد من (LGBT)، في أوائل مرحلة الرشد أو منتصفها هم أكثر عرضةً لاضطرابات المزاج والقلق والاكتئاب والتفكير بالانتحار ومحاولات الانتحار" (Mayer et McHugh, 2016, p. 56).

■ الهوية الجندرية غير مدعومة بأدلة علمية بيولوجية وعصبية أو جراحية:

◀ "إن فرضية أنّ الهوية الجندرية عبارة عن سمة فطرية وثابتة للإنسان مستقلة عن الجنس البيولوجي، أي أنّ الشخص قد يكون "رجلاً محتجز في جسم امرأة" أو "امرأة محتجزة في جسم رجل"، ليست مدعومة بأدلة علمية.

◀ وفقاً لتقديرات صدرت مؤخراً، يتطابق حوالي 0.6 في المائة من الراشدين في الولايات المتحدة مع جندر لا يتوافق مع جنسهم البيولوجي، وهي نسبة ضعيفة جداً.

◀ أظهرت دراسات قارنت بين هيكلية دماغ مغايري الهوية الجندرية ودماغ غير مغايري الهوية الجندرية علاقة ضعيفة بين هيكلية الدماغ و التتطابق مع الجندر الآخر. وهذه العلاقة لا تقدم أي دليل على وجود أساس عصبي حيوي للتطابق مع الجندر الآخر.

◀ بيّنت المقارنات مع مجموع السكان في أمريكا، أنّ الأشخاص الذين خضعوا لجراحة إعادة تحديد الجنس هم أكثر عرضة لاضطرابات نفسية وعقلية. إذ وجدت إحدى الدراسات أن الأشخاص الذين قاموا بإعادة تحديد جنسهم، مقارنة مع الذين يكبحون أنفسهم، كانوا أكثر عرضة لمحاولة الانتحار بحوالي 5 مرات، وأكثر عرضة للموت بالانتحار 19 مرة.

◀ يُشكّل الأطفال حالة خاصة في معالجة قضايا مغايري الهوية الجندرية. فأقلية من الأطفال فقط يستمرون في التطابق مع الجندر الآخر ويتغير كل شيء ويعودون إلى هويتهم الطبيعية في سنّ المراهقة والرشد.

◀ لا توجد أدلة علمية كثيرة حول القيمة العلاجية للتدخلات الطبية التي تؤخر سنّ البلوغ أو تُعدل خصائص الجنس الثانوية للمراهقين.

◀ لا وجودٌ لأيِّ دليلٍ على أنه يجب تشجيع جميع الأطفال الذين يكشفون عن أفكار أو سلوك جندي على أن يصبحوا من مغايري الهوية الجندرية" (Mayer et McHugh, 2016, p. 7).

خاتمة و خلاصة:

هدفت الدراسة الحالية إلى مراجعة الدراسات النقدية للجندر للوصول إلى أدلة علمية عن التحيز العلمي في هذه الدراسات، ولتحقيق أهداف الدراسة تم مراجعة 27 مقال علمي تم رصدهم من قواعد البيانات العلمية المتاحة، وأفضى التحليل إلى رصد 5 محاور:

بين المحور الأول: المرجعية الفكرية لمفهوم الجندر، وهي الفلسفة الوجودية الملحدة التي أسسها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر وروّجت لها سيمون دي بوفوار، وهي فلسفة تُكرّس الفردية وتبذ القيم والأخلاق الاجتماعية، انطلقت شعلتها الأولى من خلال قوله دي بوفوار الشهيرة "المرأة لا تولد امرأة ولكن المجتمع من يجعلها هكذا بصفات المعروفة من رغبة بالأمومة ورعاية للأطفال". وتحدثت العديد من الكتاب عن ازدواج شخصية هذا الثنائي "سارترودي بوفوار"، على المستوى الفكري والأخلاقي والسياسي، وقد أصابهم بالخيبة وخاصةً مثقفي ذلك العصر. فالمهد الفلسفي من أهم المراحل التي تتكون خلالها الأفكار والنظريات العلمية، فإذا فسد الأصل مال الفرع.

كما تبين في المحور الثاني كيف ناقشت جلّ الدراسات النقدية، مصطلح الجندر، واعتبرته من المصطلحات الفضفاضة والغامضة والمظلمة، إذ تعددت تعريفاته واختلفت ترجماته، من لغة إلى أخرى، من ثقافة إلى أخرى، ومن تخصص إلى آخر، ولم يحض هذا المصطلح إلى اليوم، رغم مضي حوالي 70 سنة على ظهوره، بتعريف دقيق وجامع له، كما هو الشأن بالنسبة إلى الجنس البيولوجي الذي تُحدده عوامل طبيعية مثل؛ التركيبية الفسيولوجية والبيولوجية للإنسان وبالتحديد الكرموسومات والهرمونات (Mayer et McHugh, 2016) باتفاق الجميع. إذ أكّد التعريف العربي على الدور الاجتماعي والصور النمطية لتحديد الفروق بين الجنسين؛ المرأة والرجل، ذلك لأنها مجتمعات جماعية (collectivist societies)، تُكرّس القيم والروابط الاجتماعية وتتحاكم فيما بينها بالتصنيفات الاجتماعية، وما الصور النمطية إلاّ أسماء وأوصاف لعت كل صنف؛ فحين يوصف الرجل بالرجولة والمرأة بالعفة يصبح الاقتداء والتماثل بهما سهلاً على

الفرد، لأن الصور النمطية ليس كلها سيء ومشين. بينما قامت التعريفات الغربية على إثارة فكرة الصراع بين الفرد والمجتمع، والضغط على الفرد لممارسة حريته في تغيير "جنده" متى شاء، حسب السياق والحاجة النفسية، أو الاجتماعية، دون أن يكون للمجتمع الحق في رفض رغباته أو منعه، فهي مجتمعات فردية (individualistic societies)، قطعت شوطاً هائلاً في مسار الحرية الفردية بدعم الحركات الليبرالية والفردية التي تناضل من أجل تحرير الفرد والدفاع عن مصالحه، فوق اعتبارات كل أنواع السلطة (الدولة والمجتمع والدين). كما أثارت هوية الجندر صراعاً بين من يقول بأنها مكتسبة ومن يقول بأنها طبيعية، بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبية والبيولوجية، رغم أن الاتجاهين شرعوا للمثلية الجنسية والتحول الجنسي، كل حسب حججه وتجاربه ونظرياته. لكن بقيت محاولات تعريف وفهم مصطلح الجندر عاجزة عن تقديم مفهوم واحد شامل للفروق بين الجنسين، فكانت كل واحدة تنفي الأخرى، وبقيت كل واحدة تدور بمفردها في فراغ مجهول، لأنها تبحث في قضايا فطرية وبديهايات وحقائق راسخة ومستمرة لا تحتاج إلى المناقشة والتصحيح.

في المحور الثالث، بيّنت المراجعة للأدبيات النقدية حجم التحيزات العلمية (confirmation bias)، الموجودة في دراسات الجندر، وتعلق أغلبها بتحيز الباحث وتحيز التأكيد (confirmation bias)، وتعود هذه التحيزات والأخطاء، إلى ميل الباحثين الجندريين الأوائل إلى تأكيد أفكارهم وقناعاتهم وقدكلفهم هذا الأمر ما كلفهم، دون اعتبار لمبادئ أخلاقيات البحث العلمي (Larivée et al., 2019)، بدءاً بماغنوس (Magnus) وتلميذه بنيامين (Benjamin) ثم جون موني (Money) وكنزي (Kensey) وتجاربه الجنسية الشنيعة على الأطفال الرضع، وهم كلهم كانوا مثليين، وأثر تحيزهم بصورة مهولة على كيفية تصميم تجاربهم وعلى النتائج، فتمّ انتهاك مبدأ صدق ونزاهة البحث: لأنّ المقابلات كانت بالأساس مع رجال شواذ قابلهم كنزي في السجون الأمريكية، وعرفوا باغتصاب الأطفال، ومبدأ الموافقة المستنيرة ومبدأ لا ضرر ولا ضرار. قلبت حقيقة علمية كانت ثابتة حتى العام 1953 في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM) المنشور عن الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين (APA)، مثل مفهوم الصحة والمرض، ومفادها أنّ الشاذ جنسياً يعاني مرضاً عقلياً ويجب أن يخضع إلى علاج، لكن بسبب ضغط اللوبي المثلي على الجمعية الأمريكية للطب النفسي حذف التصنيف المرضي للشواذ،

وأدمجوا مع الأسوياء.

ويمكن تجميع التحيزات العلمية التي زيفت الدراسات الجندرية في فئتين: تحييز "الاتفاق الزائف" (false uniqueness)، يجعل التحييز الأول مجموعة من الناس يبالغون في تقدير مدى اتفاق الآخرين معهم من حيث آرائهم، ومعتقداتهم، وقيمهم وخصائصهم وخبراتهم وسلوكهم (Verhac, 2000). هذا يعني أن تأثير الاتفاق الزائف يقود الناس إلى افتراض أن الآخرين يشبهونهم أكثر مما هم عليه في الواقع. مثلاً؛ عندما يعتقد شخصٌ ما اعتقاداً راسخاً أنّ شذوذه الجنسي سلوك سليم، بسبب تأثير الاتفاق الزائف (تحييز الإسقاط)، فإنه سيعتقد أن سلوكه الشاذ سائد بين الناس وسيعمل على تأكيده بكل الحجج العقلية. رغم أن الواقع هو عكس ذلك. حسب علماء النفس الاجتماعيين، هذا النوع من التحييز المعرفي هو عملية تفكير غير واعية يختصُّ بها الإنسان العادي وليس المفكر والعالم. ومن أسباب تحييز الاتفاق الزائف نذكر؛ ميل مجموعة ما إلى التفكير في آرائهم وتجاربهم وسلوكهم أكثر من التفكير في آراء الآخرين، أو تفضيل آراء جماعة الانتماء أكثر من آراء الجماعات الأخرى مما قد يؤدي بهم إلى إسقاط وجهات نظرهم وخبراتهم وأحكامهم المسبقة على الآخرين. فهم يدخرون الجهد ويعتمدون بدرجة أكثر على المعلومات التي يسهل عليهم تذكرها في تقييم آراء وأفكار الآخرين وهذا يمكن أن يشوه نظرتهم إلى الواقع، أيضاً رغبة بعض المجموعات إلى الشعور بالرضا عن أنفسهم وزيادة احترام الناس لهم، بسبب الأحكام السلبية الموجهة إليهم والتي سببت لهم سوء التقدير من طرف الآخرين.

أدى هذا التحييز التأكيدي إلى المبالغة في تقدير صحة أفكارهم ونتاجهم إلى أن أصبحوا يعتقدون أن الآخرين يشبهونهم في سلوكهم وقناعاتهم وآرائهم، فكانت كل دراسة تدعم الأخرى حتى تعزز وهم الاتفاق الزائف وأدى إلى استقطاب أعداد أخرى كبيرة من الباحثين وحتى عامة الناس إلى الالتفاف حول مفهوم الجندر والاختلاف به دون وعي بخطورته تحت تأثير ضغط التماثل الاجتماعي (social conformity). من عواقب الاتفاق الزائف، انتشار دراسات مُضللة للرأي العام وخنق الأصوات المعارضة لفكرة الجندر واستبعادها من المجتمع العلمي، لنمر إلى مرحلة أخرى، ولعلنا نحن فيها الآن، وهي التفرد الزائف ((Valins & Nisbett, 1972))، بعد أن تتكون مجموعة كانت تشعر أنها مهمشة، فترفض مشاركة

معايير المجتمع وتخلق لنفسها نمط عيش معاكس ومختلف، شعارها: "نحن الأفضل". (we are the better). كما أكدت ذلك نتائج تابا تشنيك وكروكر وألوي (1983) وساندرا ومولين (1983)، الذين قاموا بدراسة حول هذه الظاهرة، وتبين أن الأشخاص الذين يمتلكون سمات غير مرغوب فيها اجتماعياً هم من يبالغون في استعمال الاتفاق الزائف (Suls, J. and Wan, 1987, C.K.), في حين أن الأشخاص الذين يحملون سمات مرغوبة لا يلجأون إلا نادراً إلى تحيز الاتفاق الزائف. ويمكن أن يتفاقم هذا التحيز إلى ظاهرة أكبر وأخطر من ذلك وهي الجهل التعددي (pluralistic ignorance) ويسمى أيضاً بتأثير المتفرج، كأن يزدري الناس سلوك "المثلي" أو "الشاذ" أو فكرة الجندر بصورة خفية لكنهم يدعمون هذه الأفكار أمام العامة. أثر الجهل التعددي يجعل الناس تفترض بصورة خاطئة أن الأغلبية تفكر بصورة مشابهة لها بينما الأغلبية في الواقع لا تفكر بنفس الطريقة ويعبرون بصراحة عن معارضتهم. فيعتاد الناس الشذوذ والأعمال المشينة تحت سطوة العلم، وتحت تأثير الإعلام، وكل البرامج الدعوية التي أعدت للجندر، لتوجيه اللاوعي الجماعي، يجعل الناس لا يحركون ساكناً لما يدور حولهم، بدون أدنى قلق أو رفض، وهذا ما يهدد المجتمعات الإنسانية قاطبة. ولكي يتجنب الباحث الوقوع في التحيز، عليه بالشفافية والحيادية (Larivée et al., 2019) وقبول آراء المعارضين، ومراقبة أهوائه وأحكامه المسبقة، لأنها تأتي غالباً من تجاربه الخاصة، ومن ثقافة مجتمعه. إذاً، إن أحد الأسباب الأكثر شيوعاً للأخطاء التي تؤثر في نتائج البحث العلمي وتضعف نزاهته وتجعله أقل مصداقية هو التحيز وعدم الحياد (دليل البحوث العلمية، 2023). و كل إنسان مطالب أيضاً باليقظة والانتباه، وهي قدرات على الأسرة والمدرسة أن تنميها في الطفل، بتنشئته على الأخلاق الحميدة، وعلى حس النقد وإعمال العقل.

أمّا في المحور الرابع والأخير، تبين من تقرير أشرف على إعداده الدكتور والطبيب النفسي "بول مك هيو" والطبيب الجراح ماير تحت عنوان: "الغريزة الجنسية والجندر" (2016) أن الهوية الجندرية ومجتمع (LGBT) (المثليات والمثليين وثنائيي الجنس)، يعانون من أمراض عقلية ونفسية متعددو، فهم أكثر عرضةً للاكتئاب والتفكير بالانتحار ومحاولات الانتحار (Mayer et al., 2016, p. 56). كما قدم مجموعة من الدراسات الحديثة تفند كل الفرضيات القائمة على فطرية الهوية الجندرية أو اكتسابها اجتماعياً.

الجندر دعوة كاذبة مُزيّفة من أصحاب فكر فاسد ونفسيات مريضة ومُشوّهة تعتقد أنها على حق، تُغطي نواياها بسلطة العلم وسطوة المال والنفوذ. والعلم الذي لا يقيد بالأخلاق لا يمكن أن يعود بالنفع على البشرية.

حدود البحث:

تُقدّم الدراسة مُلخّصاً دقيقاً عن الدراسات النقدية الغربية للجندر وتبقى أوجه القصور فيها لغة المقالات التي تمّت مراجعتها (فأغلبها بالفرنسية والإنجليزية) ومصدرها قواعد البيانات الرقمية التي تمّ اعتمادها، وهذا ما وضع حدوداً على نتائج الدراسة، التي نأمل أن تدعم نتائج دراسات عربية أخرى وتكون نقطة انطلاق لبحوث مستقبلية عربية وتساعد القارئ على فهم أعمق لنظرية الجندر.

الخاتمة والمقترحات:

في ظلّ الدراسة الحالية، تقترح الباحثة:

- ◀ ضرورة توعية الباحثين وعامة الناس بخطورة نظرية الجندر.
- ◀ تسليط الضوء على الدراسات الجندرية والبرامج التي تسعى إلى تطبيقها السياسات العامة والمنظمات الدولية.
- ◀ إجراء الدراسة الحالية على الدراسات النقدية العربية بخلفيتها الأخلاقية الإسلامية.
- ◀ إجراء الدراسة الحالية على المقالات النقدية للجندر في كل لغات العالم خاصة وإنّ مشكلة الترجمة تمّ تجاوزها بفضل البرامج الرقمية.
- ◀ توحيد الفكر الإنساني المحافظ والحر والشريف لمواجهة أفكار الجندر.

المراجع

الأجنبية

- ▶ Beaubatie, E. (2016). Psychiatres normatifs vs. Trans' subversifs ?Controverse autour des parcours de changement de sexe. Raisons politiques, 62(2), 131-142. Cairn.info. <https://doi.org/10.3917/rai.062.0131>
- ▶ By: Phil Gaetano. (2017, novembre 15). David Reimer and John Money Gender Reassignment Controversy : The John/Joan Case. Arizona State University. School of Life Sciences. Center for Biology and Society. Embryo Project Encyclopedia.,
- ▶ Chaperon, S. (2002). Kinsey en France : Les sexualités féminine et masculine en débat. Le Mouvement Social, 198(1), 91-110. <https://www.cairn.info/revue-le-mouvement-social-2002-1-page-91.htm>
- ▶ Chiland, C. (2008). La problématique de l'identité sexuée. Neuropsychiatrie de l'Enfance et de l'Adolescence, 56(6), 328-334. <https://doi.org/10.1016/j.neurenf.2008.03.009>
- ▶ Coorebyter, V. de. (2004). L'espoir maintenant, ou le mythe d'une rupture. Les Temps Modernes, 627(2), 205-227. <https://www.cairn.info/revue-les-temps-modernes-2004-2-page-205.htm>
- ▶ Cornel, T. (2021). Contested Numbers : The failed negotiation of objective statistics in a methodological review of Kinsey et al.'s sex research. History and Philosophy of the Life Sciences. <https://www.semanticscholar.org/paper/Contested-Numbers%3A-The-failed-negotiation-of-in-a-Cornel/252da163f77bc86e59bf421312814e1e98df4e0>
- ▶ Debelle, François. (2020). Les rapports du très controversé Dr Kinsey (espace collaboratif contre la Pédocriminalité 1.6.2.; Jonas). chrome-extension://efaidnbmnnnibpcajpcgclefindmkaj/https://plateformejonas.fr/

wp-content/uploads/2020/06/1.6.2.-Rapports_du_tres_controverse_Dr_Kinsey_.pdf

- ▶ Diamond, M. (1982). Sexual identity, monozygotic twins reared in discordant sex roles and a BBC follow-up. *Archives of Sexual Behavior*, 11(2), 181-186. <https://doi.org/10.1007/BF01541983>
- ▶ Drescher, J., & Sebag, C. (2017). Destins de l'homosexualité dans le mouvement psychanalytique: *Érès*, n° 12(2), 29-50. <https://doi.org/10.3917/insi.012.0029>
- ▶ Fassin, É. (2008). L'empire du genre : L'histoire politique ambiguë d'un outil conceptuel. *L'Homme*, 3-4(187-188), 375-392. <https://doi.org/10.4000/lhomme.29322>
- ▶ Frignet, H. (2007). Fabrication du genre, effacement du sexe : Un court abrégé historique. *La revue lacanienne*, 4(4), 21. Association de psychanalystes. <https://doi.org/10.3917/lrl.074.0021>
- ▶ Jean-Paul Sartre devant la question juive. (1947). *Le Monde Juif*, 910(5), 33-37. <https://www.cairn.info/revue-le-monde-juif-1947-5-page-33.htm>
- ▶ Jessen, R. S., and al. (2021). Navigating in the dark : Meta-synthesis of subjective experiences of gender dysphoria amongst transgender and gender non-conforming youth. *Social Science & Medicine*, 281, 114094. <https://doi.org/10.1016/j.socscimed.2021.114094>
- ▶ Klinkenberg, M. (2016). Le mauvais genre ? Genre, sexe et société: *Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale*, Numéro 110(2), 247-269. <https://doi.org/10.3917/cips.110.0247>
- ▶ La Presse. (2019). Faut-il juger Simone de Beauvoir ? La Presse. <https://www.lapresse.ca/societe/2019-05-20/faut-il-juger-simone-de-beauvoir>
- ▶ Lachenal, P. (2016c). « Le genre est à la mode ». In *Questions de genre* (p. 35-41). Le Cavalier Bleu; Anthropologie. <https://www.cairn.info/questions->

de-genre--9791031800950-p-35.htm

▶ Lachenal, P. (2016d). Le genre est une théorie. In Questions de genre (p. 51-57). Le Cavalier Bleu; Anthropologie. <https://www.cairn.info/questions-de-genre--9791031800950-p-51.htm>

▶ Lachenal, P. (2016e). « Le genre vient des États-Unis ». Idées reçues, 15-26. <https://www.cairn.info/questions-de-genre--9791031800950-page-15.htm>

▶ Lachenal, P. (2016j). « Seules les sciences sociales s'intéressent au genre ». In Questions de genre (p. 67-74). Le Cavalier Bleu; Anthropologie. <https://www.cairn.info/questions-de-genre--9791031800950-p-67.htm>

▶ Larivée, S., Sénéchal, C., St-Onge, Z., & Sauvé, M.-R. (2019). Le biais de confirmation en recherche. Revue de psychoéducation, 48(1), 245-263. <https://doi.org/10.7202/1060013ar>

▶ L'espoir maintenant, ou le mythe d'une rupture | Cairn.info. (s. d.). Consulté 10 décembre 2023, à l'adresse <https://www.cairn.info/revue-les-temps-modernes-2004-2-page-205.htm>

▶ Macé, É. (2010). Ce que les normes de genre font aux corps / Ce que les corps trans font aux normes de genre. Sociologie, 1(4), 497. <https://doi.org/10.3917/socio.004.0497>

▶ Marchand, J.-B. (2011). Différence des sexes ou distinction sexe/genre. In Le sexuel, ses différences et ses genres (p. 39-56). EDP Sciences; Psy. <https://doi.org/10.3917/edk.chaud.2011.01.0039>

▶ Mardam-Bey, Farouk. (2009). Sartre, Israël et les Arabes : La « détermination affective » | Cairn.info. Matériaux pour l'histoire de notre temps, 4(96), 38-41. <https://www.cairn.info/revue-materiaux-pour-l-histoire-de-notre-temps-2009-4-page-38.htm>

▶ Mayer et McHugh. (2016). La sexualité et Le genre Conclusions de la

- biologie, la psychologie, et les sciences sociales. *A Journal of Technology and Society / The New Atlantis*, Numéro 50 ~ Automne 2016, 110. https://www.thenewatlantis.com/docLib/20170413_TNA50SexualityandGenderFR.pdf
- ▶ Morin, I. (2014). Sexe maudit, réel transcendant. *Psychanalyse*, 30(2), 7-27. <https://doi.org/10.3917/psy.030.0005>
 - ▶ Polderman, T. J. C., Kreukels, B. P. C., Irwig, M. S., Beach, L., Chan, Y.-M., Derks, E. M., Esteva, I., Ehrenfeld, J., Heijer, M. D., Posthuma, D., Raynor, L., Tishelman, A., Davis, L. K., & on behalf of the International Gender Diversity Genomics Consortium. (2018). The Biological Contributions to Gender Identity and Gender Diversity : Bringing Data to the Table. *Behavior Genetics*, 48(2), 95-108. <https://doi.org/10.1007/s10519-018-9889-z>
 - ▶ Pommier, G. (2020). LGBT... H. À propos de l'extension de la reconnaissance des genres. *La clinique lacanienne*, 31(1), 9-23. <https://doi.org/10.3917/cla.031.0009>
 - ▶ Rosenberg, M. I. (2017). Le pouvoir de l'autonomination. Sur la loi argentine d'identité de genre. *Cliniques mediterraneennes*, 95(1), 123-132. <https://www.cairn.info/revue-cliniques-mediterraneennes-2017-1-page-123.htm>
 - ▶ Shaheen, S. (2019, décembre 21). نء راوفوود وود نوميسدء آراء : ءأرما بي حببصد نأ . بي وئذلاًأ حسسجدلاً . Boring Books. <https://boringbooks.net/2019/12/simone-de-beauvoir-on-female-embodiment.html>
 - ▶ Soh, D. (2020). *The end of gender : Debunking the myths about sex and identity in our society* (New York, NY : Threshold Editions, an imprint of Simon&Schuster, Inc). First Threshold Editions hardcover edition. <https://cmc.marmot.org/Record/.b61665447>
 - ▶ Suls, J. and Wan, C.K., W. (1987). In search of the false-uniqueness phenomenon : Fear and estimates of social consensus. *Journal of Personality and Social Psychology*, 52(1). <https://doi.org/10.1037//0022->

3514.52.1.211

- ▶ Tahon, M.-B. (2015). Chapitre 4. De la différence des sexes au différend des sexes. In Sociologie des rapports de sexe (p. 95- 114). Presses universitaires de Rennes; Anthropologie. <https://doi.org/10.4000/books.pur.24327>
- ▶ Vaulx, S. S. de. (2021, juillet 12). اسانجتسدالةسونجلاي عامتجلا عونلا) ردنجد [Billet]. Les carnets de l'ifpo. <https://ifpo.hypotheses.org/11249>
- ▶ Verliac, J.-F. (2000). L'effet de Faux Consensus : Une revue empirique et théorique. L'Année psychologique, 100(1), 141-182. <https://doi.org/10.3406/psy.2000.28631>

العربية

- ◀ الجليدي، مصدق. (2022). مقارنة النوع الاجتماعي ومحاولات إدماجها في مناهج التعليم، قراءة نقدية. أواصر للثقافة والفكر والحوار.
- ◀ الدريج، محمد. (2017). نظرية النوع في التربية والتعليم : الأسس والخلفيات والمخاطر. مجلة علوم التربية، 67، ص. 8.
- ◀ الرفاعي، ل. (2017). « مفاهيم جندرية ».. من ملكية الجسد إلى تطبيع الشذوذ. الجزيرة نت.
- ◀ الصفحة الرئيسية الخاصة بموقع الحركة النسوية العربية
- ◀ العيسى، د. إ.ع. (2020, août 18). ما هي أخلاقيات البحث العلمي ؟. تعليم جدي
- ◀ المساهمات النسوية في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. /
- ◀ تجمّع سوريات من أجل الديمقراطية « الجندر من النسوية إلى ما بعد النسوية (من سيمون دو بوفوار إلى جوديث بتلر)
- ◀ خضر، ح. (2019). مفهوم الجندر- دراسة في معناه، ودلالاته، وجذوره، وتياراته الفكرية. موقع مجلة الاستغراب، 16
- ◀ رودجرز، وآخرون، & ترجمة القرني، متعب. (s. d). جنون الفلاسفة. الفيصل،
- ◀ فهدا، ز. (2020). الجندر. مجلة مع الشاب، 9. <http://maaalshabab.iicss.iq/?id=188>
- ◀ فياض، د. ح. ا. (2021) نقد رؤية الفلسفة الوجودية للإنسان والواقع الاجتماعي.. دراسة

تحليلية - نقدية. تبيان.

- ◀ محمد, م. ع. س. (2020). الإنسان في الفلسفة الوجودية عرض ونقد. مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط, 38(1), 63
- ◀ يغل وآخرون, & ترجمة القرني. م. الحياة السرية لمفكرين وفلاسفة.. صراعات وجنس و خيالات مازوشية. مجلة الفيصل
- ◀ هيئة التحرير. (2023). قراءة في كتاب "قلق الجندر": الجندر والسلطة.. تمارين في تخريب الهويّات الجاهزة - الكتيبة
- ◀ يكيبيديا. (2023) جان بول سارتر—ويكيبيديا
- ◀ مقاربات النوع الاجتماعي ونظرية الهوية الجنسية حسب جوديث بتلر. boukultra | شريان المعرفة.

قوانين الشذوذ الجنسي أداة لإخضاع الجاليات المسلمة في الغرب

د. سهام محمد عزوز

أكاديمية متخصصة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

ملخص

في نصف قرن تقريباً، خرج الشاذون جنسياً في العالم الغربي من مخابئهم، وانتقلوا إلى العمل العلني المنظم، ثم انتزعوا الاعتراف من الحكومات والهيئات الدولية. وتابعوا مسيرتهم عبر تكديس الإنتاج، فصارت لهم أدبياتهم ورموزهم وألعابهم الأولمبية، ثم انخرطوا في العمل السياسي؛ فصاروا برلمانيين وعمداء مدن ووزراء وزعماء أحزاب. فكيف يمكن للجاليات المسلمة في الغرب أن تحمي نفسها من ثقافة الشذوذ والتحول الجنسي التي فرضتها الحكومات الغربية تحت شعار الحريات وحقوق الانسان ومناهضة التمييز والكرهية؟ وفقاً للاعتبارات القانونية والاجتماعية فإن هذه الجاليات ملزمة بحكم المواطنة على تقبل القوانين والإجراءات التي تفرضها حكومات هذه الدول. لكن القوانين الغربية أيضاً خاصة المتعلقة بالحقوق والحريات العامة تمنح مواطني هذه الدول (الجاليات المسلمة جزء أساسي من المواطنة) إمكانية حماية خصوصيتها الدينية والثقافية. وأمام الجدل حول مسألة الاندماج تبقى مسألة الخضوع لقوانين معينة قد تمس بالخصوصية الدينية والثقافية مسألة حساسة للغاية. من هذا المنطلق تُعدُّ قوانين الشذوذ الجنسي الغربية أداة ضغط سياسي واجتماعي على الجاليات المسلمة، وتُشكّل عائقاً أساسياً أمام الاندماج في هذه المجتمعات

الكلمات المفتاحية:

الشذوذ الجنسي، قوانين حماية الشاذين والمثليين، الاندماج الايجابي، جماعات الضغط، الاقتصاد الوردي.

المقدمة:

تأجج موضوعُ الشذوذ الجنسي في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، وازداد مع إطلالة الألفية الحالية، وأصبحت له أصداء لا يمكن تجاهلها من الناحية القانونية، فثمة ثورة على تشريعات الدول التي تُجرِّمُ الشذوذ الجنسي (القانون الأوغندي المناهض للشذوذ الجنسي. 2023)⁽¹⁾، كما غزا موضوع الشذوذ وثائق الأمم المتحدة، وتمَّ تأييد إلغاء تجريم الشذوذ الجنسي من لجان الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان، وتصدَّت المحاكم في العديد من الدول للقوانين التي تُجرِّمُ الشذوذ الجنسي بشكل صريح في المؤتمرات الدولية والإقليمية. بات الأمرُ المؤرَّق والمخيف في بحث موضوع الشذوذ الجنسي في القوانين الوضعية الحالية، أي التنظيم القانوني والتشريعي للشذوذ، والاعتراف للشاذين بالحق في تكوين أسرة شاذة موازية للأسر الطبيعية، واستطاع أنصار الشذوذ أن يقحموا موضوعهم ضمن موضوعات حقوق الإنسان وابتعدوا عن مصطلح الشذوذ مقابل الترويج لمصطلح المثلية الجنسية الذي يعدُّونه أكثر لطفًا ومرونةً للتقبل المجتمعي. وانتقل دعاة الشذوذ من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم ومن مرحلة الاختفاء إلى المجاهرة حيث تحدوا القوانين والشرائع التي تُجرِّمُ هذا الفعل وتُجرِّمه، ورغم قلة عدد الدول التي تُجيز تشريعاتها الشراكة الشاذة «المثلية» و«الزواج المثلي» إلا أنه يزداد اتساعًا بإجازة الزواج المثلي أو الشراكة المثلية (ظاهرة الشذوذ الجنسي في الواقع المعاصر).

من الضروري في هذا الإطار تسليط الضوء على أهداف الترويج لثقافة الشذوذ الجنسي داخل الغرب. وتجدر الإشارة إلى أنه في داخل الغرب، هناك مواكبة لتنامي نفوذ لوبي الشاذين

1 - دخل القانون حيز التطبيق بعد التصويت عليه في البرلمان الاوغندي في 21 أيار/مايو 2023. وقد أثارت المصادقة البرلمانية على مشروع القانون- بعد فشل الضغوط الغربية في حث اوغندا على التراجع عن اصداره- موجة استنكار واسعة من قبل الجهات الغربية الداعمة لثقافة الشذوذ الجنسي.

جنسياً في الإدارات السياسية وخصوصاً في الولايات المتحدة. وهناك مكافحة لنمو انتشار الجاليات المسلمة في الغرب من خلال إخضاعهم لقوانين تغير مبادئهم وانتماء جيلهم القادم. إضافة إلى توظيف التيار الليبرالي/ اليساري في الغرب للانحراف الجنسي في مواجهة التيار المحافظ.

واللافت أنه وعلى الرغم من كل السعي الغربي إلى جعل هذه الثقافة المشوهة أمراً واقعاً- إلا أنه يمكن القول بأن المجتمعات الغربية بين داعم ورافض ومحايّد، تواجه بسببها التفكك والتشرذم والانحلال، لتتحول من مجتمعات منتجة إلى مجتمعات ميتة (عجوز). في الوقت الذي نجد فيه الجاليات المسلمة تنمو وتتطور وتتعلم، وتستفيد من التكنولوجيا والتطور في الغرب، لتصبح عنصراً مؤثراً وفعالاً في بناء المجتمعات الغربية، حيث يتحول هؤلاء من مهاجرين ووافدين إلى دول الغرب، إلى مواطنين ومشاركين فاعلين في المجتمعات الغربية. لذلك تبدو اليوم أكثر استهدافاً لأنها أصبحت تُشكّل عبئاً على مشاريع صنّاع القرار الغربيين الذين يعملون على فرض شروط صعبة ومعقدة للاندماج. في الواقع، تواجه الجاليات المسلمة تحديات كبيرة في الغرب بين الاندماج في المجتمعات الغربية، والتمسك بالخصوصية الدينية والثقافية، والصعوبات في التأقلم والاندماج. إضافة إلى ضريبة البقاء واعتراف الغرب بالجاليات المسلمة، والدفع نحو مزيد من الانسلاخ عن الهوية الإسلامية. ويبرز الإشكال هنا، في مسألة الاندماج الكلي كشرط أساسي للبقاء والعيش في دول الغرب. فالغرب يتعامل مع الجاليات المسلمة كأقليات فاعلة إذا اندمجت كلياً، ولكنه يعدّها أقليات هامشية غير فاعلة إذا تمسكت بخصوصيتها الدينية والثقافية ورفضت الاندماج الكلي.

من هذا المنطلق تطرح الإشكاليات الآتية: لماذا يراد للجاليات الإسلامية الخضوع لقوانين الشذوذ الجنسي؟ ما الدوافع الحقيقية لذلك؟ هل تعدّ ضريبة البقاء والاندماج في المجتمعات الغربية، هي التخلي عن الثواب والخصوصية الدينية والثقافية؟ ما الآثار والتداعيات المباشرة وغير المباشرة لقوانين الشذوذ الجنسي ونشر ثقافة الانحراف على الجاليات المسلمة؟ هل بإمكان الجاليات المسلمة، وتحت عنوان: الاندماج الثقافي والاجتماعي التأقلم مع هذه المظاهر المغايرة؟ ما السبل الكفيلة بمواجهة هذه المظاهر والضغط؟ وما السقف السياسي والاجتماعي الممكن اعتماده في ذلك؟

المبحث الأول: قوانين الشذوذ الجنسي: أداة للضغط السياسي والاجتماعي على الجاليات المسلمة في الغرب

السؤال الأهم هنا هو كيف يتم فرض قوانين الشذوذ في المجتمعات الغربية والتي تعد الجاليات المسلمة جزءاً أساسياً فيها بعنوان الاندماج الثقافي والاجتماعي (مطلب أول)، ومن ثم مختلف المخاطر التي تمس الجاليات المسلمة والتمدينة (مطلب ثاني).

■ المطلب الأول: فرض قوانين الشذوذ الجنسي بعنوان: الاندماج الثقافي والاجتماعي.

هذا المطلب الأول ستعرض لكيفية إخضاع الجاليات المسلمة لقوانين الشذوذ الجنسي بما يخالف شروط الاندماج الإيجابي في المجتمعات الغربية، ودور جماعات الضغط الغربية المروجة لثقافة الشذوذ في ضرب الفطرة الطبيعية والهوية الإنسانية. إضافة إلى دور قوانين الشذوذ كأدوات تنفيذ لمشاريع الاقتصاد الرأسمالي المتوحش.

1. إخضاع الجاليات المسلمة لقوانين الشذوذ مخالف لشروط الاندماج الإيجابي يطرح الاندماج كما يطلبه الغرب لتقبل الجاليات المسلمة في بنيتها الاجتماعية، العديد من الإشكاليات، ذلك أن الاندماج وإن كان مفروضاً على الوافد الذي يترك بلده ويأتي إلى الغرب جالباً معه ثقافة خاصة ومنهajaً خاصاً للحياة، إلا أنه سيكون عليه وأحب أساسي وهو التأقلم بشكل واضح في المجتمع الغربي، ليجد نفسه هنا بين افتراض الذوبان الكلي في هذا المجتمع الغريب عنه والمختلف في كل شيء، وبين الانصهار في متطلباته وتطوراته جزئياً مع الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية والدينية. من هنا تبدأ المشكلة، ففي قضية الشذوذ الجنسي التي طرحها الغرب تحت شعار الحريات، ويبدو تقبلها منافٍ تماماً للالتزامات الدينية والأخلاقية ليس فقط على المسلمين بل على كل الطوائف والجماعات المتدينة في الغرب. (بان غانم أحمد الصائغ، وضع الجاليات المسلمة في المجتمعات الأوروبية/الغربية، أبحاث كلية التربية الأساسية، ص36).

إن مشكلة الجاليات المسلمة هي مشكلة حضارية، ثقافية، وسياسية بشكل عميق، ويجب ألا تنحصر هذه المشكلة في الإحصاء أو الديموغرافيا، أو الفروقات في التقاليد فحسب لأن الأرقام التي ترد في هذا الإطار إنما هي رموز ينبغي فكها. ومما لا شك فيه أن معظم الجاليات المسلمة في أوروبا يرتبطون عاطفياً وثقافياً، إلى حد كبير بأوطانهم الأصلية، كما أنهم مرتبطون بالأسس الدينية التي جلبوها معهم من بلدانهم والتي ترتبط بدورها بالهوية الثقافية والدينية والعادات والتقاليد، وبالتالي فإن أي مواقف أوروبية غير منصفة تجاه قضايا الجاليات المسلمة في أوروبا ستعكس سلبيًا على مواقفهم.

من هذا المنطلق سيجد هؤلاء الوافدين أنفسهم أمام إشكاليات كثيرة وخيارات محدودة. واقعاً، من الإشكاليات الكبيرة التي تعترض حياة المسلمين في الغرب، هي اندماجهم أو عدم اندماجهم في الواقع الجغرافي الجديد الذي هاجروا إليه.

لا شك أن الغرب يعاني منذ سنوات طويلة من غياب القيم الأخلاقية والدينية، خاصة بعد أن استبعدت الكنيسة بمفهومها التوعوي من ساحة المواجهة الفكرية في المجتمعات المسيحية، مما خلق حالة من الفراغ الأخلاقي والقيمي الذي كان له تأثير على بناء الفرد الأوروبي والغربي. هذا الفرد الذي انغمس في عالم الاستهلاك والاستمتاع بكل ما هو سهل ومتوفر وقادر على تحقيق الرغبات دونما حدود تفرضها قواعد أخلاقية معينة أو دينية متأصلة ومرتبطة بالمؤسسة الدينية، أو بالعادات والتقاليد.

باتت المجتمعات الغربية منذ سقوط الكنيسة وظهور العلمانية، مجتمعات لا دينية في أغلبها، تحكمها ضوابط ما يُسمى بالقوانين والأنظمة الوضعية الشاملة، وهي بعيدة كل البعد عن القيم الدينية المحافظة. وأصبحت هذه المجتمعات الغربية في مجملها غير قادرة على تحمل عبء تعاليم الكنيسة وقيودها. وعُدَّ هذا التمرد تطوراً فكرياً وإنسانياً بنيت عليه العديد من الموسوعات الأخلاقية الجديدة في غرب جديد محدث ومتطور ينشد الاستمرارية بالعلم والتكنولوجيا والثقافة المجردة والأهم من ذلك الفردانية وذوبان الفرد في الرغبات والخيارات الفردية بحدود وضوابط ولكن تحت سقف واضح ألا وهو الحرية الكاملة والكامنة التي يحميها القانون.

أصبح التطور في الغرب مرتبطاً أساساً بفكرة التجرد من القيم التقليدية البالية، والابتعاد

قدر الإمكان عن قيود كَبَلت في نظر المتمردين عليها عقولهم وأفكارهم ورغباتهم لسنوات طويلة. لذلك، أصبحت هذه المجتمعات اليوم-وعلى الرغم من محاولة البعض- الادعاء بالتزامها الأخلاقي والقيمي والإنساني، مجتمعات فاشلة أخلاقياً وإن كانت ناجحة تنظيمياً وتكنولوجياً ومواكبة لكل تطورات العصر الحديث الذي لها دور في صناعة جزء أساسي منه. وأمام هذا التمرد ظهرت العديد من المظاهر الشاذة والمختلفة، وباتت النظرة إليها تتطور شيئاً فشيئاً باعتبار أن هناك هامشاً من الحرية في الخيارات والإنجازات طالما أنها «غير مؤذية» بالمفهوم المجتمعي الشامل لأنها تبقى خياراً شخصياً، فهي بالتأكيد مقبولة ومُصنفة كجزء من التعبير عن الذات الشخصية التي لديها كل الحرية في اختيار ما تريد ولو كان خيارها مخالفاً للطبيعة. من هذا المنطلق، وفي نصف قرن من الزمن تقريباً، خرج الشاذون جنسياً في العالم الغربي من مخابئهم السرية، وانتقلوا إلى العمل العلني المنظم، ثم انتزعوا الاعتراف من الدول والحكومات والمجتمعات والهيئات الدولية مثل المنظمة العالمية للصحة التي شطبت على الشذوذ الجنسي كمرض نفسي عقلي ليصير عملاً سوياً لا ضير فيه (Sheila Mysorekar, 2019 *Homosexuality is not a disease*) ومثل الاعتراف بالتنظيم الدولي للشاذين والسحاقيات من قبل هيئة الأمم المتحدة. وتابعوا مسيرتهم عبر تكديس الإنتاج الأدبي والفني والإعلامي، بل والرياضي، فصارت لهم أديباتهم ورموزهم وألعابهم الأولمبية، ثم انخرطوا في العمل السياسي فصاروا نواباً برلمانيين وعمداء مدن ووزراء وزعماء أحزاب في حكومات الغرب.

لكن الأخطر من ذلك هو تركيز هؤلاء على الأطفال والناشئة ومحاولة احتوائهم من خلال تطويعهم لتقبل هذه الظاهرة وصولاً إلى المشاركة فيها ونشرها عبر المدارس والحضانات ونوادي الرياضة الشبابية ورياض الأطفال. لقد بدأ التفكير جدياً من قبل صنّاع القرار الغربيين في كيفية إنشاء منظومة قانونية وإجرائية تسمح للشواذ بالاندماج في المجتمعات بشكل طبيعي ومنظم، وعليه بُنيت القوانين والأنظمة الفاعلة لتحقيق ذلك. في تقرير صادر عن الاتحاد الأوروبي في (EU (FRA), A long way to go for LGBTI equality, Publication Office, 2023 في 2020). (بدأ العمل جلياً وفقاً لخطة محكمة هدفها نشر ثقافة الشذوذ ومنح المنتمين إليها مزايا فاعلة تفرض وجودهم في المجتمع بشكل كبير. ويشير التقرير الأوروبي إلى أنه في 12 نوفمبر

2020، اعتمدت المفوضية الأوروبية أول استراتيجية للمساواة مع مجتمع الشواذ أو ما يُسمَّى (LGBTIQ1) على الإطلاق للفترة 2020-2025 المشار إليها باسم «استراتيجية» LGBTIQ. عمل الاتحاد الأوروبي ليس فقط على فرض الاعتراف الرسمي والقانوني بالشاذين والمثليين، إنّما عمل على تقنين ذلك في إجراءات لتصبح أدوات ضغط تستخدمها الحكومات الأوروبية ضد مواطنيها خاصة الرافضين منهم للاندماج مع هذه الظاهرة. في السنوات الأخيرة، واجه الاتحاد الأوروبي والعالم تحديات غير مسبقة خاصة مع ارتفاع عدد ما أسماهم «ضحايا العنف بسبب اختلافهم الجنسي» (Jacob Poushter and Nicholas Kent, «The Global Divide on Homosexuality Persists», 2020.) والذين يُصنّفهم الاتحاد كأشخاص الأكثر ضعفاً. حيث انتشرت الكراهية والخطابات المناهضة لمجتمع الشاذين جنسياً على نطاق واسع في المجتمعات الأوروبية، وهو دليل على أنّ تقبل هذه الظاهرة في هذه المجتمعات لم يكن سهلاً، على عكس ما كان يعتقد البعض، خاصة من صنّاع القرار. في العديد من البلدان الغربية تلعب الإيديولوجية السياسية أيضاً دوراً في قبول المثلية الجنسية. فالمنتسبون إلى اليمين السياسي أقل قبولاً للمثلية الجنسية من أولئك الموجودين على اليسار. كما أن أنصار العديد من الأحزاب الشعبوية اليمينية في أوروبا هم أقل ميلاً إلى اعتبار المثلية الجنسية أمراً مقبولاً.

2. دور جماعات الضغط الغربية المروّجة لثقافة الشذوذ في ضرب الفطرة الطبيعية والهوية الإنسانية:

يُروّج لثقافة الشذوذ الجنسي، لوبي من الأغنياء والمتنفذين في العالم من الذين يمتلكون رؤوس أموال كبيرة، وشركات كبرى، ومؤسسات يطلق عليها بالمؤسسات «الخيرية» وأخرى «حقوقية»، تعمل على نشر «السعار الجنسي»، أو ما يُسمَّى

Sex Assignment Surgery Market. (Report, Sex Reassignment Surgery Market Size - Global Industry, Share, Analysis, Trends and Forecast 2023 – 2032).

تسعى هذه الجهات المروّجة إلى تحقيق العديد من الأهداف، وهي نشر التعليم الجنسي الشامل، وفتح المجال لسوق الاتجار بالبشر، وتجارة الجنس، إضافة إلى تشريع الإجهاض،

وبيع أعضاء الاجنّة المجهضة. إضافة إلى ذلك نجحت هذه «اللوبيات» في فتح سوق جديدة في مجال جراحة التجميل المرتبطة بالتحول الجنسي والتسويق للأدوية الهرمونية المرتبطة أيضاً بإيقاف سنّ البلوغ لدى الأطفال تمهيداً للمرور إلى مرحلة التحول الجديد. وتحت شعار «تمكين الأطفال من التمتع بالحياة التي يستحقونها»، بدأ العمل من قبل المروجين لهذه الثقافة على تهيئة الحلقة الأضعف في البنية الإنسانية وهي الطفولة لتكون حلقة الاستهداف لهذه الثقافة وأبعادها. عمل المروجون على جمع ورصد كل المقومات اللوجستية والإعلامية والتعليمية لضرب هذه الفتنة الهشة، وإغراقها في مآهات التحول الجنسي. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل عملت هذه الجهات على توريث كل الكيانات والمنظمات الدولية على الإحاطة بالشذوذ، والاعتراف به كممارسات مقبولة في المجتمعات. ركّزت هذه المنظمات على حقّ الإنسان في تغيير جنسه من ذكر إلى أنثى أو العكس، أو ما يُعرف ب Transgender، والذي كان ممنوعاً منغاً باتاً في السابق، ثم أصبح مسموحاً به لمن هم فوق سنّ 18 بدون موافقة الوالدين، ثم بعد ذلك أصبح مسموح به لمن هم فوق 12 سنة، إلى أن وصلنا لمن هم بعمر 4 سنوات الذين أصبح لديهم الحق في الاختيار، أمّا البقاء على ما هم عليه أو التغيير الكامل لجنسهم.

الأخطر من كل هذا وذاك، هو تجارة الأدوية الهرمونية أو ما يُسمّى ب Puberty Blockers أي حاصرات البلوغ أو مانعات البلوغ، التي تجتاح الأسواق العالمية اليوم. يبدو أن التنوع الجسدي هو القضية الأساسية، وليس اضطراب الهوية الجنسية. ويبدو أكثر أن الهدف الأساسي هو إلغاء ارتباط الناس ببيولوجيتهم عن طريق تشويه الفطرة التي خلقوا عليها، لتطبيع تغيير البيولوجيا البشرية. إن إضفاء الطابع المؤسسي على أيديولوجية المتحولين جنسياً، ونشر ثقافة الشذوذ، يفعل ذلك بالضبط. يتم الترويج لهذه الإيديولوجية على أنها قضية حقوق مدنية من قبل رجال أثرياء، يتمتعون بنفوذ هائل والذين سيستفيدون شخصياً من أنشطتهم السياسية. اعتمد هؤلاء المتنفذين على شركات ومنظمات وجمعيات لدعم نشر الشذوذ والتحول الجنسي، ومنهم من أنشأ مؤسسات حقوقية شعارها «حقوق الشواذ والتحول الجنسي»، كما أنها بدأت تستثمر مئات الملايين لتغيير برامج التعليم والاعلام والقوانين، لكنهم يحصلون على إضعاف الأموال من خلال استعباد البشر للجنس وتحويلهم لأدوات شهوانية. يمكن الإشارة هنا لبعض الأسماء التي لها دور أساسي في الترويج: جينيفر بریتزكر (ذكر متحول جنسياً)؛ جورج سوروس (أحد

أكبر المتحكمين في اقتصادات العالم)، مارتين روثبلات (ذكر متحول جنسياً)؛ تيم جيل (شاذ)؛ دروموند بايك، وارين وبيتر بافيت؛ جون سترايكر (شاذ)؛ مارك بونهام (شاذ)؛ وريك ويلاند (شاذ متوفى لا يزال عمله الخيري موجَّهًا نحو مجتمع الميم). كل هذه الأسماء المذكورة تمول بشكل مباشر أو غير مباشر، جماعات الضغط ومنظمات المتحولين جنسياً من خلال منظماتهم الخاصة، بما في ذلك الشركات. ومن اللافت أن كلَّ الاستراتيجيات التي تعتمد عليها هذه المؤسسات تركّز عملها الأساسي على دعم مسالة الشذوذ وانتشار ثقافة التحول الجنسي نظراً إلى أهميتها كسوق جديد يمكن الاعتماد عليه وتفعيله بكل الوسائل. (Who are the Rich, White Men institutionalizing transgender Ideology? The Federalist,2018).

3. قوانين الشذوذ الجنسي أداة تنفيذ لمشاريع الاقتصاد الرأسمالي المتوحش:

تظهر الجهات الداعمة وبعض جماعات الضغط المساهمة في نشر ثقافة الشذوذ الجنسي، والتحول الجنسي عبر إجراء العمليات الجراحية وتناول الأدوية الهرمونية، كأكثر الجهات المستفيدة من هذا الاستثمار، حيث تشكّل المساهمة فيه مليارات الدولارات، وهذا دليل إضافي على أن هذه الجهات المتنفذة حريصة كل الحرص على نشر هذا الوباء العالمي بقطع النظر عن أي ضوابط أخلاقية أو إنسانية، فقط لأنه اقتصاد جديد، واستثمار جديد مربح من وجهة نظرهم. وفقاً لموقع Grandview research بلغت قيمة حجم سوق جراحة تغيير الجنس في الولايات المتحدة 1.9 مليار دولار أمريكي في عام 2021، ومن المتوقع أن يتوسع بمعدل نمو سنوي مركب ليبلغ 11.23% من عام 2022 إلى عام 2030.

إضافة إلى ذلك، تعدُّ مناعات سنّ البلوغ، Puberty blockers (Mayo Clinic Staff, Puberty Blockers for Transgender and gender-diverse youth 2023) من الأسواق المتنامية الأخرى. تم إعداد ذراع الجراحة التجميلية للطب من أجل تحقيق الأرباح، بالإضافة إلى عمليات زرع الأعضاء، وخاصة عمليات زرع الرحم للرجال الذين يعرفون على أنهم نساء وقد يرغبون في الحمل في المستقبل.

(Allison Parshall, What are Puberty Blockers, and How they work? Scientific American,2023)

من منطلق هذا السوق الجديد خرج مصطلح ما يُسمَّى «بالاقتصاد الوردي»، وهو مصطلح لوصف القوة الشرائية للمجتمع من هؤلاء الأشخاص الذين لا ينجبون بمحض إرادتهم، وقد يتزوج بعضهم لكنهم يتفوقون مع شركائهم على البقاء بدون أبناء، وصولاً إلى فئة الشاذين جنسياً أو المثليين والمتحولين وأشباههم. يعد الاقتصاد الوردي ظاهرة اجتماعية واقتصادية وسوقية أدت إلى العديد من التغييرات في مجالات مثل التسويق والإعلان ونموذج الأعمال الخاص بالشركات. وبدأ الحديث عمّا يُسمَّى «الرأسمالية الوردية»، لأنّ هذا المفهوم يشير إلى دمج حركة المثليين والشواذ في الديناميكيات الرأسمالية، وهو مصطلح يستخدم بشكل حاسم لأنه يعني ضمناً تسويق هذا المجتمع وخطابه، ويحدد البوابة الاقتصادية. (Lorenzo Yeh, Pink, *Capitalism Perspectives and implications for cultural Management*, p4.).

لقد أصبح المال الوردي أكثر قوة؛ حيث يكتسب مجتمع الميم قبولاً أكبر في المجتمع، لهذا السبب تنضمُّ المزيد والمزيد من الشركات إلى الاتجاه المتمثل في توسيع عروضها، وإنشاء منتجات وخدمات متخصصة لتلبية احتياجات القطاع والاستفادة من قوتهم الشرائية. وفقاً للبيانات التي جمعتها Forbes في عام 2017،

(John Scheider and David Auten, *Companies with LGBTQ inclusive Ads Can Increase Ales By 40%, And here's Why 2018*). 65000 أنتجت النقود الوردية مليون دولار في الاستهلاك فقط في المكسيك. في العام نفسه، في الولايات المتحدة قُدرت السوق الوردية بـ 917 ألف مليون دولار، وفي عام 2018 كانت أعلى من ألف مليون دولار. ووفقاً لشركة الاستشارات LGBT Capital في عام 2018، نقلت هذه المجموعة حوالي 3.6 مليار دولار في العالم، وهو رقم يمكن أن يعادل الناتج المحلي الإجمالي لألمانيا، في الواقع تشير التقديرات إلى أنه إذا كان المجتمع الوردي بلداً، فسيكون خامس أكبر اقتصاد في العالم. ضمناً أصبح سوق الأدوية الهرمونية، وتطور عيادات الجراحة المتخصصة في عمليات التحول الجنسي، وشركات التأمين الصحي، والعيادات والمستشفيات المتخصصة في الجراحة التجميلية من جهة، كما طاقة الاستهلاك والاستثمار في مجتمع الميم ومن خلاله من جهة أخرى، مسألة متطورة ونشطة جداً، إلى درجة أنّ العديد من الشركات والمؤسسات الدولية والعاملة في مجال الخدمات والاتصالات والتكنولوجيا مثل آبل، ميكروسوفت، أمازون، آيتال،

أي بي أم، دال، باي بال وغيرها قررت الدخول في هذه السوق نظراً إلى فرص التسويق والبيع المرتفعة المصنفة عالمياً. كما انتقل الترويج لثقافة الشذوذ الجنسي من مجرد ظاهرة اجتماعية إلى اقتصاد متكامل الأطراف، بل أصبح جزءاً أساسياً من رأسمالية متوحشة لا علاقة لها بالقيم والأخلاق ولا تمتلك ضوابط إلا ما يقرر من أجل إدارة السوق واحتوائه وتحقيق أكبر قدر من الأرباح ولو على حساب القيم الإنسانية. من اللافت أن الجماعات الداعمة لهذا الاستثمار تساندها العديد من القوى وصنّاع القرار السياسي في العالم، فمع وصول الرئيس الأمريكي جون بايدن إلى السلطة مثلاً، بدأت حركة الترويج لثقافة الشذوذ ونشاطها الاقتصادي المتكامل أكثر قوة، فقد التزم بأن يكون بطلاً لأفراد مجتمع الميم كل يوم في البيت الأبيض، فمن حماية الأشخاص الشواذ والمتحولين جنسياً من التمييز إلى معالجة وباء العنف ضدهم ومواجهة حملات التحريض عليهم، إلى ضمان مستقبل آمن لشباب LGBTQ+. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أعلن في 20 نوفمبر 2021 وهو يوم تكريم ذكرى المتحولين جنسياً في البيت الأبيض، من ضحايا العنف القاتل قائلاً «فقد ما لا يقل عن 46 شخصاً من المتحولين جنسياً حياتهم هذا العام وحده، إنَّ المتحولين جنسياً هم من أشجع الأمريكيين الذين أعرفهم. لكن لا ينبغي لأي شخص أن يكون شجاعاً فقط لكي ينعم بالعيش بأمان وكرامة». (مذكرة بشأن النهوض بحقوق الإنسان من المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي، والمتحولين جنسياً، والعابرين للجنس في جميع أنحاء العالم، البيت الأبيض، 4 فبراير 2021).

■ المطلب الثاني: مخاطر قوانين الشذوذ الجنسي على الجاليات المسلمة في الغرب:

تظهر هذه المخاطر في تدريس المثلية الجنسية في المدارس: التجنيد المثلي للأطفال (1)، في الترويج الإعلامي لثقافة الشذوذ (2)، في البنى الاجتماعية والثقافية (3)، في الصحة، بين الترويج لأدوية إيقاف سنّ البلوغ الهرمونية والشذوذ الجنسي الفعلي، وفي الصحة النفسية (4).

1. مخاطر تدريس المثلية الجنسية في المدارس: التجنيد المثلي للأطفال:
العديد من الدول الغربية سواء في أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا) أو

بريطانيا أو الدول الأوروبية بدأت منذ سنوات تتبني جملةً من القوانين والإجراءات التي تهدف إلى النشر والترويج لثقافة الشذوذ الجنسي في المدارس والحضانات كجزء من مشروع أكبر، يسعى إلى جعل هذه الثقافة مقبولة من قبل أطياف عمرية مختلفة، ولتمرير أجندات ثقافية متناقضة مع كل القيم والمبادئ التي طالما كان يتغنى بها الغرب. إنها ثقافة جديدة هدفها التجنيد المثلي للأطفال. في كندا مثلاً، يُذكر أنه خلال يونيو/حزيران من كل عام تقيم المدارس الكندية أنشطة داعمة للمثلية الجنسية، (إسراء حسين، تدریس الثقافة الجنسية بكندا جدل مستمر، أوتاوا 2016). بدعوى احترام الاختيارات الجندرية، وهو الإجراء التي تعده العديد المنظمات المدنية الإسلامية والمسيحية مساساً بالحقوق الأساسية التي يصونها الدستور الكندي. كذلك في بريطانيا، حيث اتسع نطاق الجدل أيضاً بسبب هذه الدروس في المرحلة الابتدائية وذلك مع صدور توجيه حكومي حول منهج جديد هو تدریس «العلاقات»، ومن ضمنها العلاقات المثلية، بشكل إلزامي في كل مدارس بريطانيا الابتدائية اعتباراً من سبتمبر/أيلول 2020.

Statutory guidance Relationship education (RSE) and Health education, 25 June 2019)

تُسبب هذه الإجراءات معاناة كبيرة للجاليات العربية والمسلمة، ومخاوف من تغيير القيم والعادات السلوكية والاجتماعية والنفسية لدى أبنائها، إثر تغيير سياسات التعليم في بريطانيا. أمّا في الولايات المتحدة الأمريكية، فتعتبر الجاليات الإسلامية هناك، أن الدورات التعليمية الجنسية للأطفال تشجع على السلوكيات الجنسية التي تتعارض مع قيمهم الدينية وأخلاقهم، وهم يطالبون بالحق في انسحاب أطفالهم من هذه الدورات. ولأنهم يؤمنون بقيم حرية التعبير وحرية المعتقد والحريات الشخصية، ويحاولون الضغط باتجاه حق أسرهم في توجيه أطفالهم، وأنه ينبغي للمدارس ألا تفرض الآراء الجنسية على الأطفال بدون موافقة الآباء.

America's Sex Education How we are Failing Our Students, September (18,2017)

يبدو أن هذا الموقف لا يلقى قبولاً من الكثير من الأمريكيين المسيحيين المحافظين الذين يؤيدون المطلب ويعتدون إن ما يحصل الآن من هستيريا الترويج لثقافة الشذوذ

بهذا المستوى يُهدد ليس فقط أطفالهم، بل البنية الأسرية والاجتماعية برمّتها. أمّا في أوروبا، وأمام هستيريا الترويج لثقافة الشذوذ الجنسي من جهة، وفرض مادة التربية الجنسية في المدارس من جهة أخرى، تعيش العديد من الدول الأوروبية جدلاً واسعاً بين مؤيد ومعارض للفكرة. وأمام هذا الوضع تزداد المخاوف لدى الجاليات العربية والإسلامية المقيمة في هذه الدول على مستقبل أطفالها، خاصة وأنها تواجه جملة من القوانين والإجراءات التعسفية في حالة رفضها لتلقي أبنائها لهذه الدروس المفروضة رسمياً من قبل الحكومات. ففي فرنسا مثلاً، وأمام هذه المحاولات للترويج، رفعت منظمات حقوقية دعاوى قضائية ضد الحكومة الفرنسية بسبب مزاعم أن المدارس لا تطبق القانون الذي يلزمها بإعطاء التلاميذ 3 دروس على الأقل سنوياً في مجال التربية الجنسية. يدرك أهالي الطلبة والمراهقين خطورة ذلك، خاصة عندما يكتشفون أن من يروّج لهذه الثقافة هي جهات مدعومة رسمياً من لوبيات المال والسياسة. في ألمانيا أيضاً، يجد بعض أولياء أمور التلاميذ من الجاليات العربية والإسلامية صعوبة في تقبل حقيقة أن أبنائهم يتلقون دروساً في التربية الجنسية في المدارس ويعدّون ذلك منافياً لثقافتهم، حيث تورق مادة التربية الجنسية مضاجع العائلات المسلمة، وتعدّ بالنسبة إليهم صدمة ثقافية، ويرون في إجبارية تقديمها إلى الأطفال أمراً مبالغاً فيه، فهو لا يتناسب مع أعمار الطلاب ولا يتطابق مع ثقافتهم. (Sexuality Education in the WHO European Region, IPPF, 2018.)

2. مخاطر الترويج الإعلامي لثقافة الشذوذ الجنسي:

بالتأكيد إن الجاليات المسلمة في الغرب تدرك تماماً مدى أهمية وخطورة عصر الرقمنة والعولمة الرقمية والإعلام الرقمي، وتأثيراته المباشرة على وعي وإدراك الناشئة المسلمة التي تعيش في دول الغرب ولديها إمكانيات مفتوحة أكثر لاستخدام هذه الأدوات الجديدة بكل تفاصيلها. (أمنية خيرى، العرب يواجهون مجتمع المي في العصر الرقمي، اندبندنت العربية، 2022.) لكنهم يدركون أيضاً أنه على الرغم من أهميتها وربما ضرورتها في المجتمعات التكنولوجية إلا أن لديها تأثيرات سلبية عديدة، يكفي القول إنها تساهم اليوم

وبشكل كبير وفَعَّال في النشر والترويج لثقافة الشذوذ الجنسي في العديد من الساحات والمنصات. فمن الطرق الفعّالة والأكثر تأثيراً لمخاطبة حواس الشخص وترسيخ الفكرة هو الإعلام والأعمال السمعية البصرية كالمسلسلات والأفلام الكارتونية وحتى البرامج السياسية وخاصة برامج التوك شوو. فالتركيز عليهم، ومشاهدتهم في أكثر من مناسبة سيجعل المتلقي (المستهدف) يعتقد أن الشذوذ الجنسي أصبح شيئاً عادياً وظاهرة يمكن التعايش معها بشكل طبيعي، وأنه حرية شخصية. وهذا ما يمكن تسميته بالبروباغندا الناجحة. والأخطر في الأمر أنه بعد نجاحهم في غرس الفكرة لدى الشباب، الآن يتوجهون إلى المراهقين والأطفال خصوصاً الذين هم في مرحلة يصدقون فيها أي شيء. تعاني الأسر المسلمة التي تعيش في الغرب من مشكلة الاندماج أحياناً، إضافة إلى مشكلة الاحتواء لأبنائها أحياناً أخرى. ويبدو أنه أمام هذا الغزو الثقافي المشوه سيكون من الصعب على هذه الأسر أن تحمي أطفالها خصوصاً من عالم الصورة الذي يؤثر في الوعي والإدراك لديهم بشكل مباشر وسريع. تجدُّ الأسر المسلمة في الغرب نفسها اليوم، أمام كمِّ هائل من الرسائل الضمنية بشأن تغيير مفاهيم التربية المنضبطة في أفلام الكارتون التي يتعرض لها الأطفال يومياً بطريقة مدروسة وممنهجة، وفي ظل غياب تام للرقابة، تبدو الخطة بسيطة، جعل الطفل يعتاد على هذه الأفكار والمشاهد فتصبح مألوفة لديه، وعندما يكبر يتقبلها بسهولة بل ويقلدها، فهي مرتبطة بأهم فترات تكوينه العقلي وأفضل أيام ذكرياته. بما إننا نتحدث عن لعبة الإعلام وتأثير الصورة والخطاب الإعلامي، فلا بد ان نشير إلى أن مهمة المروجين لهذه الظاهرة ليست في جعلها مقبولة وطبيعية، وإعطاء المنتمين إليها هوية مقبولة اجتماعياً، وبالتالي تجاوز الجدل حول إشكالياتها وأسبابها النفسية والاجتماعية، وما يمكن أن تحدثه من خلل على مستوى الوعي الجمعي إذا ما قوبلت هذه الظاهرة الشاذة بشكل طبيعي وعادي. لكن الأهم، هو ما يمكن أن تُشكِّله من رافد أساسي لحرب ناعمة تقودها جهات تمويل ومنظمات تعمل ليل نهار على اختراق البيئات الاجتماعية، وضرب السلم الاجتماعي، إضافة إلى ما يمكن أن تحدثه من حالة إرباك وتشويه في الثقافة والمعتقدات والأعراف. إنَّ الأخطر في الموضوع، ليس في طرح الظاهرة إعلامياً وتسليط الضوء عليها بشكل

مباشر، -فقد يكون ذلك مقبولاً إن طرحت للمعالجة مرفقة بحلول لكيفية احتواء هذه الظاهرة اجتماعياً وإنسانياً-، إنما في جعلها أداة فاعلة لضرب القيم والأسس الأخلاقية والدينية للمجتمعات خاصة المحافظة منها، بتمرير رسائل مشوهة حول الحرية الشخصية، وحرية الضمير، وحقوق الإنسان. إضافة إلى جعلها غطاءً وبعنوان مدني مفتعل، لتوجيه السياسات العامة والتأثير على الخيارات المجتمعية حتى لو كانت هذه المجتمعات متطورة وحداثية كما يفضل البعض تسميتها.

3. المخاطر الاجتماعية والثقافية:

تعيّش الجاليات العربية والإسلامية في الغرب أزمات كثيرة منها ثقافة التغريب والاضطراب في الهوية الفكرية والثقافية، وفقدان الارتباك بالأصول والتاريخ، والاندماج اللامتناهي في الثقافة الغربية التي تفقد البعض انتماءه وعقيدته وثقافته، لتجعل منه تابعاً لثقافة غربية باسم المواطنة والمدنية والجنسية وأرض النشأة وغيرها من الأسباب. (الاستير بونيت، فكرة الغرب: الثقافة والسياسة والتاريخ، ص 6). أمام هذه الأزمات والتعقيدات ظهرت ثقافة الشذوذ الجنسي لتزيد الأمور تعقيداً، فهي ظاهرة منتشرة في جميع المجتمعات الغربية، والشذوذ الجنسي أمر مرفوض لأنه وبلا شك سوف يكون سبباً في انهيار البشرية بالكامل، والادعاءات حول الحرية الشخصية للمثلية كاذبة، لأنه لا وجود للحرية المطلقة خاصة وأن هذا السلوك يدمر المجتمع ويكون سبباً في مشكلات عديدة. بالإضافة إلى ذلك تسبب المثلية الجنسية والشذوذ أضراراً اجتماعية كبيرة، فهي تُحدث خللاً في توازن المنظومة الأسرية التي وجدت منذ بدء الخلق. كما أنها تضرب السلم الاجتماعي من خلال الأفعال الجنسية المنحرفة التي يفعلها المثلي لسدّ رغباته الجنسية، حيث نجدُ بعضَ الأشخاص المثليين يستغلون الأطفال جنسياً بسبب الأهواء الجنسية الشاذة، والمتاجرة الجنسية بالأطفال. وبالتالي أضرار المثلية الجنسية والشذوذ على المجتمع قد تكون سبباً في انتشار الفوضى، والجريمة الأخلاقية التي تجعلنا في عالم تسوده الرغبة الجنسية المنحرفة ولا وجود للفطرة السليمة، وبمرور الوقت هذا الأمر سيصبح سبباً في انهيار البشرية بالكامل، بالتأكيد إن الجاليات العربية

والإسلامية أكثر من يعاني من هذه الأوضاع، خاصة وأنها أصبحت متفشية في الغرب ومنتشرة بشكل كبير، ولم تعد مرتبطة فقط بفئة أو جماعة معينة.

4. المخاطر الصحية: بين الترويج لأدوية إيقاف سن البلوغ الهرمونية والشذوذ الجنسي الفعلي: طبعاً إلى جانب ضرب الفطرة البشرية الطبيعية التي خلق عليها الإنسان، يكمن الخطر هنا في تجارة الأدوية الهرمونية أو ما يُسمّى ب Puberty Blockers أي حاصرات البلوغ أو مانعات البلوغ، التي تجتاح الأسواق العالمية اليوم. ويبدو أن التنوع الجسدي هو القضية الأساسية، وليس اضطراب الهوية الجنسية. ويبدو أكثر أن الهدف الأساسي هو إلغاء ارتباط الناس ببيولوجيتهم عن طريق تشويه الفطرة التي خلقوا عليها، لتطبيع تغيير البيولوجيا البشرية. إن إضفاء الطابع المؤسسي على إيديولوجية المتحولين جنسياً، ونشر ثقافة الشذوذ، يفعل ذلك بالضبط. ويتم الترويج لهذه الإيديولوجية على أنها قضية حقوق مدنية من قبل رجال أثرياء، يتمتعون بنفوذ هائل والذين سيستفيدون شخصياً من أنشطتهم السياسية.

على الرغم من أن العديد من الدراسات في الغرب أثبتت خطورة تناول هذه الأدوية الهرمونية وتداعياتها على الجسم والعقل، إلا أن المروجين من أصحاب شركات الأدوية والمستثمرين لا يزالوا يُصرون على نشرها، بل وفرض قوانين وإجراءات لتفعيل استخدامها أكثر عبر سياسة دعائية نشطة في سوق الأدوية للتأثير على الأطفال وخاصة المراهقين. فمثلاً توصلت دراسة صادرة عن British Medical Journal إلى أن حاصرات البلوغ لا تُخفف من الأفكار السلبية لدى الأطفال الذين يعانون من خلل جنسي. وأشارت الدراسة إلى أن حاصرات البلوغ المستخدمة لعلاج الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و15 عاماً، والذين يعانون من خلل جنسي شديد ومستمر (gender dysphoria) بين الجنسين لم يكن لها تأثير كبير على وظائفهم النفسية أو أفكار إيذاء النفس أو صورة الجسد. ومع ذلك، كما هو متوقع، عانى الأطفال من انخفاض في النمو في الطول وقوة العظام بحلول الوقت الذي انتهوا فيه من العلاج في سن 16. (Clare Dyer, Puberty blockers do not alleviate negative thoughts in children with gender

(dysphoria, finds study, The BMJ, 2021.)

ظهرت النتائج، من دراسة أجريت على 44 طفلاً عولجوا من قبل خدمة تنمية الهوية الجنسية (GIDS) التي تديرها مؤسسة Tavistock and Portman NHS Foundation Trust في لندن⁽¹⁾. إنَّ أضرارَ المثلية الجنسية والشذوذ لا تقتصرُ فقط على الصحة الجسدية والمجتمع، بل هناك أضرار نفسية كشفت عنها البحوث الطبية التي أجريت حول الوضع النفسي للمثليين الجنسيين، وكانت النتيجة أن المثليين والشواذ هم الأكثر عرضة للإصابة بالاكتئاب، والنزعة الانتحارية وخاصة بين الشباب. بالإضافة إلى ذلك تزداد الأضرار النفسية للمثليين والشاذين بمرور الوقت، حيث إنهم يشعرون بالاعتراب النفسي وعدم الاتزان، وبالتقدم في العمر يكونون عرضة للإدمان، وتعاطي المخدرات والمسكرات التي تنتهي بنتيجة وخيمة. (أشرف محمد أحمد علي، الاعتراب النفسي وعلاقته بالاتزان النفسي لدى ممارسي المثلية الجنسية، 28 ص).

المبحث الثاني: سبل مواجهة سياسة الإخضاع والضغط على الجاليات المسلمة في الغرب:

تدفع المخاطر المترتبة عن انتشار ثقافة الشذوذ الجنسي والترويج لها في الغرب الجاليات المسلمة إلى ضرورة اتخاذ مسارات مختلفة للدفاع عن المكتسبات الإنسانية والحقوقية والتي تمنح هذه الجاليات كغيرها من الشعوب الحق في الدفاع عن خصوصيتها الدينية والثقافية وذلك من خلال تفعيل المواجهة القانونية وفقاً للآليات والإجراءات القانونية المتاحة في الدول التي يعيشون فيها وعلى أرضها (مطلب أول)، والثانية المواجهة السياسية والاجتماعية

1 - على مدار 100 عام، جسدت عيادات تافستوك وبورتمان طريقة مميزة للتفكير وفهم الاضطرابات العقلية والصحة العقلية والرفاهية العاطفية. من خلال العمل مع الأطفال والعائلات والبالغين، الجمع بين النظرية والممارسة التحليلية النفسية والديناميكية النفسية والنظامية وغيرها من الأساليب وتسعى إلى فهم جوانب اللاوعي والواعي من تجربة الشخص وعلاقاته وسياقه الاجتماعي. وتقدم هذه العيادات خدمات سريرية عالية الجودة، وتوفير التدريب والتعليم والبحث والاستشارات التنظيمية. <https://tavistockandportman.nhs.uk/>

والإعلامية في محاولة لبناء جدار صدٍّ يحمي أبناء الجاليات من الانزلاق في متاهات الشذوذ والانحراف (المطلب الثاني).

■ المطلب الأول: تفعيل المواجهة القانونية بالدفاع عن الثوابت:

هذا الإطار سنتطرق إلى آليات الدفاع القانونية الأوروبية (1)، ثم نتعرض لسبل المواجهة عبر الدساتير والقوانين والدساتير الأمريكية والأسترالية (2).

1. آليات الدفاع: عبر الدستور الأوروبي والاتفاقيات الأوروبية:

بداية ووفقاً للاعتبارات السياسية والقانونية والاجتماعية تعدُّ هذه الجاليات المسلمة جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي للدول الغربية التي يعيشون فيها. وبالتالي من الضروري التأكيد على أن هذه الجاليات هي ملزمة وفقاً للقوانين والتشريعات والإجراءات بتقبُّل السياسات والخيارات التي تفرضها الأنظمة القانونية وحكومات هذه الدول، بحكم المواطنة والجنسية. لكن بالمقابل، من حق هذه الجاليات الاستفادة من ترسانة القوانين واللوائح والإجراءات المعتمدة في الدول التي يقيمون على أراضيها، وبالتالي بإمكانهم استخدام هذه الآليات للدفاع عن خياراتهم وحررياتهم الشخصية وفقاً للقوانين الوضعية التي تتيح لهم فرصة التمسُّك بالحقوق خاصة فيما يتعلق بالخصوصية والحرية.

لابد من إلقاء نظرة على أهمِّ هذه المبادئ والحقوق والحرية العامة الواردة في الدساتير الغربية والمدرجة عملياً في قوانينها المدنية: فمثلاً دستور الاتحاد الأوروبي (معاهدة لشبونة) وهو وثيقة تحمل جملة من المبادئ والقيم الأخلاقية والإنسانية المدرجة في كل دساتير الدول الأوروبية، تنصُّ مادتها 3 على جملة من القيم والمبادئ التي تتعلق بحفظ كرامة الإنسان التي يجب أن تكون مصنونة، كما يجب احترامها وحمايتها، وتشكل أساس الحقوق الأساسية. إضافة إلى مبادئ الحرية، حيث يحمي ميثاق الاتحاد الأوروبي الحقوق الأساسية والحرية الفردية، مثل الخصوصية وحرية الفكر والدين والتجمع والتعبير والمعلومات. من هذا المنطلق القانوني الصرف، بإمكان الجاليات المسلمة في الغرب ووفقاً للقوانين واللوائح المدرجة في الأنظمة القانونية الأوروبية، اللجوء إلى القضاء في تلك الدول للمطالبة بضرورة احترام الحقوق

الأساسية والحريات الشخصية المرتبطة بالخصوصية الثقافية والدينية، وعدم فرض ثقافة الشذوذ في المدارس والحضانات الإسلامية، واحترام ثقافة الاختلاف المدرجة في القوانين ذاتها.

2. سبل المواجهة عبر: دساتير وقوانين دول أمريكا الشمالية وأستراليا:

في الولايات المتحدة الأمريكية ووفقاً للدستور الأمريكي: كل إنسان له الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه. كل الأشخاص متساوون أمام القانون، ولهم الحقوق والواجبات الثابتة في «وثيقة الحقوق» دون تمييز بسبب السلالة أو الجنس أو اللغة أو العقيدة أو أي عامل آخر. من هذا المنطلق القانوني الصرف، من حق الجاليات المسلمة المقيمة في الولايات المتحدة والمنتشرة في ولايات أمريكية كثيرة، وفقاً للدستور الأمريكي ووثيقة الحقوق المدرجة فيه اللجوء إلى العدالة (القضاء) للمطالبة بحماية حرية العبادة الدينية، والحقوق الثقافية. إضافة إلى إمكانية رفع عرائض للحكومة للتنديد بالإجراءات الحكومية المتعلقة بأدراج ثقافة الشذوذ الجنسي في المدارس وفرضها كسياسة تعليمية على كل المواطنين الأمريكيين مسلمين ومسيحيين. فمع تطور حركة زواج المثليين، عارضت العديد من المنظمات الوطنية الأمريكية هذه الحركة، وبإمكان الجاليات المسلمة ومن خلال الجمعيات والمنظمات الإسلامية التواصل مع هذه المؤسسات والتفاوض معها لتشكيل لوبي ضغط على الإدارة الأمريكية وعلى الحكومات الفيدرالية الداعمة لمشروع نشر ثقافة الشذوذ والتحول الجنسي لحثها على التراجع عن قراراتها المفروضة وترك المسألة اختيارية بناء على ما تؤمن به هذه الأطراف من حريات.

(Henry Berg-Brousseau, 200+ Major US. Companies oppose Anti- LGBTQ+ state legislation, 2022).

في أستراليا: بين عامي 1975 و1977، ألغت الولايات والأقاليم الأسترالية تدريجياً القوانين المجرمة للمثلية الجنسية

(Barry York, 40th Anniversary of decriminalization of Homosexuality, 2015.)

كما قننت زواج المثليين في 9 ديسمبر عام 2017. (Australian Government, Attorney-General's Department, Marriage equality in Australia, 2017). وبدأت الولايات والأقاليم بمنح فوائد الشراكة المحلية والاعتراف القانوني بالعلاقات المثلية،

مع اعتراف القانون الاتحادي بالشركاء المثليين منذ عام 2009 كعلاقات بحكم الأمر الواقع. تختلف الجماعات الدينية الأسترالية بشكل كبير في مواقفها الرسمية تجاه حقوق المثليين والشواذ، بما في ذلك تقنين زواج المثليين. ويعارض الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية، وهي هيئة شاملة للمنظمات الإسلامية، بشدة إزالة التمييز ضد الأزواج والشركاء المثليين في القانون الفيدرالي، مطالبًا التمسك بالحقوق المرتبطة بالحرية الدينية والاعتماد على القوانين والإجراءات التي تؤكد هذه الحقوق لمواجهة سياسة فرض ثقافة الشذوذ الجنسي تحت إطار الاعتراف والحق في الاختلاف، وقد سبق وانضم الاتحاد إلى مجموعات مسيحية في أستراليا كانت تطالب بإجراء استفتاء شعبي حول إمكانية قبول زواج المثليين من عدمه ممّا خلق جدلاً واسعاً على المستوى السياسي والاجتماعي لا يزال مفتوحاً إلى حدّ الآن، (Heath Aston).

Muslims join Christians on gay marriage referendum call, 2015).

أمّا في كندا، فيكفل ويحمي القانون الكندي حقوق المثليين والمثليات ومزدوجي التوجّه الجنسي والمتحولين جنسياً كغيرهم من الكنديين نتيجة عدة قرارات صدرت عملاً بالفقرة 15 من الميثاق الكندي للحقوق والحريات⁽¹⁾ التي أضيفت إلى الدستور الكندي عام 1982، ودخلت حيز التنفيذ في عام 1985. بالمقابل، من الممكن للجاليات الإسلامية الكندية الاعتماد على جملة من القوانين والتشريعات المرتبطة بميثاق الحقوق والحريات الكندي، والتي تشير في العديد من المواد إلى جملة من الحقوق التي يمكن تقديمها كحجج قانونية للدفاع عن الخصوصية الثقافية والدينية في مواجهة سياسة نشر الشذوذ الجنسي وفرضه اجتماعياً في كندا. إضافة إلى ذلك، وفي إطار سياسة بعض المؤسسات التعليمية الكندية التي تعمل على فرض هذه الثقافة المنحرفة على الأطفال (بما في ذلك أبناء الجاليات الإسلامية)، وحثهم على الذهاب باتجاه التحويل الجنسي، أصدر مجلس العموم الكندي قانوناً يمنع هذه الممارسة ويعدها جريمة، على الرغم من اعترافه بالمثليين والمثليات ووضعه لجملة من القوانين لحمايتهم من

1 يشرح دليل الميثاق الكندي للحقوق والحريات (الميثاق) وأهميته في الحياة اليومية للكنديين. ينشر الميثاق باسم قانون الدستور الكندي لعام 1982. للمزيد من البحث يمكن الاطلاع على الموقع:

<https://www.canada.ca/en/canadian-heritage/services/how-rights-protected/guide-canadian-charter-rights-freedoms.html>

التمييز والكرهية الاجتماعية والاعتراف بهم كمواطنين كنديين يتمتعون بكل الحقوق.
(Pride and Joy Foundation, LGBTQ issues in Canadian schools, 2020).

■ **المطلب الثاني: المواجهة السياسية والاجتماعية:**

من الطبيعي وفقاً لمقتضيات هذه الظاهرة المنتشرة والمدعومة بكل الوسائل في دول العالم، أن تعمل الجاليات المسلمة على البحث عن سبل مواجهة سياسية واجتماعية وإعلامية أكثر فاعلية وتأثير للحد من الاختراقات الحاصلة داخل محيط هذه الجاليات وخاصة الأسر المحافظة منه (1)، والتعويل على التحصين الاجتماعي ونشر الوعي لدى أبناء الجاليات المسلمة (2).

1. تكوين جماعات ضغط سياسية واجتماعية والاعتماد على أدوات الضغط الإعلامية:

استقرت الحكومات الغربية على تقنين الشذوذ الجنسي وفرض احترام فاعليه، وإدراج أي إنكار له أو تنديد به تحت بند جرائم الكراهية والتمييز. وهذا التحويل لأمر شاذ أو استثنائي وجعله طبيعياً ومعترف به كحق مشروع ومعاقة مُنكره يؤثر بصورة سلبية وكارثية في مفاهيم كثيرة تتعلق بهذا الشأن، كمفهوم الزواج والأمومة والأسرة، ويعد أيضاً فرضاً بالقوة لرأي أقلية على أغلبية الشعوب المختلفة بما تبقى لديها من فطرة سليمة، بما فيها الغرب نفسه، في ازدواج للمعايير واضح، تلك المعايير التي تتعلق بالديمقراطية وخيار الأغلبية. حتى الاستفتاءات التي جرت في بعض البلدان حول تقنين زواج الشواذ على سبيل المثال، حدثت قبلها حملات إعلامية واسعة صوّرت من يرون في الشذوذ الجنسي تدميراً للمجتمع على أنهم رجعيون ويتصفون بالكرهية والتمييز على أساس الميول الجنسية. وقد قننت أوضاع الشواذ وأصبحت «حقوقهم» خطأً أحمر في الغرب بسبب رؤية الأنظمة الغربية للإنسان نفسه، تلك الرؤية المادية الأنانية لمفاهيم الحرية والمنفعة والملذة، مما يجعل الفرد مُتمحوراً حول نفسه فقط بأنانية مُفرطة، ومقبلاً على ما يُشجع احتياجاتها، بغض النظر عن مصلحة الأسرة والمجتمع، وبلا اهتمام ببقاء الجنس البشري الذي يكفله الزواج الطبيعي التقليدي، وبلا مراعاة للدين والفطرة والقيم. وقد بدأت الحركة الواسعة من تقنين وضع الشواذ بالحركة

النسوية الواسعة التي سادت أمريكا وأوروبا، والتي قد بدأت بالمناداة بالحقوق المشروعة للمرأة ولكنها تحوّلت إلى الغلو والمناداة بمطالب غريبة، كإباحة الشذوذ، والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل في كل شيء بما فيها الأمومة، وحق التعرّي بحجة أنّ جسد المرأة ليس عيباً لتغطيته، وفي حق تحديد النوع ذكر أم أنثى، وغير ذلك من المطالب التي تزداد يوماً بعد يوم ممّا ينذر بفناء المجتمعات. وبما أنّ الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية يسعى حثيثاً لعولمة نموذج الثقافة والاجتماعي والاستهلاكي، فقد أتت رياح الشذوذ الجنسي على المجتمعات الإسلامية، والأهم من ذلك على الجاليات الإسلامية في الغرب، وبرزت أصوات تطالب بحقوق من يُسمون «المثليين»، تحت شعار الحرية والحق في التعبير، ومكافحة التمييز والكرهية، وبدأت منظمات المجتمع المدني في الغرب تعمل على المطالبة بهذه الحقوق. هذه المنظمات التي تتلقى الدعم من جهات نافذة في الغرب (سياسية وغيرها) بهدف الترويج لثقافة الشذوذ وتعميمها وجعلها معياراً للحرية. (Gender is where the feminist and. لثقافة الشذوذ وتعميمها وجعلها معياراً للحرية.

LGBT movements meet, Here`s why? 2019).

استخدمت الجهات الداعمة لنشر وترويج ثقافة الشذوذ الجنسي في المجتمعات الغربية العديد من الوسائل الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي لتعميم الحضور والاعتراف بهذه المظاهر الشاذة واللعب على الوعي الجمعي للناس وخلق حالة من التششت في التفكير والخيارات بين أوساط الأسر والعائلات المسلمة خاصة المحافظة منها، ممّا خلق حالة من الذعر والخوف لديها، لأنها بدأت تستشعر الخطر على أبنائها. وعليه، من الضروري وضع خطط مواجهة واضحة تعتمد على أدوات وآليات فاعلة وسريعة الانتشار، وقيادة حملات دعائية مضادة، وبروباغندا إعلامية واسعة في كل وسائل الإعلام، لكشف خطورة الترويج لثقافة الشذوذ الجنسي، والجهات الداعمة لها والتي تقف وراءها، إضافة إلى كشف مخاطر هذه الظاهرة على كل المستويات. (Scholars Strategy Network, How the media has

helped change public views about Lesbian and Gay people,2018).

إنّ أدوات الضغط الإعلامية-خاصة إذا كانت منظمة وفاعلة- قادرة على التأثير على الوعي الجمعي وتوجيه الرأي العام إلى إدراك مخاطر هذه الثقافة المنحرفة خاصة وأنها تستهدف الناشئة من الأطفال والمراهقين. بالتأكيد تحتاج هذه الأدوات الإعلامية إلى سياسات وتوجيهات

والتعايش والاندماج معها. لكن تبقى مسألة المحافظة على الخصوصية الدينية والثقافية مسألة صعبة-حتى وإن كانت متاحة في مجتمعات غربية تعترف بالتنوع العرقي والثقافي والإثني وتعدُّه مكسباً لبنيتها الاجتماعية المتنوعة- كما أنها قد تصطدم بحواجز كثيرة تجعل من المحافظة عليها أكثر تعقيداً، خاصة إذا ما ارتبطت بضوابط وقوانين مفروضة كقوانين الحماية والاعتراف بالشذوذ الجنسي التي تفرض احترامها والالتزام بها.

الخاتمة:

إنَّ خطورة الشذوذ الجنسي لا تكمن في وجوده بالدرجة الأولى، ولكن تكمن في محاولة فرض التجربة الغربية على الجاليات المسلمة المقيمة في الغرب، والضغط عليها للانصياع لتوابعها، مع خطورة شرعتها من الناحية القانونية، متناسين نتائج انتشار هذه الظاهرة في الدول الغربية والآثار السلبية الخطيرة التي تركتها على مجتمعاتهم. من هنا فإن الواجب على المسلمين وغير المسلمين الراضين لتعميم هذه الثقافة المنحرفة والمُروجين لها، التكاثر والعمل يداً واحدة من أجل محاربة هذا الشذوذ بشتى الوسائل الفردية والجماعية.

إنَّ المخاطر في ازدياد كبير، فتقبل ثقافة الشذوذ وسياسة التحول الجنسي أو ما يُسمَّى Transgender، والقول بأن المثلية الجنسية في حدِّ ذاتها ليست مشكلة تتعلق بالصحة العقلية، كما صرَّحَ الإجماع العلمي الذي أقرته منظمة الصحة العالمية، لا يهدد فقط المجتمعات الغربية، ولا حتى الجاليات المسلمة المقيمة في الغرب، إنما يمتد الآن وبشكل كبير إلى مجتمعات العالم الإسلامي، بل إنه يعمل على اختراقها تحت شعار حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والحريات، خاصة ما يُسمى بحرية الضمير التي أدرجت في العديد من دساتير الدول العربية، وحصل جدل واسع حولها، أكَّد فيه العديد من المراقبين أن المقصود هنا هو المثليون جنسياً الذين بدأوا يظهرُون بشكل علني في بعض الدول العربية والإسلامية في إطار جمعيات أهلية ممولة من منظمات دولية، وبعض الدول المروجة لهذه الثقافة وعلى رأسها الولايات المتحدة والدول الأوروبية.

أن تصبح ثقافة الشذوذ الجنسي، بشكلها الحالي مسألة عادية، وأن تنخرط جهات نافذة في العالم للترويج لها ودعمها وتمويلها، وإنشاء جمعيات ومنظمات بعناوين مختلفة لنشرها

وإدماجها في النسق الاجتماعي هذا هو الخطر الذي يجب التنبه إليه. وأن يفرض على الجاليات المسلمة في الغرب أن تختار بين الاندماج الكلي وبالتالي تقبل كل المتغيرات والتطورات المجتمعية حتى وإن كانت منحرفة وغير ملائمة للخصوصية الدينية والثقافية لهذه الجاليات، فهذا أمر خطير جداً وينبئ بمستقبل معقد وصعب على أبناء هذه الجاليات.

المراجع

باللغة العربية:

◀ إسرائ حسين، تدريس الثقافة الجنسية بكندا جدل مستمر، موقع العربي الجديد، أوتاوا 2016.

◀ أشرف محمد أحمد علي، الاغتراب النفسي وعلاقته بالاتزان النفسي لدى ممارسي المثلية الجنسية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، 2020.

◀ ألكستير بونيت، فكرة الغرب: الثقافة والسياسة والتاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ترجمة أحمد مغربي، قطر، 2018.

◀ بان غانم احمد الصائغ، وضع الجاليات المسلمة في المجتمعات الأوروبية/الغربية، أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 6، عدد 2، 2007.

◀ مذكرة بشأن النهوض بحقوق الانسان من المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي، والمتحولين جنسيا، والعاشرين للجنس في جميع أنحاء العالم، البيت الأبيض، 4 فبراير 2021.

<https://www.whitehouse.gov/briefing-room/presidential-actions/2021/02/04/memorandum-advancing-the-human-rights-of-lesbian-gay-bisexual-transgender-queer-and-intersex-persons-around-the-world/>

6. معاهدة لشبونة المعدلة لمعاهدة الاتحاد الأوروبي والمعاهدة المنشئة للجماعة الأوروبية. 2009.

<https://www.wipo.int/wipolex/ar/treaties/details/935>

باللغة الإنجليزية:

► America's Sex Education How we are Failing Our Students, USC, University of Southern California, September 18,2017. <https://nursing.usc.edu/blog/americas-sex-education>

- ▶ Allison Parshall, what are Puberty Blockers, and How they work? Scientific American,2023. <https://www.scientificamerican.com/article/what-are-puberty-blockers-and-how-do-they-work/>
- ▶ Australian Government, Attorney-General's Department, Marriage equality in Australia,2017. <https://www.ag.gov.au/families-and-marriage/publications/recognition-foreign-same-sex-marriages-and-divorce-9-december-2017>.
- ▶ Barry York,40th Anniversary of decriminalization of Homosexuality, 2015 <https://www.moadoph.gov.au/explore/stories/history/40th-anniversary-of-decriminalisation-of-homosexuality>.
- ▶ Clare Dyer, Puberty blockers do not alleviate negative thoughts in children with gender dysphoria, finds study, The BMJ, 2021.
- ▶ EU-LGBTII, A Long way to go for LGBTI equality, May 14,2020. <https://fra.europa.eu/en/publication/2020/eu-lgbti-survey-results>.
- ▶ EU Agency for Fundamental Rights (FRA), A long way to go for LGBTI equality, Publication Office, 2020. United Nations: Independent Expert on protection against violence and discrimination based on sexual orientation and gender identity, Report on the impact of the COVID-19 pandemic on the human rights of LGBT persons, 28 July 2020.
- ▶ Gender is where the feminist and LGBT movements meet, here's why? 2019. <https://www.weforum.org/agenda/2019/07/gender-where-feminist-movements-and-lgbti-movements-meet/>
- ▶ Heath Aston, Muslims join Christians on gay marriage referendum call, The Sydney Morning Herald,2015. <https://www.smh.com.au/politics/federal/muslims-join-christians-on-gay-marriage-referendum-call-20130430-2iq99.html>
- ▶ Henry Berg-Brousseau, 200+ Major US. Companies oppose Anti- LGBTQ+ state legislation,2022 <https://www.hrc.org/press-releases/200-major-u-s-companies-oppose-anti-lgbtq-state-legislation>
- ▶ Jacob Poushter and Nicholas Kent, The Global Divide on Homosexuality Persists Pew Research center,2020. <https://www.pewresearch.org/global/2020/06/25/global->

divide-on-homosexuality-persists/

- ▶ John Scheider and David Auten, Companies with LGBTQ inclusive Ads Can Increase Sales By 40%, And here's Why, Forbes, 2018. <https://www.forbes.com/sites/debtfreeguys/2018/03/13/companies-with-lgbtq-inclusive-ads-can-increase-sales-by-40-and-heres-why/?sh=7f34c5d41160>
- ▶ Lorenzo Yeh, Pink Capitalism Perspectives and implications for cultural Management, University of Barcelona,2018.
- ▶ Mohd Yasseen Gada, An Analysis of Islamophobia and the Anti-Islam Discourse: Common Themes, Parallel Narratives, and legitimate Apprehensions, American Journal of Islam and society,2017. <https://www.ajis.org/index.php/ajiss/article/view/799>
- ▶ Mayo Clinic Staff, Puberty Blockers for Transgender and gender-diverse youth 2023. <https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/gender-dysphoria/in-depth/pubertal-blockers/art-20459075>
- ▶ Pride and Joy Foundation, LGBTQ issues in Canadian schools, 2020. <https://www.prideandjoyfoundation.com/blog/lgbtq-issues-in-canadian-schools>
- ▶ Report, Sexuality Education in the WHO European Region, IPPF,2018.
- ▶ Report, Sex Reassignment Surgery Market Size - Global Industry, Share, Analysis, Trends and Forecast 2023 - 2032. <https://www.acumenresearchandconsulting.com/sex-reassignment-surgery-market>.
- ▶ Scholars Strategy Network, How the media has helped change public views about Lesbian and Gay people,2018. <https://scholars.org/contribution/how-media-has-helped-change-public-views-about-lesbian-and-gay-people>
- ▶ Sheila Mysorekar, Homosexuality is not a disease, D+C. 2019. <https://www.dandc.eu/en/article/world-health-organization-considers-homosexuality-normal-behaviour>
- ▶ Statutory guidance Relationship education (RSE) and Health education, 25 June 2019. <https://www.gov.uk/government/publications/relationships-education-relationships-and-sex-education-rse-and-health-education>
- ▶ Who are the Rich, White Men institutionalizing transgender Ideology? The Federalist,2018. <http://www.thelizlibrary.org/liz/Transgender-Astroturfing.pdf>.

تداعيات الشذوذ الجنسي في الغرب.. دراسة إحصائية

■ زينب علي فرحات

باحثة إحصائية

ملخص

يتناول هذا البحث تداعيات الشذوذ الجنسي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، ويتم ذلك من خلال عرض إحصاءات صادرة عن مؤسسات طبية رسمية ومدنية ترصد الآثار الناجمة عن الشذوذ الجنسي. ومن أبرز نتائج الانحراف الجنسي: انتشار الانتحار في أوساط المنحرفين جنسياً، وتعاطي المخدرات، وإدمان الكحول، بالإضافة إلى الإصابة بالأمراض النفسية، بما في ذلك الاكتئاب، والقلق، والذهان التي غالباً ما تنتهي بإدمان الممنوعات أو الانتحار. ومن التداعيات أيضاً، الإصابة بفيروس نقص المناعة المكتسب، وانخفاض الأجور، وانعدام الأمان الاقتصادي. وهي عناوين ستتعرف إليها أكثر في هذا البحث لفهم حيثياتها وخلفياتها ومسارها. وفي إضاءة على أبرز نتائج البحث، قُدرت نسبة الانتحار في الولايات المتحدة الأمريكية لدى المنحرفين جنسياً أعلى بنسبة 40% من المستقيمين جنسياً، وأعلى بمعدل 7 مرات في فرنسا مقارنةً مع غير المنحرفين جنسياً. أما بالنسبة إلى فيروس نقص المناعة، فيشكل الرجال الشاذين جنسياً نسبة 69% من حاملي هذا الفيروس في الولايات المتحدة، ويزداد عدد حاملي الإيدز بمعدل 3000 شخص سنوياً في إيطاليا. وفيما يخص إدمان المخدرات، فقد بلغت نسبة المدمنين من الشاذين جنسياً 30% في الولايات المتحدة. وتبلغ نسبة المنحرفين جنسياً الذين يسبؤون استخدام الوصفات الطبية 7.4% (أو 790000 شخص) من البالغين. في حين يدمن شرب الكحول 23.8% (أو 1.3 مليون شخص) من الشاذين جنسياً في الولايات المتحدة أيضاً. أما الأمراض العقلية فتنتشر بشكل كبير بين المنحرفين.

الكلمات المفتاحية: الانحراف الجنسي - الشذوذ الجنسي - الولايات المتحدة - الدول الأوروبية

- الانتحار - المخدرات - الأمراض العقلية - نقص المناعة - الفقر - انعدام الأمان الاقتصادي.

مقدمة

تقودُ الولايات المتحدة الأمريكية لواء الترويج للانحرافات الأخلاقية، وفي مقدمتها الشذوذ الجنسي تحت عنوان: الحريات الفردية وحقوق الاختيار. ورغم أن ظاهرة الشذوذ الجنسي ليست جديدةً في الولايات المتحدة والغرب عامةً، إلا أنه ثمة زخم إعلامي ترويجي خلال السنوات الأخيرة لهذه الظاهرة غير مسبوق. وهو ما تأكده مراكز الأبحاث الأمريكية التي رصدت ارتفاع نسبة الانحراف الجنسي.

من منطلق صراع الحضارات، حيث تستميت الدولة العميقة في الولايات المتحدة لإعادة تركيز وجودها الثقافي في العالم من خلال الترويج بزخم أكبر للقيم والأدبيات الأمريكية التي تغزو العالم منذ منتصف القرن الماضي، في عالم يشهد تحولات جيوسياسية واقتصادية تُعيد ترتيب الدول، وتفرض تعددية الأقطاب. وأمام هذا المشهد العالمي المُعقد ندق ناقوس الخطر لمواجهة هذا المدّ الهائل من الانحراف الأخلاقي، ونؤكد تمسكنا بالفطرة الإنسانية والقيم الأخلاقية التي تحفظ كيان الإنسان وأمنه وسلامته، امرأةً كان أم رجل. ذلك أن الحدود المفتوحة للوصول إلى المعلومات، والمساحة الواسعة للتأثر والتأثير عبر الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي جعلت الانحراف الجنسي يتسلل بخفة إلى مجتمعاتنا وأحيائنا، ولذلك عند التطرق إلى هذا الموضوع فنحن لا نتناوله من موقع المنظر إنما بدافع الاهتمام بظاهرة تطال أفراد مجتمعاتنا، اخترقت جدراننا غير المحصنة بفعل غياب النموذج الثقافي والتبعية الثقافية؛ كما السياسية للدول العربية التي تتجنب التصدي لهذه الظاهرة والحد من انتشارها.

وفي هذا البحث، سنتناول أبرز التدايعات السلبية للانحراف الجنسي، إذ تبين في الولايات المتحدة وأوروبا أن للشذوذ نتائج خطيرة تبدأ بمشاعر القلق والاكتئاب وصولاً إلى الانتحار

أو الموت بفيروس نقص المناعة، وبالتالي، هذا هو واقع الانحراف عن الفطرة الإنسانية مهما جرى تجميله وتلميع صورته إعلامياً أمام دول العالم، وهي الحقيقة الوحيدة في ظلّ التضليل، بإقرار الغرب نفسه.

وبالنظر إلى أن انتشار ظاهرة الشذوذ في الولايات المتحدة وأوروبا بشكل كبير؛ وخاصة خلال السنوات الأخيرة، هو الأمر الذي يلقي تأييداً شعبياً واسعاً لدى الشعوب الغربية، وأيضاً يجري تقنين الشذوذ الجنسي ليصبح زواجاً قانونياً، فضلاً عن مباركة زواج الشاذين جنسياً في العديد من الكنائس الغربية، وبالنظر إلى أن ثقافة الدول الغربية تلقي رواجاً واسعاً وقدرًا كبيراً من المحاكاة لدى شعوب العالم العربي والإسلامي، وقد وقع اختيارنا على دراسة واقع المنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من الدول الأوروبية وهي: بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وهولندا، وإسبانيا، وإيرلندا، للوقوف عند الآثار النفسية والصحية وأيضاً الاقتصادية للشذوذ الجنسي، في الدول التي تُروّج له وتدعو إليه، من خلال الدراسات والإحصائيات التي تُعدُّ وتُنشر في هذه الدول ذاتها.

ولتحقيق هذا الهدف، جرى الاعتماد على دراسات وتقارير صادرة عن مؤسسات طبية رسمية وعن منظمات معنية بالدفاع عن «حقوق» المنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وقد تمّ انتخاب هذه المؤسسات كونها رسمية أو شبه رسمية، وهو ما يمنح البحث مصداقية عالية بعيداً عن التحيز. ومن أبرز هذه المؤسسات: مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها «CDC» والمكتبة الوطنية الأمريكية للطبّ «NLM»، والجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين، ومعهد ويليامز لبيانات نظام مراقبة عوامل المخاطر السلوكية، ومُنظمة SOS Homophobia، ومُنظمة SAGE للشاذين جنسياً، ومؤسسة الصحة العقلية في بريطانيا. فما هي أبرز تداعيات الشذوذ الجنسي في الدول الغربية؟

واقع الشذوذ في الغرب

تمّ اعتماداً مصطلحي «الشذوذ الجنسي» أو «الانحراف الجنسي» في هذا البحث كبديلٍ عن مصطلح «المثلية الجنسية» للدلالة على الأشخاص الذين يمارسون الجنس مع جنسهم نفسه، وقد جرى التفصيل في هذا الأمر بالإشارة إلى تفرعات الشذوذ الجنسي مثل: «مزدوجي

الميول الجنسية» و«المتحولين جنسياً» في أكثر من موضع في هذا البحث، كما جرى استخدام مصطلحي: «المستقيمين جنسياً» والمغايرين جنسياً» للإشارة إلى الأشخاص الذين يقيمون علاقات جنسية مع جنس مُغاير.

يصنّف حوالي 7٪) أكثر من 11.3 مليون شخص (من الأمريكيين على أنهم شاذين جنسياً، وفقاً لمسح أجراه مركز بيو للأبحاث على 12147 بالغاً في الولايات المتحدة في صيف 2022، أي أنّ حوالي 17٪ من المنحرفين جنسياً تقلُّ أعمارهم عن 30 عاماً، بينما 8٪ من هؤلاء هم من في سنّ ال 30 إلى 49 عاماً، و 5٪ تتراوح أعمارهم بين ال 50 و 64 عاماً و 2٪ يبلغون 65 عاماً أو أكبر.

ومن بين الشاذين جنسياً في الولايات المتحدة، يُعرف 62٪ بأنهم «ثنائيو الجنس»، وفقاً لاستطلاع 2022 نفسه (BROWN, 2023). وقد شكّلت النسبة الحديثة للمنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة تضاعفاً ملحوظاً مقارنةً بعام 2012، إذ أدّى تشريع المحكمة العليا لزواج المنحرفين جنسياً في عام 2015 إلى ارتفاع نسبة الشذوذ الجنسيّ وكذلك المناصرين له، وهو ما حصل على تأييد 63٪ من البالغين ومعارضة 34٪ (JACOB POUHTER, JUNE 13, 2023).

أما بالنسبة إلى أوروبا، فيظهر الناس في الجزء الغربي مؤيدون بشدّة «لحقوق» الشاذين جنسياً، على خلاف الأوروبيين الشرقيين الذين يرفضون هذه الظاهرة لاعتبارات دينية وثقافية. أمّا في أوروبا الغربية، يؤيد زواج المنحرفين جنسياً ثمانية من كل عشرة بالغين في السويد (92٪)، وهولندا (89٪)، وإسبانيا (87٪)، وفرنسا (82٪)، وألمانيا (80٪)، وفي إيطاليا (74٪)، كما يؤيد حوالي ثلاثة أرباع (73٪) البالغين في المملكة المتحدة (JACOB POUHTER, JUNE 13, 2023). وفي ما سيأتي أبرز تداعيات الانحراف الجنسي في الولايات المتحدة وكذلك في دول أوروبية.

■ أولاً: الانتحار

يواجه المنحرفون جنسياً سلسلةً من الأزمات النفسية والاضطرابات السلوكية مثل: إدمان الكحول والمخدرات، وغالباً ما تنتهي بأفكار انتحارية أو انتحار فعلي. في حين تُفسّر

الدراسات الأمريكية هذه التداعيات بأنّها: نتيجة وصمة العار والتهميش، إلا أنّ واقع دعم وتحفيز المنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة على المستويين القانوني والاجتماعي، يؤكّد غير ذلك تماماً، وهو ما يدفع إلى البحث عن حقيقة تدهور حالة الشاذين جنسياً إلى درجة أنهم يفكرون بالانتحار أو ينتحرون فعلاً.

● الولايات المتحدة الأمريكية

وفقاً لدراسة أجراها باحثون في المعهد الوطني للصحة العقلية (NIMH) يعاني المنحرفون جنسياً من أفكار وخطط ومحاولات انتحار أكثر بثلاث إلى ست مرات من البالغين المستقيمين جنسياً.

وتضمّنت الدراسة 191954 مشاركاً، تمّ تحديد 14693 منهم على أنهم منحرفون جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية. وتشير النتائج التي نُشرت في المجلة الأمريكية للطب الوقائي إلى أن تقاطع الهويات الاجتماعية المتعدّدة قد يضاعف من خطر الانتحار للشاذين جنسياً، أي التقاطع بين الهوية الجنسية والجوانب الأخرى للهوية، مثل: الجنس والعمر والعرق/ الإثنية (Researchers find disparities in suicide risk among lesbian, gay, and bisexual adults, 2021).

تماشياً مع البحث السابق، أظهرت بيانات المسح الوطني لتعاطي المخدرات والصحة (NSDUH) أنّ معدلات جميع السلوكيات الثلاثة المرتبطة بالانتحار (الأفكار، والخطط، والمحاولات) كانت أعلى بشكل عام بين البالغين المنحرفين جنسياً، مقارنةً بالبالغين المستقيمين من جنسين مختلفين.

وقد وجد الباحثون أن خطر الانتحار كان أكبر بثلاث إلى ست مرات بالنسبة إلى المنحرفين جنسياً من البالغين في جميع الفئات العمرية والعرقية/ الإثنية. بين الرجال المنحرفين جنسياً، إذ فكّر 12٪ إلى 17٪ في الانتحار في العام 2020م، و 5٪ وضعوا خطة انتحار، وحوالي 2٪ حاولوا الانتحار. من بين النساء المنحرفات جنسياً كان لدى 11٪ إلى 20٪ أفكاراً بالانتحار، و 7٪ وضعن خطة انتحار، وحوالي 3٪ قمن بمحاولة انتحار (Researchers find disparities in suicide risk among lesbian, gay, and bisexual adults, 2021).

ووفقاً لدراسة أجراها مشروع (1) Trevor Project فإن 40% من المنحرفين جنسياً فكروا في الانتحار في العام 2019، وقد ارتفع هذا العدد إلى أكثر من النصف بالنسبة إلى المتحولين جنسياً (2) وغير ثنائيي الجنس (3) (Startling mental health statistics among LGBTQ+ (are a wake-up call , 2020).

وتشمل الأرقام الصادرة عن المشروع ما يأتي: إذ أفاد 48% من فئة الشباب المنحرفين جنسياً بانخراطهم في إيذاء النفس خلال عام 2019، بما في ذلك أكثر من 60% من الشباب المتحولين جنسياً وغير ثنائيي الجنس.

● أمريكا الشمالية وأوروبا وأستراليا

تكشف دراسة استقصائية في عينة شملت أشخاصاً منحرفين جنسياً في أوروبا وأستراليا وأمريكا الشمالية حول التوجه الجنسي والسلوك الانتحاري، بمقارنة احتمالات محاولات الانتحار من قبل الشاذين جنسياً، عن «زيادة مضاعفة في محاولات الانتحار لدى المنحرفين جنسياً»، مع نسبة أرجحية تبلغ 2.47 (2008). وتؤكد مراجعة منهجية أكثر حداثة، أن «جميع نتائج الدراسة تقريباً (98%) أشارت إلى ارتفاع معدلات محاولات الانتحار بشكل لدى المنحرفين جنسياً. وفيما يتعلق بالمراهقين والشباب، وجد تحليل تلوي (2017) - (Meta Analysis) أن «الانحراف الجنسي كان مرتبطاً بشكل كبير بمحاولات الانتحار»، مع نسبة أرجحية قدرها 2.26. كما تشير الدراسة إلى أن الاحتمالات الأعلى في محاولات الانتحار تنطبق أيضاً على الأشخاص المتحولين جنسياً مقارنةً بالأشخاص المستقيمين جنسياً (Have 1 in 4 LGBT persons attempted suicide?, 2018).

- 1 - منظمة غير ربحية تأسست في عام 1998 وركزت على جهود منع الانتحار للشاذين جنسياً.
- 2 - أي الذكر أو الأنثى الذين يخضعون لعمليات جراحية ويتناولون هرمونات الأثوثة أو الذكورة لتغيير جنسهم الأصلي إلى جنس آخر.
- 3 - غير ثنائي (Non-binary) وتُسمى أحياناً «حر الجندر» (Gender queer) هي هوية خارج إطار الذكورة والأثوثة. غير الثنائيين قد يحملون أكثر من جندر، أو لا يعترفون بالجندر أساساً. يُعبّرون عن أنفسهم بطريقة خارج نطاق الجندر التقليدي، لا أنوثة ولا ذكورة.

● فرنسا

تذكر منظمة SOS Homophobia⁽¹⁾ أنَّ الأشخاصَ الشاذين جنسياً ومزدوجي الميل الجنسي⁽²⁾ لديهم متوسط معدل انتحار أعلى من بقية السكان. وفي دراسته المنشورة في عام 2014 حول الأقليات الجنسية التي تواجه خطر الانتحار، أشار «المعهد الوطني للرياضة للجميع» إلى أنَّ خطر الانتحار المُفرط بين الشاذين جنسياً بات الآن حقيقةً مثبتة. ومن المرجح أن يقوم الشباب الشاذين من 2 إلى 7 مرات بمحاولات انتحار واحدة أو أكثر خلال حياتهم مقارنة ببقية السكان. هذه المخاطر أعلى من 2 إلى 4 مرات بالنسبة إلى الفتيات، ومن 5 إلى 10 مرات بالنسبة إلى الأولاد. وفي عام 2013، ارتفعت الشكاوى التي تلقتها جمعية SOS بنسبة 30 %، تضمّنت حالات على قدر كبيرٍ من الخطورة، مثل: الاكتئاب الشديد ومحاولات الانتحار. (Roszewitch, 2015).

■ ثانياً: فيروس نقص المناعة (الإيدز)

ينتشر فيروس نقص المناعة بشكل كبير بين الشاذين جنسياً وتحديداً فئة الرجال بسبب طريقة الاتصال الجنسي التي تحمل مخاطر مضاعفة بـ 18 % للإصابة بالفيروس مقارنةً بالاتصال الجنسي الطبيعي. مع الإشارة إلى أنه على الأرجح أن تكون نسبة الشاذين المصابين بالإيدز أعلى بكثير من تلك المعلنه كون الأرقام التي تنشرها المراكز الطبية الرسمية تبنى على التبليغات الشخصية، والواقع أنَّ كَثراً يحملون الفيروس ولا يخضعون إلى الفحوصات خشية معرفة النتيجة.

● الولايات المتحدة الأمريكية

بحسب «مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها» (CDC) في عام 2019، شكّل الرجال الشاذين جنسياً نسبة 69 % من تشخيصات فيروس نقص المناعة البشرية الجديدة في الولايات المتحدة. وكان معدّل انتشار فيروس نقص المناعة البشرية بين الرجال المنحرفين

1 - هي منظمة دعم للمتحرفين جنسياً ومقرها فرنسا تتعامل مع «رهاب المثلية».

2 - Bisexuality ويعني ميل الشخص عاطفياً أو جنسياً أو كليهما إلى جنسه ذاته وللجنس الآخر أيضاً.

جنسیاً هو أعلى 40 مرة مقارنةً بالرجال المستقیمین جنسیاً. ووفق المركز، «يُعدُّ الجنس الشرجي أكثر خطورة بنسبة 18 مرة بالنسبة إلى اكتساب فيروس نقص المناعة البشرية من الجنس المهبلی». ويضيف، «يصاب معظم الرجال المنحرفین الذين يمارسون الجنس مع الرجال بفيروس نقص المناعة البشرية عن طريق ممارسة الجنس الشرجي، وهو أكثر أنواع الجنس خطورة للإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية وانتشاره»⁽¹⁾ (HIV and Specific Populations, 2021).

● إيطاليا

في إيطاليا، من بين 60 مليون نسمة، يُقدر 3000 (2700-4000) إصابة جديدة بفيروس نقص المناعة البشرية كل عام. ومن المرجح أن يزداد انتشار عدوى فيروس المناعة البشرية بمرور الوقت رغم العلاجات المضادة للفيروسات القهريّة الذي يُطيل عمر المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية (Maria Fenicia Vescio, 2020).

تمّ تحليل البيانات المأخوذة من مسح نتائج MeDi) قياس التفاوتات الصحية في الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية) بين عامي 2012-2014 على أكثر من 10000 فرد تتراوح أعمارهم بين 18 و59 عاماً استعانوا بـ21 سيارة إسعاف في روما. وبيّنت النتائج الآتي: انتشار فيروس نقص المناعة البشرية المبلغ عنه ذاتياً 2.0% بين الأشخاص الذين تمّ اختبارهم على الإطلاق (13.7% للمنحرفين جنسياً من الرجال والنساء، 7.0% لمزدوجي الميول الجنسيّة و1.3% للمغايرين جنسياً⁽²⁾). حوالي 1% من الأشخاص الذين تمّ تحديدهم بأنفسهم على أنهم منخفضو الخطورة كانوا مصابين بفيروس نقص المناعة البشرية. و زاد هذا الانتشار بنسبة 5% بين الشاذين جنسياً ومزدوجي الميول الجنسيّة. وفي النتيجة، أكّدت الدراسة انتشار فيروس نقص المناعة البشرية بين المنحرفين جنسياً من

1 - HIVinfo.NIH.gov هي خدمة تابعة إلى وزارة الصحة والخدمات الإنسانية الأمريكية (HHS) ويديرها مكتب أبحاث الإيدز (OAR) التابع إلى المعاهد الوطنية للصحة (NIH).
2 - مغايرو الجنس أو heterosexual هم الأشخاص الذين يقيمون علاقات مع جنس مغاير لجنسهم، أي الإناث مع الذكور.

الذكور النساء (Maria Fenicia Vescio, 2020).

● إسبانيا

في عام 2015، كان 38.4٪ من الشاذين جنسياً من الرجال الذين تم تشخيصهم حديثاً يحملون فيروس نقص المناعة البشرية في إسبانيا، بحسب دراسة نشرتها «المكتبة الوطنية الأمريكية للطب» (National Library of Medicine). علاوةً على ذلك، تشير دراسات أخرى أجريت في إسبانيا ودول أوروبية إلى أن الإحصاءات لم تشمل جميع الرجال الشاذين المصابين فعلياً بفيروس نقص المناعة، لأنهم غير مُشخصين بعد. ومردُّ ذلك إلى عدم إجراء الرجال الشاذين فحوصات فيروس نقص المناعة بسبب الخوف غالباً من النتيجة (Juan Hoyos, 2020).

الدراسة بينت أيضاً نتائج خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية، ومن بين 4255 مشاركاً تمكن الباحثون من التأكد أنه هناك 77.8٪ من الرجال المنحرفين جنسياً معرضين إلى الخطر. وهذه الفئة شملت الرجال الأصغر سناً وأقل تعليماً (51.3٪) ويعيشون في أقاليم أصغر من أولئك غير المعرضين إلى الخطر (Juan Hoyos, 2020).

■ ثالثاً: تعاطي المخدرات

ينتشر تعاطي المخدرات بشكل كبير بين أفراد مجتمعات الشذوذ الجنسي، وتختلف درجة الخطورة في إساءة تعاطي المواد المخدرة بحسب طبيعتها وحجم تعاطيها، وممّا لا شكّ فيه أنّ مرحلة الإدمان هي الأكثر خطورة لما في ذلك من تداعيات خطيرة على المستخدم تهدد بقاءه على قيد الحياة. ومن المواد المخدرة التي يستخدمها المدمنون المنحرفون جنسياً الميثامفيتامين، والهروين، والمواد الأفيونية.

● الولايات المتحدة الأمريكية

تُظهر البيانات الصادرة عن المسح الوطني لعام 2020 حول تعاطي المخدرات والصحة (NSDUH) إلى أن أنماط تعاطي المخدرات التي أبلغ عنها البالغون من المنحرفين جنسياً تختلف عن تلك التي أبلغ عنها البالغون من جنسين مختلفين (Substance Use and SUDs

(LGBTQ* Populations) ويقدّر أن 20 إلى 30 ٪ من المنحرفين جنسيًا سيؤون استخدام المواد، مقارنةً بحوالي 9٪ من السكان (LGBTQ+ And Addiction, 2023). والأفراد المتحولون جنسيًا معرّضون بشكل خاص إلى استخدام المواد المُسببة للإدمان بسبب القلق أو الوحدة. ووجدت إحدى الدراسات، أن الطلاب المتحولين جنسيًا هم أكثر عرضة بمقدار 2.5 مرة لاستخدام الكوكايين أو الميثيل، وهم أكثر عرضة بمقدار الضعف لإساءة استخدام الأدوية الموصوفة (LGBTQ+ And Addiction, 2023). بعض الإحصاءات للمنحرفين جنسيًا المدمنين على تعاطي المخدرات (2020 National Survey On Drug Use And Health: Lesbian, Gay, And Bisexual (LGB) Adults, 2022):

- بين البالغين من المنحرفين جنسيًا الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 25 عامًا في عام 2020. 22.9 % (أو 1.2 مليون شخص) عانى من إدمان تعاطي الماريجوانا.
- 3.3 % (أو 180 ألف شخص) تعاطوا الكوكائين.
- استخدم 1.2 % (أو 63000 شخص) تعاطوا الميثامفيتامين.
- أساء 7 % (أو 378000 شخص) استخدام المنشطات الطبيّة.
- 9 % (أو 488000 شخص) استخدموا LSD.
- بين البالغين من المنحرفين جنسيًا الذين تتراوح أعمارهم بين 26 عامًا أو أكبر في عام 2020: 2.9 % (أو 303000 شخص) تعاطوا الكوكائين.
- 3.1 % (أو 328000 شخص) استخدموا الميثامفيتامين.

● فرنسا

شاعت في فرنسا ودول غربيّة أخرى ظاهرة slamsex وتعني تعاطي أنواعاً محدّدة من المخدّرات في أثناء عمليّة الاتصال الجنسي بدافع زيادة النشوة الجنسيّة وإطالتها، ولأن عمليّة تعاطي هذا النوع من المخدّرات يتمّ عن طريق حقن الأوردة؛ فغالبًا ما يكون له تداعيات مرضية خطيرة قد تصل إلى حدّ الوفاة، مثل تفجّر الأوردة الدموية أو تلف الكبد، عدا عن الاضطرابات النفسيّة التي يصاب بها الشاذين جنسيًا بعد الانتهاء من هذه العمليّة.

مراقبة ظاهرة slam هي إحدى مهام شبكة اليقظة من الإدمان Le réseau français d'addictovigilance التي أرادت تقييم المخاطر المرتبطة بممارسة SLAM وعلى نطاق أوسع باستخدام المنشطات في سياق جنسي في فرنسا بين يناير 2008 وديسمبر 2013. الشبكة جمعت 51 حالة: رجال حصرًا، متوسط العمر 40، ومعظمهم من الرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال. انتشار فيروس نقص المناعة البشرية (HIV) هو 82٪ مع عدوى مرافقة لفيروس التهاب الكبد (50 HCV) [من الحالات]. أكثر المواد المنشّطة المُبلّغ عنها هي الكاينونات المُصنّعة (89.5٪)، خاصّة في سياق استخدام العقاقير المتعدّدة (62٪). المضاعفات الرئيسيّة التي تمّ العثور عليها هي الاضطرابات النفسيّة في 50٪ من الحالات (أعراض ذهانية، هياج، قلق، تفكير انتحاري أو محاولات انتحار)، تسمّم حاد في 25٪ من الحالات (بما في ذلك 3 وفيات)، الاعتداء وسوء المعاملة في 17٪ من الحالات. والمضاعفات المعدية (التحوّلات المصلية الفيروسيّة) في 8٪ من الحالات (Anne Batisse, 2016).

● هولندا

ما يقرب من 15-30٪ من الرجال المنحرفين جنسيًا في هولندا مارسوا slamsex في مرحلة ما. وقد تناولت دراسة استقصائية نشرتها «المكتبة الوطنيّة الأمريكيّة للطب» (National Library of Medicine) الدوافع وراء حقن slam والمخاطر الصحيّة التي تنطوي عليها (Leon Knoops, 2022). وجاء في النتائج أن المواد الأكثر شيوعًا التي تمّ حقنها هي: ميثيل ميثكاينون، والميثامفيتامين، والكيثامين، وميثيلثكاينون، والميفيدرون. وكانت أسباب الحقن بشكل أساسي هي تجربة اندفاع أكثر حدّة وممارسة الجنس لفترة أطول. فيما أبلغ Slammers عن مشاكل صحيّة مرتبطة بحقن المخدّرات من قبيل مشاكل جلديّة، وانهيار الأوردة والإصابة بالتهابات. كما كان لهذا النوع من الجنس أعراض نفسيّة أبلغ عنها حوالي ثلاثة أرباع المجيبين مثل الإصابة بالقلق والأرق والحزن والاكتئاب وصولاً إلى الرغبة بالانتحار. فيما أفاد حوالي نصف المستجيبين عن درجة معينة من فقدان السيطرة على أنفسهم وعن مخاوفهم من سلوك انتقامي (Leon Knoops, 2022).

■ رابعاً: الوصفات الطبية⁽¹⁾

تتحوّل الوصفات الطبية التي تُمنح لدواعي طبيّة في بادئ الأمر إلى شكل من أشكال الإدمان على المخدرات في حال جرى تعاطيها بشكل مكثّف، وهو ما يفعله كثيرون من المنحرفين والمنحرفات جنسياً بعد تدهور حالتهم النفسيّة.

الولايات المتحدة الأمريكية

في عام 2020، كانت النسبة المئويّة للبالغين من الشاذّين جنسياً (أي المثليين والمثليات ومزدوجي الميول الجنسية والمتحوّلين جنسياً) ممّن استخدموا مُسكّنات الألم بوصفة طبيّة، متشابهة عبر الفئات العمريّة. وفيما يأتي إحصاءات للمنحرفين جنسياً الذين أساءوا استخدام الوصفات الطبيّة (2020 National Survey On Drug Use And Health: Lesbian, Gay, And Bisexual (LGB) Adults, 2022):

بين البالغين الشاذّين جنسياً الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 25 عاماً في عام 2020:

5.4% (أو 292000 شخص) أساءوا استخدام المواد الأفيونيّة.

1.6% (أو 87000 شخص) يعانون من اضطراب استخدام المواد الأفيونيّة.

بين البالغين من الشاذّين جنسياً الذين تتراوح أعمارهم بين 26 عاماً أو أكبر في عام 2020:

7.4% (أو 790000 شخص) أساءوا استخدام المواد الأفيونيّة.

2.8% (أو 296000 شخص) يعانون من اضطراب استخدام المواد الأفيونيّة.

4.8% (أو 511000 شخص) أساءوا استخدام المُنشطات الطبيّة.

■ خامساً: الكحول

تنتشر عادة شرب الكحول في أوساط المجتمعات الغربيّة، لكن في حالة الشذوذ تبلغ المخاطر ذروتها مع الشرب بإفراط وهو ما يُعرف بـ Substance Use Disorder. وفي حين

1 - تم تعريف إساءة استخدام العقاقير الموصوفة على أنها استخدام بأي شكل من الأشكال بدون توجيه من الطبيب، بما في ذلك الاستخدام بدون وصفة طبيّة؛ الاستخدام بكميات أكبر، في كثير من الأحيان، أو لفترة أطول مما يُطلب منه تناول الدواء؛ أو استخدام بأي طريقة أخرى دون توجيه من الطبيب.

أنَّ الأسبابَ المباشرة لهذا السلوك بين المنحرفين جنسياً لا تُعلن بشكل مباشر في الدراسات التي تتناول نسب الإدمان، فإنها على الأغلب تتصلُّ برغبة زيادة المتعة أو كنتيجة لاضطرابات الصحة النفسية.

● الولايات المتحدة الأمريكية

وجد استطلاع أجراه «المسح الوطني حول تعاطي المخدرات والصحة» NSDUH أنه في عام 2020، كان ما يقرب من 21.8٪ من البالغين من المنحرفين جنسياً يعانون من اضطراب تعاطي الكحول، مقارنةً بـ 11.0٪ من إجمالي السكان (Substance Use and SUDs in LGBTQ* Populations).

ويعاني ما يقرب من ثلثي البالغين من المنحرفين جنسياً المصابين بـ SUD⁽¹⁾ من تعاطي الكحول. ففي عام 2020، استخدم أكثر من نصف البالغين من المنحرفين جنسياً البالغين من العمر 18 عاماً أو أكثر الكحول. فيما كان لدى البالغين الذين تبلغ أعمارهم 26 عاماً أو أكثر معدلات أعلى من تعاطي الكحول مقارنةً بالشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 25 عاماً (2020 National Survey On Drug Use And Health: Lesbian, Gay, And Bisexual (LGB) Adults, 2022).

بعض إحصاءات إدمان المنحرفين جنسياً لشرب الكحول (2020 National Survey On Drug Use And Health: Lesbian, Gay, And Bisexual (LGB) Adults, 2022):

بين البالغين من المنحرفين جنسياً الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 25 عاماً في عام 2020: 55.7% (أو 3.0 مليون شخص) استخدموا الكحول.

23.8% (أو 1.3 مليون شخص) يعانون من اضطراب تعاطي الكحول.

بين البالغين من المنحرفين جنسياً الذين تتراوح أعمارهم بين 26 عاماً أو أكبر في عام 2020: 62.2% (أو 6.6 مليون شخص) استخدموا الكحول.

20.8% (أو 2.2 مليون شخص) يعانون من اضطراب تعاطي الكحول.

1 - اختصار لـ Substance Use Disorder ويعني إدمان استخدام الكحول أو المواد المخدرة.

■ سادساً: الأمراض العقلية⁽¹⁾

يُصاب عددٌ كبيرٌ من المنحرفين جنسياً من النساء والرجال باضطرابات نفسية يصل مدى خطورتها إلى إدمان تعاطي المخدرات أو الانتحار. ويُعدُّ القلق والاكتئاب من أكثر الحالات النفسية الشائعة التي تطال الشاذين جنسياً. وفي حين أنَّ المؤسَّسات الطبيَّة في الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية تُفسِّرُ إصابة الشواذ بالأمراض العقلية بالتمييز والتنمُّر الذي يتعرضون له بسبب هويتهم الجنسية إلاَّ أنه من المعروف أنَّ حقوق الشواذ محفوظة قانونياً ويُصرف عليها سنوياً ميزانيات ضخمة لدعم المنحرفين جنسياً وتوسيع دائرة انتشار هذه الظاهرة. وبالتالي فإنَّ الأسباب الحقيقية تُخفى خلف هذه التفسيرات، والواقع أنَّ الأمر يحتاج دراسة موضوعية لفهم الارتدادات النفسية لمخالفة الفطرة البشرية، وانتهاكات خصوصية الهوية الجنسية التي ولد بها الفرد.

● الولايات المتحدة الأمريكية

لدى الشاذون جنسياً والنساء على وجه التحديد، مخاطر متزايدة للإصابة بالأمراض النفسية (J Wang, 2015). يعاني الرجال الشاذون جنسياً من نتائج سلبية على الصحة العقلية بما في ذلك اضطرابات المزاج وتعاطي المخدرات والانتحار في كثيرٍ من الأحيان أكثر من الرجال المغايرين.

يُظهر الرجال الشاذون مقارنةً بالمغايرين معدلات متزايدة من اضطرابات المزاج والقلق. ويُرجَّحُ أن يُبلغ الرجال المنحرفون جنسياً عن أفكار وخطط ومحاولات انتحارية في حياتهم أكثر مقارنةً بالرجال المغايرين. فقد قام 1 من كل 6 رجال من الشاذين جنسياً بمحاولة انتحار واحدة في حياتهم بحسب «الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين» (Mental Health Facts For Gay Populations, 2018)، فيما أبلغ 68٪ من الشاذين جنسياً عن أعراض اضطراب القلق العام، بما في ذلك أكثر من 3 من كل 4 من الشباب المتحولين جنسياً وغير ثنائيي الجنس

1 - مصطلح يُقصد به الأمراض النفسية التي يتعرض إليها الإنسان مثل: القلق والاكتئاب والذهان والوسواس القهري والرغبة بالانتحار وغيرها من الأمراض التي قد تطاله بسبب حوادث الحياة.

(Startling mental health statistics among LGBTQ+ are a wake-up call , 2020).
ووفقاً لـ SAGE⁽¹⁾ يشعر 53% من الأشخاص الأكبر سناً من الشاذين جنسياً بالعزلة، ويزيد احتمال عيشهم بمفردهم بمقدار الضعف، ومن مخاطر الوحدة أنها يمكن أن تُقصر حياة شخص ما لمدة 15 عاماً. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنه من المعروف أن الاكتئاب والقلق يزيدان من احتمالية الإصابة بالخرف (Startling mental health statistics among LGBTQ+ are a wake-up call , 2020).

وفي هذا الإطار، أفاد مشروع Trevor أن 46٪ من الشباب المنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة صرّحوا بأنهم يريدون استشارة من اختصاصي الصحة العقلية، لكنهم لم يتمكنوا من الحصول عليها خلال الـ 12 شهراً الماضية (Startling mental health statistics among LGBTQ+ are a wake-up call , 2020).

● إيرلندا

في عام 2017، نشر مجلس الشباب لإيرلندا الشمالية تقريراً بحثياً عن الصحة العقلية للأشخاص الشاذين جنسياً، بعنوان: «ما زالوا يصرخون». التقرير ركّز على الشاذين الشباب، الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و 25 عاماً، إلا أن نتائجهم تتماشى مع تقرير «مشروع قوس قزح»: وأفاد 25٪ من المستجيبين والبالغ عددهم 270 أنهم حاولوا الانتحار (Have 1 in 4 LGBT persons attempted suicide?, 2018).

وكشفت الدراسات الدولية أن الرجال المنحرفين جنسياً ومزدوجي الميول الجنسي يعانون من مشاكل نفسية أكثر من عامة السكان الذكور. علاوة على ذلك، هناك أدلة على أن ضغوط الأقليات تنبئ بمشاكل الصحة العقلية لدى الرجال الشاذين جنسياً وثنائيي الجنس. وتشير التحليلات التلوية Meta-analyses بما في ذلك البيانات من عدة دول (على سبيل المثال، هولندا ونيوزيلندا والولايات المتحدة) إلى أنه و بالمقارنة مع الرجال من جنسين مختلفين، فإن الرجال الشاذين جنسياً وثنائيي الجنس لديهم انتشار أعلى للاضطرابات العقلية مثل: الاكتئاب والقلق وتعاطي المخدرات والوسواس- الاضطرابات القهرية. بالإضافة إلى

1 - منظمة أمريكية لدعم وخدمة كبار السن من الشاذين جنسياً منذ عام 1978.

ذلك، تشير البيانات إلى أن الرجال الشاذين وثنائيي الجنس مُعرضون بشكل متزايد إلى خطر الإصابة باضطراب نقص الانتباه / فرط النشاط (ADHD)، واضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، واضطرابات الأكل والذهان (Frank A. Sattler, 2017).

● بريطانيا

يمكن أن تؤثر مشاكل الصحة العقلية مثل: الاكتئاب وإيذاء الذات وتعاطي الكحول والمخدرات والأفكار الانتحارية على أي شخص، لكنها أكثر شيوعاً بين الأشخاص المنحرفين جنسياً. ووجدت دراسة أجراها Stonewall ونشرتها «منظمة الصحة العقلية» (Mental Health Foundation) أنه خلال عام 2022:

عانى نصف الأشخاص الشاذين جنسياً من الاكتئاب، و3 من كل 5 عانوا من القلق. فيما حاول 1 من كل 8 أشخاص شاذين جنسياً؛ والذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 24 عاماً إنهاء حياتهم. وما يقرب من نصف الأشخاص المتحولين جنسياً قد فكروا في الانتحار (LGBTIQ+ people: statistics, 2023).

■ سابعاً: الفقر

يُعرف الفقر بأنه الافتقار إلى الضروريات الأساسية والدخل الكافي. وتتمثل إحدى الطرق الشائعة لقياس الفقر بمعدل دخل الأسرة وحجمها، من أجل تحديد ما إذا كان لديها دخل كافٍ لإعالة أفرادها. ويعاني الشاذون والشاذات جنسياً من الفقر بشكل أكبر بالمقارنة مع المستقيمين جنسياً على خلفية البطالة وانعدام الأمن الاقتصادي، فيما ينتشر الفقر بشكل أكبر بين الشواذ الذين ينتمون إلى أقليّات عرقية مثل: الأفارقة واللاتينيين. وفي الوقت نفسه ثمة تفاوت بين معدلات دخل الرجال والنساء الشاذين جنسياً، ذلك أن الرجال عندما ينحرفون جنسياً فإنهم يتوجهون تلقائياً إلى مهن توصف بأنها أنثوية وبطبيعة الحال تنخفض معدلات الأجر في هذه المجالات، والأهم أن الرجل الشاذ يُعامل على كونه امرأة بل إن أدائه العملي لا يرتقي إلى إنتاجية الرجل المستقيم جنسياً. وعلى نحو معاكس، ورغم انخفاض أجر النساء المنحرفات جنسياً في بعض الدول الغربية إلا أنها في دول أخرى كالولايات المتحدة قد تحصل المرأة على أجر أعلى من

نظرائها المستقيمات جنسياً كونها تمضي وقتاً أكثر في العمل لساعات أطول، ومن دون إجازات بالنظر إلى أنها غير ملتزمة بمسؤوليات عائلية وتربية أطفال كحال المرأة المستقيمة جنسياً، فضلاً عن أنه يُنظر إلى المرأة الشاذة على أنها أقل أنوثة وأقرب إلى الذكورة في مجال العمل.

● الولايات المتحدة الأمريكية

وفقاً لتحليل «معهد ويليامز» لعام 2019 لبيانات نظام مراقبة عوامل المخاطر السلوكية (BRFSS) وهي دليل لمعرفة الفقر في مجتمع الشّواذ، فإن البالغين من المنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة هم أكثر عرضة بشكل ملحوظ للعيش في فقر، إذ يعيش أكثر من 1 من كل 5 من البالغين من المنحرفين والمنحرفات جنسياً (22٪) في فقر، مقارنةً بما يقدر بنحو 16٪ من نظرائهم المستقيمين جنسياً.

وعند النظر عبر العرق/ الإثنية، فإن معدلات الفقر بين الأشخاص الملونين من مجتمع المنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة، أعلى من تلك الموجودة في المجموعات الأخرى. على سبيل المثال، ما يقرب من نصف البالغين المتحولين جنسياً اللاتينيين (48٪)، وكذلك ما يقرب من 4 من كل 10 بالغين من الأفارقة (39٪)، يعيشون في فقر.

وفي الآونة الأخيرة، وجدت الأبحاث التي أجرتها مؤسسة HRC أن العاملين بدوام كامل من المنحرفين جنسياً يكسبون أقل من العمال العاديين في الولايات المتحدة، إذ يكسب العامل المنحرف جنسياً حوالي 90 سنتاً مقابل كل دولار يكسبه العامل المستقيم جنسياً، ويكسب العمال الأفارقة ما يقرب من 80 سنتاً (Understanding Poverty in the LGBTQ+ Community, 2019).

البطالة/ العمالة الناقصة

يمكن ربط فقر المنحرفين جنسياً بارتفاع معدلات البطالة. فقد كان ما يقرب من 1 من كل 10 أفراد من المنحرفين جنسياً عاطل عن العمل، أي ما يقرب من ضعف الأشخاص غير الشاذين جنسياً. وللبطالة آثار كبيرة على القدرة على تحمّل تكاليف الرعاية الطبية، والسكن والغذاء والضروريات الأساسية الأخرى. و أحد تفسيرات انخفاض الأجور التي أبلغ عنها عمال

منحرفين جنسيًا هو ارتفاع معدلات «العمالة الناقصة»، أو التوظيف في وظائف مؤقتة/ بدوام جزئي، والوظائف ذات الأجور المنخفضة، بالإضافة إلى الوظائف ذات المزايا المحدودة أو بدون مزايا.

وجد تحليل مؤسسة HRC للبيانات المأخوذة من GSS لعام 2018 أن الأشخاص العاملين من المنحرفين جنسيًا هم أيضًا أكثر عرضة للعمل في الوظائف التي ترتبط عادةً بانخفاض الأرباح والمزايا. ذلك أن الصناعات الخمس الأولى التي يعمل بها المنحرفون جنسيًا من فئة البالغين يمثلون حوالي 40٪ من جميع العاملين، وهي: المطاعم والخدمات الغذائية (15٪) والمستشفيات (8٪) والتعليم (7٪) والكليات والجامعات (7٪) والبيع بالتجزئة (4٪)، وهي من أقل القطاعات أجرًا.

انعدام الأمن الاقتصادي

يتمدد تأثير الفقر إلى جميع جوانب صحة ورفاهية الأمريكيين المنحرفين جنسيًا. نتيجة لارتفاع معدلات الفقر وانعدام الأمن الاقتصادي، ووجدت الأبحاث السابقة أن الأشخاص المنحرفين جنسيًا في خطر متزايد لانعدام الأمن الغذائي، أو عدم القدرة على شراء الطعام، فضلًا عن التشرّد وانعدام الأمن السكني. وبسبب ارتفاع معدلات البطالة والعمالة الناقصة في الصناعات ذات الأجور المنخفضة و/ أو المناصب ذات المزايا الأقل، ومن المرجح أن يفترق الأشخاص المنحرفين جنسيًا من أقرانهم من غير المنحرفين إلى التغطية الصحية أو الموارد المالية لزيارة الطبيب.

ووفقًا لتحليل مؤسسة HRC لـ BRFSS لا يتمتع 17٪ من البالغين المنحرفين بأي نوع من تغطية التأمين الصحي، مقارنةً بـ 12٪ من البالغين من غير المنحرفين. علاوةً على ذلك، فإن 23٪ من المنحرفين جنسيًا من البالغين الملونين، و22٪ من البالغين المتحولين جنسيًا، و32٪ من البالغين المتحولين جنسيًا من ذوي البشرة الملونة، ليس لديهم أي شكل من أشكال التغطية الصحية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن 1 من كل 5 من البالغين من المنحرفين جنسيًا وثنائيي الجنس والمتحولين جنسيًا، لم يذهبوا إلى الطبيب عند الحاجة، لأنهم لا يستطيعون تحمّل تكاليف

ذلك. فيما يتجَنَّب الأفارقة المنحرفون جنسياً البالغون (23٪) والبالغون اللاتينيون (24٪)، وجميع النساء المتحوّلات جنسياً (29٪) الذهاب إلى الطبيب بسبب التكاليف.

أجور الرجال الشاذين

وجدت الدراسات أن الرجال الشاذين يكسبون من 4-5٪ أقل من الرجال المغايرين في هولندا وفرنسا واليونان والمملكة المتحدة إلى 12-16٪ أقل في كندا والسويد والولايات المتحدة.

قد يزعج الرجال المنحرفين جنسياً في مكان العمل الافتراضات التقليدية حول الجنس، وبالتالي قد لا يتم تقييم مساهماتهم في الشركة وقدراتهم القيادية بشكل صحيح ويمكن التغاضي عنها في الترقّيات. وتشير الأبحاث النوعية إلى أن الرجال الشاذين يفرضون قيوداً على أنفسهم ويتجنبون في كثير من الأحيان بعض المهن التي يهيمن عليها الذكور لصالح الوظائف التي تهيمن عليها الإناث (وظائف أقل ذكورية)، والتي قد تكون رواتبها أقل (Drydakis, 2019).

أجور النساء الشاذات

تكسب الموظفات الشاذات جنسياً 28٪ أقل من نظرائهن من الإناث في أستراليا و8٪ أقل في اليونان. لكن في فرنسا والسويد، تكسب الشاذات جنسياً أجور النساء المستقيمين جنسياً نفسها، وفي بعض البلدان يكسبن أكثر: 3٪ أكثر في هولندا، 8٪ أكثر في المملكة المتحدة، 11٪ أكثر في ألمانيا، 15٪ أكثر في كندا، و 20٪ أكثر في الولايات المتحدة. (Drydakis, 2019) أحد التفسيرات المحتملة لتفاوت الأجور هو اختيارات العمل التي يتخذها المنحرفون. وتشير الأبحاث إلى أن الرجال الشاذين جنسياً أكثر ميلاً إلى تجنّب المهن التي يهيمن عليها الذكور أكثر من غيرهم من الرجال (والتي تشمل الوظائف ذات الأجور الأعلى)، بينما من المرجح أن تتجنّب النساء المنحرفات جنسياً المهن التي تهيمن عليها الإناث أكثر من النساء الأخريات (والتي عادةً ما تكون ذات أجر أقل). وقد تكسب الشاذات أيضاً أكثر لأنهن يملن إلى العمل لساعات أطول، والسبب هو عدم التزامهن بتكوين عائلة والاهتمام بالأطفال والأعمال المنزلية وهذا ما يدفع

النساء المتزوجات إلى المطالبة بالمزيد من العطل للاهتمام بالعائلة. (Adrjan, 2021).

● بريطانيا

يكسب الأشخاص المنحرفون جنسياً في بريطانيا في المتوسط ما يقرب من 7000 جنيه إسترليني (8800 دولار) أقل من زملائهم المباشرين كل عام، ووفقاً لدراسة جديدة في مكان العمل (Milne, 2019).

ووفقاً لبحث أجراه موقع التواصل LinkedIn و UK Black Pride فإن الموظفين الشاذين جنسياً يكسبون 16٪ أقل في المتوسط من أقرانهم من جنسين مختلفين، وهو ما يعادل 6703 جنيهًا إسترلينيًا، أي حوالي 8539 سنويًا (Milne, 2019).

خاتمة

على الرغم من التداعيات الخطيرة التي توثقها المؤسسات الطبية الرسمية والمنظمات المدنية الداعمة للشذوذ الجنسي، إلا أنه يُرجح أن تكون النسب المئوية للمصابين بآثار الشذوذ أعلى من تلك المعلنة، ومرد ذلك يعود إلى عدّة أسباب، الأول هو أنّ المؤسسات العاملة في توثيق تداعيات الشذوذ تعتمد غالبًا على دراسة السجلات الطبية التي في حوزتها أو من خلال استطلاعات الرأي المبنيّة على عيّنة محدودة ضمن منطقة مُعيّنة، وهو ما يقلّص نسبة الحالات المستهدفة بالنظر إلى عدد أفراد العيّنة المحدود في الأصل، وبالنسبة إلى دراسة السجلات الطبية، فمن المرجح أن يتمنّع كثيرون من المصابين بحالات صحية ونفسية سيئة من البوح بمشكلاتهم في المراكز الصحية، خاصّة في حالات حساسة مثل الإصابة بمرض نقص المناعة، أو قد لا يلجأ المصابون بالعوارض المذكورة إلى المستشفى خشية انعدام القدرة المادية لطلب المساعدة الطبيّة.

والسبب الثاني هو سياسي، إذ ليس من مصلحة الولايات المتّحدة الأمريكية أو أيّة دولة أوروبية تعظيم أضرار الشذوذ الجنسي في الوقت الذي تخصص له ميزانية ضخمة سنويًا لتعزيز انتشاره عالميًا، ذلك أننا لسنا أمام ظاهرة تنتشر بشكل عفوي من تلقاء ذاتها، إنما

نحن بصدد التعامل مع ظاهرة يتم نشرها بشكل مُمنهج ومدروس من خلال وسائل الإعلام ومراكز التواصل الاجتماعي، والمحاكم الرسمية التي تمنح زواج المنحرفين جنسياً مشروعاً قانونية، والمؤسسات التعليمية التي تُدرج الشذوذ الجنسي في مناهجها لتحويله إلى ظاهرة بيولوجية طبيعية، ومباركة الكثير من الكنائس الغربية زواج الشاذين جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا وألمانيا والنرويج وغيرها، فضلاً عن جهود منظمات المنظمات المدنية في الغرب التي تعمل على الدفاع عما تسميه «حقوق» الشاذين جنسياً وتقود حراكاً مطالباً على مستوى الدول الغربية، وهو واقع يمكن أن نلمسه جيداً في رصد ازدياد نسبة الشذوذ الجنسي في الغرب؛ وأيضاً نسبة الداعمين له، بحسب مراكز دراسات غربية وفي مقدمتها مركز pew للأبحاث.

ولذلك وعلى الأغلب فإنّ النتائج المذكورة، وعلى أهميتها لم تنصف خطورة الواقع. على أية حال، وفي ظلّ الاستمرار على هذا النحو في الترويج للانحراف الجنسي، فمن المؤكّد أن التداعيات لن تقف عند هذا الحدّ، فبعد فيروس نقص المناعة والمخدرات الجنسية، والانتحار، ستحمل السنوات المقبلة آثاراً أشدّ سوءاً وخطورة، طالما أنّ علاج هذه الظاهرة أو ضبطها لا يزال سبيلاً بعيد المنال عن المنحرفين جنسياً.

أما بالنسبة إلى السبب الثالث، ففي الغالب يتمّ نشر نتائج الإحصاءات بطريقة مُجتزأة، وهو ما يقلّص حجم النسبة الإجمالية، فمثلاً حين يجري الحديث عن مُعدل إدمان المخدرات لدى المنحرفين جنسياً يتمّ تقسيمه إلى فئات عمرية، وإلى أنواع المواد المخدرة، والحال ذاتها عند تناول حالات أخرى.

في المقابل، يجري تبرير تداعيات الانحراف الجنسي بالافتقار إلى الدعم الاجتماعي والتعرّض إلى التنمر، إذ لا تكاد تخلو دراسة غربية أو تقرير من هذه الفرضية، في حين أنّ الجهود الإعلامية والأكاديمية والتعليمية والقانونية والدينية حتى إلى جانب ارتفاع نسبة تأييد زواج الشاذين في الدول الغربية، إذ بلغ 63% في الولايات المتحدة وبنسب تتراوح بين 70% و90% في أوروبا، كما شرحنا بالتفصيل في مقدمة البحث، كل ذلك ينفي بتقديرنا فرضية الافتقار إلى الدعم الاجتماعي، وبالتالي هذا يدفعنا إلى السؤال عن الأسباب الحقيقية لتداعيات الشذوذ الجنسي بالنظر إلى كونه ظاهرة تخالف الطريقة الطبيعية للعلاقات البشرية في الحب والجنس.

جداول إحصائية

في هذه الجداول أبرز نتائج تداعيات الشذوذ الجنسي في الدول الغربية المذكورة مع تحديد الدولة ومصدر النسب الموثقة لحالات التداعيات التي جرى دراستها في البحث وهي: الانتحار، وفيروس نقص المناعة، والأمراض النفسية، وإدمان الكحول، وإدمان المخدرات، وإدمان الوصفات الطبية، والفقير.

منظمة SOS Homophobia	Trevor Project	المسح الوطني لتعاطي المخدرات والصحة (NSDUH)	الانتحار
	أعلى بنسبة 40 %	أعلى بـ 6 مرات	الولايات المتحدة
30 %			فرنسا

جدول 1: نسبة الانتحار لدى الشاذين جنسيًا

المكتبة الوطنية الأميركية للطب NLM	مسح نتائج MeDi	مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC)	فيروس نقص المناعة (الإيدز)
		يُشكّل الرجال الشاذين جنسيًا 69 %	الولايات المتحدة
	20 %		إيطاليا
38.4 % من الشاذين الرجال.			إسبانيا

جدول 2: نسبة المنحرفين جنسيًا المصابين بالإيدز

المكتبة الوطنية الأميركية للطب NLM	المسح الوطني حول تعاطي المخدرات والصحة (NSDUH)	الانتحار
	30 % من المنحرفين جنسيًا مدمنين	الولايات المتحدة
30 % من الرجال المتحرفين جنسيًا مارسوا Slamsex		هولندا

جدول 3: نسبة الشاذين جنسيًا مدمني المخدرات

المسح الوطني حول تعاطي المخدرات والصحة (NSDUH)	الوصفات الطبية
5.4 % (أو 292000 شخص) من الشباب أساؤوا استخدام المواد الأفيونية.	الولايات المتحدة
7.4 % من البالغين (أو 790000 شخص) أساؤوا استخدام المواد الأفيونية.	

جدول 4: نسبة الشاذين جنسيًا مدمني الوصفات الطبية

المسح الوطني حول تعاطي المخدرات والصحة (NSDUH)	الكحول
55.7 % (أو 3.0 مليون شخص) استخدموا الكحول.	الولايات المتحدة
23.8 % (أو 1.3 مليون شخص) يعانون من اضطراب تعاطي الكحول.	

جدول 5: نسبة المنحرفين جنسيًا مدمني الكحول

مؤسسة الصحة العقلية Mental Health Foundation	المجلس الأعلى للشباب شمال إيرلندا	منظمة SAGE للشاذين جنسيًا	مشروع Trevor	الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين American Psychiatric Association	الأمراض العقلية
		53% من الأشخاص الأكبر سنًا من الشاذين جنسيًا يعانون من العزلة	46% من الشباب المنحرفين يريدون استشارة من اختصاصي الصحة العقلية	1 من كل 6 رجال من الشاذين جنسيًا قام بمحاولة انتحار	الولايات المتحدة
	25% من الشاذين الذكور حاولوا الانتحار				إيرلندا
3 من 5 من الشاذين جنسيًا عانوا من القلق					بريطانيا

جدول 6: نسبة الشاذين جنسيًا المصابين بأمراض عقلية

الفقر	الأمراض العقلية	الكحول	الوصفات الطبية	المخدرات	فيروس نقص المناعة	الانتحار	المعدل
20%	40%	12%	3.4%	30%	45%	35%	

جدول 7: معدل تداعيات الشذوذ الجنسي في الولايات المتحدة وبريطانيا، فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، هولندا، إيرلندا

UK Black Pride	تحليل معهد ويليامز لبيانات نظام مراقبة عوامل المخاطر السلوكية (BRFSS)	الفقر
	أكثر من 1 من كل 5 من البالغين من المنحرفين والمنحرفات جنسيًا (22%). 1 من كل 10 أفراد من المنحرفين جنسيًا عاطل عن العمل.	الولايات المتحدة
الشاذون جنسيًا يكسبون 16٪ أقل في المتوسط من أقرانهم من جنسين مختلفين.		بريطانيا

جدول 8: نسبة الشاذين جنسيًا المعرضين للفقر

المصادر

- ▶ (2022). 2020 National Survey On Drug Use And Health: Lesbian, Gay, And Bisexual (LGB) Adults. Substance Abuse and Mental Health Services Administration.
- ▶ (2023). LGBTIQ+ people: statistics. mental health foundation.
- ▶ Adrjan, P. (2021). There's a gay wage gap - and it's linked to discrimination. The conversation.
- ▶ Anne Batisse, a. o. (2016). Usage de psychostimulants dans un contexte sexuel : analyse des cas rapportés au Réseau français des centres d'addictovigilance. Évaluation des risques liés à la pratique du SLAM. Elsevir.
- ▶ BROWN, A. (2023, JUNE 23). 5 key findings about LGBTQ+ Americans.
- ▶ Chaka L. Bachmann, B. G. (2018). LGBT IN BRITAIN. stonewall.
- ▶ Drydakis, N. (2019). Sexual orientation and labor market outcomes. IZA world of labor.
- ▶ Frank A. Sattler, G. H. (2017). Mental health differences between German gay and bisexual men and population-based controls. National library of health .
- ▶ (2018). Have 1 in 4 LGBT persons attempted suicide? Factcheckni.
- ▶ (2021). HIV and Specific Populations. United State : HIVinfo.NIH.gov.
- ▶ (2021). HIV and Specific Populations. United State: HIVinfo.NIH.gov.
- ▶ J Wang, M. D.-K. (2015, february). Increased risks for mental disorders among LGB individuals: cross-national evidence from the World Mental Health Surveys. National library of medicine.
- ▶ JACOB POUSSHTER, S. G. (JUNE 13, 2023). How people in 24 countries view same-sex marriage. pew research center.
- ▶ Juan Hoyos, K. K.-M.-J. (2020, March). High risk men who have sex with men in Spain are reporting low intentions of actively seeking HIV testing: results from a cross-sectional study. BMC Public health.
- ▶ Leon Knoops, J. v. (2022). Slamsex in The Netherlands among men who have sex with men (MSM): use patterns, motives, and adverse effects. National library of health.
- ▶ (2023). LGBTQ+ And Addiction. addictioncenter.
- ▶ Maria Fenicia Vescio, P. G. (2020). HIV prevalence among adults in Rome: results of the MeDi (Measuring health Disparities in HIV prevention) survey. Part 2. National library of medicine.
- ▶ (2018). Mental Health Facts For Gay Populations. American psychiatric association.
- ▶ Milne, A. (2019). A new pay gap - this time for Britain's LGBT+ workers. reuters.
- ▶ (2021, November 9). Researchers find disparities in suicide risk among lesbian, gay, and bisexual adults. United State: National Institutes of Health (NIH).
- ▶ (2021). Researchers find disparities in suicide risk among lesbian, gay, and bisexual adults. united state: National Institutes of Health (NIH).
- ▶ Roszéwitch, Y. (2015). Le suicide, une conséquence avérée de l'homophobie et de la transphobie. sos-homophobie.
- ▶ (2020). Startling mental health statistics among LGBTQ+ are a wake-up call . Services & Advocacy for IGBTQ Elders (sage).
- ▶ (n.d.). Substance Use and SUDs in LGBTQ+ Populations. ational Institute on Drug Abuse (NIDA) .
- ▶ Understanding Poverty in the LGBTQ+ Community. (2019).

الزوجية في الرؤية القرآنية: دراسة تأصيلية - نقدية للايديولوجية الشذوذية

■ الشيخ سامر توفيق عجمي

باحث في الدراسات القرآنية - لبنان

ملخص

يُقدِّم لنا القرآن الكريم رؤيةً إلى الإنسان تقوم على وجود سنن ثابتة في ضوء الإرادة الإلهية، منها: «الزوجية البيولوجية». والفكرة الأولى في القرآن هي عموم قانون الزوجية لكل ما خلق الله تعالى، ولكن الظاهر أنها ليست بمعنى الذكورة والأنوثة، بل التشاكل والتخالف، أو الفعل والانفعال، ولكن ثمة آيات يُستظهر منها عموم قانون الزوجية البيولوجية لعالم النبات فضلاً عن عالم الحيوان والإنسان. ويلاحظ المستطلع للآيات القرآنية أموراً عدة:

أولاً: انقسام الإنسان إلى ذكر وأنثى دون وجود صنف ثالث، وهي من مُسلّمات البيولوجيا المعاصرة، مع ذلك، تقوم الأيديولوجيا الجندرية على سفسطة تتجاوز البيولوجيا والعلم باعتقادها بوجود هويات خارج الذكورة والأنوثة، قائمة على أساس الرغبة الشخصية دون الواقع التكويني. وثانياً: اختصاص قابلية الحمل بالأنوثة.

وثالثاً: التناسل يحصل بالعلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى، لكن القرآن حصرها بالزواج الشرعي. وفي المقابل، الأيديولوجيا الجندرية والشذوذية، تتجاوز ذلك، حيث شرّعت الزواج بين المثليين. ولذا، حرّم القرآن أية علاقة جنسية بين الذكر والأنثى خارج الزواج الشرعي، أو بين الإناث، أو بين الذكور، مشيراً إلى أن أحد الآثار التدميرية لذلك: عدم استمرار النوع البشري، ولذا الجندرية والشذوذية هي فلسفة موت وعدمية.

الكلمات المفتاحية:

الزوجية، الجندرية، الشذوذ، القرآن الكريم.

مقدمة:

لا ريب - في اعتقادنا - أنّ البحثَ المنطلقَ من الرؤية المعرفية المؤسّسة على مصدرية الوحي يتحرّك في خطّ مواز للذي يُقصي حضوره؛ لأنّ الوحيَ بمنزلة النور للعقل البشري. فكما أنّ العينَ السليمة لا تتمكّن من رؤية الأشياء إلاّ بانساط النور، كذلك العقل الفطريّ السليم في دراسته أيّ موضوع كالوجود أو الإنسان، يحتاج إلى مدد الوحي حتى في المُستقلّات العقلية إرشاداً أو تأييداً، ليستلهم منه ما يُمكّنه من تحديد موقفه تجاه بعض القضايا.

يُقدّم لنا القرآن الكريم - بوصفه مصدرًا وحيانيًا مضمون الحقائق - رؤية إلى الطبيعة والإنسان تقوم على أساس وجود سنن ثابتة في ضوء الإرادة الإلهية، بمعنى أنّ الله تعالى اختار أن يشغل عالم الطبيعة والمادة في حركته نحو الأهداف التي خلّق لأجلها وفق مجموعة خاصّة من القوانين الحاكمة دون غيرها، ولو شاء الله أخرى لكان ما أراد⁽¹⁾، فمثلاً أكّد القرآن الكريم الترابط السببي بين بعض الظواهر الطبيعية، يقول تعالى: ﴿اللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (الروم: 48)، فأسندت الآية إثارة السحاب إلى الرياح، ويقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (البقرة: 22)، والباء في: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ للسببية، والضمير في «به» يرجع إلى الماء، فيكون الماء سببًا لإخراج الثمرات، وهكذا عشرات الأمثلة في القرآن الكريم، مع تأكيده على خضوع هذه السببية للتوحيد الأفعالي والإرادة الإلهية ﴿اللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ﴾ ﴿فَأَخْرَجَ [الله] بِهِ﴾.

عطفًا على ما سبق، من الموضوعات المهمة التي طرحها القرآن الكريم: «الزوجية - أي

1 - عن الإمام جعفر الصادق (ع): "أبى الله أن يُجْريَ الأشياءَ إلاّ بأسباب، فجعل لكلّ شيءٍ سببًا..." (الكليني،

الذكورة والأنوثة-»، ولا شك في أن منهجية معالجة هذا الموضوع بلحاظ ما تقدّم -أي الاعتقاد بمصدرية المعرفة الوحيانية وحاكمية الإرادة الإلهية على العالم وفق سنن خاصة- تختلف عن دراسته في ضوء مناهج لا تستند إلى هذه الرؤية الاعتقادية-المعرفية، وسنحاول في هذا البحث فهم «الزوجية» في الرؤية القرآنية، لنرصد المعطيات التي قدّمها القرآن الكريم حولها.

■ أولاً: زوجية كل شيء في القرآن الكريم:

الفكرة الأولى المثيرة للانتباه في القرآن الكريم هي قوله عز وجل: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات: 49)، وقد استفاد بعض المفسرين منها في عموم قانون الزوجية -بمعنى الذكورة والأنوثة- لكل ما خلق الله تعالى، فهل كل ما في عالم الطبيعة من أنواع الكائنات مخلوق منه صنفان ذكر وأنثى؟ يتوقف الجواب فيما يمكن استظهاره من الآية على تحديد نقطتين:

معنى مفردة "شيء":

الشيء في الوضع اللغوي معلوم المعنى لا يحتاج إلى شرح وبيان. فكل ما قيل في تعريفه هو من باب تحديد المراد التداولي، كما في قول سيبويه: «الشيء يقع على كل ما أُخبر عنه» (ابن منظور، 1997م، ج7، ص249)، وقول بعضهم: يدل على كل ما هو موجود وثابت. والملاحظ بالاستقراء التام للآيات -بغض النظر عن المعنى اللغوي والروائي⁽¹⁾- أن مفردة «شيء» في القرآن لم تُستعمل إلا فيما هو دون الله تعالى، فكل ما وقع عليه اسم شيء في القرآن هو مخلوق، و﴿الله خالق كل شيء﴾ (الرعد: 16).

وعندما تضاف «كل» إلى «شيء» تفيّد الاستغراق للأفراد جميعاً التي يقع عليها اسم

1 - أدرج (الكليبي، 1388هـ، ج1، ص82-83) تحت عنوان: (باب إطلاق القول بأنه شيء) سبعة أحاديث يستفاد منها أنه يصح إطلاق كلمة "شيء" على الذات الإلهية المقدّسة بالتنزيه وسلب المثلية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 11)، منها: عن الحسين بن سعيد، قال: "سئل أبو جعفر الثاني -الجواد- عليه السلام: يجوز أن يقال له: إنه شيء؟ قال: نعم، يخرج من الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه". ومنها: عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام، "أنه قال للزنديق حين سأله: ما هو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشئية، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يُجسّ ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيّره الأزمان...".

«شيء»، والاستثناء من العموم يحتاج إلى دليل يُخرج المُستثنى عن الاندراج تحت الشَّمول والاستيعاب، سواء أكان هذا الدليل لفظياً أم لبيّاً عقليّاً، وهناك شواهد كثيرة على إرادة العموم في القرآن الكريم، منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 20)، ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 231)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّيْرِ﴾ (القمر: 52)⁽¹⁾.

بيان معنى «الزوجية» في اللغة والاستعمال القرآني:

قال ابن فارس: «الزاي والواو والجيم، أصلٌ يدلُّ على مقارنة شيءٍ لشيءٍ». (ابن فارس، 1404هـ، ج3، ص35) وفي لسان العرب: «الأصل في الزوج الصِّنف والنوع من كلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان». (ابن منظور، 1997، ج2، ص292) والجمله الثانية تفيد أن كلمة «الزوجين» تطلق على كلِّ اثنين اقترن أحدهما بالآخر مطلقاً، فلا يُشترط في إطلاق كلمة الزوجين على الاثنين أن يكونا متناظرين بحيث يندرجان تحت جنس أو نوع أو صنف واحد، فالعرب توقع لفظ الزوجين أيضاً على الجنسيتين المختلفتين نحو: الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والليل والنهار...

أمّا الاستعمال القرآني، فلا يختلف عن المعنى اللغوي، (الراغب 1412هـ، ص384) ويقول حسن المصطفوي: «إنها قد تطلق بلحاظ ما يكون له عدل ومقابل آخر من نظيره، ولكن «قد تطلق المادة من دون إضافة إلى عدل في الظاهر، وحينئذ تقرب من مفهوم الصنف والنوع والشكل، كما في ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (فاطر: 11)...». (المصطفوي، 2009م، ج4، ص382)

والخلاصة أنه لغةً واستعمالاً في القرآن تطلق كلمة: «زوج»، «زوجين»، «أزواج» على أمرين: الأول: الصنف والنوع والشكل. الثاني: الذكر والأنثى.

آراء المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجِينَ﴾:

الرأي الأول: أنه من كلِّ شيءٍ خلق زوجين؛ أي ذكراً وأنثى.
والثاني: حمل معنى «كلِّ شيءٍ» على خصوص الحيوان. قال الزمخشري: أي من كلِّ شيءٍ من

1 - انظر الآيات: النساء: 33، و86 والأنعام: 102. وهود: 57. والأحزاب: 52. والأنعام: 99. والطلاق: 3. إلخ.

الحيوان خلقنا زوجين ذكراً وأنثى.

ولكن يناقش، بأنه لا يساعد عليه البحث اللغوي، فهو تخصيص من غير مُخصَّص وتقييد تبرُّعي لا دليل عليه من الآية، وأقصى ما يصلح أن يكون مُقيِّداً من خارج مدلولها هو العهد الخارجي من معنى الزوجية البيولوجية، ولا ينفع للتخصيص والتقييد لأنه مجرد استئناس ذهني لا أكثر، ولعل ذلك لحمله الزوجية على الذكورة والأنوثة، مع أنه يمكن حملها على كلِّ مقترنين متساكين أو متخالفين أعم من الذكورة والأنوثة كما تقدّم.

والثالث: رأي مجاهد، أنه من كلِّ شيء خلق الله تعالى نوعين مختلفين، فالمراد مطلق المتقابلات كالذكر والأنثى والسماء والأرض والليل والنهار والبر والبحر والإنس والجن... (الطبري، 1995، ج22، ص440)

ويرد عليه أنه تخصيص بلا مُخصَّص، لأن الزوجية تشمل المتساكين أيضاً. الرابع: ذهب إليه الفخر الرازي من أن الزوجين يعمان الضدين كالذكر والأنثى، والمتساكين، فإن كلَّ شيء له شبيه ونظير وضدّ وند (الرازي، 1420هـ).

والخامس: ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي، بقوله: «الزوجان المتقابلان يتمُّ أحدهما بالآخر: فاعل ومنفعل كالذكر والأنثى» (الطباطبائي، ج18، 1402هـ)، وقال في تفسير (يس: 36) «أشار إلى ما هو أعظم وأوسع من خلق أزواج النبات وهو خلق الأزواج كلها وتنظيم العالم المشهود باستيلاء كلِّ شيء من فاعل ومنفعل قبله هما أبواه كالذكر والأنثى من الإنسان والحيوان والنبات، وكلِّ فاعل ومنفعل يتلاقيان فيستجان بتلاقيهما أمراً ثالثاً». (الطباطبائي، ج17، 1402هـ) والأوجه في تفسير الآية ما ذكره الرازي، ويساعد عليه الاستعمال اللغوي.

والمُحصَّل، أن الآية أجنبية عن إثبات الزوجية -بمعنى الذكورة والأنوثة المتعارفة بيولوجياً- لكلِّ ما في عالم الطبيعة، وأقصى ما يمكن استظهاره في هذا المجال -لو تجاوزنا- هو ما أفاده العلامة الطباطبائي، فمعنى الآية: أن الله تعالى خلق أنواعاً وأصنافاً وأشكالاً متفكّمة ومختلفة، ليكون ذلك دليلاً على سعة قدرته من جهة وفردية من جهة ثانية، فيكون معنى الآية أن كلِّ مخلوق في العالم ليس متمحّصاً في الفردية والأحدية، بل إمّا له شبيه يشاكله، أو ضد يخالفه، فالتعدّد من خصائص المخلوق، وأنّ الوحدانية المحضة والواحد لا عن عدد منحصرة بالله تعالى⁽¹⁾.

1 - ويمكن استظهار هذا المعنى من الروايات، منها: عن أمير المؤمنين (عليه السلام): "... بمضادته بين الأشياء

■ ثانياً: نظام الزوجية في عالم النبات :

ورد في مجموعة من الآيات الكريمة ما يُفيد وصف النبات بالزوجية، كقول تعالى: ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:5). ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان:10). ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (ق:7). ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء:7). ﴿سَبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ (يس:36). ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه:53).

فهل الزوجية في عالم النبات بمعنى الأصناف والأشكال والأنواع أم بمعنى الذكورة والأنوثة؟ لكن قبل ذلك نشير إلى معنى النبات، وهو كل ما فيه قوة النمو؛ مما يخرج من المزروعات، قال ابن فارس: «النون والباء والتاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على نماءٍ في مزروع، ثم يستعار» (ابن فارس، 1404هـ، ج5، ص378)، كما استعير قوله تعالى في مريم (ع): ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (آل عمران:37). وفي الاستعمال القرآني قد يطلق النبات ويراد معناه المتعارف، وقد يطلق ويقصد به كل ما فيه قوة النمو أعم من المزروع إما حقيقة وإما من باب الاستعارة، كما يظهر من قوله تعالى: (فأخرجنا به نبات كل شيء) (الأنعام:99) أي أنبتنا به كل شيء نباتي كالشجر والإنسان وسائر الحيوان. (الطباطبائي، 1997م، ج7، ص2)

يقول العلامة الطباطبائي في قوله تعالى: ﴿سَبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: «بيان للأزواج والذي تنبت الأرض هو النبات ولا يبعد شموله الحيوان، وقد قال تعالى في الإنسان؛ وهو من أنواع الحيوان ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح:17)، ويؤيد ذلك أن ظاهر سياق البيان استيعابه للمبين مع عدم ذكر الحيوان في عداد الأزواج» (ابن فارس، 1404هـ، ج17، ص88).

وقد احتمل المفسرون المعاصرون وجهان لمفردة «زئج» التي هي متعلقة بالإنبات في هذه الآيات:

الأول: الصنف، فيكون المعنى أنبت في الأرض أصنافاً متشابهة ومختلفة.

عرف الأضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف الأقرين له، ضاد النور بالظلمة، والجسو بالبلل، والصدرد بالحرور، ... وذلك في قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ " (الكليني، 1388هـ، ج1، ص139). وكذلك ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام بالمضمون ذاته (الطوسي، 1414، ص22).

الثاني: الازدواج بلحاظ انقسام النبات إلى ذكر وأنثى.

ويلاحظ من العلامة الطباطبائي وكذلك الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وغيرهما تبني أحد الاحتمالين تارة، كما في الآية الثالثة المتقدمة (ق:7) حيث حملا «المراد بإنبات كل زوج بهيج إنبات كل صنف حسن المنظر من النبات». وفي بعضها الآخر: التزاوج والازدواج بمعناه البيولوجي، كما في قول العلامة في الآية الثانية المتقدمة (لقمان:10) «وفيه إشارة إلى تزوج النبات»، وكذلك الآية الأخيرة.

وتارة يحتمل العلامة كلا المعنيين، كما في تفسيره الآية الأولى (الحج:5)، يقول: «وأثبتت الأرض من كل صنف من النبات...، أو المراد بالزوج ما يقابل الفرد؛ فإن كلامه يثبت للنبات ازدواجا كما يثبت له حياة وقد وافقته العلوم التجريبية اليوم». (الطباطبائي، 1997، ج18، ص340؛ ج16، ص21؛ ج14، ص171 و345)

أما الشيخ الشيرازي فيقول في الآية الثانية المتقدمة (لقمان:10): «تشير هذه الآية مرة أخرى إلى مسألة الزوجية في عالم النباتات وهي أيضاً من معجزات القرآن العلمية، لأن الزوجية - أي وجود الذكر والأنثى - في عالم النباتات لم تكن ثابتة في ذلك الزمان بصورة واسعة، والقرآن كشف الستار عنها». وكذلك في الآية الثالثة (ق:7)، والآية الأخيرة (طه:53). وكذلك يحسم الموقف في تفسير الآية الرابعة (الشعراء:7). (الشيرازي، 2013، ج13، ص30؛ ج17، ص16؛ ج10، ص19؛ ج14، ص183)

ولكن الإشكالية التي يمكن أن تثار هنا: هل الرأي الذي تبناه كل من العلامة الطباطبائي والشيخ ناصر مكارم يمكن استظهاره بالنظر إلى لسان الآيات في ذاتها دون الاستعانة بالقرينة الخارجية التي ثبتت بواسطة العلوم التجريبية؟ حيث قد يقال إنَّ البحث القرآني يقتضي النظر إلى دلالة الآية في ذاتها من حيث ما الذي يمكن استظهاره منها بمساعدة اللغة، لكن يمكن أن يقال إنَّ الاستعانة بالقرائن الخارجية المنفصلة القطعية أسلوب عُرْفِي نوعي في التفهيم والتفاهم، فما يكشف عنه العلم من ظواهر طبيعية يمكن توظيفه في فهم النصِّ الديني وليس خارجاً عن نظام التعبير اللغوي، ويمكن تشبيه المسألة باستعانة المُفسِّرين بالقواعد العقلية القطعية في فهم النص، وأنها من أصول التفسير، وبمنزلة قرينة لفظية متصلة. (اللكراني، 1428هـ، ص189).

والحقُّ أنَّ الآيات والنظر إليها في ذاتها تحتمل كلا المعنيين المذكورين سابقاً؛ كما أفاده

العلامة والشيخ بالنسبة إلى بعض الآيات، أمّا ترجيح أحد المعنيين على الآخر للخروج في دائرة الإجمال إلى الظهور يحتاج إلى قرائن، هذا ويمكن أن يقول بإرادة المعنيين من باب جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى.

القرائن المرجحة لإرادة معنى الزوجية البيولوجية:

وعلى كلّ حال، يمكن طرح بعض القرائن المرجحة لإرادة معنى الزوجية البيولوجية لا أقل في بعض الآيات:

الأولى: إنّ تكرار الزوجية في وصف النبات يشعر بكون المقصود هو الأزواج دون الأصناف، وذلك لأنّ الأصناف من الأمور المحسوسة المشاهدة التي لا تخفى على أحد كي يتكرر ذكرها من باب الامتنان أو التنبيه على عظمة الخالق فقط، وإنّما الذي يفيد ذلك هو كونها بمعنى الأزواج، والذي يؤيده أنّ مسألة أزواج النبات لم تكن غائبة بالمطلق عن الذهنية العربية المزمّنة لعصر النصف بل كانت مستأنسة بأنّ بعض أنواع النبات خاضعة لهذه السنّة؛ كما في تبوير النخل وتلقيحه.

الثانية: لو كان المقصود بالزوج: الصنف والشكل، لكان الأولى التعبير بالأزواج بمعنى الأصناف لا الزوج.

الثالثة: القرائن الداخلية من الآيات نفسها بعطف بعضها على بعض، كقوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ (الحجر: 22)، يقول العلامة الطباطبائي: «واللواقح جمع لاقحة من اللقح بالفتح فالسكون يقال: لقح النخل لقحاً؛ أي وضع اللقاح - بفتح اللام - وهو طلع الذكور من النخل على الإناث لتحمل بالتمر، وقد ثبت بالأبحاث الحديثة في علم النبات أنّ حكم الزوجية جار في عامة النبات وأن فيه ذكورية وأنوثة وأنّ الرياح في مهبتها تحمل الذرات من نطفة الذكور فتلقح بها الإناث... وهذه الآية التي تثبت بشرطها الأول: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ مسألة الزوجية واللقاح في النبات،... من نقود العلم التي سبق إليها القرآن الكريم الأبحاث العلمية وهي تتلو المعجزة أو هي هي». (الطباطبائي، 1995، ج12، ص146) وإن كان ثمة مجال واسع للنقاش في كون المراد باللواقح هنا هو دور الرياح في تجميع قطع السحاب المنتشر مع بعضها لتهيئة عملية تساقط الأمطار بقرينة السياق وفاء السببية. (الشيرازي، 2013، ج8، ص56-57)

وهناك قرائن غيرها أعرضنا عن ذكرها حذر الإطالة. وفي المُحصَّلة فإنَّ نظامَ الزوجية حاكم على عالم النبات، بمعنى أنَّ التكاثرَ الحاصل فيه وليد الازدواج بين ذكر وأنثى، ولو جهلت الكيفية الخاصة، والتي قد تتوسَّع العلوم الطبيعية التجريبية في اكتشافها مع الوقت.

■ ثالثاً: نظام الزوجية في عالم الحيوان:

ثمة آيات عدَّة أيضاً في القرآن الكريم يستفاد منها عموماً في قانون الزوجية في عالم الحيوان، فضلاً عما يمكن استشعاره ممَّا أشار إليه العلامة الطباطبائي سابقاً بتوسعة مفردة النبات في بعض الآيات ليشمَل الحياة الزوجية للحيوانات، بغض النظر عمَّا قد يقول: إنَّه بناءً للبحث العلمي التجريبيِّ وقد لا تعمُّ ظاهرة الزوجية عالم الحيوان مطلقاً، وإن كان ثمة أيضاً مجال واسع للنقاش ليس محلّه هنا.

يقول تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأنعام: 143).
﴿الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ...﴾ (الأنعام: 144).
ويقول تعالى: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ (الشعراء: 11).

وغيرها من الآيات التي تشيرُ إلى انقسام الأنعام إلى: ذكر وأنثى. وقد يُقال إنَّ هذا مختصُّ بالأنعام، ومن أين للخاص أن يثبت العام؟!!

ولكن قد نستظهر العموم من قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (المؤمنون: 27)، ﴿فَلَمَّا أَحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (هود: 40). أمَّا وبناءً على قراءة حفص بتنوين «كلٌّ» والقطع عن الإضافة، والظاهر أن «من» لا ابتداءً الغاية، فيكون التقدير: احمل فيها أو اسلك في الفلك زوجين اثنين: ذكر وأنثى من كلِّ نوع من أنواع الحيوان، فتفيد العموم.

وأوضح منها قراءة الباقيين بالإضافة «كلِّ زوجين»، أي احمل اثنين من كلِّ زوج، وكما تقدّم إضافة كلِّ إلى زوجين تفيد الاستيعاب والشمول والعموم.

■ رابعاً: نظام الزوجية في عالم الإنسان:

لا ريب في أن البحث عن الزوجية البشرية من حيث تحديد طبيعتها وأهدافها في ضوء الرؤية القرآنية يتمتع بموقع خاص، ولا يمكن بسط الحديث عنه في هذا البحث القصير نسبياً، لذا نقتصر على جملة نقاط بنحو مختصر.

يلاحظ المستطلع للآيات القرآنية الكريمة أموراً عدة فيما يتعلق بمسألة الزوجية البشرية:

انقسام الإنسان إلى ذكر وأنثى

إنَّ نظامَ الزوجية العام الساري في الكائنات الحيّة كالنبات والحيوان يشمل الحياة البشرية، فالله تعالى خلق الناس من ذكر وأنثى، ولا يوجد صنفٌ ثالثٌ غير الرجال والنساء في ضوء المنطق القرآني، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (الحجرات: 13)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: 4)، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (النجم: 45-46)، ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (القيامة: 37-39)، ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا تُبَاهٍ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ﴾ (الشورى: 49)، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: 50).

فهذه الآيات تبين بشكل واضح لا لبس فيه، أن الزوجية بمعنى الذكورة والأنوثة حاکمة على الحياة البشرية، فالناس على نوعين: ذكر وأنثى فقط - على نحو القضية المنفصلة الحقيقية فالأنوثة والذكورة لا يجتمعان ولا يرتفعان-، فليس هناك نوع ثالث بينهما. والزوجية -بمعنى انقسام الإنسان إلى صنفين: إماً ذكر وإماً أنثى- من مُسلّمات البيولوجيا المعاصرة، حيث إنه حتى أكثر العلماء تشدداً في الإلحاد ورفض الأفكار الدينية مثلاً، يعتقد أنه لا مكان لغير صنفين: الذكورة والأنوثة في النوع البشري، ومن باب النموذج، نذكر عالم الأحياء التطوريّة البريطاني ريتشارد دوكنز Richard Dawkins وهو صاحب كتاب «وهم الإله» The God Delusion في سؤال وجّهه إليه الصحفي بيرس مورغان Piers Morgan عن الجندريين الذين يريدون نزع صفة الجنس عن أحدهم عن طريق التظاهر بأن البيولوجيا لا وجود لها، وكيف أنهم استطاعوا تشكيل كتلة كبيرة في المجتمع؟ أجاب دوكنز: «محزن جداً كيف استطاعت هذه الأقلية الضئيلة

من الناس أن تأسرَ بابَ النقاش المجتمعي والحديث خارج نطاق المنطق العلمي!! الردُّ عليهم يكمن في العلم Science، إذ هناك جنسان فقط: ذكر وأنثى، يمكنك الحديث عن الجندر كما يحلو لك وهو غير موضوعي ولا يهمني، لكن، كعالم بيولوجي هناك جنسان، والأمر يقف عند هذا الحد⁽¹⁾.

مع ذلك، تقوم الإيديولوجيا الجندرية على منطق سوفسطائي يتجاوز البيولوجيا والعلم Science، بذريعة أنه لا يمكن النظر إلى موضوع الجندرية من منظار علمي فقط، بل لا بدَّ من الأخذ بالحسبان حقَّ الإنسان في التعبير عن نفسه بالهوية التي يريد.

كُلُّ إنسان يُدرك من ذاته أنه ذكر أو أنثى بشكل فطري، فحتى الطفل يُدرك ذكورته أو أنوثته قبل تلقيه أي تعليم جندي، وكلما نضج وعي الإنسان عن ذاته مقارنةً بالآخرين تمكَّن من التمييز بين الذكر والأنثى في ضوء مجموعة من المؤشَّرات كالأعضاء التناسلية الأنثوية، الرَّحِم، الحيض، القدرة على الحمل والوضع، والرَّضاع.

على كلِّ حال، الرجل علمياً هو ما يحمل كروموسومات XY، والمرأة ما تحمل كروموسومات XX، وتظهر نتيجة ذلك في الفحص المخبري. لكن، عندما تسأل السوفسطائية الجندرية عن تعريف المرأة -مثلاً-: فإمَّا يتهرَّبون من الإجابة كما في واقعة السؤال الذي وجَّهته السيناتور الأمريكية مارشا بلاكبيرن Marsha Blackburn إلى القاضية جاكسون Ketanji Brown Jackson وهي من مناصري أجندة الجندرية والنسوية: هل يمكنك تعريف ما هي المرأة؟ فأجابت جاكسون: لا أستطيع.

وعندما أعاد عليها السؤال السيناتور تيد كروز Ted Cruz في جلسة أخرى، أجابت بالمصدق دون تحديد المفهوم تهرَّباً من الإجابة أيضاً، فقالت: أعرف أنني امرأة، وأنَّ السيناتور مارشا امرأة، وأنَّ أمي امرأة!!

فقدان المعيار المنطقي لتحديد المفاهيم:

وإمَّا أن يتركون تعريف المرأة خاضعاً للرغبة والمشية بمعنى أنها ليس لها تحديد واضح، فمفهوم «المرأة» -مثلاً- يتلون حسب الرغبة، ففي نقاش بين مات ولش Matt Walsh -وهو ناشط

1 - مقابلة على الرابط الآتي: <https://www.youtube.com/watch?v=-4dJxANqnyo> عند الدقيقة 2:06.

ضدّ الإيديولوجيا الجندريّة ومقدّم الفيلم الوثائقي ما هي المرأة What is a Woman؟ - وبعض الجندريين سألهم: ما هو تعريف المرأة؟ فقال بعضهم: المرأة شيء لا يمكن تعريفه، وبعضهم الآخر قال: لا أستطيع تعريف المرأة، وثالث قال: المرأة هي ما تريد أنت أن تعرفه فلها تعاريف مختلفة، فأجابهم ولش: تظهر هوية المرأة علمياً في الـ DNA، فلو أنّ شخصاً مات منذ مئات السنين ثم فحصنا مخبرياً عظامه يمكن تحديد أنّه امرأة أو رجل، حتى لو لم نكن نعرف ماذا يدور في رأسه عن تعريف نفسه، لكن بإمكاننا معرفة جنسه لأنّ هذا مترسّخ في كلّ ذرة من ذرات جسده⁽¹⁾.

فالمتممون إلى الإيديولوجيا السوفسطائية الجندريّة لا يتجاوزون المنطق العقلاني والدينيّ فحسب، بل المنطق العلمي والحقائق التكوينية الطبيعية، ويعتقدون أنّ كلمات الأنوثة والذكورة والنساء والرجال... ليس لها تحديد مُعيّن، بل تخضع للمنطق الجندري الحربيّ، فمثلاً إذا قدّم الإنسان الذكر بيولوجياً نفسه على أنّه امرأة، فجندياً هو امرأة، وعلى الآخرين احترام خياره وتقبّله، وينبغي ترتيب الأثر على ذلك والتعامل معه على هذا الأساس، وإلاّ عدّ ذلك «كراهية» و«تحريض على العنف» و«تمييز عنصري»... إلخ، وقد خلق ذلك -أي الرجل الذي يعرف نفسه امرأة مثلاً- أزمات تعليمية وتربوية واجتماعية كثيرة في المدارس والمؤسسات والأندية الرياضية... إلخ كمشاركة الرجل الذي يُعرّف نفسه أنّه امرأة في الرياضات النسائية مثلاً، والتي أثارت مشكلة في أمريكا، كما فتح نقاشاً واسعاً على قضايا قانونية كثيرة من حيث -مثلاً- هل أنّه يحاكم كامرأة لكونه يعرف عن نفسه بأنه امرأة أم كرجل لأنّها حقيقته، كحادثة الرجل البريطاني الذي تحرّش بفتيات ثم قدّم نفسه في أثناء المحاكمة على أنّه امرأة جندياً؟! وأصبحت المجتمعات الغربية تشهد حالات عديدة من دخول الرجال على النساء في غرف تبديل الملابس، وإذا اتّصلت الأنثى بالشرطة لحماية حقّها في عدم انتهاك خصوصيّة جسدها، لا يتم اعتقال الرجل بحجة أنّ هذه مسألة حسّاسة في المجتمع من حيث أنّه يُعرّف نفسه كامرأة، إنّها لسخرية ليس بعدها سخرية!!! فيتمّ انتهاك حقوق المرأة للحفاظ على حقوق مجموعة من المرضى النفسيين والمختلين العقليين. وبهذا يتبيّن، أنّ الإيديولوجيا الجندرية تقوم على المنطق السوفسطائي المتحرّر من القواعد المنطقية والقوانين العلميّة.

1 - على الرابط الآتي: <https://www.youtube.com/watch?v=NBOaHFF4WYw>

تحديد الهوية الجندرية بين الوهم النفسي والواقع التكويني:

إذا كان الجندر هو الهوية الاجتماعية التي يختارها الإنسان لنفسه وعقيدته عن ذاته والصورة التي يقدمها عن نفسه للآخرين، فإنما ينبغي أن يكون ذلك التعريف مطابقاً للواقع؛ أي للهوية الطبيعية والنفسية والاجتماعية الواقعية للإنسان، وإلا لا يكون ذلك خلاف الموضوعية فقط كما أشار ريتشارد دوكنز، بل تصبح كذباً واختلاقاً ونفاقاً، أو وهماً وهلوسة أو مرضاً نفسياً... لأنَّ الهوية التي ينبغي أن يُعرّف الإنسان نفسه بها هي ما يكون عليها «هو» في الواقع، وهذا هو معنى الهوية، المشتقة من «هو» أي العناصر الداخلة في تحديد الذات الواقعية، وبالتالي إذا عرّف الإنسان نفسه بأنه مؤمن أو ملحد أو لا أدري مثلاً، فإنَّه يكون قد عرّف نفسه بهويته الواقعية التي هو عليها، وكذلك إذا عرّف نفسه بأنه امرأة أو رجل، وبمعنى آخر يمكنك أن تعرّف نفسك في ضوء ما أنت عليه باعتبار ما هو كائن (الكينونة) المطابق للواقع العيني الطبيعي (امرأة/رجل) أو النفسي (مؤمن/ملحد...)، لا في ضوء الرغبة والمشية وباعتبار ما تتوهم، فالاختيار اللفظي لتعريف الذات لا يُغيّر الوقائع التكوينية.

نعم، يبقى هذا التعريف تعريفاً اعتبارياً، والمقصود بالاعتبار: إعطاء شيء حدّ شيء آخر وتنزله منزلته بالتواضع ليرتّب عليه أثره، إذ قد يتواضعون في مجتمعهم الخاصّ بهم ويتفقون على ذلك، ولكنهم لا يستطيعون إلزام الآخرين باحترام هذا الوهم وتقبّل ذلك. (الطبائبي، 1418هـ، ج1، ص523)

وفي السياق، نلاحظ أنَّ الإيديولوجيا الجندرية، بدأت تعمل على أجندة تكيف المناهج التعليمية في المواد العلمية التي يفترض أن تتضمن الحقائق الطبيعية فقط، بما يتناسب مع الإيديولوجيا الجندرية، وبوضع معجم مصطلحات مُحايِدة جنسياً - حسب تعبيرهم - تتناسب مع إيديولوجيتهم الجندرية، وسنذكر نماذج على ذلك.

التناسل واختصاص الحمل بالأنثى :

انطلاقاً من اعتقادنا بأنَّ الله تعالى حكيم لا يفعل إلاَّ لهدف، نوّمن بأنَّه جعل الزوجية لأهداف خاصة تعود مصلحتها على النوع البشري، من أهمّها: التناسل وحفظ استمرار النوع البشري وتكاثره، وقد جعل الأنثى هي الصنف الخاص بالحمل والإنجاب من نوع الزوجين، فتكون

أحد أهم مؤشرات الأئوثة هو القابلية للحمل، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد:8)، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ (فاطر:11)، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ (فصلت:47).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ (الزمر:6).
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف:15).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان:14).
فهذه الآيات بأصنافها المتعددة -مضافاً إلى التي ستأتي- تدلُّ على أن الله تعالى زود الأئوثة وجهزها بحسب الطبيعة بما يمكنها من تحقيق الهدف المذكور الذي هو التناسل والتكاثر: الرحم، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل عمران:6).
الحيض ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾¹. ﴿وَاللَّيْبِيُّ يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ تَسَابِكُمْ﴾ (الطلاق:4)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَىٰ فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ﴾ (البقرة:222).
الحمل، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾.

الإنجاب والوضع، ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّيْبِيُّ وَلَدَنَّهُمْ﴾ (المجادلة:2).
الرضاع، ﴿الْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة:233).
هذا، ومن مُسَلِّمات البيولوجيا المعاصرة أيضاً أن الرجل ليس له قابلية الحيض والحمل والإنجاب والرضاع...، فالرجال المتحولون جنسياً يقون بيولوجياً رجالاً فهم لا يحيضون، لأنَّ

1 - يقول العلامة الطباطبائي في معنى الآية: "... الأنسب أن تكون الأمور الثلاثة المذكورة في الآية، أعني قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ إشارة إلى ثلاثة من أعمال الأرحام في أيام الحمل، فما تحمله كلُّ أئوثة هو الجنين الذي تعيه وتحفظه، وما تغيضه الأرحام هو دم الحيض تنصبُّ فيها فتصرفه الرحم في غذاء الجنين، وما تزداده هو الدم التي تدفعه إلى خارج كدم النفاس والدم أو الحمرة التي تراها أيام الحمل أحياناً، وهو الذي يظهر من بعض ما روي عن أئمة أهل البيت (ع) وربما ينسب إلى ابن عباس".
(الطباطبائي، 1997، ج 11، ص 306)

الإنسان الأنثى الذي يحمل كروموسومات XX يمكن أن يحيض، أما إذا كانت كروموسوماته XY كالذكر، فلا يمكن أن يحيض. نعم، بإمكانه أن يتظاهر أمام الآخرين بأنه امرأة، بارتداء ثياب النساء والتجمل والتزيين وتغيير الشكل الخارجي والتصرف مثلهن أو زراعة بعض الأعضاء...، ولكن هذا لا يجعله رجلاً بيولوجياً حقيقةً.

كما أن المرأة التي تتحول إلى رجل، وتبقى قادرة على الحمل -مثلاً- لا يفيد ذلك قابلية الرجال للحمل والإنجاب، لأن المتحوّلة جنسياً إلى رجل ليست ذكراً بيولوجياً بل أنثى حقيقةً. مع ذلك أيضاً، لا ترتضي الإيديولوجيا السوفسطائية الجندرية هذا المنطق الطبيعي، لأنه يستند إلى منظار علمي بحث -كما أشرنا-، لذا يؤكدون ضرورة التمييز بين الجنس والهوية الجندرية، فالجنس هو ما يولد عليه الإنسان بيولوجياً، أما الجندر فهو ما يختاره الإنسان لنفسه من هوية اجتماعية يعرف نفسه بها أمام الآخرين. وقد ناقشنا هذه النقطة فيما سبق، ونضيف، أنه في الحقيقة ليس هناك اختلاف بين الجنس والجندر من ناحية الذكورة والأنوثة إلا بمجرد التلاعب السوفسطائي في التعبير اللفظي كما هي عادة الجندريين والشاذين في اللعب على الألفاظ، فهم يعترفون أن اتجاههم ضد المنطق العلمي، ولازم ذلك أنهم يخلقون هذه الأمور بلا أدلة، ولو سلّمنا أنهم يتمتعون بحق حرية التعبير عن ذواتهم بالصورة التي يرغبونها ويختارونها لأنفسهم، إلا أن هذا لا يعني إلزام الآخرين بتقبل هذه الأوهام والهوسات (delusions and hallucinations) الناتجة من المرض العقلي أو النفس على أنها حقائق مطابقة للواقع (match realities, facts, truths).

انحصار العلاقة الشرعية بين الذكر والأنثى:

يؤكد القرآن الكريم أن بداية نشوء النسل البشري حصل من ذكر وأنثى متزاوجين، ثم بثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: 4)، هما آدم وزوجته -التي تسميها الروايات حواء- من غير أن يشاركما فيه غيرهما حيث قال: «وبثّ منهما»، وبقرينة آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ (الأعراف: 27).

وتقدّم أن أهم أهداف الزوجية هو التناسل، والتناسل يمكن أن يحصل بمطلق العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى أعم من الزواج القانوني أو غيره، لكن المنطق القرآني يقوم على أساس حصر العلاقة

الجنسية الشرعية المفوضية إلى التناسل بين الذكر والأنثى الناشئة عن عقد الزواج (أو ملك اليمين). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: 5-7، والمعارج: 29-31).

يقول العلامة الطباطبائي: «المتأمل في خلق الإنسان وانقسام أفرادها إلى صنفين الذكر والأنثى وما جهَّز به كلٌّ من الصنفين من الأعضاء والأدوات وما يختصُّ به من الخلقة لا يرتاب في أنَّ غرضَ الصنع والإيجاد من هذا التصوير المختلف وإلقاء غريزة الشهوة في القبيلين وتفريق أمرهما بالفعل والانفعال أن يجمع بينهما بالنكاح ليتوسلَّ بذلك إلى التناسل الحافظ لبقاء النوع حتى حين.

فالرجل من الإنسان بما هو رجل مخلوق للمرأة، لا لرجل مثله، والمرأة من الإنسان بما هي امرأة مخلوقة للرجل، لا لامرأة مثلها... وهذه هي الزوجية الطبيعية التي عقدها الصنع والإيجاد بين الرجل والمرأة من الإنسان فجعلهما زوجين.

ثم الأغراض والغايات الاجتماعية أو الدينية سنَّت بين الناس سنة النكاح الاجتماعي الاعتباري الذي فيه نوع من الاختصاص بين الزوجين وقسم من التحديد للزوجية الطبيعية المذكورة، فالفطرة الإنسانية والخلقة الخاصة تهديه إلى ازدواج الرجال بالنساء دون الرجال وازدواج النساء بالرجال دون النساء، وأنَّ الازدواج مبني على أصل التوالد والتناسل دون الاشتراك في مطلق الحياة». (الطباطبائي، 1997، ج15، ص310)

وبالتالي، لا يكون التناسل شرعياً إلا بهذه الصيغة القانونية، ومن هنا لم يقرَّ القرآن التبني، يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: 4)، فلا يجوز التبني، ولا يثبت به النسب ولا التوارث، بل لا بدَّ من إعلام الطفل بالواقع بطريقة لا تؤثر على نفسيته سلباً، ولا يجوز تسجيله في السجل الشخصي (الجنسية) بل لا بدَّ من نفي اسمه عنها إن تمَّ تسجيله مسبقاً، وإن لم يمكن ذلك ولو من جهة الحرج أو الضرر وجب تثبيت الحقيقة وتوثيقها بالشهود⁽¹⁾.

وفي المقابل، نلاحظ أنَّ الأيديولوجيا الجندرية والشذوذية، تتجاوز ذلك، حيث شرَّعت الزواج بين المثليين، وفي سبيل إعطاء المشروعية لتبني الأطفال من قبل اللواطيين والسحاقيات

(الزوجين مثليي الجنس) وتحويلهم إلى أطفال حقيقيين في حركة مضادة لمقتضى الطبيعة وقوانين البيولوجيا، اختاروا التعبير بلفظ Egg Producers أي منتجات البيضات بدل Mothers الأمهات ، وقد باركت Rachel Levine راشيل ليفين - وهي امرأة متحوّلة جنسياً وبروفيسور في طبّ الأطفال والطب النفسي في كلية الطب بجامعة (Penn State) ومساعدة وزير الصحة الأميركي الحالي- في زيارة لها إلى عيادة خاصة بالرعاية الصحيّة لتعزيز مجتمع المثليات والمثليين ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحوّلين جنسياً وثنائيي الجنس واللاجسنيين... في ألاسكا الموارد التي توصي بذلك⁽¹⁾.

وعلى كل حال، يُحرم القرآن العزیز:

أي علاقة جنسية بين الذكر والأنثى خارج الزواج الشرعي، كالزنا والبغاء، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَاتِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 32)، ﴿... وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ الفرقان: 68، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ...﴾ (الممتحنة: 12)، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: 2-3).

أي علاقة جنسية بين الأنثى والأنثى، بعموم قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ)، وروي بسند صحيح في بعض الروايات أن المقصود بأصحاب الرس هو السحاق، فقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ماذا تقول في اللواتي مع اللواتي؟ فقال: هن في النار... فسألته امرأة: ليس هذا في كتاب الله. قال (ع): بلى. قالت: أين؟ قال (ع): قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّيْسِ﴾ (الفرقان: 38)، هو أصحاب الرس⁽²⁾.

أي علاقة جنسية بين الذكران، يقول تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ* وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ

1 - <https://www.nationalreview.com/news/mothers-or-egg-producers-top-hhs-official-rachel-levine-praises-clinic-for-gender-affirming-language>

2 - انظر: (الصدوق، 1368، ص 239)؛ (البرقي، 1370، ص 110 و 114)؛ (القمي، 1404، ص 465).

رَبُّكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿الشعراء: 165-166﴾، فهذه الآية تتضمن أمرين:

الأول: الإنكار والتوبيخ لقوم لوط على اللواط وإتيان الذكران.

والثاني: الإنكار والتوبيخ على ترك ما خلق الله لهم من الأزواج، ممَّا يؤكد أنَّ اقتران الذكر بالذكر لا يُسمَّى زواجًا بالاصطلاح الشرعي ولم يُعهد من لغة العرب استعماله كذلك.

وفي السياق ذاته، يقول تعالى: ﴿إِنكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ (الأعراف: 81)، ﴿إِنكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ (العنكبوت: 29)، والظاهر أنَّ المقصود بقطع السبيل كما يشهد له السياق هو إهمال طريق التناسل وإغائه، فقطع السبيل كناية عن الإعراض عن النساء وترك نكاحهن بحيث لا يستمر النوع البشري ويفنى (الطباطبائي، 1997، ج16، ص123)، وهذا يؤكد أنَّ إيديولوجيا الجندر والشذوذ الجنسي تقوم -مضافاً إلى رفض «المنطق العلمي» والعمل على خلاف «مقتضى الفطرة والطبيعة»- على «فلسفة الموت» و«العدمية»، لأنَّه لو تصوَّرنا اكتفاء الذين بالذين واللواتي باللواتي لانقطع السبيل، وذلك بمثابة حكم بالإعدام على استمرار النوع البشري، ولذا هي فلسفة موت وعدمية.

المفاعيل التدميرية للعلاقات الجنسية خارج الزواج الشرعي:

إنَّ قطع السبيل هذا، غير مُختصَّ باللواط والسحاق، بل يشمل الزنا أيضاً، فقد أشار الله تعالى في القرآن إلى كون ذلك من حكمة التحريم كما في الآية المتقدمة: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ حيث عدَّه سبحانه وتعالى أولاً: فاحشة، ثم أطلق عليه وصف: «وساء سبيلاً»، على حدِّ قوله تعالى: ﴿تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾. والمعنى «تركون إتيان النساء الذي هو السبيل فتقطع بذلك وليس إلَّا سبيلاً للبقاء من جهة تسببه إلى تولد المواليد وبقاء النسل بذلك، ومن جهة أن الازدواج وعقد المجتمع المنزلي هو أقوى وسيلة يضمن بقاء المجتمع المدني بعد انعقاده. فمع انفتاح باب الزنا لا تزال الرغبات تنقطع عن الازدواج إذ لا يبقى له إلا محنة النفقة ومشقة حمل الأولاد وتربيتها ومقاساة الشدائد في حفظها والقيام بواجب حياتها والغريزة تقنع من سبيل آخر من غير كد وتعب، وهو مشهود من حال الشبان والفتيات في هذه البلاد»⁽¹⁾.

مضافاً إلى هدف الحفاظ على استمرار التناسل وبقاء النوع البشري، هناك هدف آخر وهو العفة

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص88.

المجتمعية، كما تفيده آيات عديدة، منها الآية التي تقدّمت حول حفظ الفرج واعتبار من ابتغى وراء ذلك «هُمُ الْعَادُونَ»، فحفظ الفروج كناية عن الاجتناب عن المواقعة سواء كانت زناً أو لواطاً أو غير ذلك، والمستثنى من ذلك الأزواج الحلال من النساء، وما ملكت أيمنهم، فإذا كان مقتضى الإيمان حفظ الفروج مطلقاً إلا عن طائفتين من النساء هما الأزواج وما ملكت أيمنهم، فمن طلب وراء ذلك أي مسّ غير الطائفتين فأولئك هم المتجاوزون عن الحدّ الذي حدّه الله تعالى لهم. ومنها قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُنَّ﴾ (البقرة: 187)، فالظاهر من اللباس معناه المعروف وهو ما يستر به الإنسان بدنه، والجملتان من قبيل الاستعارة، فإن كلاً من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع الفجور وإشاعته بين أفراد النوع فكأن كل منهما لصاحبه لباساً يوارى به سواته ويستر به عورته⁽¹⁾. ومنها: قوله تعالى: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) (النور: 33)، فالتحصن التعفف.

ومن أهم أهداف الزوجية في المنطق القرآني هو تقوية الوحدة الرحمية وأن تكون الأسرة قائمة على أساس الرحم، ويؤكد ذلك ورودها في سياق حديث القرآن عن الزوجية، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

فالله سبحانه وتعالى يأمر في هذه الآية بتقوى الله وبتقوى الأرحام أي اتقاء الوحدة الرحمية التي خلقها الله تعالى بين الناس، والتي يؤدي الزواج بين المثليين إلى تدميرها في المجتمع البشري.

الخاتمة:

إنّ الإيديولوجيا الجندرية في شقّها القائم على تقديم المرأة نفسها على أنّها رجل، أو الرجل نفسه على أنّه امرأة، أو حرية الازدواج والاقتران بين الإناث (السحاق) أو الذكور (اللواط) والذي تحاول الإيديولوجيا الشاذة تأطيره في صيغة قانونية تحت عنوان: «زواج المثليين»، هو حركة على خلاف مقتضى الطبيعة، ولذلك يصطلح عليه اسم الشذوذ، لأنّ الشذوذ هو الخروج عمّا هو مقتضى الطبيعة، ولا ريب في أنّ ما يكون على خلاف مقتضى الفطرة والطبيعة لا يرتقي بالإنسان في سلّم الكمال النفسي والروحي

1 - المصدر نفسه، ج2، ص44.

بل يتسافل به، ولا يمكن أن يمنح الإنسان الشعور بالطمأنينة والسكينة والمودة والرحمة، لأنَّ الله تعالى إنَّمَا جعل هذه الأمور بين الزوجين الشرعيين، قال تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ (النحل: 72)، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً﴾ (الروم: 21).

وثمة أمور في هذه الآيات: الأول: «خلق لكم»، أي لأجلكم ولنفعكم ومصالحكم. الثاني: «من أنفسكم أزواجًا»، أي من نوعكم من تقتنون به، لأنَّ الظاهر أنَّ «من» نشوئية فالآية بيان لكون زوجها من نوعها بالتماثل والتشابه.

الثالث: «لتسكنوا إليها» واللام للغاية أي الغاية من هذا الخلق للزوجية هو الشعور بالسَّكن، فكلُّ واحد من الرجل والمرأة بالنظر إلى نفسه مفتقر إلى الآخر، يشعر بالاضطراب والوحدة والوحشة والغربة، فإذا اتَّصل بالآخر شعر بالسكينة والأنس والراحة والألفة.

الرابع: «جعل بينكم مودة ورحمة»، فحالة الأُنس والمودة والرحمة لا يمكن أن تحصل إلَّا في ظلِّ الزواج حصراً، لأنَّه به تتلبَّى الحاجة الفطرية الطبيعية ويرتفع النقص والحرمان، وإلَّا فسيفقى الإنسان يعيش في دائرة الشعور بالنقص والحرمان، لأنَّه لم يحصل على الإشباع بما يتناسب مع متطلبات الطبيعة، وبالتالي سيقى نداء الطبيعة يضغط على روح الإنسان ونفسه ليوَفِّر لها حاجاته ويحقق كفاياتها.

وقوله تعالى في ختام الآية: ﴿آيات لقوم يتفكرون﴾ مشير إلى «أنهم إذا تفكروا في الأصول التكوينية التي يبعث الإنسان إلى عقد المجتمع من الذكورة والأنوثة الداعيتين إلى الاجتماع المنزلي والمودة والرحمة الباعثتين على الاجتماع المدني ثم ما يترتب على هذا الاجتماع من بقاء النوع واستكمال الإنسان في حياته الدنيا والآخرى - لو تفكروا كذلك - عثروا من عجائب الآيات الإلهية في تدبير أمر هذا النوع على ما يبهر به عقولهم وتدهش به أحلامهم»⁽¹⁾.

والخلاصة، إنَّمَا تقدَّم كله، يؤكِّد ما ذكرناه مراراً من أنَّ إيديولوجيا الجندر والشذوذ الجنسي هي إيديولوجيا تدمير وموت وعدمية لأنها تتحرَّك على خلاف مقتضى الطبيعة والفطرة السليمة.

1 - المصدر نفسه، ج16، ص167.

المصادر والمراجع

- ◀ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، طهران- إيران، مكتب الإعلام الإسلامي، 1404هـ، (لا.ط).
- ◀ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، 1417هـ-1997م، ط2.
- ◀ البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، تصحيح وتعليق السيد جلال الدين الحسيني، (لا بلد)، دار الكتب الإسلامية، 1370هـ، (لا.ط).
- ◀ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دمشق-بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ، ط1.
- ◀ الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت- لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2013م، ط1.
- ◀ الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تقديم السيد محمد مهدي الخرسان، قم-إيران، منشورات الرضي، 1368هـ، ط2.
- ◀ الطباطبائي، محمد حسين، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق مرتضى مطهري، ترجمة عمار أبو رغيف، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، 1418هـ، ط1.
- ◀ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت- لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1997م، ط1.
- ◀ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المعروف بتفسير الطبري)، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة، 1995م.
- ◀ الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، قم- إيران، دار الثقافة، 1414هـ، ط1.
- ◀ القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تصحيح وتعليق السيد طيب الموسوي الجزائري، قم-إيران، مؤسسة دار الكتاب، 1404هـ، ط3.

◀ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، طهران- إيران، دار الكتاب الإسلامي، 1388هـ، ط3.

◀ اللنكراني، محمد الفاضل، مدخل التفسير، قم- إيران، مركز فقه الأئمة الأطهار، 1428هـ.
◀ المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، القاهرة- لندن، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، دار الكتب العلمية، 2009م-1430هـ، ط3.

▶ <https://www.youtube.com/watch?v=-4dJxANqnyo>

▶ <https://www.youtube.com/watch?v=NBOaHFF4WYw>

▶ <https://www.sistani.org/arabic/qa/0381/>

▶ <https://www.nationalreview.com/news/mothers-or-egg-producers-top-hhs-official-rachel-levine-praises-clinic-for-gender-affirming-language/>

الآثار الفكرية للتبعية

■ هادي قبسي

باحث في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت

ملخص

تطرح قضية التبعية في ظلّ اختلال موازين القوى واضطراب العلاقات الدولية نظراً إلى وجود حالة الهيمنة والاستتباع المادي والمعنوي، ورغم وضوح آثار اختلال التوازن في العلاقات بين المكونات الدولية المختلفة.

فإنّ المهيمن عمدَ دوماً إلى تظهير تسلطه كخدمة يُقدمها للمستضعفين، فخفي عن كثيرين تأثير الهيمنة التي تأخذ كل التحركات الاجتماعية الخاضعة لها باتجاه خدمة مصالح فئة واحدة، وينطبق ذلك على المجال الفكري، حيث يحرم تدفق الثقافة المهيمنة الآخرين من إمكانية تشغيل حركة فكرية ملائمة لتطلعاتهم ومتناسبة مع احتياجاتهم، وهذا ما يُعطل الحركة الفكرية ويحصرها في الاستهلاك والبيئة وخدمة السياق الفكري الذي يريده المنتج الأجنبي المختلف في بنيته وشخصيته وبيئته.

تطرح إشكاليات عديدة ومتشابكة في هذه المساحة، فهل الناتج الأجنبي الذي يأتي من المهيمن هو مؤثر سلبي في النشاط الفكري للمستضعفين؟ وهل أن تقبل ذلك الناتج وتبنيته مع المجتمع المستضعف له آثار سلبية كذلك؟ وهل كل ما يأتي من الدول التي مارست الهيمنة هو منتج مدمج بفكرة وبرنامج الهيمنة؟ كيف تعامل المهيمن مع قضية الهيمنة الفكرية تحديداً؟ وكيف ينظر إلى هذه الإشكاليات وكيف يُوظفها في تطوير مدى هيمنته وإدامتها؟ وإذا لم يكن لدينا تحديث فكري مبني على الثقافة الغربية التي هيمنت خلال عقود وقرون، فكيف يمكن أن نصف الحركة الفكرية الناتجة عن هذا التحديث؟

الكلمات المفتاحية:

الهيمنة، التبعية، النموذج الغربي.

مقدمة:

ناقش التيارُ التحرُّريُّ إشكالية التبعية الثقافية وتأثيرها على الحريات السياسية والاقتصادية للشعوب الواقعة تحت ظلِّ الهيمنة، كما كانت هذه الإشكالية مدار بحث لناحية تأثيرها على الاستعدادات التحرُّرية للشعوب تحت الاحتلال المباشر. زاوية البحث هنا تتعرضُ لبُعدٍ مختلف: كيف تؤثر التبعية للفكر الغربي تحديداً على الإنتاج الفكري في البيئات المعرضة لموجات الهيمنة، وهل يمكن إنتاج الأفكار عند التوضع داخل النظام الفكري الغربي؟ وانطلاقاً من هذا السؤال التأسيسي يتعامل البحث مع ثلاث قضايا رئيسة:

نشأة وماهية الاستتباع، ويتعرض لتفنيد عوامل جاذبية الطرح الغربي. تأثيرات الاستتباع، ويناقد أطروحة التقدم والتحديث المرتكز إلى الاستيراد. البديل الذاتي ويعرض لمقومات البيئة الطبيعية للإنتاج الفكري الذاتي. وصلت التجربة الغربية في هذه المرحلة إلى انعطافة حادة على الصَّعيد الأخلاقي، من خلال الترويج للشذوذ وتفكيك الهوية الشخصية للإنسان، وتخريب عالمه الشعوري والنفسي والاجتماعي، ويتمُّ طرح هذا المشروع في سياق البنية الثقافية المهيمنة، والتي أسَّسها الغرب في مجتمعاتنا، وتتمُّ موضعتُه ضمن إطار منهجي واستدلالي بحيث يتم السكوت عنه بالدرجة الأولى، ومن ثم التغافل والرضا بهذا الانحراف. المشكلة ليست في هذه الانعطافة الحادة فقط، بل إنَّ هذا الانحراف الجنوني، هو نتيجة للنظام الفكري الغربي، والذي ينبغي أن نعيد التذكير بقدرته على المخادعة والمراوغة، وإقناع النخب التابعة له بأنها تخوض عملية تحديث تطوير لمجتمعاتها "المتخلفة".

■ أولاً: نشأة وماهية الاستتباع

يُقدِّم الطرحُ الفكري الغربي مجموعة من عناوين التفوق، أولها امتلاك العلاج للمشكلات

والتحديات البشرية، والثاني إثبات القدرة على الإنجاز الحضاري التكنولوجي والاقتصادي بالاستناد إلى ذلك الفكر، والثالث تقديم الطرح الغربي على أنه إنساني محايد وعقلاني غير مُنحاز، وبالتالي يمكن استيعابه وتقبله بغض النظر عن الهوية الثقافية المحلية، ويمكن تبني العلمانية كما حصل في التاريخ الإسلامي دون التخلي عن الهوية والإنتاج الفكري الخاص، على اعتبار أن تلك الأفكار ترشح بشكل عفوي عن المصنع الفكري الغربي وبالتالي يمكننا اختيار ما نشاء وما يتناسب منها مع منظومتنا.

العلمانية كاتجاه سلبي في التغيير الثقافي

الحالة العلمانية هي تاريخياً حالة تغيير ثقافي حضاري شامل باتجاه سلبي، إنه ليس مشروعاً نشأ من خلال انتقال إلى اعتقاد جديد أو ديانة جديدة، إنها عملية حصلت من خلال تفكك وتداعٍ لنظام ثقافي، ثم البحث عن بديل. لم يكن البديل هو الذي أنتج التحوّل، بل إن التداعي حصل قبلاً بشكل مستقل، ومن ثم بدأ البحث عن البديل، ولم يكن هذا البديل حاضراً، بل إن حركة البحث عنه لا تزال قائمة حتى الآن. بدأ التحوّل في أوروبا مع الحرب الدينية التي نشبت بين الكاثوليك والبروتستانت عام 1618، والتي أدت إلى إضعاف السلطة الدينية، "مع سقوط الإمبراطورية الرومانية المقدسة وهابسبورغ، تغيرت أوروبا الغربية بشكل كبير، حيث تحول ميزان القوى من روما والدين إلى مجموعة أكثر علمانية من الدول التي كانت أكثر اهتماماً بالتجارة والاقتصاد والشؤون غير الدينية" (Smith, 2011)، هكذا تصف نيكول سميث التحوّل. بفعل تلك الحرب الدموية بدأ التداعي الكبير والاتجاه نحو التخلي عن الدين، وخلالها وقبل نهايتها، بدأت تنتشر الطروحات الجديدة، وأولها طرح الكوجيتو الديكارتي، "أنا أفكر إذاً أنا موجود"، كبديل عن الرؤية الوجودية الدينية، وإن لم يكن بشكل مباشر، لكنه كان إيذاناً ببدء الصراع مع المؤسسة الدينية، والذي سيؤدي إلى التطرف الحاد في الطروحات المقابلة. بدأ التداعي من المجال السياسي في البداية، ومن ثم بدأ البحث عن البديل، وبحسب سميث، "من نواحٍ عديدة، كانت هناك نتيجة أخرى أكثر عمومية للحرب وهي أنها سمحت لأول مرة في التاريخ الأوروبي لدولة ما بالحصول على مكانة بارزة بسبب التجارة والاقتصاد والسياسة بدلاً من كونها مركزاً للتسلسل الهرمي الديني" (Smith, 2011)، هذا الانقلاب الكبير، فتح

المجال للبحث عن البدائل.

في تحليل هذا التحول، يرى إريك فوغلين أنّ التحولات والصراعات التي جرت في أوروبا إبان ما يُسمّى بـ(عصر النهضة) تشبه أي تحول تاريخي فوضوي آخر، لكن تم تحويلها إلى مادة نظرية وفكرة وحقل من الرموز والمفاهيم، "في النهج التقليدي الحديث للسياسة، يتم قبول نتائج (عصر النهضة) على أنّها أُسسٌ لا جدال فيها ولا نقاش. وتتمتع هذه المرحلة التاريخية العابرة بالتقديس المماثل للنظام الطبيعي للأشياء؛ وتستخدم الرموز السياسية المُعبّرة عن هذه المرحلة وكأنّها مفاهيمٌ نظرية" (Voegelin, 1998)، يمكن من خلال هذا السياق التاريخي لنشوء الاتجاه الفكري المادي أن نفهم أحد أبعاد الإضطراب الذي يسم هذا الاتجاه، والتقلّبات والانتكاسات الأخلاقية والتشوّهات الروحية، وكرة الثلج التي انطلقت من قمة الصراع السياسي ستتحول إلى أدنى الرذيلة بعد أن تجتاز مجموعة من المراحل. لقد حدّدت العلمانية، في حالتها الشاملة، ما لا ينبغي أن يكون، وقالت أنّ الدين لا ينبغي أن يكون معتبراً كأساس فكري، لكنها لم تحدد ما ينبغي أن يكون، ولذلك تركت البديل مفتوحاً على كل خيار وصولاً إلى الشذوذ والكلاب البشرية.

الجزور الثقافية الغربية للعلمانية

تختلف مسارات ومآلات التوجه نحو العلمانية بين ما حصل في الغرب وبين ما حصل أو يمكن أن يحصل في الحضارات الأخرى، لأن العلمانية بدأت من داخل الحضارة الغربية، واتجهت تلك الحضارة نحو العلمانية نتيجة إرادة محلية دفعت نحوها الضرورة، وإن كانت تلك الإرادة الحرة مدفوعة بعوامل تاريخية وفكرية واقتصادية واجتماعية ضاغطة ومؤثرة، إلّا أنّها كانت تتحرك داخل الإطار الغربي، وإنّ حركة الوعي الغربي نحو التغيير كانت تتولد بفعل مشاهدات ومعايشات تفصيلية على مدى عقود طويلة، دفعت باتجاهات محددة تبعاً للصراعات وتطور الأسئلة والأفكار والمعالجات والنزاعات، وبذلك يمكن القول: إنّ العلمانية ولدت بإرادة غربية وفق وعي غربي متنام، ووفق قناعات تشكّلت على الأرض على مرّ السنين. وكذلك يمكن القول: بأنّ العلمانية لم تكن مؤسسة على رؤية وقواعد هادفة وطموحة للتغيير، بل على تعددية تظهر عدم وجود فكرة مسبقة ناضجة في نظر النخبة، بحيث يقع عليها

الإجماع في خطوطها الكلية. ويمكن سوق شاهد مهم على هذا السياق هو الحرب الدينية التي استمرت ثلاثين عاماً، والتي تُشكّل عمدة التداعي الفكري الغربي إلى جانب إشكالية غاليليو الفلكية واكتشاف الأراضي الجديدة ما وراء الأطلسي، والآثار الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية التي تركها هذا التطور الهائل. والمقصود هنا هو أنّ العلمانية لم تتحرك في التاريخ كطرح جاهز، كما تفعل الأديان السماوية، بل هي حالة تجريبية مضطربة ومتحولة وتعددية ومتغيرة، نتجت عن ظروف مُحددة.

السياق الاقتصادي لنمو العلمانية

لقد تقاطعت مسارات متعددة المستويات لتولد التحول الغربي، الذي هو مالي واقتصادي وتكنولوجي بالأساس، "مع إنشاء مستعمرات ما وراء البحار من قبل القوى الأوروبية في أوائل القرن السابع عشر، واكتسبت النظرية الماركنتيلية أهمية جديدة وأوسع نطاقاً، حيث أصبح هدفها ومثالها قوميين وإمبرياليين" (Johnson, 1915). إذ تزامنت حركة الحرب الدينية بتداعياتها الكبرى، مع الردة الفكرية، ومع المسار الاستعماري الناهب في بداية القرن السابع عشر، وبدأت الفكرة القومية/العلمانية تتغذى على التدفق المالي الاستعماري، كما غدّى هذا التدفق المالي التحول من الزراعة كمرتكز رئيس للاقتصاد إلى التجارة الحرة في بلاد ما وراء البحار، التي دعمت الفردانية

ية وأعدت تشكيل النظام الاقتصادي بقوى جديدة، وأضعفت النظام السياسي/الاقتصادي الذي كانت تحكمه الكنيسة والملكية (Weingast, 2017).

ويصعب أن نجد في السرديات التاريخية الغربية الحاكمة ربطاً تحليلياً واضحاً بين الاستعمار والتدفق المالي الناتج عنه وبين التغيير الثقافي الذي حصل داخل أوروبا، ذلك أن أغلب القراءات، حتى النقدية منها، تنحو إلى تجاهل هذه النقطة، مع الإشارة إلى أن إريك هوبسباوم في "عصر الثورة" يُبين مدى ارتباط السيطرة على القطن ومعامل النسيج الهندية وبين تطوير معامل الغزل البريطانية التي تعمل بالطاقة البخارية، وهنا ارتبطت المسارات العلمية بالاستعمار وبالنتائج المالية.

إنّ تقدير قيمة وأثر الموارد العينية، وخصوصاً المعادن الثمينة، والتي تمّ نهبها من أمريكا

الشمالية والجنوبية، بكميات هائلة تفوق الخيال، يبقى مغفلاً في أغلب السرديات، لبقى المعطى الفكري الذي نتج عن الحرب الدينية، كما تقول مارغريت جاكوب: "كان الموقف الديني لعصر التنوير رداً على القرن السابق من الصراع الديني في أوروبا، وخاصة حرب الثلاثين عاماً" (Jacob, 2001)، هو العامل الرئيس المأخوذ بعين الإعتبار، كسبب للنقلة الاقتصادية الغربية، مع تركيز كبير على دور المُفكرين العلمانيين كأبناء جدد قدّموا طرحاً مستحدثاً، بالتوازي مع إهمال رواية الحرب الدينية وتأثيراتها في أغلب السرديات الغربية، ليظهر إنتاج المفكرين العلمانيين كإكتشاف علمي خارج السياق السياسي والثقافي للمجتمع الأوروبي. كل هذا السّياق الاقتصادي والثقافي والسياسي يتم تغييره، وتحصل عملية توظيف للفكرة العلمانية لأجل التصدير، بعد أن تتم تنقيتها من كل العوامل السياقية، لتقدم على أساس أنها طرح تفتح من قريحة مجموعة من المفكرين، نتيجة إبداعهم الخاص، ويتم إسقاطها على ثقافات أخرى لم تمر في السياق التاريخي الغربي، ولا تملك الموارد التي حصلها الغربي من خلال الاستعمار، ولم ينتج عن حروبها الدينية طوال القرون حالة الردة التي حصلت في أوروبا، الردة التي نتجت عن تزاوج بين الحرب الدينية الدموية وبين الاختلال الذي أحدثه إكتشاف جاليليو في بنية السلطة الدينية. كل ذلك تم إقصاؤه لكي تُقدّم العلمانية على طبق نقي للشعوب الأخرى، كدواء لكل المشكلات.

لقد تم اختيار وانتقاء متغير واحد لتفسير ظاهرة تحول تاريخي وردة ثقافية هائلة، وذلك لكي يتمّ تقديم المستعمر على أنه مشروع ثقافي تحديتي وفق نسق "واجبات الرجل الأبيض"، وتمّ استخدام هذا النموذج بشكل معاكس في الدول المستهدفة بالاستعمار، وتمّ توظيف العلمانية كأداة ضد الهوية الثقافية المحلية التي ترفض الهيمنة بشكل تلقائي، وتمّ استخدام النموذج المصطنع لـ"الطرح" الغربي ليستطيع مواجهة الثقافات والحضارات الأخرى وتجريدها من خصوصيتها وتفكيك عناصر وجودها، ولم يكن ذلك ممكناً من دون تحييد رواية الحرب الدينية وتزامنها مع الثغرة التي إكتشفها جاليليو في النص الديني، ليمّ تقديمها كمعطى ناجز.

العلمانية في مازق الصراع والتطرف

إنّ تولّد العلمانية من رحم الصراع، وعدم قيامها على أساس تنظير غائي واعٍ يهدف إلى رسم

خطة للبشرية تناسب الإنسان، جعلها تتجه نحو التطرف ونحو الاختزال، وبالتالي سيحرمها من العالمية المنشودة، لأنها لم تقم على أساس نظري مبني على معرفة بالإنسان ومن ثم التخطيط لحياته، بل إن هذا التخطيط نشأ كردة فعل على تاريخ خاص وماضٍ نتج عنه أزمت عميقة ومتفجرة، دفعت إلى تغيير المسار الفكري لحضارة كاملة، وتمثل هذا التغيير في اتفاقية وستفاليا 1648. شيئاً فشيئاً، وصلت العلمانية إلى العالمية بفعل الهيمنة المادية، وليس بفعل تلاؤمها مع الإنسان وطبيعته، لا بل إنها الآن تدعو إلى هدم الإنسان، وتغيير هويته الجنسية وتغيير طبيعته العائلية، بعد أن دمّرت مشاعره وأحاسيسه وجزءاً كبيراً من قدرته على المعرفة والإدراك العقلي.

يستعرض فوغلين القضايا والإشكاليات التي واجهت الفكر الغربي بعد انهيار الكنيسة والتي دفعت نحو إيجاد حلول بأيّ وسيلة للعثور على بديل، "لا يمكن للمرء أن يتحدث عن نظرية على الإطلاق، كما قلنا، قبل نهاية القرن وعودة الحالة المدرسية. القاسم المشترك بينهم هو مشكلة جديدة يحاولون حلّها بمهارة إلى حدّ ما عن طريق الأجزاء النظرية المنتقاة من الأدب القديم والعصور الوسطى. تنشأ مشكلتهم من خلال تحرير النظام السياسي (مصطلح الدولة غير مسموح به بعد) من قيود النظام الكاريزمي المغلف للمسيحية الإمبريالية. ما الذي يمنح الشرعية للحكم عندما تسقط العقوبة المتعالية؟ ماذا يتبقى من شرعية الحكم عندما يكون الملك على خلاف مع مجموعات كبيرة من رعاياه حول مسألة الدين؟ إذا كانت الشرعية تعتمد على التوافق مع الرغبات الدينية للناس، فمن يكون الحاكم إذا انقسم الناس دينياً؟ وإذا حُذف موضوع الدين وسقط هذا المعيار، فما هو إذاً أساس السلطة الحكومية؟ إذا كان يجب أن نعود إلى التقاليد، فماذا يجب أن نفعل إذا فرضت الظروف خروجاً جديداً؟ وإذا استمدينا الحكم من المؤسسة والموافقة الشعبية، فأين نجد أصل شرعية الشعب؟" (Voegelin, 1998)، فهي مشكلة اجتماعية خاصة بالتجربة الغربية، تمّت موضعتها في سياق فكري وتحويلها إلى إطار فكري، وتم تسمية مرحلة الصراع وتفكيك النظام القائم بـ "عصر الأنوار"، رغم أن الظلامية ظلّت حاکمة، وما نتج عن الاستعمار وعن التحديث من حروب داخل أوروبا وأمريكا وخارجها، وخصوصاً الحربين العالميتين، يؤكد أن التحول لم يحصل، وأن العصور الوسطى ظلّت قائمة بظلمها وإجرامها.

العلمانية في الحالة الإسلامية

كانت العلمانية المرتبطة بانفصال الدين عن السياسة، بمعنى فقدان حاكمية المعايير الدينية على السلطة الزمنية، موجودة معظم التاريخ الإسلامي، "رغم أصول الإسلام وتعاليمه حول العلاقة بين الحياة الدينية والسياسية الإسلامية فقد تطور المجتمع بطرق غير إسلامية. في الواقع، الحياة الدينية والسياسية طوّرت مجالات مُتميزة من الخبرة، مع قيم مستقلة وقادة ومؤسّسات منفصلة" (Lapidus, 1975)، لكن تأثيرات هذه الحالة ودوافعها وآثارها الفكرية والاجتماعية والأخلاقية كانت مختلفة، ولا يمكن تقصّي الفارق بين التجريبتين حصراً في مسار التقدم والتخلّف الذي أملاه التحول الغربي وماكنته الثقافية، بل كانت التجارب الإسلامية متفاوتة ومختلفة لناحية التقدم أو التخلف، سواءً من الناحية العلمية أو الفكرية أو السياسية أو ما يرتبط بالانتظام الدولي وقيام الإمبراطوريات. ثمة فوارق أخلاقية وسياسية وفكرية متنوعة، فالنموذج الاجتماعي والعائلي والفرداني الذي نما واستمرّ وتطور تحت ظلّ السلطات الزمنية الإسلامية التي لم تكن تخضع بشكل كامل للمعايير الدينية الإسلامية، لا يشبه النموذج الذي يطرحه الغرب اليوم، والذي وصل إلى تدمير الفكر والهوية الأخلاقية بشكل نهائي.

إنّ التيار السياسي الذي دفع باتجاه تحويل الخلافة إلى ملكية ومُلكية كان مدفوعاً بعوامل سياقية كذلك، فالسلطة التي تأسّست مع الدولة الإسلامية وتجاوزت الأطر القبلية والمناطقية ودخلت من الباب الديني العريض، شكّلت لبقايا نخبة المرحلة الجاهلية والقوى السفينانية تحديداً عائناً أمام العودة إلى السلطة، والتموضع على رأس الإمبراطورية الواسعة التي تضخّمت بما لا يقارن بـ "ملك قريش" البسيط في مكة. لذلك كانوا بحاجة إلى التسلّل من داخل المنظومة الإسلامية، والمحافظة على منبر رسول الله ومسجده، لكن مع تغيير المعطى الثقافي ودستور السلطة الفعلي، ليتسنى لهم توظيف هذا الموقع لصالحهم الفئوي والشخصي.

لم تكن المشكلة في استيراد الأفكار العلمانية وإعادة هضمها واستنباتها فقط، بل إنّ الإشكالية التي نعالجها هنا، هي التبعية واستيراد التجربة، وليس استيراد الفكرة، فالغرب كما تبينّ لدينا لم ينتج فكرة، بل كانت الفكرة نتيجة للتجربة التي خاضها بطريقته الخاصة وبأزماته وجراحه

وكوارثه الخاصة. ونتيجة لذلك، فإنه عندما تحصل حالة التبعية للغرب، فإننا لا نتبع فكرة واضحة محددة، بل حالة وتجربة متفاوتة من خلال التعددية الكبيرة للأفكار، متغيرة مع الزمن ومُتقلِّبة، وتتجه نحو التسافل تدريجياً، والآن وصلت إلى الترويج الممنهج والشامل للشذوذ الجنسي وتغيير الجنس ابتداءً من الطفولة.

مضافاً إلى ذلك، فإنَّ الغربَ لا يسمح بنقل المنافع المادية والاقتصادية لعملية التحديث إلى البلدان التي يدعوها إلى اتباع منظومته الفكرية، بل هو يريد من خلال هذا الاستتباع أن يحصل على موارد تلك البلدان وأسواقها.

الردة التاريخية عن التدين

لقد بدأت هذه التجربة السلبية من خلال التداعي والانهيار الفكري وحصول الردة الحضارية الشاملة للغرب الأوروبي عن التدين الاجتماعي والفردى وانهيار منظومة القيم، والمترافق مع تفكُّك سلطة المعايير الدينية في المجال السياسي، بغض النظر عن مدى قيمتها الإيجابية وحجم انحرافاتهما، لكن ما حصل في الغرب هو دمج وموازة حادة بين الانهيارات الأخلاقية والسياسية والفكرية، نتيجة نشوء موقف سياسي وثقافي حاد ضد الدين برمته، وبين تقدُّم الاستعمار والنهب الذي بدأ بدعوات تبشيرية ومظلة كنسية في البداية.

إنَّ تحميلَ الدين مسؤولية التخلُّف الحضاري يتناقض مع تجارب حضارية تاريخية عديدة، منها التجربة الإسلامية، وحتى في السياق الأوروبي، فإنَّ الحداثة تقدَّمت واستمرَّت حتى منتصف القرن العشرين، وكان المجتمع الأوروبي والأمريكي يعيشيان وفق النظم المحافظة على الأخلاق الفردية والعائلية، واستمرَّ الالتزام الديني والحضور الكنسي قائماً ومستمراً، وحتى الآن، فإنَّ المجتمع الأمريكي منقسم بين الليبرالي والمحافظ، ولم ينحصر التقدم التكنولوجي في البيئة الليبرالية. فالفكرة العلمانية الليبرالية التي تقدم نفسها كبديل حضاري، لا تملك المبررات الكافية لتربط نفسها بالتقدُّم، أو تحصر التقدم بها، لا من الناحية النظرية، ولا من الناحية العملية، حيثُ إنَّ الدولَ التي ألحقت نفسها بالركب الغربي من الناحية السياسية والاقتصادية، لم تتقدم حضارياً، بل لا يزال جزءٌ كبيرٌ من دول أفريقيا التي يهيمن فيها النفوذ الغربي، تعيش حالة العوز والفقر بسبب البرامج الغربية للنهب.

النخب المتحكِّمة بالتحديث

إن تمكَّن الهيمنة الغربية من التحكم بهذا التحول من خلال النخب، وفرَّ لها فرصة صنع نخب ورفع أخرى مُحمَّلة إياها بالأفكار ما بعد حداثوية التي سيتم تغريب الناس بها، وما استطاعت الصين فعله هو الحفاظ على انتماء النخب وهويتها وارتباطها بالمنظومة الاجتماعية والسياسية المحلية، رغم الانخراط المدروس بالنموذج الليبرالي. وتختلف هذه التجربة عن حالات الإخضاع والتبعية العمياء والرضوخ للهيمنة، التي لا يمكن المقايسة بينها وبين تجربة قصدية واعية ومخططة للتملُّص من الغرب مع الاستفادة من النتائج السياسية لتجربته الماضية، وخصوصاً في المجال التكنولوجي.

إنَّ الدولَ الغربية المهيمنة لا تترك -في العادة- عملية التغريب والاستتباع لتجري كحالة تاريخية متدرِّجة تنتقل من خلالها الأفكار الإيجابية وابتقاء من التجارب الاجتماعية والسياسية والفكرية الغربية، بل هي عملية مُقنَّنة ومدارة ومنظمة⁽¹⁾، بدءاً من تعويم مرجعيات محددة ورموز بعينها وصولاً إلى القوانين التي تسمح بإدارة وتنظيم عملية التغريب، وانتقالاً إلى المنظمات المدنية والنخب المحلية التي تنفذ برامج مُصمَّمة خصيصاً للاستتباع، وتتقاضى مقابلها أجوراً شهرية.

■ ثانياً: تأثيرات الاستتباع

الاستتباع عملية منظمة، هذه هي الفكرة المركزية في هذا القسم؛ وهذا القصد هو جزء من عمليات فرض الهيمنة. يحتوي التصدير الغربي على أفكار تستبطن التفكيك، والصراع الاجتماعي على كل المستويات؛ وهنا تعرِّض لنا التجربة الصينية التي استطاعت الفكك من الهيمنة، رغم التعرض للتهجين الثقافي. ولكن تواجهنا في هذا السياق مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالتأثيرات العميقة للتغريب القسري في عمليات الانتاج الفكري، وابداع الحلول الملائمة للمجتمعات المُعرَّضة للهيمنة.

1- راجع: قيسي، هادي (2021) الاحتلال الذاتي: آليات الاستتباع الناعم للقوى الغربية، مجلة جامعة المعارف، العدد 3.

تصدير التداي

مضافاً إلى الإشكاليات المتولدة من طبيعة التجربة التي حصلت داخل النطاق الغربي، فإنّ ثمة إشكالية رئيسة تتعلق بتصدير التجربة الغربية بالتزامن مع فرض المشروع الاستعماري، إذ لم يحصل هذا التصدير من خلال نقاش فكري وطرح أفكار بشكل موضوعي، بل إنّ هذا الانتشار العام لنتائج السياق السياسي للماضي الغربي ومفرداته الفكرية، كان متسقاً ومقصوداً ومنظماً ومنظويّاً ضمن البرنامج الاستعماري (الفاطمي، 2018). ويمكن القول: إنّ التحوّل نحو العلمانية لدى الشعوب المسيطر عليها تم تحت إشراف وتوجيه وإحكام وتحكم وسيطرة الدول الغربية المستعمرة، وهو الأمر الذي سيدمر الحضارة السابقة ولن ينتج حضارة لاحقة، بل سيبتج مسار تداي ومواكبة إسقاطية للتحوّلات الغربية كبديل يحلّ مكان النظام الذي تمّ تخريبه. وبناءً على اختلاف السياق الاجتماعي الثقافي الذي تتمّ فيه موضوعة نتائج السياق التاريخي الغربي، فإن الاضطراب والصراعات الثقافية والفكرية التي تحصل داخل هذا السياق المستهدف، كقيلة بتقسيم المجتمعات في اتجاهات جديدة، ووفق معايير المستعمر. مضافاً إلى ذلك، فإنّ السّياق واللحظة التاريخية التي يتم فيها فرض الأفكار الغربية، تتسمّ بالفوضى والتغيّر الاجتماعي والانكسار المعنوي والتفكك النخبوي، فيتّم تلقي تلك الأفكار بذهنية فاقدة للنقد والفعالية والإبداع.

ومن ناحيةٍ سياسيةٍ، فإنّ عدم التناسب في الأفكار والموارد يتحول إلى إبادة، فالغربي يريد تحصيل كل ما يمكن من الموارد، وبالتالي فهو لا يكتفي بالسيطرة الثقافية فإنّ وتقبل الشعوب لأفكاره، بل هو يريد من ذلك وبعده الخضوع التام وتسليم الممتلكات، يُؤكد حلاق هذا الأمر، فيقول "أزعم أن الكولونيالية - بنوعها الاستيطاني وغير الاستيطاني - إبادية بطبيعتها، وبكل ما تحمله كلمة الإبادة من مضامين تتطلب منا توسيع معنى الإبادة لتتجاوز الأشكال المادية التقليدية.. توجد علاقة منطقية ووجودية لازمة بين الأكاديمية الخاصّة بالنطاق المركزي والكولونيالية من جهة، وبين الكولونيالية والإبادة من جهة أخرى" (حلاق، 2018)، يتم استخدام الأفكار في عمليات الإبادة، الإبادة الفكرية والإحلال لمنظومة ثقافية وأخلاقية بدلاً من المنظومة القائمة، وهدم النظام الاجتماعي القائم على أساس ثقافته الخاصة. كما أنه هناك مشكلة إضافية في الحضارة الغربية تتجسد في تسامح مجتمعاتها ولانحرافات، الاستعمار

والجريمة والشذوذ كمثال، نتيجة عدم وجود فكرة كلية تحكم الثقافة العامة للمجتمع والفوضى والتعددية. ولا يمكن تحكيم العقل أو الأخلاق للسيطرة على التيارات المتطرفة والمنحرفة، ولا تخضع للمحاسبة ولا للمحاربة، وبذلك فإن وجود التعددية والتيارات الإنسانية داخل المجتمع الغربي، لا يحدد المنتجات التي يتمّ فرضها ونشرها على الحضارات الأخرى، بل من يتحكم بذلك هو التيارات المنحرفة والكتلة الرأسمالية الحاكمة.

التجربة الصينية

تقدم التجربة الصينية نموذجاً مهماً هنا، فقد انزاحت نحو العلمانية والليبرالية الفكرية والفردانية، مع استفادة جزئية من النموذج الاقتصادي الليبرالي دون ترك السوق يتحكم بكل شيء، لكنها استطاعت التملص من الهيمنة، وهذا يعود إلى مجموعة عوامل وفواعل: العوامل البيئية تتعلق بالموارد وعدد السكان الهائل وشعب منظم ومصمم، والفواعل الواعية التي تتعلق بإرادة منبثقة من الهوية الحضارية الصينية، وخطة استراتيجية للخروج من الهيمنة الغربية بل والتغلب عليها، من خلال مواجهة استراتيجية بعيدة المدى. فأثناء افتتاح الندوة حول دراسة وتنفيذ روح المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني بتاريخ السابع من شباط 2023، تحدّث الرئيس الصيني شي جين بينغ قائلاً: "منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، واصل حزبنا التقدم على الأساس الحالي، وحقق باستمرار اختراقات مبتكرة في النظرية والتطبيق، ونجح في تعزيز وتوسيع التحديث على النمط الصيني. لقد تعمّقنا باستمرار في فهمنا، وخلقنا فكر الاشتراكية ذات الخصائص الصينية في العصر الجديد، وحقّقنا قفزة جديدة في تحديث الماركسية في الصين، وقدّمنا أساساً للتحديث على النمط الصيني. لقد تعمّقنا في فهمنا لمضمون وجوهر التحديث على النمط الصيني، ولخصّنا وشكّلنا الخصائص الصينية والمتطلبات الأساسية والمبادئ الرئيسة لتحديث النمط الصيني، وبنينا في البداية نظاماً نظرياً لتحديث النمط الصيني لجعل التحديث على النمط الصيني أكثر وضوحاً وأكثر علمية وجدوى"، تمسّك واضح بالهوية وبالبنية التي تأخذ من هذه الهوية خصائصها واتجاهاتها ومساراتها وأنماطها، فليس هناك انفكاك أو تداعي داخل النسق الصيني، بحسب رؤية بينغ، بل هناك اتساق وتلاؤم وانسجام وتماسك داخلي في الرؤية، بحيث

إنَّه يمكن أن يُسمَّى كل بعد من أبعاد الرؤية بأنه ذو طبيعة وسنخية صينية. بهذه الاستراتيجية استطاعت الصين أن تفصل بين الاستفادة من التحديث التكنولوجي وحتى السياسي، وبين قبول هيمنة رواسب التجربة الاجتماعية الغربية على نسق التفكير الصيني⁽¹⁾. أوَّلت مجلة التايم البريطانية تصريح الرئيس الصيني بالطريقة الآتية: "قال الرئيس شي جين بينغ إنَّ التطورَ الناجح للصين يُظهرُ أنَّ هناك طريقةً أخرى للتحديث، رافضاً أيَّة حاجة إلى التغريب، والتركيز على مضاعفة أهدافه المتمثلة في زيادة الاعتماد على الذات وتحسين العدالة الاجتماعية، ويجب أن تعمل الصين على إيجاد طريق للتحديث أكثر كفاءة من الرأسمالية" . وهذا أمر طبيعي، لأن التايم تصدر من بريطانيا التي كانت بدورها تحتلُّ الصين، وافتعلت حرب الأفيون ودمَّرت أجيالاً من الشباب الصيني بفعل بيع الأفيون.

النقلة الحضارية المُصطنعة

تختلف النقلة الحضارية نتيجة التحوُّل الداخلي عن النقلة الحضارية نتيجة الهيمنة، كما تختلف النقلة الحضارية الواعية والمخططة والهادفة إلى الحفاظ على الهوية والثقافة المحلية، وتوظيف التكنولوجيا التي اعتمدها الغرب في السيطرة والهيمنة، لتحقيق الاستقلالية والقدرة. فالغرب لا يريد للشعوب الأخرى أن تصلَ إلى مستواه الاقتصادي والتكنولوجي، وهذا غني عن التوضيح، وإنَّما يريد لها أن تكونَ خاضعةً بمواردها وجغرافيتها وأسواقها وأدمغتها، ويعكس كتاب أرتورو اسكوبار (مواجهة التنمية) الآثار الحقيقية لهذه البرامج، فيقول "إنَّ خطابَ واستراتيجية التنمية أنتج نقيضه: التخلفُ الهائل والإفقار الذي لا يوصف والاستغلال والقمع. أزمة الديون والمجاعة تتزايد، إنَّ الفقرَ وسوءَ التغذية والعنف ما هي إلاَّ العلامات الأكثر إثارة للشفقة لفشل أربعين عاماً من التنمية" (Escobar, 1995). يصف بعض الباحثين

1 - للتوسع في هذا المجال، راجع: ليو جيان هوا، الأساليب الجديدة للتسلل الأيديولوجي الأمريكي للصين والإجراءات المضادة، مجلة جامعة هوا قياو، النسخة الفلسفية والاجتماعية، ترجمة ونشر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير، 31 آب 2023.

Xi Rejects 'Westernization' and Promotes China's Self Reliance in New Policy Speech

الانثروبولوجيين حالة التحول الثقافي الاستباعيين بحالة التهجين الثقافي، (See: Homi K. Bhabha, The Location of Culture, 2012). فالغرب لا يريد تحولاً كاملاً لدى الشعوب الأخرى، كما لا يريد لها أن تحافظ على هوياتها، بل أن تصبَحَ مهجنة ومختلطة ثقافياً، ويقوم بتحديد الموارد الثقافية التي يتم نشرها وتعميمها وزرعها بالطرق المختلفة، من خلال هيمنته الإعلامية والتربوية والعلمية والثقافية والفنية.

كذلك، يمكن الاستفادة من التجربة الصينية، لنرى أنه حين يكون التوجُّه نحو العلمانية أو التحول الثقافي والفكري ذاتياً فإنه يتَّسَمُ بالآتي: إرادة حرة للتحكُّم بالموارد الاقتصادية المحلية التي سيستفيد منها للتقدم العلمي وإحداث النقلة الاجتماعية، وافتتاح كامل على التفاعل المعرفي والعلمي وسيُحدث نقلةً نوعيةً، وسيستج ثقافة ونمط حياة اختياري يتناسب مع الخلفية التاريخية، دون حصول صدمة استعمارية ثقافية تحول دون أكبر قدر من الاستفادة ممَّا توصلوا إليه، مع تقنيات ومعارف منسجمة مع التحول. بالإضافة إلى أنَّ الإدارة الحرة المستقلة للبلاد تستطيع توفير وتوزيع الموارد بشكل يؤدي إلى نهضتها، وبالتالي تتمكن من توفير احتياجات إنتاج الفكر والمعرفة والعلم وتبني البيئة المناسبة لاكتساب الثقة بالذات وبناء الرؤية الخاصة.

الصدمة الحضارية

الصدمة الحضارية مفيدة إذا كانت تلقائيةً، فعندما تصطدم حضارة صاعدة بأخرى خامدة، قد يحصل تفاعل إيجابي يحرك الخامد بفعل جاذبية وفعالية الصاعد، لكن عندما تترافق النُّقْلة الثقافية مع النُّقْلة الاخضاعية، تختلف النتائج بشكل حاسم، وما يحصل هو تهجين يجمع بين الخضوع والخمود والتغير والتحول. وهذا التكوين المختلط لا ينتج قدرة ذاتية على خوض مسار التطور وتوفير متطلباته، بل هو يُشكِّلُ حالة ضعيفة وعاجزة ومرتبطة حصراً بالمدير الغربي، وتصبح النخب المهجنة والمستفيدة من الشراكة المادية مع المهيمن، حالة مترفة في مجتمعات يتم إفقارها بالتعاون مع تلك النخب، بشكل منتظم ومبرمج، وهنا لا يمكن أن نستخدم نموذج هذه النخب المستفيدة للاستدلال على محاسن الهيمنة، فهي حالة خاصة محصورة جداً.

فشل الشعوب في التحديث

يطرح الغرب سرديّة ويُرّوجها وقد انتشرت بشكل واسع في الأطر الثقافية في العالم العربي والبيئات التي تمّ إخضاعها، وتقومُ على أنّ الشعوب الخاضعة لم تتمكن من استيعاب الحضارة الوافدة لأسباب تتعلق بالضعف الداخلي لبنيتها الاجتماعية والسياسية، في الوقت الذي تتعرض فيه هذه البنى لعمليات تفرّغ وتجويف وتفكيك ممنهج من قبل المهيمن الغربي، ما يفاقم نقاط ضعفها الداخلية ويحافظ على استمرارية وتنامي نقاط الضعف تلك، ويمنع أية حالة تحررية أو استقلالية من القيام أو النجاح أو الاستمرار. يشير والتر رودني إلى سياق تاريخي للتخلّف الممنهج إذ "كانت المجتمعات الأفريقية والآسيوية تتطور بشكل مستقل حتى استولت عليها القوى الرأسمالية بشكل مباشر أو غير مباشر. وعندما حدث ذلك، زاد الاستغلال، وتبع ذلك تصدير الفائض، ممّا حرّم المجتمعات من الاستفادة من مواردها الطبيعية وعملها. وهذا جزء لا يتجزأ من التخلّف بالمعنى المعاصر" (Rodney, 1973). وبلا شك، فإنّ المجتمعات المستهدفة تحمل في بنيتها أسباب الضعف وإشكاليات سياسية واقتصادية تحول بينها وبين النهوض، لكن الخروج من هذه الإشكاليات لا يتمّ من خلال السماح بالمهيمن بالتدخل، لأنه ينفذ من خلال نقاط الضعف هذه ويحافظ عليها وينمّيها ويعمّقها.

إيديولوجية التّقدم

حدّد المشروع الغربي مساراً نمطياً للتغيير، يتضمن مراحل انتقالية، تشكل إسقاطاً للتغيير الذي شهدته الدول الغربية، ويفترض أن التطور التكنولوجي والعلمي يعود إلى الخوض في هذه المراحل الواحدة تلو الأخرى، وفي الحقيقة أن هذا الإسقاط يخفي عوامل أخرى لا يمكن إغفال تأثيرها على التطور المادي في الغرب، في حين أنّ الانحطاط الأخلاقي الذي يعيشه الغرب يتصل بشكل مباشر بالمراحل التي يطلق الغرب عليها مراحل التّقدم التي نقلته إلى حالة العلمانية الشاملة والانحلال الأخلاقي الحاصل الآن. العوامل التي يغفلها الغرب تتعلق، كما أسلفنا، بالموارد المادية التي تدفقت بشكل غير مسبوق نحو الدول الغربية من الأراضي الأمريكية بدايةً، وفي المرحلة الثانية من خلال النهب الاستعماري الهائل. إنّ إخفاء

تأثير العامل المادي في إنتاج تطور مادي وتكنولوجي يعود، في أحد جوانبه، إلى أن هذا العامل الشديد التأثير قام على أساس غير مشروع من إبادات جماعية وعمليات نهب شاملة، ولذلك تم الاكتفاء بتقديم التغيير الثقافي والفكري كعامل وحيد في التطور المادي الغربي، ويتم استخدام هذا النموذج في عمليات التهجين، من خلال نشر الوعود الغربية بأن اتباع نسق التقدم العلماني الغربي سيؤدي تلقائياً إلى الرخاء والازدهار، في الوقت نفسه الذي تقوم فيه الآلة الغربية بنهب وإفقار الشعوب التي تتعرض لعمليات التهجين.

العلاقة بين التحديث والهيمنة

لا يمكن أن تحصل النقلة الحضارية بهذه الطريقة، إذ لا يمكن مكافحة التدخل الغربي الاقتصادي مع الخضوع للمنظومة الفكرية الغربية، ومن هنا فإنَّ تقبل المنظومة الفكرية يعني بالتالي الخضوع للهيمنة وإن بشكل تدريجي، والنتائج الماثلة أمامنا تؤكد التلازم بين التبعية والتخلُّف بعد ثلاثة قرون من فرضية التحديث الغربي. لا شك بأن البنية العربية، أو العالمالشيئية، تتضمن ثغرات ومشكلات وأزمات عميقة، ككل البنى الحضارية الأخرى، ومن ضمنها البنية الحضارية الغربية التي تعاني من اختلالات أخلاقية واجتماعية هائلة، لكن السياق التاريخي الذي سارت فيه الدول الواقعة تحت خط الهيمنة لا يسمح لها بتطوير ذاتها، بل يُخضعها لبرنامج استلاب فكري وهوياتي وتدمير اقتصادي وسياسي، وتم إنعاش نخبها برواية التطور والحدثة من خلال تهجين فرداني التقاطي لا يؤهلها إلى إنتاج معرفة وموقف مفيد في انتشال بيئتها من الأزمات، بل أصبحت تلك النخب شريكة للنهاب الغربي في الحفاظ على استمرارية الخضوع والاستلاب والنهب والإفقار.

الدور الفاعل للنموذج التحرري

يفترضُ النموذج التحرري أنَّ الرغبة في التعبير وبناء الطاقة التي تُحرِّك وتحافظ على الطموح، ينبغي ألا تكون مفروضة، بل بقرار ذاتي. فعملية التغيير تختلف جذرياً عن عملية الالتقاط، الثورة الداخلية والمحلية هي نقيض عملية الالتقاط، بل إنَّ التحفز العقلي الواعي للتغيير والتطوير الحضاري، يتناقض بشكل تلقائي مع عملية التهجين والاعتراب عن الذات وفقدان الهوية نتيجة

الازدواجية والاضطراب المتأتي من عبثية الأفكار الغربية، والأزمات الأخلاقية التي تصاحب عملية التهجين. إن كل ذلك يمنع من قيام العقل المتحفز والمنطلق باجتراح الحلول والتصورات المناسبة للثقافة والاجتماع المحلي، كما أن أحد الأزمات العميقة التي أحدثها الاستلاب نحو الغرب، هو الاضطراب الفكري الناتج عن التخلي عن الرؤية الكونية العقلانية والواقعية التي كانت تحملها الشعوب الإسلامية، لصالح فوضى فكرية وإيديولوجية عارمة، إنَّ هذا التخلي بذاته يُؤدِّي إلى اختلال النظام الفكري برمته، ولا يترك تفصيلاً إلاَّ وأحدث فيه أزمة وانكساراً.

الإحباط الفكري والتقليد

إنَّ المجتمع الذي يقوم بتقليد الآخرين ويتغير بفعل الدعاية والترويج والهيمنة الغربية، هو يتغير بفعل تأثير الآخر، ولم يتولد التغيير من داخله، عندما قرَّرت هذه المجتمعات أن تتبنى التجربة الغربية المضطربة، لم تقم بعملية تغيير جوهري ذاتي. هذا التغيير الجوهري الذاتي يفترض حصول تحول في معرفة النفس والوجود والغاية، لا أن يكون منطلقاً من الخارج ومن نموذج فوضوي لا يعتمد على معرفة النفس، لا بل يُشكك في أصل إمكانية المعرفة، فالتحول الجوهري يفترض أن يبني على أساس اليقين، لكي يتشكل الدافع الذي يكفل الاستمرارية، والذي يتبع الغرب الفوضوي اللايقيني إنما يسير بفعل المحرك الغربي وليس بفعل الدافع الذاتي.

هذا البنيان المعرفي للحركة الجوهريّة للتغيير يسمح لنا بتشديد الرؤية الجديدة بناءً على الفكر الذي يدرك ذاته ويمكن من خلال تلك الرؤية الانطلاق خطوة إثر خطوة، في رؤية ثلاثية بين كل الخطوات وبين الهدفية الكونية، بحيث يتأتى من هذا التغيير الجوهري ناتج إيجابي يحرس الإنسان من الاضطرابات والتناقضات، ويساعده على إدارة التناقضات والأزمات الجارية، مضافاً إلى خوض النقلة المفصلية لعملية التغيير، وهي التخلص من الهيمنة التي تنتج الدمار الأخلاقي والفكري والاقتصادي في أن واحدٍ .

وظيفة التمايز للإبداع الفردي

مَوْضَع الغرب عملية الإبداع الفكري داخل الإطار الفردي، وهذا ما تسبب بالعبثية والتخبط الذي لا نهاية له، خصوصاً على الصعيد الأخلاقي، حيث وصل به الأمر الآن إلى تفكيك الشعور

الإنساني وتهديم الهوية الشخصية، فالإبداع هنا يُعبّر عن التمايز ولا يعبر عن خدمة الحاجات الإنسانية، فكل مُفكّر يبحث عن تميزه الخاص، ويدخل سوق الأفكار بهذا الدافع، ونجد أن فقدان المعايير الموحدة التي يمكن أن تركز إمكانية النقاش الاجتماعي قد أدى إلى انخساف العقل الغربي وانحداره نحو أقصى الدناءة. وهذه المعايير التي يفترض أن تكون راسخة وغير قابلة للتشكيك، بحيث تكون مقبولة من الجميع، ولا يمكن للسلطة الفكرية البشرية أن تثبتها، بل تحتاج إلى مصدر كامل المعرفة لكي يثبتها ويعطيها المشروعية، فلا تكون مُعرضة للاضطراب. بالمقابل لم يفتح الغرب مجالاً للتعددية كما يدّعي، بل هو يسمح بالتعددية داخل الإطار الفكري المادي، وأي فكر معياري غير مسموح له بالحضور، وغير قابل للنقاش، وأقصى ما يمكن هو أن يتمّ التعامل معه كبيئة مخالفة تتم دراستها لإخضاعها عبر الاستشراق وتصنيفاته ونظائره.

الإبداع الفردي لا يؤدي إلى النهضة الحضارية، بل هي تحتاج إلى الإبداع الجماعي ضمن رؤية كلية جامعة، تنظم الطاقات الفردية وتوظفها، يمكن توظيف الفردية الفكرية من قبل الغرب لإحداث انقسامات وشروخ في المجتمعات المستهدفة، لكن نفس عملية الإبداع الذاتي المتحرر من الإطار الغربي المهيمن هي محل استهداف، ومحل محاربة ومواجهة، فكل انفكاك للبيئة المستهدفة عن الأطر الفكرية المهيمنة يشكل خطراً على حالة الاستكبار، ومن هنا تبدأ الحرية الفكرية الذاتية غير المصطنعة.

الدور السلبي للهيمنة الفكرية

يتعرّض العقل الثوري إلى انتكاسة ويقع في السطحية حينما يقبل بالإملاءات التي تفرضها الهيمنة، تلك الهيمنة التي تنطلق في استعلائها وتعاليتها من نقطة اختلال أساسية، هي فقدان البوصلة الموجهة للتغيير والتطور، فتأتي لتملي ثقافتها ضمن عملية التهجين وهي تحمل مشكلة فقدان البوصلة، الذي يؤدي إلى اتجاه الإنسان نحو الهيمنة والإبادة الجماعية للآخرين جسدياً أو ثقافياً بهدف السيطرة على الموارد، باعتبارها الناتج النهائي لعملية التغيير والتحضر والتطور التكنولوجي والهدف المقصود والواعي لتلك العملية. فالعقل الثوري هو الذي يمتلك الحرية الذاتية والبوصلة الموجهة نحو التغيير الفعلي والواعي، والذي لم يقع في إشكالية العبثية أو الإختزالية، التي تحصر حالة التغيير والتقدم في المجال المادي، الذي هو

أدنى مجالات الحياة. فالثورة الجوهرية لا بد وأن تطال عالم المعنى والشعور والأخلاقيات السامية والوعي الوجودي المتلائم مع الواقع الكوني، وإلا ستكون ثورة سطحية. حينما يخضع العقل لفعل الهيمنة الخارجية، ويبدأ بعملية التغيير من خلال التأثير بقدره المستعمر، ويتقبل ما يملي عليه الوافد المتمكن مادياً بفعل النهب، ويرضخ لإملاءاته التي تتضمن بما ينبغي أن يؤمن وما سيتبنى؟، ويقبل بأن يتجاوز العقلانية ليلحق بركب "التطور"، فيقبل فكرة الماضوية التي تقيم العقل البشري بحسب الزمن الذي صدرت فيه أفكاره، إنَّ هذا العقل يتعرض لعملية إحباط وتسكين واستتباع، بحيث يصبح عاجزاً عن اتخاذ الموقف، وعملياً تكون عملية التغيير هي عملية تكرار لما يصدر عن المهيمن، وليست عملية تغيير، فلا تجديد هنا، بل مجرد تكرار، يقع في مستوى السطح من المستويات الفكرية. فالمهيمن يتحرك في المجال المادي بشكل أساسي، ويترك الجوانب الجوهرية في الوجود الإنساني تتجمد وتبهت وتموت بفعل الإهمال أو بفعل الإخضاع.

أزمة المنهج

يمكن تصنيف المنتج الفكري الغربي وفق منظورين، الأول سياسي والآخر ثقافي. المنظور السياسي، يهتم بالسيطرة على الإنسان من خلال فهمه ومراقبة سلوكه وإنتاج أدوات التأثير، الفيصل هنا في الاستفادة من هذا الناتج الفكري هي الموارد فلا يمكن توظيف هذا المنظور ومنتجاته الفكرية والعلمية بالشكل المجدي بدون توفر الموارد الكافية، ولذلك تحتاج الاستفادة من المنتج الفكري تحت هذا العنوان إلى الاعتماد على الذات واتخاذ القرار بشكل مستقل، والأخذ بعين الاعتبار المصلحة الذاتية، واتخاذ قرار عقلاني رشيد، بعيداً عن تنسيق الخطوات مع برامج الهيمنة ومراعاة استمرارية النهب. كما أن توظيف المنهج الذي يستخدمه السياسي الغربي مع فارق الموارد يعني تعطيل الفعالية وإضعافها، فهنا يحتاج المجتمع المستهدف بالهيمنة إلى منهج خاص يُرممُ صدعَ الموارد، وألاً يتصل المنهج مباشرة بسياق الهيمنة والخضوع لها، ويفقد الدافع والقدرة على خدمة القرار الذاتي وتحرير المصالح المنهوبة. أمَّا المنظور الثقافي الغربي فيهتم بتقديم العلاج للإنسان من المشكلات الفردية والجماعية على شكل توصيات ناتجة عن استقراء التجارب وإنتاج الأفكار. يقع المنتج الفكري الغربي/

الاختزالي⁽¹⁾ تحت هذا المنظور في عدة إشكالات عميقة، التعددية المفرطة، المرجعية الذاتية/ الموضوعية، فقدان الرؤية الكلية، النقض المتبادل بين النظريات، تأثير التيارات واللوبيات، هيمنة الرأسمالية على ترويج الأفكار ومراكز الفكر. هذه الإشكالات تحوّل المتلقي إلى حالة من التشوش والاضطراب والاضطرار إلى التلقي الفوضوي، وفي حال ضعف الحس النقدي الذي تتميز به البيئات المعرّضة للهيمنة، فإن المتلقي سيتأثر بهذا النسق المشتمت، وسيفقد الانتظام في الرؤية، وبالتالي فإنه سيحتاج إلى الدخول في حالة الفوضى والخضوع لحالة التلقي المتكثّر، الذي يغفله عن الإنتاج المعرفي أو النقد للمنتج الوافد، الذي يفترض أن ينظر إليه بتقدير وب"موضوعية" تتجاوز الموقف السياسي، وبالتالي فعليه أن يقبله. في حال امتلاك رأياً نقدياً، فإن ذلك لا ينبغي أن يُشكّل موقفاً فكرياً، بل يتم توضيب هذا الرأي ضمن حق الاختلاف، المؤسّس على فقدان المعايير والمرجعية والرؤية الكلية.

وبناءً على هذا التشريح للنتاج الفكري المهيمن، ببعديه السياسي والثقافي، فإن أثر التلقي من ناحية المنهج لهذا النوع من النتاج الفكري هو الخمود والتشتت وإضعاف القدرة على التفكير الحر، وانتشار الرهاب تجاه إطلاق الأفكار الجديدة، وهذا عامل أساسي في استمرار الهيمنة، فالتحرر يحتاج إلى تفكير حر وبحث متفائل ورؤية تتجاوز السائد من الخضوع والتبعية.

■ ثالثاً: البديل الذاتي

تمتلك الشعوب المستضعفة الإمكانيات الكافية للإبداع والإنتاج الفكري، والبديل الذاتي هو المفتاح الأكيد لتفعيل الإبداع عوضاً عن الاستيراد والاستتباع والخضوع للمنظومة الفكرية الرغبية، دون أن يعني ذلك الانغلاق بل امتلاك حرية الانتقاء وتحكيم المعايير الخاصة.

بدعة الماضوية

أسّس الغرب مفهوم الحداثة على أساس أن الأفكار والنماذج التي مرّ عليها الزمن تخضع لعملية إقصاء باعتبارها غير مجدية، وقد نشأ هذا المفهوم في سياق عملية التداوي والقطع

1 - للاطلاع على مفهوم الاختزال راجع: قببسي، هادي (2018) المعايير القرآنية للعلوم الإنسانية، معهد المعارف الحكمية.

الحداد مع المنظومة الفكرية التي كانت سائدة في الغرب، بفعل الردة التاريخية عن الدين السماوي، فقام التحديث على أساس القضاء على النظام السائد وكل متعلقاته، فتم التخلي عن الكثير من البديهيات العقلية والأخلاقية تحت هذا الشعار، وذلك لتجويد القواعد التي يقوم عليها الطرح الديني وتفكيك البنية التحتية لنظام السلطة الكنسي.

يستطيع الإنسان الحكم على قيمة الأفكار من خلال المنطق والتجربة والوحي الإلهي الذي يُوفّر المعرفة اليقينية، ولا يمكن اعتبار أن الأفكار السائدة في زمن ما كلها غير سليمة وغير منطقية، فهذا تعميم ينشأ عادةً بفعل الحالات النزاعية التي تؤسس للإقصاء والانحياز الحداد. قامت الحالة الغربية على أساس التطرف في الانحياز ضد الماضي، نتيجة الصراع الحداد والدموي الذي خاضته القوى الكنسية التقليدية ضد مسار الردة الحضارية، فنشأت بفعل هذا النزاع حالة من التطرف الحداد، وجاءت الطروحات الفكرية لتشعرن هذا المفهوم، وأصبح إطلاق صفة الماضوية على فكرة ما يعني سقوطها المنطقي، في حين أن الفكرة لا تتغير قيمتها بفعل الزمن. إنَّ كُلَّ عملية تغيير تفترض الاستمرارية للمعطيات السابقة على عملية التغيير؛ والتي تتضمن القيم المفيدة في المستويات المختلفة، فلا يفترض في عملية التغيير أن تكون قائمة على أساس التحيز للمستقبل على حساب الماضي. تتشابه عملية التهجين التي يقوم بها الغرب مع عمليات التغيير في هذه الناحية، فالتهجين يتضمن كذلك نسبة من الاستمرارية ونسبة من التغيير، لكن سياسة المهيمن تقوم على أساس التخلص من الأفكار التي تمنع الهيمنة، وإنبات أفكار جديدة تسمح بالهيمنة وباستمراريتها، فهنا الانتقائية تدميرية، أما في عملية التغيير الجوهري، فإن الانتقائية التي تحدد مساحة الاستمرارية ومساحة التغيير هي انتقائية رشيدة هادفة.

البديل الطبيعي

البديل الطبيعي لثنائية الهيمنة/التهجين، هي الثورة الفكرية والسياسية الذاتية، التي تنطلق من القناعة الراسخة والمعرفة بعمق هذا التحول وكيفية استمراره وكيفية استمرار الحالة الثورية فيه، وهذا يحتاج إلى حركة تتأسس من خلال وعي محتضن برؤية كونية شاملة وواقعية، تحتكم إلى مرجعية كاملة المعرفة بالوجود والكون والإنسان، وإلى هدفة واضحة ومُشخَّصة ومتلائمة مع أصل الخلقة والتكوين، بحيث يكون التحول المراد إحداثه غير واقع في حالة التناقض

والتعددية المفرطة التي تؤدي إلى العبثية والتغيير المُدمر، وهذا ما يحصل عبر عملية التهجين التي يُحرّكها الغرب.

وفق هذا التبيين، يتكون لدينا استدلال موضوعي على أن رفض الهيمنة ليس دافعه الخلاف الحضاري أو السياسي أو الديني فحسب، وإنما تلقّي نقلة حضارية أو استيعاب نقلة حضارية في إطار الهيمنة هو أمر لا يؤدي إلى نقلة حضارية بل إلى التهجين والتعلم السطحي.

الثورة الجوهرية والنزعة التغييرية

تحصل عملية التوفيق بين الاستمرارية والتغيير في عملية التغيير الجوهرية التي تنطلق من رؤية كونية ثابتة تستند إلى معرفة تقرها مرجعية التكوين الإلهي من خلال الوحي، ومن خلال المقومات الثورية الكامنة بشكل تلقائي في العملية النبوية. فالحركة التي يريدها الوحي هي حركة تغيير ونقل للإنسان من حالة القابلية إلى حالة الفعلية، من الفطرة الكامنة إلى الجوهر المتحقق. وهذا يعني أن في داخل كل إنسان فرد ثورة جوهرية أولاً، وثانياً: إن لكل جيل حركته لتحقيق تلك الثورة تبعاً للظروف التي قد تُشكّل فرصاً وتهديدات تجاه تلك الثورة التكاملية، وثالثاً: يفترض أن تنعكس هذه الثورة الجوهرية داخل الفرد والجماعة في تجليات سياسية واجتماعية واقتصادية شاملة، تتعلق بالأبعاد المادية والأخلاقية على حدٍ سواء، في توازن ينظم الأولويات وفق الشريعة، وتسير عملية التغيير هذه في خضم التاريخ، حيث تواجه حالة الهيمنة والاستعلاء الموجودة على امتداد الزمان. والتي تقمع الثورات الجوهرية بطبيعتها، لأن تلك الثورات تطلب بشكل حثيث التخلص من الهيمنة، وذلك فإن هذه الثورة الجوهرية الفردية ومن ثم الجماعية، تكون ثورة سياسية ضد الهيمنة بطبيعتها.

هذه درجات أساسية للثورة الجوهرية، تحدد كيفية القطع والوصل مع الماضي، فهي تريد للإنسان أن يقطع مع الماضي الشخصي أي بشكل حصري مع حالات التخلف والانحراف المحددة بشكل مسبق وفق الشريعة، وهي لا تقطع مع الماضي لأنه ماضي، وكذلك بالنسبة إلى المجتمعات والأمم، فهي تريد لها أن ترفع الأغلال التي كانت في الماضي، لا أن تتخلص من كل الماضي لأنه قد مضى، فليس هناك صراع مع الزمان هنا.

الثورة الداخلية

إنَّ المجالَ الجوهري/الأخلاقي/الثوري يتيح المجال ليقوم كل إنسان بدور ثوري خلال حياته، دور تجاه ذاته والمجتمع وتجاه حقل الصراع الدولي الحضاري، ولا يريد للإنسان أن يقعَ في التكرار وفي تقليد السابقين، ولا في حالة التخلي عن الماضي لأنه ماضٍ، بل إخضاع الماضي والحاضر والمستقبل لمعايير العقل والشريعة، بحيث يستطيع هنا بالتحديد تشخيص الخط الثوري المطلوب، مع نقطة إضافية أساسية، إنَّ عمليةَ التغيير الجوهري تتميز بأنها تخوض مساراً خاصاً تنفرد به، هو مواجهة المهيمن، وهذه هي نقطة مركزية في مفهوم الثورة عبر التاريخ.

الفكرة الغربية

ثمة إشكالية هنا تتعلق بكيفية تولد الأفكار واستحداث المفاهيم، إنها تتولد من خلال المعرفة العميقة بالقضايا والموضوعات والحالات التي تحتاج إلى المعالجات الفكرية، فهذا التوليد ينتج عن المزاجية بين النظام الفكري والثقافي وبين الحاجات الزمنية المستجدة، بحيث تتشكل رؤية مناسبة للحالة وملائمة للنظام الثقافي، أما عندما نتلقى نظاماً فكرياً تم استحداثه واستنباته في بيئة مغايرة ولحاجات مختلفة ولظروف متفاوتة عن حاجات المجتمع الذي نعيش فيه، فإننا نصنع من خلاله فكرة هجينة وغريبة عن ذواتنا، والفكرة الغربية أو الهجينة التي لم تتولد عن وعيي الذاتي لن أستطيع أن أولد منها أفكاراً جديدةً، هذا في حال بقيت القدرة والنية والرغبة على البحث عن أفكار جديدة، فتدفق الإبهار الغربي يجعل المتلقي الخاضع غير قادرة على الحصول على مساحة خاصة للتفكير، فهو يُكرِّس جلَّ وقته لتشرب ما يُقدِّمه الغرب، فيكون من ناحية عملية ضحية الانصياع المعنوي والخضوع المصحوب بالهيمنة والسيطرة المادية والإخضاع والظلم.

بالمقابل فإن الإحساس بالحرية ينتج عنه الإحساس بالقدرة، والثقة بالذات والجرأة الفكرية والشعور بالمسؤولية تجاه الكينونة والوجود والحياة بما يؤدي إلى تحفز وتدفق الفكر، وهنا نلاحظ آثار التولد الذاتي للمعرفة على كثافة الإبداع وغزارة الإنتاجية عندما يحصل التفاعل بين العقل والتجارب والشعور الذاتي والجماعي والبيئة وشغف الاكتشاف والتفاعل الاجتماعي

مع الأفكار الإبداعية الجديدة الملائمة للحاجات والمشاعر والثقافة المحلية، بما يولد ويحرك عجلة التفاعل الفكري ويؤدي إلى خصوبة فكرية مرتفعة.

وباء "النخب"

تقدم النخب التابعة والخاضعة للتدفق الفكري والثقافي الغربي على أنها تمارس عملية التحديث والتقدم والتغيير نحو التطور، في الوقت الذي تمارس عملية تكرار وإسقاط غير متناسب مع الفطرة الإنسانية ولا مع الحاجات المحلية ولا الثقافة الاجتماعية ولا حاجات التحرر والاستقلال وبناء الدول والشخصية والهوية الوطنية، وفي الحقيقة فإن هذه النخب هي الأقل إنتاجاً للتحديث، وهي تطبق برنامجاً تقليدياً يُكرس استمرارية حالة الإخضاع وتسقط الأمم في حالة من الركود الاقتصادي والخمود الفكري والاضطراب السياسي، والصحيح أنها تقوم بالتغيير من الانتماء إلى الحالة الوطنية وخدمة المجتمع إلى خدمة الآخر المهيمن، في الوقت الذي تحتاج فيه المجتمعات التي تعرّضت للاستعمار المباشر أولاً وللإستعمار الحديث ثانياً إلى فعالية خاصة من النخب لكي تستعيد الوضع الطبيعي وتصبح قادرة على تحمل مسؤولية حاجاتها لتحقيق الحالة العادلة والمناسبة للإنسان من النواحي المختلفة المعنوية ثم المادية.

لذلك يقدم الغربُ الطروحات المتطرفة لدواعي تجارية وسياسية، فيما لديه تنوع كبير من النتاج المحافظ والأخلاقي، لكن ما يرشح من هذا الوعاء الحضاري هو الأفكار الناشزة والمضطربة باعتبارها تقدماً ثورياً، لكن الاستفادة ينبغي أن تكون عبر وعي البيئة الحضارية الغربية، باعتبارها بيئة متنوعة، واختيار بعض الطروحات لتقييمها من خلال المنظور الثقافي الذاتي، ينبغي أن يكون بحرية تامة، دون تدخل سياسات الترويج والهيمنة السياسية والكولونيالية الأكاديمية.

خاتمة

لقد خلصنا في هذا المقال، إلى تشريح العديد من الآثار الفكرية المتنوعة التي يسببها الاستتباع الثقافي والكولونيالي، وهي متمحورةٌ حول فكرة أن الخلاص من هذه الآثار يستدعي

الانتقال إلى البديل الطبيعي والواقعي والذي يفرض بدوره عملاً متعدد الاتجاهات. وهذه الجدلية تصل بين الأفكار والظروف السياسية العامة، إذ إنّ الأفكار التحررية أو المتحررة من الأطر الفكرية المهيمنة تحتاج إلى التحول إلى سلوك وإلاّ تبددت وانغلقت، وهذا السلوك إما يتصل بالسعي المباشر إلى التحرر أو يحتاج إلى درجة من التحرر حتى يمكن القيام به، وبذلك يغدو تزامن التفكير والعمل للتحرر من التبعية ضرورة لنجاح كل منهما.

وبناءً على ما تقدم في هذا البحث، ونستنتج أنّ لجوء البعض إلى طرح إمكانية فصل التحرر الفكري/العلمي عن التحرر السياسي هو رهان ضعيف، وهو بالتالي يطرح الأسئلة عن حقيقة هذا التحرر الذي يتعلق بزوايا منحصرة في الفضاء العام ومقتصرًا على نخبة محددة، ناهيك عن تأثر تلك النخبة بالأبعاد الحياتية المختلفة، واضطرابها بالتالي إلى مراعاة الهيمنة للتخلي عن أجزاء من أفكارها التحررية في هذا السبيل.

المصادر والمراجع

جيان هوا، ليو (2023) الأساليب الجديدة للتسلل الأيديولوجي الأمريكي للصين والإجراءات المضادة، مجلة جامعة هوا قياو، النسخة الفلسفية والاجتماعية، ترجمة ونشر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير.

حلاق، وائل (2018) قصور الإستشراق: منهج في نقد العلم الحداثي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

الفاطمي، طارق (2018) التعليم في عهد الاستعمار وأثره في صناعة النخب: المغرب أنموذجاً، في: نحن وأزمة الاستعمار، الجزء الثاني، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

قيسي، هادي (2018) المعايير القرآنية للعلوم الإنسانية، معهد المعارف الحكمية.

قيسي، هادي (2021) الاحتلال الذاتي: آليات الاستتباع الناعم للقوى الغربية، مجلة جامعة المعارف، العدد 3.

Smith, N. (2008) "The Consequences of the Thirty Years War". Article Myriad. Credit: http://www.articlemyriad.com/thirty_years_war.htm

Voegelin, E. (1998) Religion and The Rise of Modernity, Uni. of Missouri press.

Emory Richard Johnson; et al. (1915). History of domestic and foreign commerce of the United States. Carnegie Institution of Washington.

Weingast, B. (2017) War, Trade, and Mercantilism: Reconciling Adam Smith's Three Theories of the British Empire, SSRN Electronic Journal, January 2017.

Jacob, M. (2001) The Enlightenment: Brief History with Documents, Boston: Bedford/St. Martin's, 2001.

Xi Rejects 'Westernization' and Promotes China's Self Reliance in New Policy Speech.

Lapidus, I. (1975) The Separation of State and Religion in the Development of Early Islamic Society, International Journal of Middle East Studies, Vol. 6, No. 4 (Oct., 1975).

Escobar, A. (1995) Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World, Princeton: Princeton University Press.

Bhabha, K. (2012) The Location of Culture, Edition 2, revised, Routledge, 2012

Rodney, W. (1972) How Europe Underdeveloped Africa, Canadian Journal of African Studies / Revue Canadienne des Études Africaines, Vol. 9, No. 1 (1975).

”كينزي، جنس واحتيال“

■ أ. لينا السقر

باحثة و مترجمة من سورية

ملخص

ضمن هذا القراءة القصيرة، نسلط الضوء على ضرورة مواجهة الحركات الشاذة والكشف عن أصولها المزيفة، وتوضيح مخاطرها على المجتمعات عموماً، والمجتمعات العربية والإسلامية خصوصاً، وكيف تهدد النظم التي تُحدّد علاقة الفرد بالأسرة، والأسرة بالمجتمع، والتي تُحقّق للأمة كيانها واستقلاليتها وتُحافظ على مميزاتها.

توضح القراءة أن كل ما يخرج عن الفطرة الإلهية يسبب الضرر ويعيق تقدم الشعوب؛ لذلك يتوجب مناهضة كل الحركات الداعية للشذوذ والتي تخرج عن المنطق وتعليمات الدين، وتدهور المجتمعات، والأهم معرفة الضرر الجسدي والنفسي لهذه الدعوات المشوهة والمنحرفة.

الكتاب من أهم الخطوات البارزة التي جابهت وكشفت أكاذيب ألفريد كينزي، خصوصاً أنه مبني على تجربة جوديث ريسمان الحقيقية، عالمة، ناشطة أمريكية، وخبيرة إعلامية بالتأثيرات السامة للمواد الإباحية، التي كان سببها مواد كينزي وأدواته، وكانت ضحيتها ابتها الوحيدة. يكشف أيضاً كيف دعمه الغرب بهدف السيطرة على عقول فئة مهمة جداً، فئة الشباب الأساسية لبناء المجتمعات.

الكلمات المفتاحية:

الثورة الجنسية، المواد الإباحية، علم الجنس الأكاديمي، الشذوذ الجنسي، التربية الجنسية.

بطاقة الكتاب

تعريب عنوان الكتاب: "كينزي، الجنس والاحتيال".
عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية: Kinzey, Sex And Fraud
مؤلفو الكتاب: د. جوديث ريسمان - المعالج النفسي بمجال الطب الجنسي الأسري
إدوارد إينشل.
محررو الكتاب: د. جوردون موير - د. جون إتش كورت.
دار النشر: هنتنغون للنشر.
سنة النشر: عام 1990.
عدد الصفحات: 260.
اللغة الأصلية للكتاب: اللغة الإنكليزية.
ليس للكتاب نسخة معرّبة.

مقدمة

"الثورة الجنسية"، عنوانٌ مثير للجدل، ظهر في المجتمعات الغربية في سبعينيات القرن الماضي. وأحدث ضجةً جراء الأفكار التي طرحها، والتي غيرت المفهوم العام التقليدي والطبيعي والفطري للجنس. حاولت مفاهيم هذه الثورة التأثير على الجيل الجديد الناشئ. بالإضافة إلى ذلك، سعت إلى فصل ممارسة الجنس عن أخلاق المجتمع وضوابطه عاداته. ومن أبرز صنّاع هذه "الثورة"، والذي أطلق عليه أب "الثورة الجنسية" كان ألفريد سي كينزي، الشخص الشاذ جنسياً. هو عالم أحياء أمريكي، أستاذ بعلم الحشرات والحيوان. تحوّل لتقديم أبحاث جنسية، لكن ذات محتوى مختلف. مُحتوى يبيح العلاقات الجنسية بأشكالها وطرقها كافة، ويعدُّ العلاقة الجنسية الطبيعية أمر غير عادي، و العلاقة الجنسية غير الطبيعية هي أمر عادي. دعم ثورته المزعومة هذه بأبحاث وبيانات، دعمتها كذلك أوساط أكاديمية. وأصبحت

تقاريره ذات مكانة أسطورية وأساس خطير جداً بنيت عليها أبحاث جنسية فيما بعد. والواقع الأخطر أن الكتب المدرسية المخصصة لتعليم أجيال صغيرة اقتبست نتائج كينزي وعدتها حقيقة لا جدال فيها.

لكن، بحقيقة الأمر، كان كينزي شخصاً أقل ما يقال عنه أنه شاذ ومخادع. تبين فيما بعد أن تقاريره مزيفة وكاذبة، وأبحاثه أجريت على سجناء، ومرتكبي جرائم، وشاذين جنسياً، مثلين، ومن مشتهي الأطفال. فضلاً عن ذلك، توضّح أن من مثل بأفلامه هم من موظفيه وعائلاتهم ومعارفهم. كل ذلك كُشف بعد وفاته، في منزله، في عليّة استُخدمت لأبشع عمليات الشذوذ الجنسي، وأصعب مشاهد استغلال الأطفال والجيل الشاب.

ولأنّ هناك الكثير من القوى في المجتمع الغربي من صالحها تصديق كذب كينزي ودعم أبحاثه، كان لا بُدّ من بروز قوة مُناهضة لكينزي وفلسفته تعمل على نحو هادف لرفض الاستنتاجات المستخلصة من بياناته وطرح فرضية جديدة. ولا بد لها من شرح وإيضاح الطرق السليمة فيما يتعلق بالحياة الجنسية، حتّى يقلّ عدد جرائم الاعتداءات الجنسية، وحالات مرضى الإيدز وغيرها من الحالات الاجتماعية المضطربة.

اخترنا هذا الكتاب لأنّه من أهمّ خطوات مواجهة أفكار كينزي، ودحض فرضياته وأبحاثه.

■ عرض الكتاب

من أبرز ضحايا كينزي، طفلة في العاشرة من عمرها، تعرّضت للاغتصاب على يد صبي في الثالثة عشرة من عمره. قال الصبي إنّ الفكرة راودته بعدما شاهد مجموعة والده المنتقاة من أعمال كينزي ومعاهده المتخصصة بالشذوذ الجنسي. لم تستطع والدة هذه الطفلة أن تبقى صامتة. قرّرت كشف طبيعة كينزي وزيف أبحاثه وبياناته وتقاريره. والدتها هي مؤلفة الكتاب د. جوديث ريسمان، عالمة، ناشطة أمريكية، وخبيرة إعلامية بالتأثيرات السامة للمواد الإباحية. من أهم ما قامت به لهزم هذا الشيطان هو الكتاب الذي بين أيدينا.

ويظهر هذا الكتاب التحيز المتأصل والأساليب الاحتيالية لكينزي وفريقه من الباحثين. ويثبت أيضاً عدم دقة بيانات كينزي بشكل لا يقبل الجدل.

★ جاء في مقدمة الكتاب، وعنوانها: "البحث الجنسي لألفريد كينزي - بعد 40 عاماً، حان

وقت المساءلة"، إنَّه منذ أكثر من 40 عاماً، قدَّم كينزي للشعب الأمريكي مع فريق من الباحثين "بيانات إحصائية" توضَّح أنَّ العلاقات الجنسية الخارجة عن المألوف أكثر ليبرالية وتتناغم مع أفكاره ومعتقداته الخاصة. دعا كينزي إلى أنَّ جميع السلوكيات الجنسية التي تعدُّ منحرفة هي سلوكيات طبيعية، في حين أن العلاقة الجنسية بين الجنسين غير طبيعية ونتاج الموانع الثقافية والتكيف المجتمعي.

قليل من الناس أدركوا أن البيانات لم تكن علمية. لم تكن البيانات ممثلة للمعايير المجتمعية. والآن أصبح من الواضح أن نتائجه، فضلاً عن كونها متحيزة إلى حدِّ كبير، ربما كانت مُزوَّرة. ولهذه الأسباب، ولأن الأساس لبعض استنتاجات كينزي الرئيسة هي الأبحاث التي أُجريت على أشخاص على نحو غير قانوني وضد إرادتهم، وأصبح من الضروري بمكان دعوة المجتمع العلمي إلى إعادة النظر في جهود كينزي البحثية في مجال الجنس.

جاء أيضاً في المقدمة أنَّ أهمَّ ما وصل إليه كينزي:

- 85% من الذكور في الولايات المتحدة يمارسون الجنس قبل الزواج.
- ما يقرب من 70% يمارسون الجنس مع فتيات ليل.
- ما بين 30% إلى 45% من الأزواج يمارسون الجنس خارج نطاق زواجهم.
- 37% من الذكور لديهم تجارب مثلية بين فترة المراهقة والشيخوخة.

رفض كينزي في سنوات تكوين شخصيته مبادئ وتعاليم اليهودية المسيحية، وطوَّر بوضوح وجهة نظره حول الحياة الجنسية البشرية، حيث عدَّ السلوك الجنسي الحيواني نموذجاً للسلوك الجنسي البشري.

أمَّا في بحث كينزي الجنسي، فقد قام بأبحاث تجريبية على عدة مئات من الأطفال، الذين تتراوح أعمارهم بين شهرين إلى 15 عام تقريباً. حفَّز هؤلاء الأطفال (شفوياً ويدوياً) للوصول إلى النشوة الجنسية من قبل مجموعة من تسعة مرتكبي الجرائم الجنسية، بعضهم "دُرِّب تقنياً" (إذا لم يكونوا مرتكبي جرائم جنسية مع الأطفال من قبل، فقد صاروا مجرمين بعد التجارب). تُشكِّل اختبارات النشوة الجنسية هذه على الأطفال قاعدة بيانات أبحاث كينزي التجريبية حول جنس الأطفال!

تكون الحجة المؤيدة للتحقيق أكثر قوة عندما تكون البيانات مُستمدة من إساءة معاملة البشر،

وهم في هذه الحالة أطفال. هل يمكن للقارئ أن يتخيل ما يمكن أن يعنيه مثل هذا التحقيق بالنسبة إلى المجتمع وفهمه للحياة والقيم الجنسية البشرية؟
لنتنقل الآن إلى فصول الكتاب، وهي ثمانية فصول، سنتناولها باختصار مفيد.

■ الفصل الأول: الميول الجنسي لدى الأطفال الذكور

يتناول هذا الفصل بشكل أساسي إحصائيات كينزي عن الحياة الجنسية للأطفال، والتي قدّمها إلى العالم لأول مرة في تقريره عن الذكور عام 1948، ويشتمل تقرير كينزي على المجموعة الأولى والوحيدة من البيانات التجريبية التي حصل عليها، والتي هدفت إلى إثبات أنّ الرُّضَع والأطفال - في مرحلة ما قبل المراهقة عموماً - يمكنهم الاستمتاع بالنشاط الجنسي والاستفادة منه، خاصة مع البالغين. هذه هي الأدلة التي تعتمد عليها قطاعات من عالم علم الجنس الأكاديمي، وكذلك حركة الاستغلال الجنسي للأطفال لزعيمهم بأنّ الأطفال كائنات جنسية. أصبح هذا، والعديد من مفاهيم كينزي الأخرى، جزءاً لا يتجزأ من مناهج التربية الجنسية الحديثة.

لم يكشف كينزي سوى القليل عن الماهية الدقيقة لعينة الذكور الذين أجريت معهم مقابلات، والتي كان ينبغي أن تمثل سكان الولايات المتحدة، وأصبح من الواضح الآن أن العينة تحتوي على أعداد غير مناسبة من مرتكبي الجرائم الجنسية، ومشتهي الأطفال، والمتباهين، وكان جزء كبير منها (ربما 25%) يتألف من نزلاء السجن. حتى أولئك الأشخاص الذين تطوعوا لإجراء بحث كينزي، وتبين أنّهم كانوا متحيزين تجاه ما هو غير تقليدي جنسياً. عرف كينزي هذه الحقيقة، لكنه أخفى الأدلة.

مع ذلك، ومن خلال بحثه حول هذه العينة المنحرفة، حدّد كينزي الحياة الجنسية الذكورية "الطبيعية" - وتمّ قبول تعريفه إلى حدّ كبير على اعتباره أمر صحيح.

كان المشاركون بمقابلات كينزي مُتَحَيِّزين عمداً إلى فكرة العلاقات الجنسية الشاذة. وفي تفاصيل الكتاب يظهر تحيُّز كينزي الشخصي تجاه هكذا ممارسات. والأمران مهمان جداً لأنهما يبينان أنّ النتائج التي توصل إليها كينزي أُسِّست إلى حدّ ما معايير اجتماعية على أساس ما هو السلوك المقبول. إنّ التغطية الإعلامية الواسعة والقبول غير النقدي الذي ميّز إطلاق كتب

كينزي ربما كان بمثابة بداية الموجة الأولى من "الثورة الجنسية". ووفقاً لبعض علماء الجنس فقد أصبح كينزي هو العملاق الذي وقف على أكتافه جميع الباحثين في مجال الجنس في عصره، وكانت فلسفته هي أن تحديد الصواب والخطأ، والمشروع وغير المشروع، والمقبول وغير المقبول في السلوك الجنسي البشري عبارة عن أمور مفروضة ثقافياً، وكلها اختلافات مصطنعة. بالإضافة إلى أنه أوضح أن جميع الأنشطة الجنسية - بما في ذلك العلاقات الجنسية للبالغين مع الأطفال - كانت "طبيعية"، وبالتالي عدّها أمراً عادياً. وأدعى أن بعض الأنشطة الجنسية تعرّضت للوصم على نحو غير عادل بسبب "القيود المجتمعية" و"المحظورات". إن مفهوم كينزي للجنس، على اعتباره استمرارية طبيعية من الولادة حتى الموت، واستمرارية تشمل المغايرة الجنسية، وازدواجية التوجه الجنسي، والمثلية الجنسية (الذي يعدُّ مفهوماً مُتجسداً في "مقياس كينزي")، قبله الآن علماء الجنس الأكاديميين على نحو عالمي. هذا المفهوم يُدرّس على نطاق واسع في دورات التربية الجنسية في المدارس الأبرشية والخاصة والعامّة، ويستخدم في البرامج الشائعة، مثل "أن تكون مثلياً" (On Being Gay) و"حياتك الجنسية" (About Your Sexuality).

مع ذلك، بحث كينزي، الذي يركز عليه كل هذا، يفتقر إلى الصحة العلمية، والمنهجية المزعومة للتجارب الجنسية للأطفال التي يصفها كينزي غير دقيقة - فبعض ما يُزعم أنه "تاريخ"، بوضوح ما هو إلا بحث محتمل أو عمل مُجرمي الجنس. للأسف، استغرق ظهور الحقائق 40 عاماً. والأمر الأكثر حزناً هو احتمال أن يكون كينزي وفريقه متورطين بشكل مباشر في أعمال مشكوك في شرعيتها خلال إنجاز البحث.

■ الفصل الثاني: الميول الجنسية لدى الطفلات

يتناول هذا الفصل بعض النتائج المتعلقة بالميول الجنسية الأنثوية التي قدّمها فريق كينزي في تقريرهم المتعلق بالنساء عام 1953. قدّمت هذه البيانات المستمدة من المقابلات التي أجريت مع أكثر من 5900 امرأة إلى الجمهور بعد خمس سنوات من بيانات كينزي حول الميول الجنسي للذكور.

قام كينزي وزملاؤه بإجراء البحث على عينة غير عشوائية من النساء، واللواتي لم يمثلن المرأة

الأمريكية على الإطلاق، لكن عنوان بحثهم المنشور: السلوك الجنسي في الأنثى البشرية، أعطى انطباعاً واضحاً بأن النتائج التي توصلوا إليها بشأن الميول الجنسي الأنثوي تنطبق على النساء الأمريكيات. هكذا قُدِّمت المعلومة، وهكذا كان ينظر إليها الإعلام، وبالتالي المجتمع. ولعلَّ أفضل ما تذكره هو استنتاج كينزي (غير المدعوم ببياناته الخاصة) بأن الجماع قبل الزواج يساعد النساء على التكيف الزوجي لاحقاً.

مع ذلك، أخطر وأهمُّ النتائج التي توصل إليها كينزي، والتي تمَّ التغاضي عنها أو تجاهلها بالكامل تقريباً في ذلك الوقت، تتعلق بالنشاط الجنسي للطفلة. توصل كينزي إلى الاستنتاجات الآتية حول هذا الموضوع - الاستنتاجات التي وعلى الرغم من أنها مُروعة، يشاركها بهدوء كبار علماء الجنس اليوم:

1. من غير المرجَّح أن تؤدِّي الاتصالات الجنسية بين البالغين والطفلات "إلى إلحاق أيِّ ضرر ملموس بالطفلة، إذا لم يزعج هذا والدا الطفلة".

2. من غير المرجَّح أن يُسبَّب الاتصال الجنسي بين الذكور البالغين والطفلات ضرراً جسدياً. كانت هناك "حالات قليلة من التزيف المهبلي [الناتجة عن مثل هذه الاتصالات] والتي، مع ذلك، لا يبدو أنها تُسبِّب أيَّ ضرر ملموس". هناك حاجة إلى أن يتعلم الجمهور كيفية التعرف إلى الحالات التي تكون فيها الاتصالات الجنسية الجسدية بين الذكور البالغين والطفلات غير ضارة.

3. عند حدوث نشاط جنسي بين طفلة وشخص بالغ ويحدث ضرراً، فهذا نتيجة لاستجابة غير مناسبة من مجتمع مكبوت جنسياً.

هناك لغزٌ آخر مثيرٌ للاهتمام في أبحاث كينزي، وهو الملاحظة المزعومة للنشوة الجنسية لدى سبع طفلات، أعمارهن دون 4 سنوات. ولم تكشف أية معلومات عن هوية الطفلات على الإطلاق.

■ الفصل الثالث: من الاحتشام إلى "الحرية"

مراجعة مختصرة للثورة الجنسية

كان لألفريد كينزي وفريقه تأثيرٌ كبيرٌ على الأعراف الاجتماعية، وذلك من أساس علمي

مزيف. اتسمت "الثورة الجنسية"، التي تلت إصدار كينزي لكتبه وأبحاثه، بالمبادئ الأساسية لفلسفة كينزي: ولا سيما فكرة أن كل أنواع الجنس جيدة، بما في ذلك "الممارسات المحظورة"، وأنه من الجيد أن يمارسَ الناس النشاط الجنسي منذ سنٍّ مبكرة قدر الإمكان.

شعر العديد من المراجعين المعاصرين لعمل كينزي في ذلك الوقت أنه سيؤثر في الأعراف الجنسية في الولايات المتحدة. لم يشكك عالم الاجتماع برنارد باربر، مؤلف كتاب "العلم والنظام الاجتماعي" بتأثير بحث كينزي، حيث كتب: "ليس هناك شك في أن تقارير كينزي ستغيّر نمط السلوك الجنسي في المجتمع الأمريكي."⁽¹⁾

يوضح كتابنا إلى أي مدى تغيرت الأمور. وفيما يخص الاضطرابات الاجتماعية والأمراض المعدية، يعد تطبيق أخلاقيات كينزي الجديدة أمراً كارثياً. وهذه "الثورة" لم تنته بعد. وإذا سار الأمر وفقاً لرؤية كينزي الأصلية، فلا يزال أمامنا طريق طويل لنقطعه.

غالباً ما تنتج الثورات الفوضى دون تحقيق الحريات المتوقعة. وكانت الثورة الجنسية مثلاً واضحاً على ذلك. أمّا العواقب الاجتماعية فنعرفها من الأخبار اليومية: حمل المراهقات، والإجهاض في سنِّ المراهقة، والآباء والأمهات بسنِّ الطفولة (غالباً ما يكونون عازبين وفقراء)، والأطفال غير المرغوب فيهم، وإساءة معاملة الأطفال، والقائمة تطول. إنَّ العواقب الطبية مدمرة بالدرجة نفسها: العديد من أوبئة الأمراض التناسلية (بعضها لم يُعرف من قبل أولئك الذين لم يتأثروا بذلك) مع معاناة لا توصف وتكلفة يتحملها الاقتصاد الأمريكي تبلغ عدة مليارات من الدولارات كل عام. وهناك آثار إضافية تتعلق بالطلاق، والأسر المهملة، والأطفال المضطربين، وكل ما يترتب على هذه الأمور المؤذية من عواقب اجتماعية ونفسية.

ما حدث في الاندفاع نحو الحرية الجنسية لم يكن اكتشاف مجتمع جديدٍ وحرٍّ ومبدعٍ، بل كان التخلص من قواعد السلوك الضرورية لمجتمع صحي.

والنتيجة الآن هي خروج سلوك مجتمع في الولايات المتحدة (ومعظم الدول "الغربية") عن المسارات الصحيحة الطبيعية. ومن الناحية البيولوجية، كانت الثورة الجنسية مدمرة. وترتب على ذلك أن التأثير النفسي كان بالقدر ذاته من الخطورة، وإن كانت معرفته أقل سهولة.

1 - جاء تصريحه في كتاب غيديس 1954 (Geddes) لتحليل تقارير كينزي، ص 61.

■ الفصل الرابع: رهاب الآخر أجندة كينزي في التربية الجنسية

تتجه "مؤسسة" التربية الجنسية في الولايات المتحدة بخطى ثابتة نحو إدخال الفلسفة كينزي الكاملة إلى مدارسها، من خلال التحكم ببرامج التربية الجنسية. (خلاصة فلسفة كينزي - كما ذكرنا سابقاً - هي أن كل نوع من النشاط الجنسي طبيعي وأمر عادي، ويجب أن يبدأ في وقت مبكر من الحياة قدر الإمكان بممارسته). والجدير بالذكر أن العديد، وإن لم يكن معظم معلمي الجنس المحترفين اليوم تعلموا من فلسفة كينزي. وهكذا يتعلم الآن تلاميذ المدارس "مقياس كينزي"، الذي ينصُّ على أن "العلاقة الجنسية بين الجنسين ليست سوى "خيار" واحد؛ فضلاً عن افتراض أساسي - لدى أهم معلمي الجنس - بأن الأطفال جنسيون ويجب أن يكونوا نشطين جنسياً.

من أخطر نتائج أجندة كينزي هو مراجعة قرار الجمعية الأمريكية للطب النفسي بإزالة المثلية الجنسية من دليل التشخيص الخاص بها.

أجريت أبحاث كينزي على مجموعة غير تمثيلية من الأمريكيين - بما في ذلك أعداد كبيرة على نحو غير متناسب من مرتكبي الجرائم الجنسية، والبغايا، ونزلاء السجون والمعارضين - وتورطوا بإجراء تجارب جنسية غير قانونية على عدة مئات من الأطفال، والذين استمنوا حتى النشوة الجنسية من قبل "اللواتين المدربين".

أصبح هذا هو الأساس "العلمي" لمذهب التربية الجنسية الرسمي في الولايات المتحدة.

أمر مروع، هل هذا حقيقي؟ نعم وبشكل واضح.

ومن المؤكد أن وجهة النظر الأمريكية السائدة بأن وحدة الأسرة التقليدية المستقرة (أي الأم الأنتى - الأب الذكر) والتي تُشكل أفضل بيئة للتربية الصحية للأطفال، تتعرض للهجوم في ما كان يُعرف بالأوساط الأكاديمية التقليدية.

وفقاً لاثنين من المحررين في مجلة "دارتموث ريفيو"، التي لا تحظى باحترام البعض أحياناً، فإن دورة التعلُّم الوحيدة التي تقدمها جامعة آيفي لينغ مكا حول الزواج والأسرة تستخدم نصّاً أساسياً بعنوان: "الزواج والتجربة العائلية"، والتي تُشوِّه سمعة الأسرة التقليدية في الولايات المتحدة باستمرار باعتبارها مقيدة وقمعية بشكل مفرط". وتقول: إنَّ الأسرَ المثلية (غير الشرعية)

تمثّل بدائل مشروعة - وربما أكثر مرغوبة - للهياكل الأسرية التقليدية. ووفقاً لهذا النص، غالباً ما تكون أسر المثليين والمثليات أكثر صحة من الأسر العادية لأنها تقضي على الأدوار الجنسية المقيدة التي يفرضها المجتمع في كثير من الأحيان على أفراد الأسرة.

■ الفصل الخامس: أجندة كينزي عملياً

لا يدرك العديد من الآباء في جميع أنحاء البلاد مدى كون فلسفة كينزي للجنس البشري جزء من برامج التربية الجنسية التي يتلقاها أطفالهم، ومن المؤكد أن هناك مجالات لم تحقق فيها هذه البرامج نجاحاً بعد في النظام التعليمي. حتى عندما لا تظهر أجندة كينزي بطريقة واضحة، من المهم أن ندرك أنّ هذه هي الأيديولوجية القياسية لأولئك الذين يقومون بتعليم معلمي الجنس في الأوساط الأكاديمية. ولا يوجد برنامج تعليم جنس بشري يمنح درجة علمية ويُعلّم أيّ شيء آخر. المعلمون المدربون على إيديولوجية كينزي هم "الخبراء" الذين سيؤثرون أكثر فأكثر في محتوى - بل وحتى التصميم - المواد التعليمية الخاصة بالجنس المستخدمة في المدارس العامة. تُنقح محتويات العديد من الكتب المدرسية للتربية الجنسية، بما في ذلك كتابين، الأول لواردل بوميروي، المؤلف المشارك لكينزي، والذي يدعو إلى الجماع قبل الزواج ويُشجّع على الاختلاط بين المراهقين، والثاني لغاري كيللي، مؤلف محتوى جنسي، يصف كيفية ممارسة الجماع الشرجي والجنس "غير الضار" مع الحيوانات. وبحسب ما ورد، تم التصويت على كتاب كيللي في "قائمة أفضل الكتب للشباب" من قبل جمعية المكتبات الأمريكية، وأوصت به د. ماري كالديرون من مجلس المعلومات والتثقيف الجنسي بالولايات المتحدة "SIECUS".

هنا تُقدّم الكاتبة نصيحة للآباء الذين يرغبون بمعرفة ما إذا كان منهج كينزي للتربية الجنسية مطبق في مدارس أطفالهم، حينها يمكنهم الاتصال بمدير المدرسة والحصول على إرشادات المنهج والنصوص المستخدمة في دورات مثل "تثقيف الحياة الأسرية" و"التثقيف الصحي"، "دراسات الذكور والإناث" وما إلى ذلك. يحقُّ للآباء أيضاً أن يطلبوا مشاهدة الأفلام ومقاطع الفيديو المستخدمة في هذه الفصول. ومن المفيد أن يسألوا أطفالهم "ماذا يتعلمون" حول أدوار الجنسين والحياة الجنسية البشرية، وما إذا كان يُطلب منهم الحفاظ على "سرية" النصائح والمناقشات الجارية في الفصول الدراسية.

■ الفصل السادس: فشل بيانات كينزي

إنَّ اختبارَ أيِّ نظرية، خاصة إذا كانت تتعلق بالجنس، هو كيفية تطبيقها في العالم الحقيقي. ووفقاً لهذا المقياس، فإن بيانات كينزي حول انتشار المثلية الجنسية في المجتمع - والتي كانت على الشكل الآتي: 10% من الذكور البيض مثليي الجنس بشكل أو بآخر لمدة ثلاث سنوات من عمرهم على الأقل بين سن 16 و55 عاماً، و4% مثليي الجنس بشكل حصري طوال حياتهم بعد بداية المراهقة، غير دقيقة.

كان الاختبار الأول لبيانات كينزي هو الذي أجراه عالم النفس الشهير أبراهام ماسلو. في البداية، بالتعاون مع كينزي، وبينما كان بحث كينزي لا يزال قيد التنفيذ، شرع ماسلو في اكتشاف ما إذا كان هناك تحيزٌ في تكوين عينة كينزي من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم. عندما كان ماسلو على وشك أن يُثبت لكينزي أنَّ المتطوعين في دراسته كانوا غير تقليديين جنسياً، أدار كينزي ظهره لهذا الزميل الخبير، وللتائج التي توصل إليها، وابتعد عمداً عن المعلومات التي من شأنها تقويض مصداقية نتائجه. عمل كينزي المنشور يُحرف عمداً قصة ماسلو.

وربما كان الاختبار الثاني لبيانات كينزي حول المثلية الجنسية أكثر إثارة، وأصبح واضحاً الآن أن توقعات حالات الإيدز بناءً على تقديرات كينزي لما قبل الثورة الجنسية قد تكون أقل بعدة مئات بالمائة، حتى عند تطبيقها على مجتمع أكثر "تحرراً" جنسياً بعد 40 سنة! يمكن أن يُساعد فحص أساليب كينزي في تفسير التناقض بين انتشار الإيدز وبين توقعاته. فمعدلات المثلية الجنسية لديه، والتي طُبِّقت على المجتمع الأمريكي بأكمله، تأتي من التمثيل الزائد للرجال ذوي الخبرة الجنسية المثلية في عينة دراسته ومن تقنيات التحليل الخاطئة. فضلاً عن ذلك، فإنَّ إحصائيات المثلية الجنسية مستمدة من مجموعة كان 20% إلى 25% منها من السجناء، و5% أو أكثر ربما كانوا ذكوراً منحطين.

مع ذلك، وباستخدام البيانات والتقنيات ذاتها، التي حاول من خلالها إظهار أن 13% من السكان الذكور كانوا "مثليين في الغالب"، كان بإمكانه بالسهولة نفسها أن يبين أن 100% كانوا من جنسين مختلفين.

بعد كل ذلك، هناك الحالة الغريبة للمنحة التي قدمتها مؤسسة راسل سيغ "لتنظيف" بيانات

كينزي الأصلية من تحيُّزها. بالطبع، هذا المشروع (المنحة) جاء ليكشف مدى التشويه الذي طرأ على أرقام كينزي. لكنه كان مشروعاً فاشلاً، لأنَّ الأفراد الذين تفاوضوا على المنحة هم أشخاص مستقيلون من معهد كينزي.

لعل أحد الأسباب وراء عدم الرغبة في تنظيف بيانات كينزي الأصلية هو الخوف من إظهار مدى الخطأ الذي بلغته أرقام "مثليته الجنسية". ومن المفارقات أن هناك دراستين حول السلوك الجنسي، أُجريتاً لصالح معهد كينزي في عام 1970، لكن نُشرت في عام 1989 فقط، تحتويان على بيانات تشير إلى أن ممارسة الشذوذ الجنسي (بكل أشكاله) بطريقة حصرية، دون ممارسة الجنس الطبيعي الفطري، أمر غير معتاد في المجتمع.

■ الفصل السابع: مخطط كينزي الكبير

قام معهد كينزي، بالتعاون مع جمعية الدراسة العلمية للجنس - على وجه التحديد، فريق العمل المعني بالإيدز - والعديد من المجموعات المهنية الأخرى، بالتعبئة للتأثير على اتجاه السياسة الاجتماعية والتثقيف الجنسي فيما يُعرف باسم "عصر الإيدز".

الأساس المنطقي لهذا الإجراء هو أنَّ علماء الجنس في مدرسة كينزي كانوا بحاجة إلى وضع يسمح لهم بتثقيف صنَّاع السياسات الجنسية حول "ما هي الحياة الجنسية البشرية حقاً". حيث اعتقد بروس فولر، منسق فريق عمل مكافحة الإيدز التابع لجمعية الدراسة العلمية للجنس، أنهم الآن في وضع ممتاز للحصول على التمويل اللازم "لتثقيف العالم"⁽¹⁾.

وبنهاية الفصل، ذكرت المؤلفة: رغم أن ممارسة الجنس بين البالغين والأطفال يعدُّ هدفاً رئيساً "لمخطط كينزي الكبير"، إلا أنَّ التوصل إلى مثل هذا الهدف لم يكن بالمهمة السهلة. وبالنسبة إلى أولئك الذين يشتركون في أجندات المثليين والمتحرشين بالأطفال (الذين كان لهم دورٌ بارزٌ بتعليم الجنس)، وكان الطريقُ مليئاً بالتحديات أمامهم، لكن التحديات تُواجه بحملة خفية وشاملة تُؤثِّرُ في المهن والمؤسسات الدينية الأكثر قيمة في المجتمع. وأضافت أن العناصر المزعومة التالية لهذه الحملة قد تبدو وكأنها خيال علمي، على الرغم من أننا رأينا

1 - "فرقة العمل المعنية بالإيدز في المجتمع." في النشرة الإخبارية للمجتمع، من منشورات جمعية الدراسة العلمية للجنس، أيلول 1987.

معظمها بالفعل في أدبيات التربية الجنسية وعلم الجنس:

- تشجيع حركات الناشطين المثليين، وترسيخ المثلية الجنسية كتوجه جنسي طبيعي.
- إعلان الولع الجنسي بالأطفال بمثابة توجه جنسي وإضافة ممارسة الجنس بين البالغين والأطفال إلى جدول الأعمال
- تشجيع الاختلاط بين الجنسين على نطاق واسع لخلق فوضى جنسية.
- تعزيز الحقوق الجنسية للأطفال، لفتح المجال أمام الاستغلال الجنسي للأطفال.
- مهاجمة الدين لتقويض المفهوم اليهودي المسيحي للخطيئة وإزالة التمييز بين الصواب والخطأ.
- مهاجمة التحليل النفسي، الذي يساعد أصحاب الميول الجنسية المثلية على الرجوع إلى الطبيعة الجنسية، للقضاء على مفاهيمه التي تربط السلوكيات الجنسية الشاذة بالمرض العقلي.
- إبعاد أسباب الأمراض عن الجنس (أي جعل الجنس غير ذي صلة بأي مرض).
- الضغط على النظام القضائي لإصلاح قوانين الجنس حتى لا يعدّ السلوك الجنسي المنحرف عملاً إجرامياً. إضفاء الشرعية على الأفعال الجنسية الشاذة لإلغاء العقوبة على الجرائم الجنسية.
- تعزيز العداء بين الجنسين.
- استغلال تمرّد الطفولة لتنفيذ الأبناء من والديهم. فصل الأطفال عن البنية الأسرية التقليدية الحامية.
- إعادة تعريف الأسرة لكسر نموذج الأسرة المكونة من أم وأب.

■ الفصل الثامن: الاستنتاجات

هندسة الجنس البشري

سيّضح لمعظم القراء أن كينزي توصّل إلى الاستنتاجات العامة الثلاثة الآتية حول الحياة الجنسية البشرية:

- 1 - التعبير الطبيعي عن الحياة الجنسية البشرية هو ازدواجية التوجّه الجنسي، وإنّ عدم تحقيق هذه القدرة لدى كثير من الناس سببه "القيود الثقافية" و"الموانع المجتمعية" التي يفترض أنها تأثيرات سلبية.

2 - سيكون الاتصال الجنسي مع البالغين جزءاً طبيعياً من نمو الأطفال في مجتمع أقل تثبيطاً. تساعد هذه العلاقة الجنسية بين البالغين والأطفال على التنشئة الاجتماعية للأطفال وتساعد على تنمية الإمكانات الجنسية الكاملة في مرحلة البلوغ.

3 - يرتبط الاختلاط بين الجنسين وتنوع التعبير الجنسي بالصحة الجنسية. كذلك، ضمَّ الكتابُ في نهايته ملحقات عن رسالة مارسلو كينزي، ورسالة الدكتور بول جيهارد إلى الدكتورة جوديث ريسمان بخصوص موضوعات وبيانات بحث كينزي، ومهاجمة المُحرّمات الأخيرة، والملحق الأخير ما الذي تُعلِّمُه المدارس للأطفال حول الجنس المثلي. كان هذا الكتاب عبارة عن تحقيق حول الأبحاث الجنسية البشرية التي قام بها ألفريد سي كينزي. والذي أثبت أنّ الكثير من أبحاث كينزي غير علمية ومخادعة بشكل متعمد، والعديد من استنتاجاته خاطئة. لكن هذه الاستنتاجات كانت ولا تزال تعدُّ "حقيقة علمية"، وأصبحت أبحاثه الأساس لكثير ممّا يتم تدريسه في برامج التربية الجنسية في المدارس. جادل فريق عمل الكتاب بأن أبحاث كينزي المتعلقة بالجنس البشري هي المثال الأكثر فظاعة للخداع العلمي في هذا القرن.

إذا استمر تطبيق هذه الفلسفة الشيطانية دون محاسبة أو رقابة، وسيشهد العالم انحطاطاً لا رجعة فيه ولا حلّ له. لذلك، من الضروري مواجهة هذا التيار الشاذ، سواء في المجتمعات العربية أو الغربية، ومن الضروري متابعة السير في طريق كشف زيف أبحاثه ودحض فلسفته المعتمدة الرغبات الشاذة والأخلاق المنحلة للباحثين المزورين للمعطيات العلمية. ختاماً نقول: إنّ هناك المزيد ممّا يمكن قوله حول هذا الموضوع. بمعنى ما، هذا الكتاب هو كتاب تمهيدي، وافتتاحية لسلسلة. حان الوقت للمساءلة، ولأولئك الذين يدافعون عمّا فعله كينزي وأتباعه أن يتقدموا إلى الأمام وأن يسمعهم جمهور أكثر استنارة.

Reading in Book: "Kinsey, Sex and Fraud"

■ **Lina al Saqer**

Researcher, Translator – Syria

Abstract

Within this short reading, we highlight the necessity of confronting aberrant movements, revealing their false origins, and clarifying their dangers to societies in general, and Arab societies in particular, and how threatening the systems that determine the relationship of the individual with the family, and the family with society, and which give the nation its entity, independence and preserve its characteristics.

This reading also makes it clear that everything contrary to the divine nature causes harm, and hinders the progress of people. Therefore, it is necessary to combat all movements calling for abnormality, which deviate from logic and religious instructions, and deteriorate societies. Most importantly, we must know the physical and psychological harm of these aberrant and deviant calls.

The book is one of the most important steps that confronted and exposed the lies of Alfred Kinsey, especially since it is based on the real experience of Judith Riesman, an American scientist and activist, and media expert, about the toxic effects of pornography, which were caused by Kinsey's tools, and her only daughter was the victim.

It also reveals how the deviant West supported him with the aim of controlling the minds of a very important group, the youth group that is essential for building societies.

Keywords:

Sexual Revolution - Pornography - Academic sexology, Anomaly Sexuality, Sex Education



Intellectual Implications of Subordination

■ Hadi Qubaisi

Researcher and writer in media and intellectual studies - Beirut

Abstract

The issue of subordination is raised in light of the imbalance of power and the disorder in international relations, due to the existence of a state of domination and material and moral subordination.

Despite the clarity of the effects of the imbalance in relations between the various international components, the dominant has always intended to present his dominance as a service he provides to the oppressed. The effect of dominance, which takes all social movements that subject to it towards serving the interests of one group, is hidden from many people. This applies to the intellectual field, where the flow of the dominant culture deprives others of the possibility of activating an intellectual movement that is appropriate to their aspirations and commensurate with their needs. This is what disrupts the intellectual movement, and limits its consumption, environment, and serving the intellectual context that the foreign producer, who is different in his personality, and environment, wants.

Many intertwined problems arise in this research. Does the foreign outcome, which comes from the dominant, have a negative influence on the intellectual activity of the oppressed? Does accepting that outcome and adapting it to the oppressed community have negative effects as well? Is everything coming from countries, that have dominated, considered an outcome integrated with the idea and program of dominance? How did the dominant deal specifically with the issue of intellectual dominance? How does the dominant think about these problems, and how does he use them to develop and perpetuate the extent of his dominance?

If we do not have an intellectual modernization, which based on the Western culture that has dominated for decades and centuries, how can we describe the intellectual movement resulting from this modernization?

Keywords:

Dominance - Subordination - Western model

Duality – Masculinity, Femininity in Quran: Rooting - Critical Study of Gender Ideology, Sexual Anomaly

■ Sheikh Samer Tawfiq Ajami

Researcher in Quranic studies - Lebanon

Abstract

Holy Qur'an presents us with a vision of mankind that is based on the existence of established laws in light of the divine will, including: "biological duality". The first idea in the Quran is that everything Allah Almighty created is subject to the law of duality, which is a general matter. However, what appears to be the case is that it does not mean masculinity and femininity, but rather conformity and dissimilarity, or action and reaction. However, there are verses that demonstrate - based on many evidences - the generality of the law of biological duality for the plant world, as well as for the animal and human worlds.

One who studies the Quran verses notices several things:

First: Man is two types, male and female, without the existence of a third type, and it is one of the postulates of contemporary biology. However, gender ideology is based on sophistry that goes beyond biology and science by believing in the existence of identities outside of masculinity and femininity, based on personal desire rather than formative reality. Identity is not the image that a person wishes to present to others, but rather what "he himself" looks like in reality.

Second: The ability to become pregnant is limited to femininity, as the female was provided to do this with a "uterus," "menstruation". Therefore, transgender men do not menstruate, and transgender women have the ability to become pregnant because they are biologically female.

Third: Reproduction occurs through sexual relations between a male and a female, but the Quran limits it to legal marriage. On the other hand, gender ideology and sexual anomaly go beyond that, as it legalized same-sex marriage.

Therefore, the Quran forbids any sexual relationship between a male and a female outside of legal marriage, or between females, or between two males, indicating that one of the destructive effects of this is: The non-continuation of the human species. Therefore, genderideology and sexual anomaly are a philosophy of death and nihilism.

Keywords:

Duality, Gender Ideology, Sexual Anomaly, Holy Quran.

Repercussions of Sexual Anomaly in West: Statistical study

■ Zaynab Ali Farhat

Statistical researcher

Abstract

This research deals with the repercussions of sexual anomaly in the United States of America and Europe, and this is done by presenting statistics issued by official and civil medical institutions that monitor the effects resulting from sexual anomaly. Among the most prominent results of sexual perversion: the prevalence of suicide among sexual deviants, drug abuse, alcohol addiction, in addition to the incidence of mental illnesses, including depression, anxiety, and psychosis, which often end in drug addiction or suicide. HIV infection, lower wages, and economic insecurity are also repercussions. They are titles that we will get to know more about in this research in order to understand their rationale, background, and path.

In light of the most prominent results of the research, the suicide rate in the United States of America was estimated to be 40% higher for sexually deviant people than for heterosexuals, and 7 times higher in France compared to non-sexually deviant people. As for HIV, sexual anomaly men make up 69% of HIV carriers in the United States, and the number of AIDS carriers increases by 3,000 annually in Italy. With regard to drug addiction, the percentage of sexual anomaly addicts reached 30% in the United States, and also 30% is the percentage of slam sex users in the Netherlands. For prescription abuse, the proportion of sexually deviant people who abuse prescriptions in the United States is 7.4% (or 790,000 people) of adults. While 23.8% (or 1.3 million people) of sexual anomaly in the United States also drink alcohol. Mental illnesses are also very prevalent among sexual deviants, as the percentage of mentally ill sexual anomaly in the United States reached 46%, while 3 out of 5 sexual anomalies suffer from anxiety in Britain. sexual anomaly also has economic repercussions, as studies have monitored a decrease in the productivity of sexually deviant people in Britain, where they earn 16% less than sexual anomaly, while the poverty rate for sexually deviant people reached 22% in the United States.

Keywords:

Sexual Deviance - Sexual Anomaly- United States of America - European Countries
- Suicide - Drugs - Mental Illness - HIV - Poverty - Economic Insecurity

Sexual Anomaly Laws Tool to Subjugate Muslim Communities in West

■ Dr. Siham Mohammad Azouz

An academic specializing in political science and international relations

Abstract

In half a century, the anomalous in the Western world went out from their secret hideouts, moved into organized public act, and then extracted recognition from governments, societies, and international bodies. They continued their journey by accumulating literary production, etc., so they had their own literature, symbols, and Olympic Games. Then they engaged in political work, becoming parliamentary representatives, mayors of cities, ministers, and party leaders. How can Muslim communities in the West (in Europe, the United States of America, and others) protect themselves from the culture of anomaly sexuality and sexual transformation imposed by Western governments under the slogan of freedoms, human rights, and combating discrimination and hatred?

According to legal and social considerations, these communities are obligated, by virtue of citizenship, to accept the laws and procedures imposed by the governments of these countries. But Western laws, especially those related to public rights and freedoms, also give citizens of these countries (Muslim communities are main part of citizenship) the ability to protect their religious and cultural privacy. Regarding the controversy over the issue of total or partial integration, the issue of submission and obedience to certain laws, which may affect religious and cultural privacy, remains a very sensitive issue. From this standpoint, Western anomaly sexuality laws are considered a tool for political and social pressure on Muslim communities, and constitute a fundamental obstacle to integration into these societies.

Keywords:

Anomaly sexuality - Laws Protecting Anomalous and Gays - Positive Integration - Pressure Groups - Rainbow Economy



Scientific bias in the West in Gender Studies Critical Review of “Gender Studies” with Psychosocial Approach

■ Dr. Kawthar Souissi

Research Professor in Social Psychology -Tunisia

Abstract

The concept of gender needs a lot of review, examination, and scrutiny to enrich the theoretical heritage in this context, and to clarify a more honest, realistic, and comprehensive vision of this concept, so that it does not lead us too far into its scientific illusions. This is what the current study aims to achieve, through a review of previous critical studies of gender. This review raises a key question about scientific bias in gender studies. About 27 critical articles were monitored from major databases, they were published between 2005 - 2023 in Arabic, French, and English, and then the main themes were extracted, which are:

The ambiguity of the gender concept and its individualistic philosophy, scientific bias in gender studies, and refutation of gender identity.

The study concluded that the ambiguity of the concept of gender is due to scientific bias in gender studies, because the researchers are eager to confirm the validity of their results (confirmation bias), which led to overturning previously established scientific facts, such as the concepts of health and disease, nature and culture, to legislate gender identities, and with exaggerated agreement among gender researchers. All of that was done under the influence of the biases of “false agreement” and false uniqueness, which could turn into a greater bias, which is “multiple unawareness”, if the scientific community has not resolved the matter. These are our recommendations to readers and future researchers in gender issues.

Keywords:

Sex - Anomaly sexuality- Critical Studies, the West, Scientific Bias, Mistakes, Research.

Negative Consequences of Promoting Western Sexual Freedom in Islamic Societies: Iran as a Model: A Qualitative Study

----- ■ **Dr. Mohammad Fatehi, Dr. Mohammad Javad Tavakoli Khaniki**
Quranic Sciences and Education University, Faculty of Quranic Sciences in
Mashhad, Department of Quranic and Hadith Sciences, Mashhad, Iran.

■ **Translated by: Houari Bahlouli**

Abstract

The class of adolescents and young people is considered the greatest class exposed to various forms of Western cultural aggression. Most of the negative concepts of cultural invasion involve threats to the cultural entity, and are due to the lack of awareness of this class about the danger of the negative consequences of the culture of sexual freedom. It seems possible to change the opinion of young people about this negative phenomenon, by clarifying its negative consequences, and paving the way for confronting freedoms that are out of the reach of the law. This is what this study seeks to provide.

The study researchers relied on the meta-synthesis methodology in collecting research qualitatively. They extracted the results of previous studies on the consequences of sexual freedoms and analyzed them qualitatively. Then, they coded the indicators obtained by the different studies, and divided the codes and signs into several groups according to the research themes. The meta-synthesis showed us conceptual models containing three dimensions, five themes, and thirty-seven codes. The three dimensions are individual, familial, and social/cultural consequences. The division of those consequences also showed that the social/cultural consequences are the most important among the others, followed by the familial, then the individual consequences.

The study concluded that Western countries and governments seek to promote strange phenomena in Islamic countries, such as unrestrained sexual freedoms, to influence the belief of their people, undermine the cultural and religious beliefs, and destroy methods of sound social behavior. Promoting sexual freedoms provides the necessary ground for influence and penetration into the intellectual and religious system, and the establishment of behaviors and lifestyles that are completely contrary to the social and religious behavior of Muslim societies, aiming to gain influence in these societies. Sexual freedom can be considered the wide gateway through which Western values were entered, most of which contradict Islamic cultural values.

Keywords:

Family and Society- Sexual Revolution - Sexual Freedoms - Cultural Aggression

Imposing Anomaly, Severe Encroachment of Materialism in Domination, Declination

■ Dr. Maryam Rida Khalil

PhD in Political Sociology

Abstract

The imposition and promotion of sexual anomaly becomes official and public within President Biden's administration after a process of preliminary steps to the stage of huge defense by the force of law under the pretext of "protecting rights", no matter of its fallacies of double standards. This paper examines the understandable reasons for this measure, according to the Weberian approach, by noting its repercussions on all human society, including Western and American society. It links the subject and the problem of the study to its primary origin, i.e. Western capitalist thought, whose material structures of hegemony allowed this degree of value evasion. The research looks at the process of legal justification as a natural and inevitable product of the material hegemony encroachment; a festering product from which the host communities themselves will not be safe, witnessing the erosion of their own structures. The paper also studies the relationship between the imposition of anomaly and the containment of youth and children in the context of soft war.

There are a set of political and social dimensions within anomaly that reveal the extent of Western thought's vulgarity in dominating cultural identities and distorting human societies in the service of the interests of the colonial domination project over resistant communities. These dimensions confirm the weakness of the outcomes of soft war in the processes of alienation, which has pushed to the highest level of extremism. However, while the United States allows itself colonial hegemony over popular wills and collective consciousness in resistant societies, it is accelerating its decline and the loss of its liberal project in the face of an ascending civilizational project based on liberation from the encroachment of materialism, searching for justice and righteousness.

Keywords:

Anomaly Sexuality - "Homosexuality" - Dominance - Brutal Imperialism; Soft War; Cultural "Nonsense".

Western Media, Globalization of sexual anomaly

..... ■ **Dr. Asmaa Abdel Aziz Ahmad**

Writer and Researcher, Phd in Arts, Department of Media – Egypt.

Abstract

The "prominent" global events, which dealing with sexual anomaly, are increasingly being framed on global and Arab satellite news networks, a thing that was unthinkable to happen a decade ago in the media. These "missionary" tasks and the media speeches (messages) -produced by this movement, and the organizations it represents- are what constitute what may be called the "dream of internationalism" for perverts, who see it as an assimilation project to quickly catch up, especially in the Eastern countries, which are considered relatively late in this international assimilation project, especially in the Arab and Islamic worlds.

On our side, we see that this "Orientalist" motive, to direct all branches of academic research and media content about perverts' s society and rights, is one of the missionary tasks to find bases for the dream of international perverts, where there is an increasing bet on attacking the collective consciousness of specific peoples, to spread ideologies that are completely different from their culture and social and economic context, by targeting special recipients, such as children and adolescents. Therefore, it is important to interpret the Western media speech (message), to monitor the extent to which it is able to distance Arab and Islamic identity from its goals, and to show any counter-movement as something defective and contradictory to modernity.

Keywords:

globalization of sexual anomaly - Western media - Transnational culture - Internationalization of sexual anomaly- Cultural absurdity.



supported him and triumphed over his limited sexual identitarian issues, ensuring the achievement of huge financial returns, and producing markets that will ensure control over societies, at a time when the American hegemonic empire faces competition from rising powers such as China, Russia, and others.

Keywords:

Political economy, Liberal Awakening, Liberal Capitalist System, American Neoliberalism, Military-Industrial Complex, Pharmaceutical and Drug Companies Lobby, The Phenomenon of Transgender, The Trend of Anomaly Sexuality, Pedophiles, Gender Identities, The Transgender Market, Pritzker Family, Artificial Sexual Identities, Human Reproductive Sexuality, Rainbow Capitalism

Political Economy of Anomaly Sexuality in US

■ Ali Hassan Murad

Researcher in American affairs

Abstract

Over the centuries, the American capitalist system has always practiced the craft of accumulating capital, by increasing production and profits, and excelled in inventing goods and everything that would create markets for its production. In order to achieve these profitable goals, it was adopted policies and legislation that made it easier to reach his goals. From freeing slaves in the mid-nineteenth century, to granting the descendants of freedmen some civil rights, the ruling capitalisms in the United States were making their way towards accumulating power, which enabled them to exercise domination throughout the world. Given the nature of the political and economic system and its development, the deep-rooted capitalist state was adept at creating issues and producing identities that made it easy for it to commodify what it thought that there was an interest to be treated as commodity. The rights, which history recorded as being granted to achieve the goals of human liberation, have always had some interest behind them that benefits the capitalist system of domination.

This research turns out the development of the course of the American capitalist system, especially according to its neoliberal doctrine, and the influence and dominance provided by the system of corporate interests, in order to understand the interest relationships behind the identitarian phenomena that have emerged in America, especially with the emergence of the trend of anomaly sexuality in the United States during the past two decades.

The numbers and information, which contained in the research, show part of the economic power behind the trend of anomaly sexuality in the United States, and the nature of the self-interested relationships produced by the American capitalist mind to reach the goal of creating a loyal customer - devoid of awareness - who has no choice but to remain loyal to a system that, as he imagines, has



Anomaly Sexuality in Ancient Western Societies

■ **Dr. Abdullah Al-Sulaiman**

Lecturer of ancient history at Damascus University

■ **Summarized by: Zainab Ali Farhat**

Abstract

In this research, the researcher explains abnormal sexual relations in ancient Western societies (Greek - Macedonian - Roman), and sheds light on society's view of them, and how Western thinkers, through active influencers in society, were able to promote them, especially since most of them were involved in such abnormal relations. The mythological background, misconceptions, and actual practice of this social scourge on a minor group in society, played a role in its spread, and made it permeate the structure of society until it became considered the basis of the school educational process, national education, military education, physical education, and mental health. The focus of this research is on the relations of anomaly sexuality in the lives of elites; such as philosophers, leaders and emperors, because they were ideals in their communities. It also addresses the reasons and factors that led anomaly sexuality to spread in ancient Western societies

Keywords:

Anomaly Sexuality - Greeks - Romans - Sodomy - lesbianism - Sexual Relations

Ethical Discourse in Current Western Thought: Debate on Foundations, Consequences

■ **Dr. Samir Belkafif**

Researcher, Writer in Philosophy, Sorbonne University, Paris

Abstract

This article includes an analysis of the relationship between the human nature concept and the areas of its ethical interpretation, and an attempt to monitor the radical transformation in the human nature concept, sometimes under the impact of anthropological, social, contextual, and particularly gender studies, and sometimes under the impact of the biotechnical revolution. The dispersion of trends in ethical philosophies, in terms of theorizing the foundations of ethical behavior, is directly reflected in many of the imagined limits of ethical responsibility, and the standards on the basis of which the understanding of human nature is regulated and its stability to a certain extent.

Therefore, we will focus on the value change in contemporary ethical discourse, that is, the shift from the classical and modern concept of human nature - relating to its essence and identity, intellect or sensitivity, where its metaphysical significance is determined - towards the contemporary concept in which it has become scientifically determined, as a complex biology, or as the result of a complex sociological upbringing. Whatever it is, this scientific referral of human nature has destabilized many of today's universal ethical values, and has questioned the usefulness of classical ethical principles, and the changes, which accompanied, in the structure and concept of the family, in some of its current forms, and in the nature of masculinity and femininity, and the relationship between the sexes.

Keywords:

Crisis, Philosophy, Western Ethical Thought, Human Nature, Gender, Anomaly
Sexuality - Homosexuality.



Philosophical-Legal Analysis of Anomaly Sexuality: Sin of “Sodomy”, Right of “Gay marriage”

■ Dr. Hussein Suzenji

Assistant Professor at Baqir Al-Uloom University -Iran

■ Translated by: Yasser Bashir

Abstract

Among human issues, there are few that we can win, which they were considered at one time among the greatest sins, and at another time among the most prominent human rights headlines! By carefully paying attention to the difference between sexual behaviors, anomaly tendencies, and anomaly identity, this article initially exposes the transformations that led to anomaly marriage becoming legal in Western societies, in order to know how something that was defined as a “sin” (that is, it is a crime that will be punished in the afterlife, in addition to being a crime in worldly life), gradually becomes known as a “right” through a set of social constructions. Then, through philosophical contemplation of the reason that allows something to be considered a “right” for a human, we conclude at the fact that opening a file entitled “Anomaly Sexuality Rights” is part of what is presented on the global scene as “human rights” - in addition to being an unjustified act - is based on bases that accepting them -In addition to questioning the possibility of accepting human rights as a global issue that everyone must care for - leads to blocking the way for defending the rights of minorities (and they want to recognize “anomaly (same sex) marriage” as a right for minorities).

Keywords:

Sodomy - Anomaly sexuality - Right - Sex - Gender.

Women, Dream of Freedom in West

■ **Dr. Mohammad Hussein Mokhtari**

PhD in Western Philosophy, member of the educational council of Imam Khomeini (may God have mercy on him) Research Institute, professor at the University of Tehran

■ **Translated by: Hussein Jahjah**

Abstract

The concept of freedom in the West is influenced by deviant feminist thought, which means to be free from any restrictions and to accept any type - whatever it may be - of rules and controls. It is clear that such a conception of "freedom" is actually a kind of slavery; that is, placing the soul in the circle of slavery, subjecting to animal lusts and psychological desires, falling into the dark, suffocating narrow zones of nature and materialism, and falling into the cycle of self-prison. Such an interpretation of women's freedom is common in the Western vision. In other words, women's freedom in their opinion is as same as "sexual" freedom, and they emphasize that everything that hinders, restricts, and deprives women of this right is condemnable and must be questioned.

Questionable readings of women's freedom also allowed to the material exploitation and sexual enjoyment of women, and reduced their status to the bottom, which contributed to destruct their personality, and to distort their characters. The West exploited the concept of freedom in bad way and imposed it - in the sense it wanted - on societies, until it became nothing more than an apparent concept, which is used in the corridors of political forums and in propaganda campaigns.

This article briefly discusses the origins and sources of this definition, the evidence for women's freedom in the West; the consequences of this matter; the issue of using women as a tool and commodity in order to achieve some things; the current situation of women in Western societies; and researching the incorrectness of the slogan "freedom and women's rights" in the West.

Keywords:

Women, Freedom, Feminism, Radical Feminism, Family, Care, Socialization, Women's Right.



people, are in reality a war of nations that want to monopolize and arrogantly over nations that want to rise, in order to plunder their resources and deprive them of their gains.

That is why "Oumam Magazine" came to focus on everything that would liberate our nation from the policies that are hostile to its renaissance and progress and enhance its dignity and power. However, anomaly sexuality is only one phenomenon, and one of the components of Western hegemonic projects, and it was chosen to be the subject of the first issue of our magazine "Oumam", because of its extreme sensitivity on the one hand, and his approach to an issue that represents the essence and depth of the human being- his nature- and because of the intense controversy surrounding it that has recently been witnessed in global arenas.

"Oumam" magazine, as expressed in its identity and slogan, is primarily concerned with criticizing Western visions related to humanity and society in its various fields, and at the same time seeking to provide rooting insights into the topics that we will approach.

As we pray to Allah to grant us success in this mission, we hope that the reader will not be stingy with his comments and suggestions. The task is arduous and difficult, and requires everyone to come together in order to achieve the desired renaissance.

this rush and enthusiasm in American policies.

Whoever imagines that this matter is far from the process of soft war, which aims to rob the capabilities of nations and exhaust them, without sending armies and spending money in the previous colonial manner, is greatly delusional.

We will not prolong the discussion further, but suffice it to say that contemporary arrogant policy suffers today from the continued attachment of man to moral values, principles, and values, which force him to work with the concepts of sacrifice, self-denial, and other things that make him stand against any process of desecration or assault on his nation. There is no solution to this if a person remains social and does not experience self-alienation. The ideal solution in the West was to direct a person to live a state of individualism and self-estrangement that develops in him thinking about himself before he thinks about anything else, and gradually stripping this self of any interest in others, leading to making it completely selfish, and stripping it of the ideals and values that draw it to others, such as the family, relatives, and neighbors, in addition to religion, the nation, the homeland, and the like. Then the West will find itself facing a huge return: because the nation whose members tend to these behaviors will be easier to manage and direct; because its immunity has collapsed, its fortresses have been demolished, its chivalry has been shattered, its chivalry has vanished, and its honors have been made permissible, so there is no jealousy, no protection, and no values. Then, the nation will be subject to considerations that were previously taken over by the arrogant ruler, as he has money, power, and possesses the weapons of death, all of which cannot be confronted by the individualistic or selfish psychology, which will find surrender to get rid of self-distress a justified and acceptable process. In other words, the ability to humiliate and surrender arises in him.

If we look closely at the phenomenon of anomaly sexuality in its tendency for people to live far from values, and if we look at the rest of the phenomena that these countries are working to spread in our societies, such as atheism, adherence to a non-religious state, and daring in morals and moral values, not to mention the spread of prostitution, drugs and the like, and what these manifestations produce in directing man to a nihilistic or absurd state, we know exactly why all these attempts came in a systematic and synchronized manner according to a timetable supported by generous money, wide media, and with the support of the pressure organizations that these countries establish under the cover of civil society organizations (NGO).

Anomalies and other manifestations that these countries sponsor in the name of human rights, freedom of opinion, and anti-discrimination between



seen terrible examples in American and European courts that have reached a very high degree of deterioration.

Talking about this equality brings you directly into "CEDAW" agreement, which the United States and its allies are waging a large-scale war to spread across countries, and what emerges from it is simply all of the gender rights we have mentioned within the boundaries of the gender culture advocated by the currents of modernity and post-modernism.

The researcher must not stop there, but rather follow the matter with regard to the results and outcomes of this and the effects that the process of legalizing (making it legal) and normalizing anomaly sexuality will have on social reality, or rather, what is the real agenda that hides behind the frenetic impulsion of American and European politics to spread the culture of homosexuality in societies that reject it?

We do not think that it will be difficult to discover that all of that is happening far from any human tendency to do justice to those who have been ostracized, isolated, and condemned by these societies. It is enough to look at what is happening in Gaza to see the horror of the crimes committed by the same person who laments human rights and equality among people, to know that such a tendency does not exist at all on their agenda.

It is also not difficult to discover the enormous economic effects that the anomaly sexuality industry will achieve, whether in the fields of prostitution, sex tools in all its forms, the pharmaceutical and hormonal industries, or in hospitals for sexual transformation. Thus, the chain extends to create every day a rich source of money stolen from those subject to it. It is not difficult to know the resulting destabilization and sabotage of the system of values, moral concepts, and standards that represent a basic pillar of social cohesion and social control in nations that reject anomaly sexuality and its cultures.

Between the political and economic dimensions of creating the phenomenon, we note an extremely dangerous matter, which is the alliance between power and money, supporting hundreds of researchers to produce fabricated research under the title: "scientific research", in a manner of clear and even scandalous scientific bias, to give a scientific advantage to sexual deviations. Through this, we understand that magnifying the extent of deviation and justifying it, turning it into a phenomenon, and even globalizing it, is in fact nothing but a deception.

The chain goes on. Every day we can expect to see the huge effects in this field, not to mention the manifestations that will arise in the future resulting from the process of this phenomenon's expansion. But we believe that the politics here must be given the utmost importance, as it is what lies behind

experienced. She said: "A new form of sensuality is about to emerge, and perhaps it will produce new myths" (The Second Sex 1: 314). This description was not exaggerated. As long as phenomena are produced by the desires and pressures of social reality, and as long as moral and spiritual values have been condemned to death in European human civilization and the matter is left to the outcomes of reality, it is natural for desires to continue to produce new patterns of expression, or to revive what was old. In all cases, as long as sex has been made permissible, we must always receive the secretions of its permissibility.

This phenomenon will not be far from political direction and the purposes of the political game. As long as sex represents a common factor among humans, and it is one of the most powerful, influential and controlling desires among humans, any desire to control nations will find in sex a fertile factor for implementing this.

What Popper and Simone de Beauvoir presented regarding the attribution of masculinity and femininity to society will be directly in line with abnormal desires. Consequently, sexual patterns, determined by desire and lust, will be found. With them, it will be necessary to look at sex through the pattern that society has created. And because of that, the development of the concept of social sexual diversity from masculinity and femininity to every sexual type that a person desires to choose is attributed. In light of this, the concept of gender developed from describing sexual identity to expanding it to every type chosen by human social reality. Hence, the gender description of male and female has multiplied into dozens of types that gender culture tries to include.

The matter will not be limited to sodomy, lesbianism, and types of effeminacy only, but will extend to sadism, masochism, animal sex, and animal-likeness, such as the phenomenon of human dogs, human pigs, human cats, human horses, and the like. There is no doubt that when lust is absolute in this way, the gender can change from time to time. Whoever desires to play a female role at night, can change the role tomorrow and play another role, and so on.

The danger of gender is represented by what entails the process of gender confirmation, as this requires: Firstly, not condemning and criminalizing the phenomena of anomaly sexuality, then it requires normalization with it, then it requires equality between it and other social types. If the right to marriage, inheritance, divorce, and so on was for the male and the female, then same-sex marriage, that is, the male with the male, the female with the female, and even marriage between a human and an animal, would have all the rights, which result from this marriage, attached to it! We have recently



the Supreme Man being far from the answer, but the identity of this Man will be variable, sometimes will be the dictator, sometimes the race, thirdly the party, fourthly the people, fifthly the color, and other similar classifications.

But the same question is renewed when we define one of these classifications: It is necessary to know the real controller on any classification we choose, and we must move from the general description to the specification, Then, the controllers will be the group that is least satisfied by this or that group. But who will bring this group to this specific site, and extract it from being among the common people? Democracy, for example, brings a special group as a result of elections, but is there anyone who controls democracy? Reality will answer us that the one who controls the elections is the one who controls public opinion. In this day, there is no doubt that the media and methods of controlling minds are what largely dominates shaping the trends of public opinion, and the media does not move alone, but is driven by politics, and there is no politics without money.

What is meant is to know that the existence of a phenomenon in a time of absence of constant values must be explained by the will of those in control, and it is necessary to note the influence of the owners of great capitals on their presence in power.

It is clear that Western democracies, in their depths, are not the product of a social contract, as the proponents of the social contract theory claim, but rather they are the product of agreements concluded between political forces and those who finance them. These agreements are what bring those who occupy the position of controlling the whole society. The same thing we notice in the emergence of dictatorships, regardless of their status. If they are not attracted to money, they will be attracted by the obsession with power and authority, or any of the factors subject to the ideals of relativity, which are variable and unstable.

Returning to the phenomenon of anomaly sexuality, we will find the Frenchwoman Simone de Bourvoir (1905-1986) and her assertions that biological congenital reality does not determine femininity and masculinity in humans, but rather society determines that, and although she was not the first in this field, as she was preceded by the Austrian Karl Raymond Popper (1902-1994), but de Bourvoir's words are nothing but a product of the process of creating a social phenomenon in the hands of the forces controlling social reality, we saw how European women resorted to leaving their homes for factories, laboratories, and farms, due to the purposes of war and its trade.

De Beauvoir was not alone in her era in anomaly sexuality, but despite all that, she heralded later phenomena that might catch up with what she had

stages of building its civilization, on Hegel's dialectic (1770-1831), which speaks of phenomena evolving from the phenomena that preceded them, opened the doors that left a major effect on the phenomena that followed them, concluding that thought itself will be the product of social reality and a reflection of it, as is clearly seen in the views of Marx and Engels.

It can be said that the greatest impact in this field may be attributed to two men: The first is Friedrich Nietzsche (1844-1900), who announced the removal of God from the earthly world when he declared the death of God, as he claimed, (Nietzsche, *The Joyous Science*, al-Shathra 125). Thus, he stripped the phenomena of values and handed them over to mankind while calling him the Supreme Man: "God has died, and now we want the Supreme Man to live" (Zarathustra spoke: 530). It has become clear that the Supreme Man (no matter how credible he is) is the one who will control these phenomena and adapt them according to what he wants, and with him the constant values fell and everything became relative.

The second is Herbert Spencer (1820-1903), whose call to adopt Darwin's theory of evolution in describing social reality, known as Social Darwinism, was an opportunity to expand the space for social interpretation of all matters, as the sciences of theoretical or practical reason, religion, revelation, prophecy, history, thought, perception, the soul, sex, morals, values, beauty, and the like, have all been transformed into a mere reflection of social reality. Naturally, the world of metaphysics and the world of metaphysics emerged into the world of social production, and Allah, Almighty, was removed, so that man took his place in explaining all these and similar phenomena.

The social phenomenon continued, and the Frenchman Durkheim (1858-1917) confronted it to emphasize the pattern of morals and normative values, such as evil, happiness, justice, and the like, in a way that takes them away from the reality of stability until they are variable according to the requirements of social reality. Then the Austrian Sigmund Freud (1856-1939) came after him to work on desecrating moral values, such as religion, morals, and general social phenomena, by attributing them to the sexual factor and his doctrine of the totem and its relationship with the forbidden.

This brief historical narration of some social thought brings us to the following question: If social reality is the one that will control the formation of the social phenomenon, then who is the one who directs this reality? We can also ask about the very formation of this reality: Is it the result of the interaction of society and its individuals? Or, could this reality be shaped by a professional industry that imposes what is not reality as real, and convinces others of it? Then, special and limited cases turn into phenomena. Regarding these questions, we will not find Nietzsche's statement about



men began to decline due to World War II, and then the logistical burden on women would increase to a very dangerous degree, leaving enormous effects on European societies in general, we will see that with these effects, the manifestations of family disintegration, prostitution, violence against women, the issue of equality, and the like have become widespread.

With these results, the world of ideas, philosophies and ideologies was not directly responsible for them, but rather they arose as a result of bad outcomes of reality, which created by the purposes of war politicians and makers, but we will notice that the fields of philosophical and intellectual theorizing quickly caught up with it, so we found Simone de Beauvoir (1908-1968) proposing what would later be known as ideas related to what is known as "feminism". From there, the phenomenon continued, interfering with other ideas that were repercussions of multiple phenomena, until we reached the "CEDAW", and the worlds that came after it from the contemporary Western push towards anomaly sexuality.

Here, I am not aiming to make a moral or normative judgment on all of these manifestations. Rather, we seek to understand the interaction between the emergence of social phenomena and their causes, and the goals behind promoting a particular phenomenon and suppressing everything else, in addition to the effects it has had on the worlds of ideology and philosophy and their role in all of this, in order to reveal the main player who acts secretly.

Many have sought to clarify matters as if they arise from intellectual and philosophical motives. But contemporary reality has shown us the major role that propaganda plays in creating the ideological groups, which can tend to produce a social phenomenon even if it is contrary to the doctrinal pattern that dominates the same target group, this prompts us not to take the matter at face value, but rather we must read the real scene in greater depth to reveal what is hidden behind what the media hype wanted to hide. Experience has shown us that this hidden scene hides behind it multiple scenes whose goal is to keep the main player concealed and hidden, aiming to passing on the same idea that is being exaggerated and passed on through the media. The origins of the mind manipulation game and the conditions for its success are to keep the manipulators in secret, and not reveal their identity.

In our opinion, the study of social phenomena should not stop at explaining it in detail, in terms of its origin and its intellectual and philosophical content, but rather it is necessary to go beyond that to know the social outcomes it will lead to. As long as European thought relied, to a large extent, in the serious

First talk

Anomaly Sexuality Industry a Way to Destroy Nations

..... ■ **Sheikh Jalal al-Din Al-Sagheer**

After it criminalized it, how is the contemporary world being taken towards normalization with the phenomenon of anomaly sexuality and sexual pornography, in a way that we see it transforming into an axis that American diplomacy relies on and fights for? Undoubtedly, this transformation did not come out of the thin air, and it naturally does not become worthless, just like any social phenomenon that Western civilization worked to produce, or reproduce, from what it existed on a limited basis in previous eras.

In view of this reality, we are concerned with studying this phenomenon on two levels:

First: studying the phenomenon itself with regard to the nature of the foundations on which it is based, and the nature of the outcomes that lead to it.

Second: studying the basic factors due to which the social phenomenon arises in Western civilization fields.

If we think about the feminist scene before World War I, as an example of that, and if we assume that that war would not invade the European entity, and therefore hunger will not prevail, and millions will not be killed, especially men, and life in the field of social security will not be exposed to homelessness and anxiety about fate, and so on, the rest of what this war produced. Then, will we see a widespread phenomenon of women leaving their homes and families to become workers in the war fields, and servants in the logistical situation of war, after losing the breadwinner - father, husband, or brother- as a result of what the war took from men?

If we allowed our imagination to go further, thinking of the situation of the women who was called upon to meet the purposes of the war in Europe, while receiving a more severe invitation when the numbers of European



22 **Negative Consequences of Promoting Western Sexual Freedom in Islamic Societies: Iran as a Model: A Qualitative Study** ■ Mohammad Fatehi, Mohammad Javad Tavakoli Khaniki

23 **Scientific bias in the West in Gender Studies: Critical Review of "Gender Studies" with Psychosocial Approach** ■ Kawthar Souissi

24 **Sexual Anomaly Laws Tool to Subjugate Muslim Communities in West** ■ Siham Mohammad Azouz

25 **Repercussions of Sexual Anomaly in West: Statistical study** ■ Zaynab Ali Farhat

Rooting

26 **Duality - Masculinity, Femininity in Quran: Rooting - Critical Study of Gender Ideology, Sexual Anomaly** ■ Samer Tawfiq Ajami

Studies and Researches

27 **Intellectual Implications of Subordination** ■ Hadi Qubaisi

Reading in Book

28 **Reading in Book: "Kinsey, Sex and Fraud"** ■ Lina al Saqer

index

6

**First talk: Anomaly Sexuality
Industry a Way to Destroy Nations**

■ Sheikh Jalal al-
Din Al-Sagheer

Focus

14

Women, Dream of Freedom in West

■ Mohammad
Hussein Mokhtari

15

**Philosophical-Legal Analysis of
Anomaly Sexuality: Sin of "Sodomy",
Right of "Gay marriage"**

■ Hussein Suzenji

16

**Ethical Discourse in Current
Western Thought: Debate on
Foundations, Consequences**

■ Samir Belkafif

17

**Anomaly Sexuality in
Ancient Western Societies**

■ Summarized by:
Zainab Ali Farhat
■ Abdullah Al-Sulaiman

18

**Political Economy of Anomaly
Sexuality in US**

■ Ali Hassan Murad

20

**Western Media, Globalization of
sexual anomaly**

■ Asmaa Abdel
Aziz Ahmad

21

**Imposing Anomaly, Severe
Encroachment of Materialism
in Domination, Declination**

■ Maryam Rida Khalil

■ Magazine Message:

Confronting the intellectual challenges imposed by the West and others on our Arab and Islamic societies, through:

- ▶ **Refuting these issues in a scientific and systematic academic manner, highlighting their consequences and shortcomings, and criticizing their origins and contexts.**
- ▶ **Revealing the political, economic and colonial backgrounds behind the attempt to dominate culturally on our societies.**
- ▶ **Providing scientific statistics from the inside of Western societies, which monitor the destructive consequences of these cultures on societies.**
- ▶ **Providing authentic and alternative visions on these issues from a universal humanitarian perspective, that is consistent with the requirements of human nature and the universal, metaphysical vision of humanity.**

General Supervisor:
**Sheikh Jalal al-Din
Ali Al-Sagheer**

Editor in chief:
Dr. Muhammad Mortada

Managing Editor:
**Sheikh Dr.
Mohammad BG Kojok**

Managing Director:
Ms. Aya Baydoun

Technical Director:
Mr. Khaled Mimari

Proofreading:
Mr. Bassam Al Allan

Translators:
**Mr. Hussein Jahjah
Mr. Yasser Bashir
Mr. Houari Bahlouli
Mrs. Lina al-Saqer**



Oumam magazine, for Human and Social studies, is a peer-reviewed quarterly scientific periodical, issued every three months by «Baratha Center for Studies and Research» in Beirut, Lebanon. It is concerned with criticizing Western visions of humanity and society in various fields and contemporary challenges in philosophy, history, sociology, anthropology, and other fields. This is on one hand, and on the other hand, rooting them from a rational standpoint, that is consistent with the requirements of human nature, and with the genuine metaphysical cosmic vision of humanity.

Gender Deception War of Anomaly Sexuality

Issue (1): Fall 2023 AD - 1445 AH

ISSN:

 : 3005-6713

 : 3005-6721



issued by:



**Baratha Center for
Studies and Research**
Beirut- Baghdad

**A quarterly peer-reviewed journal
concerned with criticizing Western
visions of humanity and society**

www.barathacenter.com

www.oumam.barathacenter.com

Oumam.magazine@gmail.com

المشارك الكتابون

- | | | |
|---------------------------------|--|-------------------------------|
| د. سمير بلكفيغ
فرنسا | د. حسين سوزنچي
ايران | د. محمد حسين مختاري
ايران |
| د. أسماء عبد العزيز أحمد
مصر | أ. علي حسن مراد
لبنان | د. عبد الله السلیمان
سورية |
| د. كوثر السويسي
تونس | د. محمد فاتي
د. محمد جواد
توكلي خانكي
ايران | د. مريم رضا خليل
لبنان |
| أ. زينب علي فرحات
لبنان | الشيخ سامر عجمي
لبنان | د. سهام محمد عزوز
لبنان |
| أ. هادي قبيسي
لبنان | | |
| أ. ليلى السقر
سورية | | |

ISSN:



: 3005-6713



: 3005-6721



umam
For human and social studies



issued by Baratha Center for Studies and Research